

آية الله
الشيخ محمد مهدي شمس الدين

عاشوراء

مجموعة محاضرات

١٤١٣ - ١٤٢٠ هـ
١٩٩٣ - ١٩٩٩ م

الجزء الثاني



المؤسسة الدولية
للدراسات والنشر
بيروت - لبنان









سماحة آية الله

الشيخ محمد مهدي شمس الدين

رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان

عاشوراء

مجموعة محاضرات

١٤١٣ - ١٤٢٠ هـ

١٩٩٢ - ١٩٩٩ م

الجزء الثاني



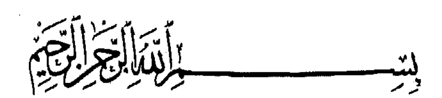
الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م



بيـــروت: مستديرة شاتيلا ـ قرب المعهد الفني الإسلامي
تلفـــون: ٠٣/٧٧٧٠٧٢ ـ ٠٣/٨٦٦٠٤٤ خليوي
فاكـــس: ٨٢٦٥٠٤ ـ ٠٠٩٦١١
ص. ب: ٨٦/ ٢٥ الغبيري

المقدمة



والحمد لله رب العالمين وله الحمد والمنّه والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الاطهار وصحبه المنتجبين الاخيار.

وبعد:

ثورة عاشوراء مدرسة في الدين والأخلاق والعلم والثورة والحب والتضحية، وهي مدرسة تصلح لكل زمان ومكان، وللإنسانية كلها. هذا ما يؤكد عليه سماحة الأمام شمس الدين في قراءته لهذه الثورة المدرسة.

وهذا الكتاب القيم عاشوراء ج ٢ دروس من الثورة الذي بين يديك هو مجموعة دروس ومحاضرات كان يلقيها صاحب السماحة آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين دام ظله في أيام غاشوراء ايام الإمام الحسين مع بداية كل سنة هجرية حيث تعقد المجالس وتقام الندوات وتقرأ السير الحسينية العطرة التي يستمع إليها الناس بكل اجلال وتقدير ومواساة لذلك المصاب الجليل الذي حل بأهل البيت النبوي من قبل سلطة بني أمية المتسلطة على الاسلام والمسلمين. والتي كان لا بد من الوقوف بوجهها فوقف الحسين وكان ما كان من استشهاده مع نفر من أهل بيته وخيرة أصحابه الذين عبر عنهم في ليلة العاشر من محرم بكلمات خالدة خلدتهم ورسم طريقاً ومنهج الاخلاص والصدق في المعتقد والعمل.

ومع مرور الأيام وتعاقب الدهور واختلاط التاريخ بالغث والسمين.

كان لا بد من العمل الدؤوب والمستمر لتصحيح الخطأ وبيان الزلل في ذكر السيرة وتوضيح المنهج من قبل العلماء والعارفين وقد تصدى سماحته منذ زمن بعيد وكتب عن ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية وكتاب آخر عن ثورة الحسين وأثرها في الوجدان الشعبي وكذلك كتب كتاباً عن انصار الحسين وامام اطلاعه الواسع على التاريخ الاسلامي الذي هو استاذ فيه وأحد الاساتذة في كلية الفقه في النجف الأشرف وكلية أصول الدين في بغداد.

لم يكتف بالكلمة المكتوبة بل كان لا بد من إضافة نهج جديد في ذكرى عاشوراء فكان يتحدث قبل قراءة السيرة ومجلس العزاء بحديث يوضح فيه ما قد يلتبس على السامع ويبين مقام أهل بيت النبوة وعظمة التضحية وكبير الفداء.

ويربط احياناً ما تعانيه الامة الاسلامية من ويلات وكوارث وتخلف بسبب جهلهم للإسلام ولتضحيات عظماء الاسلام وهم أهل البيت عليهم السلام.

جمعت محاضرات في جزء أول تضمن سنوات من سنة ١٩٨٠م ـ ١٤٠١هـ حتى ١٩٨٨م ـ ١٤٠٩هـ ـ وهذا الجزء الثاني الذي يضم محاضرات من سنة ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م إلى سنة ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م وربما بسبب الاحداث التي عصفت بلبنان لم تسجل أو تدون كل المحاضرات ولم تسمح الظروف احياناً.

لذلك رأت المؤسسة الدولية للدراسات والنشر أن تجمع ما استطاعت جمعه وطبعه ونشره لتعمم الفائدة سائلين الله العلي القدير أن يطيل عمر سماحته الامام الجليل الشيخ محمد مهدي شمس الدين ويزيد من عطاءه الفكري النافع والدافع للأخطار عن المسلمين.

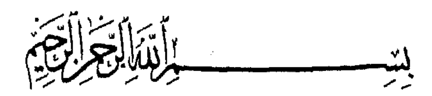
والحمد لله رب العالمين

المؤسسة الدولية للدراسات والنشر
١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م

١ ـ الإسلام والمسلمون

في مواجهة حضارة الغرب بتعبيرها الشيطاني

الجمعة ٣ محرم ١٤١٣ هـ
٣ حزيران ١٩٩٢ م



والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبد ما بقيت وبقي الليل والنهار، ورحمة الله وبركاته.

السلام عليكم أيها الإخوة والأخوات جميعاً ورحمة الله وبركاته.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾[1].

قلت لكم إن هذه العاشوراء مخصصة في هذا المجلس لبحث بعض

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١١٧ ـ ١٢٠.

جوانب مشكلة الحضارة عند المسلمين، وفي الأمة الإسلامية في هذا العصر، ولعلها أكبر من مشكلة الاقتصاد وأكبر من مشكلة السياسة. وهذه الحضارة التي اعتبرها بالشكل التي تقدم به إلى العالم وبالشكل الذي يمارسها العالم، هي التعبير الشيطاني الأكبر الذي يفترس البشر، يفترس أخلاقهم وضمائرهم وكرامتهم وإنسانيتهم.

إن المسلمين يحاولون أن يلحقوا بهذه الحضارة، حيث يتبارى كثير من المسلمين في أن يقدموا أنفسهم للناس على أنهم متحضرون، ويقول كل أحد من هؤلاء أنه ليس مختلفاً عن الإنسان الغربي في مسكنه، وفي لباسه، وفي طعامه، وفي فهمه للحياة، وفي سعيه إلى الحياة، وفي علاقاته الإنسانية والاجتماعية.

والجماعات أيضاً تعمل هكذا، الدول أيضاً تعمل هكذا، كل دولة من خلال أجهزتها وسلطاتها وإمكاناتها تعمل من أجل أن تُلحِق شعبها بركب الحضارة بصيغتها الغربية ـ الامريكية وكأن هؤلاء المسلمين جملة من الوحوش المتخلفة المتردية المنحطة ويراد إنقاذهم وأنسنتهم وإدخالهم في دائرة الإنسانية وجعلهم متحضرين.

المرأة المتحجبة العفيفة المتحصنة يراد منها تسفر وأن تعرض جسدها للناس وأن تتحول إلى سلعة في سوق اللذة وإلا لكانت متخلفة، الإنسان المحافظ، الذي يسمى محافظاً يراد منه أن يتحلل من قيوده لأجل أن يسمى متحضراً.

الذي يلبس زياً بلدياً أو زياً بدوياً متخلفاً وفيه نقصٌ لأنه لا يلبس الزي الإفرنجي.

الدولة التي ليس فيها فنادق الخمس نجوم وليس فيه بلاجات مشتركة بين الرجال والنساء وليس فيها مسابح مشتركة هي دولة متخلفة، الدولة التي لا تشتري البيبسي كولا ولا تستهلك البيبسي كولا هي دولة متخلفة، الدولة التي لا تستورد سيارات حديثة وتشتريها بأغلى الأثمان هي دولة متخلفة وإلى غير ذلك.

أنا أسأل وأجيب عنكم: ما هو الذي يميز هذه الحضارة التي يراد لنا أن نلحق بها؟ ما هو الشيء المميز في هذه الحضارة التي يراد منا أن نتشبه بها؟ هل المظاهر؟ هل هو مجتمع الاستهلاك؟ ومجتمع الاستهلاك هو المجتمع الذي يعمل أفراده كما يعمل سائر البشر، يزرعون ويحرثون ويصنعون وينتجون ثروة، هذه الثروة يشترون بها بضائع من الخارج ويستهلكونها يشترون أطعمة وألبسة وسيارات وخبرات. خبرات سياحية، خبرات فنية، فرق فنية، أغاني، هذه ميزة من ميزات هذه الحضارة، ميزة هذه الحضارة أن فيها كهرباء، فيها طائرات أسرع من الصوت، فيها سيارات فخمة، فيها طاقة يمكن تدفئة المياه بها من درجة حرارة تحت الصفر من أجل السباحة.

يقال إن فيها حقوق إنسان، يقال إن فيها ديمقراطية وحرية وكرامة البشر يقال إن فيها عدالة.

هذه العناوين: حقوق إنسان، ديمقراطية، عدالة وكرامة، نفتش عليها داخل الأمة الإسلامية نفتش عليها داخل عالم المستضعفين، العالم الثالث فلا نجد حقوق إنسان ولا نجد حريةً ولا ديمقراطية ولا كرامة، نجد اسرائيل، نجد جنوب إفريقيا، نجد التمييز العنصري حتى داخل الولايات المتحدة الأميركية، وعندنا نجد ما تعلمون، نجد اسرائيل. حقوق الإنسان؟ أي إنسان، يعني الإنسان الغربي حقوق الإنسان يعني الإنسان المنسجم تحت الأوامر، المنسجم في التوجيه الذي تزرعه وتوزعه مراكز القوى في هذا العالم.

هذه الحضارة الذي نسعى إليها هل هي منّا؟ هل هي نابعة من قيمنا؟ أو أنها شيء غريب يراد فرضه علينا يراد تسويقه بيننا.

قبل عدة أسابيع عقد في البرازيل مؤتمر سمي مؤتمر قمة العالم.

موضوع أبحاث وأعمال هذا المؤتمر كان البيئة العالمية، البيئة يعني السماء والأرض والهواء والمياه والنبات والمياه الجوفية تحت الأرض والبحار والحياة الحيوانية.

هذه الحضارة التي بدأت ولم تنته بعد بالصواريخ العابرة للقارات

وبالقنابل الذرية، دمرت العالم لوثت الهواء، هواء الكرة الأرضية، لوثت مياه العالم، لوثت بحار العالم لوثت باطن الأرض، لوثت آفاق السماء، لوثت الحياة الحيوانية حياة الطبيعة، لوثت الغابات والنبات كل ثمرة تؤكل أو لا تؤكل في كل أنحاء العالم تقريباً ملوثة كل قطعة لحم، كل غنمة كل عنزة كل جمل لحمه ملوث لماذا؟.

لأن هذه الحضارة أنشأت مصانع، هذه المصانع استعملت أسوأ استعمال تنتج بضائع ولكن تلوث الفضاء، أنتجت سيارات تلوث الفضاء، أنشأت طائرات تلوث الفضاء، أنشأت أخيراً قنبلة ذرية. قمة العالم ورؤساء العالم يبحثون كيف يمكن وقف دمار الكرة الأرضية، من الذي دمر الكرة الأرضية؟ من الذي لوث الكرة الأرضية؟ صواريخهم وقنابلهم الذرية وسياراتهم وحروبهم. الآن يطلبون من عالم المستضعفين أن يدفع ثمن حماية البيئة لماذا؟.

يقولون: إن الحضارة لا بد فيها من صناعة، والصناعة تنتج نفايات والنفايات تلوث، لا بد فيها من سلاح، والسلاح يحتاج إلى تجارب والتجارب تلوث. أنا أسألكم أنتم الموجودين في المجلس ومعكم مئات ملايين المسلمين ومليارات المستضعفين ما هي علاقة هؤلاء بمنافع هذه الحضارة؟ هي علم موجود في الغرب علم حقيقي.

الحضارة طب حقيقي موجود في مراكز الطب العالمي الحضارة ترف طعام جيد، سكن جيد، علاج طبي جيد تعليم جيد، وقاية صحية جيدة تبدأ بالمرأة من حين تحبل إلى حين تلد. والمولود يبقى مرعياً إلى أن يموت بعد ثمانين سنة أو مئة سنة هذه هي الحضارة هذا وجه من وجوه الحضارة.

من الذي يستطيع أن يدفع ثمن هذه الحضارة؟ الأغنياء طبعاً.

هذه الحضارة التي دفع ثمنها العالم منذ أربعة قرون منذ انطلق هذا الشيطان.

العالم يدفع من دمه ومن عرقه ومن ثرواته ومن بيئته ومن صحته ومن سلامه لكي يصل إلى هذه النتائج، هل يستطيع فقراء العالم الاستمتاع بها، هل

يستطيعون الانتفاع بها؟ إنهم لا يستطيعون لأنهم لا يملكون ثمنها، لقد دفعوا تكاليفها ولكنهم لا يستطيعون الاستمتاع بها لأنهم لا يملكون ثمنها، العالم تحمل تكاليف هذه الحضارة تحمل تكاليف التقدم العلمي والتكنولوجي، تحمل أضرار آلاف التجارب الذرية والهيدروجينية.

تجري تجربة على قنبلة ذرية أو هيدروجينية في صحراء نيڤادا ولكنها تؤثر علينا هنا. تجري تجارب في أعماق البحار ولكنها تؤثر علينا هنا، وآخر بدعة لا بد سمعتم بها أن نفايات العالم السامة لا يمكن إبادتها، تستمر آلاف السنين وتبقى سامة، مقبرتها هو العالم الثالث ولبنان نال حصة قبل سنوات، العالم الثالث في آسيا وإفريقية وأميركا اللاتينية هو مزبلة هذه الحضارة تصدر إليه نفايات العالم الصناعي، لأجل أن يبقى هواء العالم الأول نقيّاً ونباته نقياً ومياهه نقية ونحن ندفع من دمنا ومن لحمنا ومستقبلنا ثمن هذه الحضارة.

في اعتقادي أن تغيير خلق الله هو عمل هذا الشيطان، ان من جملة تعابير الشيطان المذكور في هذه الآيات التي تلوتها عليكم البيان وأحد مسالكه هو هذه الحضارة، التي فُتِن بها الناس.

أعيد تلاوة الآيات على ضوء هذا البيان ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ هذه أول الآية ليس لها علاقة بمطلبنا ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ لعنه الله وقال هذا الشيطان: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾.

يقول الله تعالى ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾[1].

اتخاذ هذه الحضارة نموذجاً هو موالاة للشيطان أنا تساءلت مرة ودهش مني سامعي، فقلت: ما نفعنا نحن البشر من الطائرات الأسرع من الصوت؟ ما نفعنا نحن البشر من القطارات التي تزيد سرعتها عن ٥٠٠ ك م ماذا نفعنا نحن البشر من انتاج أنواع من الثياب أو من العطور أو من المنازل التي تكلف ملايين

---

(١) سورة النساء الآيات: ١١٧ ـ ١٢٠.

البشر مليارات ساعات العمل من أجل يسكن شخص يملك ملايين الدولارات لا نعرف من أين حصل عليها؟ ما نفع البشر من هذه الحضارة؟ كان معدل الأعمار عند الناس ثمانين سنة بعد كل هذا التقدم العظيم لا يزال ثمانين سنة، كان الأطفال يمرضون ويموتون الأطفال الآن يمرضون ويموتون، كان الكبار يمرضون ويموتون الكبار الآن يمرضون ويموتون ما نفع السعيّ؟ ما نفع ارتهان النفس؟، ما نفع اتباع هذه الأماني؟.

هذه الحضارة من أساليبها الشيطانية أنها لا تلبي حاجات البشر الطبعية، بل تخلق حاجات لأجل أن تخلق سلعاً.

البشر لا يحتاجون كل هذه الأشياء التي تبتدعها هذه الحضارة هي تخترع الحاجة وتبشّر بها وتسوقها في الاعلان وتغير عقول الناس ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ تخلق حاجات نشعر بالحاجة نسعى إليها لا نحصل عليها تتولد في قلوبنا حسرة.

أذكر لكم مثالاً قد تتعجبون فيه ولكن هذا الكلام أصبح ضرورياً لأجل توضيح الصورة، وكيف أن الثمن أصبح فادحاً تكييف الهواء الناس الآن تسعى لأن تكيف بيوتها في الحر والبرد، مليارات ومليارات البشر عاشوا عشرات ملايين السنين من آدم إلى الآن عاشوا وأبدعوا وأنتجوا من دون تكييف.

تُخلق حاجة أن نعيش في الحر في جو بارد وأن نعيش في البرد في جوٍ دافىء، أن نلبس ثياب الصيف في الشتاء لماذا؟

هل تعلمون أن النفط الذي هو مادة نبيلة وثمينة أنتجتها قدرة الله بملايين السنين يؤخذ منا من بلادنا من ثروة هؤلاء المسلمين أو غيرهم بأرخص الثمن لماذا؟ لأنه في البلاد الباردة الصناعية يريدون أن يتدفأوا بثمن رخيص لا مانع لكن يريدون أن يسبحوا رجالاً ونساءً في مسابح مدفأة بهذا النفط الرخيص لماذا؟.

الآن أقول للرجال والنساء الحاضرين، وقلت هذا الكلام في محاضرات عامة. هل تعلمون أننا نحن هنا في لبنان حيث الدولار الواحد يساوي ١٥٠٠ أو

١٧٠٠ من ليرتنا. أو في كل مكان في العالم الذي هو من قبيلنا، إن هذه الحضارة وأن استعباد الشيطان لنا يجعلنا نشتري قنينة عطر فيها ٢٠٠ ملم بما يعادل ثمن عشرة أو عشرين أو ثلاثين برميل نفط ونمسحها نحن رجال أو نساء على وجهنا أو ثيابنا، قنينة عطر فيها أقل من كوب شاي، بثمن بالدولار والجنيه والفرنك يعادل ثلاثين برميل نفط.

الصابونة ثمنها برميلين أو ثلاثة براميل نفط، الحذاء، القميص، لا أتكلم عن السيارات والطائرات، هل هذه هي الحضارة؟ هل هذا كمال البشر؟ إن هذه عبودية البشر.

قد يقال أن الشيخ ضد الحضارة. أقول نعم أنا ضد هذه الحضارة وأسعى لأن أخلص نفسي وأبني منها ما استطعت، من المطاعم والمشارب والملابس والعادات والتقاليد وكل شيء يأتي من هذا المخلوق الشيطاني.

هل تعلمون أن شربة ماء نقية أو تفاحة أو قطعة لحم خالية من الأمراض والجراثيم تعتبر الآن هدية عظيمة لماذا؟.

لأنهم لوثوا العالم هؤلاء المجرمون لوثوا العالم، دمروا الطبيعة، غيّروا خلق الله ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ هذا هو تغيير خلق الله تغيير الطبيعة وتغيير تركيب البشر تغيير مجتمع البشر.

هذا أمرٌ لا يجوز أن يستمر، لا يجوز أن نسترسل به، معنى أن ننتصر سياسياً ومعنى أن ننتصر اقتصادياً ومعنى أن نكون أقوياء ليس أن نشتري هذه الحضارة.

الشعوب المتخلفة والمنحطة هي التي تستورد ثقافتها وحضارتها، والشعوب المتقدمة هي التي تنتج حضارة من داخلها ومن ضميرها ومن قلبها ومن عقيدتها.

من هنا نحن نوجه أنظار علماء الدين والمثقفين والمربين أن يبدأوا بالنظر إلى هذا الأمر بالعمق، وأن يعرفوا أن مجتمع الرخاء، ومجتمع الرفاه ليس هدفاً إسلامياً. ليس من أهداف الإسلام أن يوجد مجتمع ترف، مجتمع الرخاء مجتمع

الرفاه هو اختراع شيطاني يراد به زيادة استعباد العالم.

البلاد المتخلفة الضعيفة اقتصادياً التي تريد أن تبني نفسها ستكون عاجزة عن التقدم، لأنها لا تستطيع أن تطور العلوم في بلادها ما دامت تريد أن تشتري العطور وما دامت تريد أن تشتري السيارات، والثياب المميزة والأحذية المميزة أحذية من ايطاليا أحذية جلد التمساح ما هذا العقل المفتون؟ هذا العقل المنكوس الذي يهدر ثروة الأمة.

إن عرق الفلاحين والعمال طيلة أيام السنة يبذل في سبيل شراء هذه السفاسف يطورون جامعاتهم، يطورون أسلحتهم يطورون علومهم يطورون أطفالهم ونحن مثل الأطفال البلهاء نلعب ونخدع باللعب.

نعم أنا ضد هذا النمط وهذا الاستهلاك وهذا الاستهتار بعقل البشر وثروة البشر وكرامة البشر.

﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ المريد الذي لا يمكن القبض عليه المتمرد المتحرك سريع الحركة لا يمكن السيطرة عليه ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ لعنه الله ونحن يجب أن نلعنه لا بألسنتا فقط، بل بسلوكنا وبمنهجيتنا ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ﴾ واتخذ العالم الغربي بسياسته واقتصاده وفكره انه مخلوق شيطاني فيه بشر طيبون فيه بشر صالحون فيه مسيحيون مؤمنون لكن أتكلم عن العقول التي توجه سياسة هذا العالم نحو هذه النهاية هذا مخلوق شيطاني ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾ وقد أضلهم، ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ وقد مناهم ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾أنا لا أوافق الفقهاء الذين يستدلون بهذه الآية على حرمة حلق اللحية أنا لا أعتقد أن حلق اللحية تغيير لخلق الله، تغيير خلق الله هو هذا تغيير هوية الطبيعة كلها السماء البحار والأرض وجوف الأرض، التوازن الذي أوجده الله بالطبيعة، هو أحسن الخالقين ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[1] شوهوه بحيث أن كبار اللصوص كبار المجرمين يتداعون في البرازيل إلى قمة العالم لأن النار والدمار وصل إلى كل العالم ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ

---

(١) سورة المؤمنين، الآية: ١٤.

﴿فَلْيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾.

المسلمون الذين يجعلون عقولهم وقلوبهم أسيرة لهذه الحضارة ولنهجها وزخارفها يخسرون خسراناً مبيناً وقد خسروا وهذه حالهم كما ترونها. من البشر يمتلكون خاتمة الرسالات يمتلكون الكلمة النهائية من الله.

وهذا حالهم ترونه وتسعمونه وأنتم منهم ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾.

ماذا قيل لنا؟ قيل لنا كونوا مثل فرنسا كونوا مثل انكلترا مثل أمريكا كمال أتاتورك أراد أن يجعل شعبه التركي المسلم رجل مرتد كافر، أراد أن يجعل تركيا مثل الغرب، تركيا أوروبية وليست شرقية وليست إسلامية لماذا؟ لنكون أقوياء وأغنياء، لقد عدونا بالقوة وعدونا بالعزة ووعدونا بالكرامة والسيادة والغنى إذا اتبعناهم فكانت النتيجة فقراً وذلاً وتخلفاً وتبعيةً وانحطاط ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾.

من النافذة الحسينية: ما الذي وُعِد به جيش يزيد؟ ما الذي وُعِد به زعماء القوم في المجتمع الإسلامي في ذلك الحين حتى تكتلوا أمام كلمة الله وأمام رسول الله؟ وكانت كربلاء أيضاً صيغة مماثلة لدعوة الشيطان وغروره. دعوة أهل البيت كانت دعوة إلى الإنسانية، إلى الإنسان الكامل، الإنسان الكامل ليس مجرداً من لذات الدنيا، بل دنياه هي الدنيا الرضية، (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) الإنسان المتدين الصالح ليس بلا دنيا، انه أيضاً يعيش ويلتذ ويأنس ويفرح من دون سموم، من دون تخلف من دون تأنيب ضمير.

الدعوة إلى الآخرة فيها دنيا والدعوة إلى الدنيا ليس فيها آخرة والله سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾[1] ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[2] ولكن دعاء الصالحين؟ الدعاء الذي يقنت فيه أغلب الناس

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[1].

الحسين سلام الله عليه دعا إلى الآخرة التي فيها دنيا، والنظام اليزيدي دعا إلى الدنيا التي ليس فيها آخرة.

تماماً كما يحصل في هذه الحضارة التي حدثتكم عنها دنيا ليس فيها إنسانية وليس فيها كرامة، هذا الشيطان المريد يجب أن نتعاون عليه في خاصة أنفسنا، أنا أطلب أن يسأل الناس أنفسهم، لماذا يوجد في بيوتهم قنينة عطر وصابونة وثوب وحذاء كلها مستوردة من الخارج؟ وما هو المردود الديني أو الدينوي أو الأخلاقي، في هذا العطر وهذا الصابون وهذا الثوب وهذا الحذاء. لماذا؟ سيكتشف أنه يعيش في أمنيات وأوهام. هذا الجسد الطبيعي الذي خلقه الله له حاجات. الحاجات تلبي بحاجات موجودة في الطبيعة وبين أيدينا ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾.

قصتنا مع هذه الحضارة عمرها ١٥٠ سنة لقد كنا في ذلك الوقت كنا فقراء، الآن نحن من أغنى أغنياء العالم.

أغلى وأثمن سلعة استراتيجية في العالم نحن نملكها النفط ولكن لا يزال فينا الجوع، لا يزال في العالم الاسلامي والعربي، في السودان التي إذا زرعت وأُديرت جيداً تغذي مئة مليون اليوم نصف سكان السودان جياع لماذا؟ ثروة العالم أرضاً ومياهاً ونفطاً موجودون ونحن جياع ديوننا الخارجية تحتاج إلى ١٥٠ أو ١٠٠ سنة لنسددها موجودة عندنا.

ان بعض الدول الاسلامية تعمل طول السنة ٣٦٥ يوماً من أجل أن تأكل وتدفع فوائد الديون، الديون منشار يأكل لحم وكرامة هذه الشعوب.

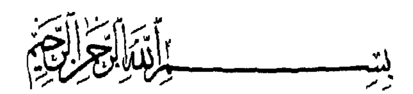
هذه هي المسألة الجوهرية التي هي إحدى طروحات حركة الإمام الحسين سلام الله عليه مع اختلاف التاريخ واختلاف الجهات.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

٢ ـ الإسلام والمسلمون في مواجهة حضارة الغرب، بتعبيرها الشيطاني

السبت ٤ محرم ١٤١٣ هـ
٤ حزيران ١٩٩٢ م



قال بعض الأعزاء يا مولانا هل أنت ضد الحضارة وضد التقدم؟ وكيف يمكن أن يكون الإسلام ضد التقدم وضد الحضارة؟

فقلت لهم نعم أنا ضد هذه الحضارة وليس ضد الحضارة، وضد هذا التقدم وليس ضد التقدم. هناك وهمٌ شائعٌ بين الناس وهو أحد الأساليب الشيطانية التي استطاعت هذه الحضارة الفاجرة الكافرة أن تغسل به أدمغة الناس وعقولهم وتزين لهم كما عبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾(١) المخلوقات الإلهية والمصنوعات البشرية قسم منها حسنٌ، في نفسه الجميل جميلٌ في نفسه وقسم منها قبيح، القبيح يحتاج إلى تزيين الشكل القبيح والهيئة القبيحة والفعل القبيح يحتاج إلى تزيين الله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٤.

يقول في القرآن الكريم في بعض الآيات ﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ﴾[1] العمل السيء زين لأجل أن يظهر بمظهر الحسن.

أضرب مثلاً من هذه الحضارة الإباحية ـ الجنسية إن كان في العلاقات الطبيعية بين الرجال والنساء، أو العلاقات الشاذة السحاقية بين النساء أو اللواطية بين الذكور ـ عملٌ سيء غاية الأمر يوجد عمل أسوأ من علاقة الزنا بين الرجل والمرأة، إنها علاقة فحشائية، ولكنها علاقة طبيعية بين مخلوقين طبيعيين يؤديان وظيفةً طبيعية، أما العلاقة السحاقية بين المرأة والمرأة أو العلاقة اللواطية بين الرجل والرجل فهي علاقة فحشائية وشاذة أيضاً، خلاف الطبيعة وهنا نسأل: ماذا تقول الحضارة الحديثة تحت شعار حرية الجسد، حرية الإنسان أن يتصرف بجسده عندهم تقول هذا العمل، وتسن القوانين وتكتب الكتب وتصنع الأفلام لأجل تزيين هذا العمل عندهم عمل حضاري، هل هو مقبول إسلامياً؟ كلا.

هذا الهواء الذي نتنفسه الآن هذا، الماء الذي نشربه، هذا الطعام الذي نأكله هذه الأرض التي تعيش عليها ونسكن عليها ونزرعها، هذا الفضاء الذي ينزل علينا منه المطر هذا كله ملك الله سبحانه وقد قال القرآن الكريم ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[2] لاحظوا أيات التسخير أي أن الله سبحانه وتعالى عندما خلق هذا الكون وهذا العالم وهذه الطبيعة وخلق الإنسان خلقها لمصلحة البشرية، السموات والأرض، المياه والغابات والحياة النباتية وكل الحياة الحيوانية، والتوازن بينها وعلاقة كل مخلوق بالمخلوقات الأخرى... هذه ملك من؟ هذه ملك البشرية منذ آدم سلام الله عليه وإلى أن يبدل الله أرض غير الأرض والسموات.

فلو فرضنا أن دولة من الدول عملت عملاً خرّبت به جهة من جهات هذه الطبيعة أفسدت الهواء بحيث أصبح الهواء مسموماً، أو المياه ملوثة، والأرض ملوثة أو الغابات ميتة أو المطر الذي يسقط يسمى أمطاراً حمضية أمطاراً مسمومة لأجل انتاج قنبلة ذرية، أو لأجل انتاج سيارات.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٧.
(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

إن هذه الطبيعة ليست ملك هذا الجيل من البشر، يوجد الآن ٤ مليارات أو ٥ مليارات نسمة في العالم إن الطبيعة ليست ملكاً لهؤلاء المليارات كما كانت ملكاً لألوف أو ملايين المليارات الذين ماتوا.

هي أيضاً ملك للذين سيولدون فلا يجوز أن يأتي جيل بعينه أو قسم من جيل يفسد الطبيعة على كل البشر من أجل أن يحقق لنفسه ثراءً وقوةً وسيادةً وتقدماً إن هذه جريمة في حق البشرية.

الآن عند كل تجربة نووية في أي مكان من العالم يرتكب جريمة في حق أطفال العالم ونساء العالم ورجال العالم.

الآن أضرب لكم مثلاً صغيراً، هذا ليس مجرد فكر هذا فقه إسلامي أيضاً هذا شرع، لو فرضنا أن إنساناً أخذ حريته في بيته الخاص في ملكه الشرعي المخمس وأشعل ناراً، والنار أثرت على بيت جاره لا بالإحراق بل رفعت درجة الحرارة في بيت الجار، أو استعمل المياه بكميات كبيرة بحيث أثرت على أساسات بيوت الجيران، فان الشريعة تحكم على هذا الانسان بكف اليد والغرامة وأعتقد أن القانون أيضاً يطاله، يقال له هناك حدود للاستعمال أنت تخرب على الآخرين.

فكيف إذا كان التخريب على البشرية كلها هذا التقدم ربما يكون تقدم أوروبا لكنه دمار للعالم، تقدم أميركا ولكنه دمار للعالم هذا هو الشيطان المريد هذا هو العمل المزين هذا الفكر لا أبتدعه أنا الآن فلاسفة الغرب ومفكروا الغرب هم يتكلمون أيضاً بهذا الكلام حتى العلم. العلم إلى أين يتجه لقد أنتج طاقة نووية طاقة ذرية أنا أتساءل ما هي فائدة العالم من الطاقة الذرية؟ أنتجوا سلاحاً مدمراً، السلاح المدمر ليس به فائدة للعالم السلاح المدمر الأخيار لا يستطيع امتلاكه، وإذا ملكوه لا يستطيعون استعماله.

وأمثلتنا بالعراق موجودة من مفاعل تموز إلى قرارات مجلس الأمن التي تمنع العراق من انتاج السلاح ليس لأنه عراق لأنه دولة ليست من الدول صاحبة السلطان، النظام العراقي لا شأن لنا به، إننا ندين ظلمه وطغيانه ولكن الشعب

العراقي يدمر بكامله حتى لا يملك طاقة ذرية.

الطاقة الذرية كقوة تدميرية هي قوة شريرة يملكها الأشرار.

في المنطقة تملكها اسرائيل، وفي العالم تملكها الدول النووية المعروفة بالاضافة إلى ذلك فإن الطاقة النووية التي أتلفت طبقة الأوزون الطبقة التي تحمي الكرة الأرضية من الإشعاعات الضارة من ينتفع به هذا التقدم؟ يقال: هذا علم! نقول: العلم يجب أن يكون في خدمة البشر، في خدمة الأخلاق العلم يجب أن تكون له أخلاق من جملة أسرار تحريم السحر ليس فقط لأنه يشجع العقلية السحرية بل لأنه يستخدم في ضرر البشر أيضاً ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[1].

يقال هناك استعمالات سلمية للطاقة الذرية حيث ننتج كهرباء بالطاقة الذرية من يستطيع أن ينتج كهرباء بالطاقة الذرية؟ إنها الدول الغنية أما الدول الفقيرة الجائعة لا تستطيع أن تنتج كهرباء بالطاقة الذرية لأنها لا تملك العلم ولا الخبرة ولا الأموال يقال نستخدم الطاقة الذرية في الطب من الذي يستطيع أن يتلقى علاج خدمة طبية عالية المستوى عن طريق الأجهزة الذرية، من؟ إنهم الذين يملكون الأموال اللازمة لذلك.

إذاً قضية واطروحة التقدم العلمي يجب أن تخضع للمراجعة من الإباحية الجنسية إلى أبحاث الفيزياء الموضوع موضوع شيطاني.

وأعيد عليكم المقولة التي ذكرتها، العالم كله دفع ثمن الحضارة من دون أن يأخذ شيئا إنها حضارة ثمرتها ورخاؤها وسعادتها وتسهيلاتها هي للأقوياء الأغنياء، وأما العالم الآخر ثلاثة أرباع أو أربعة أخماس العالم هم تحملوا شرور هذه الحضارة من دون أن يستطيعوا الانتفاع بشيء منها «نعم كهرباء» لكن هناك أيضاً مياه ملوثة وهواء ملوث وأرض ملوثة وأمراض جديدة من الإيدز الى جميع أنواع السرطان من أين؟؟.

وفوق هذا إفساد شخصية البشر كيف؟ يقال: تقدم حضاري ما هو مقياس

(١) سورة البقرة، الآية : ١٠٢.

التقدم هذا الشيطان المريد ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1].

مقياس التقدم تارةً كم نستهلك من الصابون.

هكذا يوجد مقاييس للتقدم حسب معايير منظمات التنمية الدولية: كم نستهلك من الكهرباء للفرد كم كيلو وات من الكهرباء للفرد، كم ليتر ماء للفرد، كم كيلو لحم للفرد كم كيلو خبز أو قمح للفرد كم كيلو سكر هذا مقياس التقدم الآن فيما تسمونه الوكالة الدولية للتنمية، وعلى أساسه تقيس تقدم الشعوب وتخلفها، فيقال: عالم أول، وعالم ثان، وعالم ثالث، يعني نحن العالم الثالث، المقياس هو هذا مقدار الغنى والاستهلاك كم ننتج من الثروة، وكم نستهلك من الثروة يقال عالم متقدم وعالم متخلف هكذا.

في الإسلام هذا باطل، هذا ليس مقياساً للتقدم نحن نسأل ما هي معدلات الجريمة، كم يوجد أشخاص فاسدون في المجتمع يرتكبون جرائم جميع أنواع الجرائم نقيس تقدم وتأخر المجتمع بنظافته الأخلاقية، بتنظيمه وانضباطه، بقلة عدد المجرمين فيه.

بهذا المقياس بالرغم من كل الدمار وكل ما يسمى تخلف العالم الإسلامي والإنسان المسلم لا يزال يمثل رقم واحد في التقدم لأن نسبة الجريمة في الدول الإسلامية هو أقل من نسبة الجريمة في العالم الأول في أمريكا وأوروبا الغربية واليابان. إن الحضارة الغربية ليست حضارة البشر، هذه حضارة الأقوياء الأغنياء، عدد الجنس البشري الآن يزيد قليلاً عن خمس مليارات نسمة، الذين يستمتعون بثمرات هذه الحضار أقل من مليار نسمة هم أمريكا الشمالية وكندا وأوروبا الغربية واليابان وأكثر من أربع مليارات نسمة أكثر من أربعة آلاف مليون بشر هم ضحايا هذه الحضارة! ما هي في حريتهم أو هي كرامتهم أو في اقتصادهم في سياستهم.

نعم أنا أدعو إلى التحصن ضده هذه الحضارة وأدعوا إلى الحساب الكثير قبل التورط فيها.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٠

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الكهف ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ ﴾[1] هل المقياس بالحضارة أن تخلوا الكنائس والمساجد من الناس وتمتلىء دور السينما والمسارح والملاهي أو العكس هو المقياس؟ لا أتكلم عن المسلمين فقط بل عن المسلمين والمسيحيين واليهود والبوذيين والهندوس عن كل المؤمنين هل مقياس الحضارة مقياس تقدم البشر يقال فلان تحضر فلانة متحضرة هل المقياس أن يمتلىء المسجد والكنيسة بالمصلين الذين يطهرون أرواحهم كما يذهبون إلى الحمام ويغسلون أجسامهم ويذهبون إلى المعبد فيطهرون أرواحهم أو المقياس هي زيادة عدد المسارح أو السينمات الفاسقة الفاجرة والكباريهات؟

هل المقياس أن تكون المرأة العفيفة بضاعة معروضة بالسوق أو تكون محتشمة؟ لا أتحدث عن الحجاب والسفور، هل المقياس أن تلبس لباساً محتشماً أو تلبس لباساً مثيراً للغرائز؟ أن تعرض جسمها ومفاتنها كما تعرض البضاعة في الواجهة الزجاجية لأجل ترغيب الناس بالشراء؟ ما هو مقياس التقدم؟.

أذكر لكم حديثاً نبوياً عن امتلاء المساجد والكنائس أو امتلاء الكباريهات يقول رسول الله (ص) (أنقل بالمعنى): مثل (ص) للصلوات الخمس التي فرضت على المسلمين تكون أمام بيت أحدكم ما معناه نبع مياه نقية طاهرة يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات هل يبقى في جسمه أو على جسمه شيء من القذر؟ قالوا: لا يا رسول الله (لأن الذي يستحم يومياً خمس مرات في طبيعة الحال يبقى نظيفاً) قال فكذلك هذه الصلوات حيث إنها غسل روحي وأخلاقي، وصلة الكائن الضعيف بخالق الكائنات خمس مرات[2]، هل الأحسن

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

(٢) الحديث كما رواه الترمذي في جامعه: أن رسول الله ص قال: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا».
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيحٌ، (انظر جامع الترمذي، كتاب الأدب باب =

والأفضل والتقدم هو هذا أم امتلاء الكباريهات والمسارح والمراقص؟

بمعيار التقدم المادي يعتبر ارتياد المسجد أو الكنيسة تخلفاً أو أنه لا يعبر عن شيء، لا قيمة له. القيمة هي لهذه المؤسسات الشهوانية الشيطانية إن التحذير من هذا الفهم للتقدم والحضارة لا يقوله في الغرب رجال الدين فقط، بل يعلنه المفكرون الخائفون في الغرب يقوله علماء امريكيون مسيحيون يقولون: أمريكا والعالم الغربي يسير نحو الدمار، هذا العالم القوي الغني المزدهر الذي أخرجت له الأرض زينتها ينفجر الآن من الداخل بالشذوذ الجنسي وبالمخدرات والجريمة لقد حدث قبل شهرين عاصفة اجرامية هائلة في قلب أمريكا (أحداث لوس أنجلوس) بسبب بسيط.

الآية واضحة ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[1] هم يظنون يتوهمون أن أعمالهم صالحة ولكنها أعمال ضالة أعمال شيطانية ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[2] في سورة هود يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[3] كل واحد يأخذ بقدر جهده ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[4] إذن مقياس التقدم هو الإنسانية وليس الخروج عن الإنسانية. مقياس التقدم هو الانسجام فطرة الله وخلق الله وليس تغيير خلق الله ﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾[5] كما ذكرت لكم سابقاً عن تخريب الطبيعة.

واليوم أقول لكم عن تخريب الإنسان، ما هو معيار التقدم؟ هو الانتاج المادي، والاستهلاك المادي، أو هو الكمال الإنساني هو الرحمة هو طهارة الذات هو البعد عن الجريمة؟.

= ٨٠ «مثل الصلوات الخمس» حديث ٢٨٦٨.

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة هود، الآية: ١٥.

(٤) سورة هود، الآية: ١٦.

(٥) سورة النساء، الآية: ١١٩.

في الإسلام مقياس التقدم هذا، ولذلك نحن نقول في الدول الإسلامية والمجتمعات الإسلامية إن الركض وراء النموذج الغربي للمجتمع بدعوى تحصيل القوة والعزة هو ركض نحو الهاوية، وليس ركضاً نحو النجاة والخلاص. الخلاص هو بالعودة إلى الذات النموذج الحسيني هو هكذا إلى ما كان يدعوا أبا عبدالله الحسين في خروجه وثورته وهجرته.

كان هناك مفهومان في الإسلام المفهوم الأصيل المفهوم القرآني المحمدي الذي جرى عليه عليٌ وأبناؤه المسلمون. هو الذي يلتزم هذا المبدأ من مبادىء التقدم، كمال البشر إنسانية البشر عدالة البشر.

النموذج الآخر التي كان تمثله الدولة اليزيدية هو النموذج المخالف لهذا الخط الذي يرى أن التقدم، أن الإزدهار، أن الإسلام يكون باحتكار الرخاء بالمنطق الذي سار عليه يزيد ومعاوية قبله ومروان بعده وكل الشجرة الملعونة في القرآن.

المسألة الحسينية والقضية الحسينية أيضاً قضية حضارة المفهوم الحسيني للإسلام وللمجتمع وللثورة هو المفهوم الموافق لجوهر الإسلام ولحقيقة الإسلام الذي ينسجم مع الآية المباركة ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[1] أما الانحراف عن الطريقة (ولكل عصر له انحرافاته أيضاً) انحرافات العصر الإسلامي الأول الذي كان فيه الحسين ويزيد هي من نوع ذلك العصر، وانحرافات هذا العصر هي من نوع آخر من نوع هذا العصر ولكنها انحرفات عن مفهوم الحضارة وعن مفهوم التقدم الذي يلتزمه الإسلام لا بد أنكم سمعتم كثيراً عن التحذير النبوي من تحويل السلطة في الإسلام إلى كسروية وقيصرية من تحول السلطة في الإسلام إلى ملك عضوض[2] (أي يعض كثيراً).

الآن السلطة العالمية التي تملي وتفرض مفاهيمها وحضارتها على كل العالم هذه الدول العظمى دول العالم الأول، هي كسروية وقيصرية، وملكٌ

---

(١) سورة الجن، الآية : ١٦.

(٢) الحديث: «سيأتي على الناس زمان عضوض» أخرجه أبو داود في البيوع باب ٢٥، وأحمد في المسند ١/١١٦.

عضوض، ما يسمى النظام العالمي الجديد يحمل العصى، أي دولة تتقدم أو تتأخر ولا تنضبط بالصف تأكل فلقة بمجرد أن تخرج عن بيت الطاعة تدمر.

هذا الملك العضوض، هذه الإثرة (اتخذوا مال الله دولاً) ثروة العالم تصب في مكان معين الله سبحانه وتعالى يقول ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾(١) الآن ثروة العالم هي دولة بين الأغنياء دول العالم الذين هم الدول الصناعية الكبرى الاثنى عشر أو السبعة عشر والعالم كله جائع فقير مديون.

مقياس التقدم ليس الأطفال المرحين السعداء الذين يلعبون في حدائق أمريكا وأوروبا، مقياس التقدم هو مئات ملايين الأطفال المنتفخي البطون من الجوع الذين يعيشون في إفريقيا وفي أمريكا اللاتينية، ليس ذاك مقياس النجاح هؤلاء هم عورة هذه الحضارة.

مقياس التقدم وهو المقياس الإسلامي الحسيني، هو ليس أطفال الأغنياء وأسر الأغنياء الذين كانوا يستمتعون بالنظام الأموي وبخيرات دولة الإسلام، مقياس التقدم هو المرأة الكوفية التي رآها إبراهيم أبو السرايا في الكوفة تتبع أحمال الرطب أثناء مشي الدابة يقع على الطريق حبات من الرطب لقد رأى إبراهيم أبو السرايا امرأة تتبع هذه الدواب وتلتقط الحبات التي تقع على الطريق ممزوجة بالطين وتأخذها، سألها ما بك يا عبدة الله؟ قال عندي أطفال وبنات جياع ولا قوت لهم أقوتهم بهذه الحبات، فبكى ابراهيم وقال: أنت وأمثالك تخرجونني غداً ويسفك دمي، ويعتبر هو رحمة الله عليه أحد كبار الثوار الذين خرجوا وسفكت دماؤهم.

يحدثونكم مقياس التقدم ليس الثياب الانيقة الحريرية التي كانت ترتديها رملة وهند.

ولـــو جـــاؤوا بـــرملة أو بهنـدٍ	لبايعنـــا أميـــرة المـؤمنينا(٢)
إذا ما مات كسرى قـــام كسرى	نعــــد ثلاثـــة متعـــاقبيـــنا

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) البيتان من الوافر، والبيت الأول لعبدالله بن همام في لسان العرب (أمر)، والتنبيه والإيضاح ٢/٧٩، وتاج العروس (أمر)، والمخصص ١٧/٣٦.

ليس ثياب الحرير والدمقس والأشياء الفخمة، مقياس التقدم هو النساء الهاشميات اللاتي كن غير قادرات أن يصلين في وقت واحد كن عاريات يسترهن البيت وعندهن ثوبٌ واحد يتبادلنه في الصلاة كما روى ذلك (ابو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين).

أنا أسأل الله أن يسعد كل أم بولدها وأن يسعد كل أسرة بأعضائها أنا لست غاضباً على الشعب الأمريكي أو الأوروبي أو كل السعداء في العالم أنا سعيد من أجل سعادة السعداء في العالم، ولكني حزين من أجل شقاء الأشقياء في العالم أنا لا أستطيع أن أرى ثمرة لهذه الحضارة الشيطانية الملعونة في أن أجد أمامي صورتين صورة طفل إفريقي منتفخ البطن ويموت في حضن أمه وثديها كالخرقة في فمه يمتصه بلا حليب ونجد في المقابل طفلاً من أطفال العالم السعيد يقفز بكل حيوية ويأكل الآيس كريم ويملىء ضحكه الدنيا.

مقياس الحضارة عندي هذا الطفل الجائع وأسأل الله دوام السعادة لهذا الطفل السعيد أنا لا أريد شقاوة السعيد أريد سعادة الشقي هذه هي الحضارة.

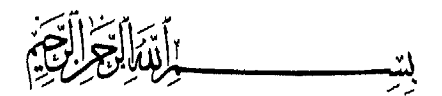
محمد بن عبدالله سلام الله عليه وعلى آله وأصحابه ومنهم الحسين سلام الله عليه ومنهم هذه الحفنة الصغيرة من أبرار العالم (انصار الحسين) هؤلاء لم يكونوا يبحثون عن سلطان يأخذون به سعادة السعداء كانوا يبحثون عن تصحيح لأجل إزالة شقاوة الأشقياء.

الآن حينما نحتج من أجل الجنوب أو من أجل فلسطين أو من أجل بوسنة وهرسك أو من أجل الزنوج في جنوب إفريقيا أو من أجل كل المضطهدين، لا نريد سوءاً بأحد كما قال أمير المؤمنين سلام الله عليه.

«اللهم إنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيءٍ من فضول الحطام ولكن لنقيم المعالم من دينه ونظهر الإصلاح في عباده» ثم يقول سلام الله عليه «فإن هؤلاء القوم قد اتخذوا مال الله دِوَلَ وعباد الله حِوَل والصالحين حرباً والفاسقين حزباً».

الهجرة إلى الله والهجرة إلى الشيطان

٥ محرم ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م



نحن نعرف أن الحسين سلام الله عليه في نهضته وثورته قد هاجر من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق إلى كربلاء وكانت واقعة كربلاء.

ومن قبله أبوه وإمام المسلمين علي بن أبي طالب قد هاجر من المدينة إلى الكوفة واستشهد فيها، دار الخلافة ودار امارة المؤمنين كانت في المدينة ودار الإسلام ومركز الإسلام كان في المدينة ولكنه هاجر إلى الكوفة إلى العراق.

قبلهما النبي محمد قائدنا ونبينا وسيدنا محمد (ص) هاجر من مكة إلى الطائف ثم هاجر من مكة إلى المدينة وانتشر الإسلام من هناك.

قبل النبي محمد عيسى سلام الله عليه هاجر من الناصرة إلى أنحاء سوريا الكبرى إلى أنحاء فلسطين إلى لبنان ووصل إلى قانا ووصل إلى صور.

قبله نبينا موسى سلام الله عليه هاجر من مصر إلى مدين ومن مدين إلى مصر ومن مصر إلى فلسطين.

أبو الأنبياء جميعاً إبراهيم سلام الله عليه هاجر من العراق إلى مصر ومن مصر إلى الحجاز حيث وضع أركان البيت أركان الكعبة الشريفة مع ابنه إسماعيل.

قبلهم نوح.

هذا الخط خط الهجرة هو خط النبوات وهو أيضاً خط الحضارة والنهضات التغيير يرتبط دائماً بالهجرة بالانتقال من مكان لمكان، أو من حالٍ إلى حال.

الهجرة ليست مجرد تغيير المكان، بل تغيير العمل، وتغيير الفكر وتغيير السلوك الهجرة قد تكون هجرة داخلية وخارجية كما حصل بالنسبة إلى الأنبياء سلام الله عليهم، هجرة في المكان وهجرة في الزمان وهجرة بالفكر وفي البشر. يخرج النبي إلى قوم آخرين ومن عشيرته إلى عشيرة أخرى ومن موطنٍ آخر لا نعرف نبياً أبداً ممن قصّ الله علينا سيرتهم في القرآن ارتكزت دعوته في وطنه إلا واحداً فقط وهو يونس سلام الله عليه أما البقية فكانوا كلهم من أهل الهجرة هذه الهجرة أسسها الاسلام وأمر بها، أمر بالهجرة من دار الشرك والكفر إلى دار الإسلام، ويوجد خلاف بين الفقهاء في أن الهجرة بعد رسول الله هل هي قائمة أم لا؟. والمذهب الحق في هذه المسألة هي أن الهجرة قائمة إلى يوم الدين وأن التعرب بعد الهجرة محرمٌ بشكل عام، التعرب بعد الهجرة الانتقال من دار الاسلام إلى دار الكفر، والهجرة تكون كما قلت لكم هجرةً في الزمان والمكان، والإنسان. وقد تكون هجرة في داخل النفس على ما قال الله سبحانه وتعالى عن بعض الصالحين قال ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾[1] وهو في مكانه هجرة الإنسان من الداخل هو أن ينتقل من حال إلى حال، من حال المعصية، والغفلة عن شريعة الله وسُنة الله إلى رحاب طاعة الله.

كلنا يمكن أن يهاجر إلى الله وهو في مكانه حينما يجدد توبته وانابته ويحاول أن يغير سلوكه ويجاهد في الله فيهديه الله ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2] الحسين سلام الله عليه إذن هاجر كما هاجر من قبله أبوه وجده، وكما هاجر الأنبياء والأوصياء ورواد الحضارات.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

الهجرة هي أشبه شيء ببذر الحب في الأرض حيث تكون النفوس غير مؤهلة لتلقي الأفكار والمناهج والمسالك فيهاجر الفلاح الذي هو النبي والوصي والداعية الصالح (هؤلاء فلاحو النفوس وفلاحو العقول).

حبة الحنطة المخزونة في كيسها وفي غلافها حينما تبذر تندمج في الأرض وفي الهواء وفي الماء وفي الطبيعة وتتحول إلى سنبلة أو إلى سبع سنابل.

هجرة البشر الخيرة هي هذه، لو لم يهاجر الأنبياء لبقيت دعواتهم محصورةً في قومٍ مكبلة ومحاصرةً كما تحاصر حبة الحنطة في غلافها ولكنهم هاجروا وركبوا المغامرة.

الهجرة أيضاً مغامرة الإنسان يكون مستقراً في وطنه وبين وبين أهله وبين أحبابه، ويمكن أن يتكيف ويرتب أموره (كما يقولون في اللهجة الدارجة) يمكن أن يرتب أموره بحسب وضعه ويعيش ولكن النبي والوصي والمصلح يركب المغامرة يعرض نفسه للخطر يخرج من جلده يخرج من قومه يخرج من عائلته يخرج من علاقاته يخرج من أحبابه وينتقل إلى أرضٍ غريبة ويعمل فيها فتنمو دعوته وتنطلق وتنتشر وقد لا تنتشر.

الأنبياء ونحن ليس علينا إلا أن ننفذ أمر الله، إما أن ننجح أو لا ننجح فذلك شأن الله، موسى وعيسى ومحمد صلاة عليهم وعليه، ولكن نوحاً لم ينجح، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً واضطر أن يعمل السفينة واستحق العالم، عالمه عقوبة الطوفان.

ليس معنى أن يهاجر النبي أن يهاجر الوصي أن يهاجر المصلح أنه ينتقل إلى نصرٍ مضمون لا، ينتقل من مغامرة إلى مغامرة ومن خطر إلى خطر يؤدي واجبه ولكن الحضارة حضارة الإيمان وحضارة الإنسان تنمو وتزدهر لولا هجرة رسول الله لما كان الإسلام ولما ابتدع العقل البشري المسلم وغير المسلم الذي للإسلام فضلٌ عليه العلوم والفنون و المعارف والحضارة الطاهرة حضارة الإسلام المباركة، وليس هذه الحضارة الشيطانية التي نعيش فيها وتفترسنا تأكلنا.

الإمام الحسين سلام الله عليه لو أنه رتب نفسه لبيعةٍ ليزيد أو بدون بيعة باعتزال، ولم يهاجر ولم يغامر ولم تؤدِّ به مهاجرته ومغامرته إلى الفجيعة العظمى والمباركة، إلى واقعة كربلاء، ماذا كان يحدث؟ كان يحدث أن هذه الحضارة هذا الدين سيتحول إلى نفاية من نفايات فهم وأسلوب حياة يزيد بن معاوية وأمثال يزيد بن معاوية، هجرته سلام الله عليه التي انتهت بشهادته وشهادة آله وصحبه كانت منطلق لحضارة الإسلام ولثقافة الإسلام ولشريعة الإسلام حررت الإسلام من وصاية الأمويين، حررت الإسلام من وصاية يزيد الذي كان يريد أن يمارس دور شيخ الإسلام ومرجع الإسلام، وأعادت الإسلام إلى الناس، إلى المخلصين، وكان مع الحسين رجال ونساء هاجروا، قسمٌ هاجر معه من مكة، وقسمٌ هاجر معه من المدينة، وقسمٌ هاجر معه من الطريق، بعضهم ثبت على هجرته وبعضهم في الطريق.

تسمعون من فقهاء المنبر الحسيني أنه حينما بلغ الحسين خبر مصرع مسلم بن عقيل وهو في منطقة من الطريق اسمها (زبالة) وعلم الناس بذلك تفرق الناس عنه يميناً وشمالاً لماذا؟.

يوجد حديث نبوي مروي عن رسول الله يقول «من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى غنيمة يغتنمها أو إلى امرأة يريدها. . . . فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1] هؤلاء الذين هاجروا مع الحسين إلى زبالة كانوا نوعين من المسلمين. مهاجرون إلى الله وإلى رسول الله وهم الذين ثبتوا إلى آخر الطريق وكان منهم مهاجرون إلى جاه الدنيا وإلى مغانم الدنيا وإلى الرئاسة وإلى السلطان «قالوا غداً يتولى الحسين الدولة ونحن نصبح

(١) روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة أخرجه البخاري في الإيمان باب ٤١، والعتق باب ٦، ومناقب الأنصار باب ٤٥، والنكاح باب ٥، والايمان باب ٤١، ومسلم في الإمارة حديث ١٥٥، وأبو داود في الطلاق باب ١١، والترمذي في فضائل الجهاد باب ١٦، والنسائي في الطهارة باب ٥٩، والطلاق باب ٢٤، والأيمان باب ١٩، وابن ماجه في الزهد باب ٢٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٥، ٤٣.

موظفين كبار عنده لما اكتشفوا أنه ربما لا يكون كذلك تركوه انقطعت هجرتهم».

إذن كما قلت لكم: الهجرة تلازم حركة الحضارة، لا توجد حضارة من دون هجرة من الممكن أن تهاجر شعوب بكاملها، والتاريخ يعرف ويشهد أن شعوباً هاجرت من منطقة إلى منطقة، فتعلمت الحضارة أو نقلت معها الحظارة.

نحن نواجه الآن نوعاً معيناً من الهجرة. الحضارة عادةً مثل المغناطيس تجذب الناس إليها، مراكز الحضارة الشيطانية الآن هي الموجودة في الغرب في واشنطن في نيويورك في باريس في جنيف في برلين. توجد أنواع من هجرة المسلمين إلى هذه الدول توجد هجرة العلم، أن يذهب طلاب من المسلمين من أجل أن يدرسوا في هذه البلاد، توجد هجرة الاقتصاد أن يذهب أناس بداعي العمل وكسب الثروة فيهاجرون إلى هذه البلاد يوجد هجرة السياحة والتسلية، يوجد أناس يذهبون في العطل إلى هذه البلاد من أجل السياحة والترفيه.

والجاذب الأعظم لهؤلاء جميعاً إن هذه المراكز هي مراكز الحضارة، غسلت أدمغتنا بحيث تصورنا بأن الدنيا هناك وأننا نفاية الدنيا، وأن الكمال والبهرجة والعظمة هناك وأننا نفايات. سماؤنا وأرضنا وشعوبنا وأخلاقنا وأدابنا، كلها دون ما عند الغرب، كم سمعنا عن التهذيب عند الغربيين، وعن الأخلاق عند الغربيين، وعن الحضارة وعن النظافة عند الغربيين وعن النظام عند الغربيين بحيث أصبح المثل الأعلى للإنسان عندنا هو الغرب وبحيث أن كبيراً من كبارنا هو الشيخ محمد عبدة نقل عنه أنه قال يوجد بالغرب مسلمون بلا إسلام ويوجد بالشرق إسلام من دون مسلمين وهي إحدى أخطائه رحمه الله، لأنه رأى قوتهم ولم ير ما يحفل به واقعهم من قذارات والعجيب أن هذه الكلمة تؤثر عنه وكان الاستعمار البريطاني يضغط على عنق مصر، وعلى رأس مصر.

أقول لكم: أما هجرة العلم، هجرة الطلاب إلى تلك البلاد لتعلم العلوم النافعة للمسلمين فهي هجرة مشروعة، ولا مانع منها ولا محذور فيها، بشرط أن يكون المهاجر محافظاً على إيمانه والتزامه الديني في سلوكه بكل صورة ممكنة، ولا يغتفر أبداً ولا يجوز أبداً أن يقال أنا أذهب أدرس الطب لذلك نترك

الصلاة نترك الصوم نترك العفة الجنسية، نترك العفة عن شرب الخمور إلخ.

أما إذ كانت الهجرة إلى العلم تقارن ارتكاب هذه المحرمات فهي هجرة محرمة لا يجوز القيام بها، ولا يجوز الاعانة عليها، هي من التعرب بعد الهجرة وهو من الكبائر، التعرب؟ بعد الهجرة الخروج من دار الإسلام إلى دار الكفر لمن يعلم أنه يقع في مخالفة الشرع لا يجوز له أن يهاجر وإذا كانت هناك ضرورات في الماضي قبل خمسين أو مئة سنة تقضي بطلب العلم في الخارج، فان البلاد الاسلامية الآن ـ بحمد الله ـ أصبح فيها جامعات، وأصبح فيها مؤهلات وفيها امكانات، ولم تعد الهجرة العلمية ضرورة إلا للخاصة، لمن يريد أن يحصل على اختصاصات عليا.

أما الهجرة الاقتصادية وهو أمرٌ شاع وذاع في السنين الأخيرة بين المسلمين خاصة في لبنان، وطبعاً فيكم وفيكن كثيرون من لهم أباء أو أبناء أو اخوة مهاجرون إلى تلك البلاد بداعي العمل. والعمل يبدأ من المهنة وينتهي بما يسمونه اللجؤ السياسي الاحتيال لأجل الدخول في سجل اللاجئين السياسيين في تلك الدول وأخذ رواتب وإعانات الاجتماعية يفتخر البعض بها ويقول بعضهم لي: (يقال مولانا يعطوا للنفر خمسماية مارك وخمسماية دولار) أقول لكم بصراحة رأينا العام بهذه الهجرة أنها هجرة محرمة، لأننا مطلعون على أن هؤلاء المهاجرين في أغلبيتهم الساحقة يتعرضون في أنفسهم ومع أسرهم إلى مخالفات عظمى للشرع، ويدب فيهم الفساد المعنوي والأخلاقي والديني بكل معنى الكلمة ولا يمكن أن يكون مبرّراً شرعياً بوجه من الوجوه أن شخصاً يريد أن يكسب أكثر، هو ليس معرضاً للموت من الجوع هنا ولكنه يريد أن يكسب أكثر أن يهاجر بهذه الأساليب وبهذه الحيل ومن دون أية حصانة لدينه ولأخلاقه من أجل كسب المزيد من المال أبداً، عدا عن أنها تشكل ذلاً وعاراً على المسلم.

وقد بلغنا أن سلطات تلك الدول وأن شعوب تلك الدول تنظر إلى هؤلاء المهاجرين على أنهم نفاية من نفايات الإسلام، نفاية من نفايات الشعوب العربية والإسلامية، وهذا هتك معنويٌ وهتكٌ دينيٌ وهتك سياسي ولا يجوز بوجه من الوجوه على الاطلاق تعريض سمعة الإسلام وسمعة المسلمين و تعريض النفس

للهتك الديني لمجرد ربح خمسماية دولار زائدة في الشهر، هذا لا يجوز، ونحن نعلم أن الأسر المهاجرة التي فيها زوجات وأطفال هم معرضون لما يشبه الارتداد، وهذا الأمر نوجه له الأنظار هذا النوع من أنواع الهجرة في كثير من الحالات يكون من التعرب بعد الهجرة، وهو أمرٌ محرم.

وقد نص الفقهاء بأنه لا يجوز إلا لمن وثق بأنه يحرز دينه وأنه يقيم شعائر دينه من كل الجهات فكيف، إذا تعرض الأطفال لتغيير عقائدهم وللتنصر، أو للإلحاد وكيف إذا تعرضوا لتشويه مفاهيمهم الأخلاقية في علاقات العائلة وفي العلاقة مع الأب والأم وفي العفة الجنسية وما إلى هنالك؟

وأما هجرة السياحة واللهو؟ فماذا أقول فيها؟ هذا الشيء الذي يسمى، الرحلات الجماعية التي تأخذ الشباب والشابات وتقذف بهم في أتون الشهوات وفي أتون الأمراض، طبعاً محرمة، هذه الهجرة هي ليست هجرة إلى الحضارة وإنما هي هجرة إلى دار الكفر، والكفر ليس حضارة أبداً الحضارة قسمان قسم يتعلق بالأخلاق والآداب والسلوك وهذا هو القسم المهم منها وقد رأينا أن المسلمين هم سادة الناس وسادة الخلق في هذا مهما قيل فيهم أنهم متخلفون وأنهم جهال ولكنهم ما زالوا خير البرية بنعمة الإسلام ونعمة الإيمان.

هذه الهجرة هي على عكس هجرة الحسين سلام الله عليه وهجرة أصحابه، هذه الهجرة تشبه هجرة الذين فارقوا الحسين في زُبالة الذين لما علموا أن الثورة فشلت، وأن الانقلاب في الكوفة فشل، وأن رحلة الحسين ليس وراءها دنيا. تركوه وهاجروا إلى يزيد بن معاوية، وما أكثر المهاجرين إلى يزيد في كل عصر من العصور، يزيد ليس شخصاً بعينه في الحضارة في التاريخ يزيد بن معاوية ابن هند، ولكن يزيد في الحضارة هو رمز الشر في السلوك والأفعال.

وفي كل الجماعات والمجتمعات يوجد مجتمع يزيدي ومجتمع حسيني، مجتمع يزيدي ومجتمع إلهي مجتمع يزيدي ومجتمع إسلامي.

الهجرة هجرتان هجرة إلى الله وهجرة عن الله، هجرة إلى الإسلام وهجرة عن الإسلام هجرة إلى الحسين وهجرة عن الحسين.

الحضارة ترتبط بالهجرة سلباً وإيجاباً. الهجرة الصحيحة هي الهجرة الحضارية هي الهجرة البانية أما الهجرة غير الصحيحة فهي ضد الحضارة مهما بدا أنها مواكبة للحضارة هي ضد الحضارة.

مسؤولية الدولة والاقتصاد الحر

لماذا يهاجر شبابنا ولماذا تهاجر أسرنا؟.

قسمٌ منهم تقع المسؤولية عليهم وعلى مثقفيهم، من علماء دين ومفكرين، الذين يزينون لهم أن يهاجروا من لأجل تحسين وضعهم الاقتصادي، وكأن كل ما في الدنيا هو الاقتصاد والقسم الآخر تقع مسؤوليته على المجتمع ككل وعلى الدولة، الدولة التي لم تهيء الفرص الكافية لأجل استيعاب طاقات العمل ولأجل رفع مستوى المعيشة.

نحن في لبنان نقول إننا نتمسك بالاقتصاد الحر وبالمبادرة الفردية نظامنا نظام ديمقراطي برلماني يعترف بالملكية الخاصة، ويحمي ويتشبث بالنظام الحر نقول نعم نقول للدولة نقول لرئاسة الجمهورية ونقول للنواب ونقول للحكومة: هل معنى الاقتصاد الحر هو سيطرة المحتكرين؟ ونحن نعلم أنه في لبنان كان والآن بصورة أكبر بدأت تتكون حالة احتكارية تتحكم بالأسعار، وترفع الأسعار وتتحكم بالسلع وتخلق ضائقة اقتصادية لمصلحة الاحتكار هل معنى الاقتصاد الحر هو أن الدولة لا تتحمل مسؤولية إيجاد فرص العمل المتساوية والمتكافئة لطاقات العمل التي تنمو سنة بعد سنة؟ هل معنى الاقتصاد الحر أن نقذف في كل سنة بالآف من خريجي الجامعات في العلوم النظرية والمواد النظرية من دون أن تكون لهم فرص عمل ونهمل العلوم ـ المهنية والتقنية ـ والعلوم البحتة.

هذه المسؤولية على الدولة في عهدها الجديد أن تتحمله.

هجرة اللبنانيين قديماً وحديثاً:

اللبنانيون مارسوا هجرتين: هجرة الفقر والسياسة التي حدثت في أوائل القرن إلى إفريقية وأمريكا اللاتينية، وكان لها ما يبررها ولكن الهجرة الجديدة

الآن الهجرة التي تمتص شباب لبنان والطاقات المبدعة في لبنان تحت ستار العمل وتحت ستار الاقتصاد هي هجرة مدمرة ليس فقط لأخلاق الناس ودينهم، وإنما للمجتمع اللبناني حيث تستنزف أفضل الكفاءات. من الذي يهاجر؟ يهاجر الشجاع المغامر، تهاجر القوة المبدعة، ليس براعة أن الدولة اللبنانية تجهز جواز سفر للذي يريد أن يهاجر يجب أن تخلق فرصاً للمهاجرين أن يعودوا.

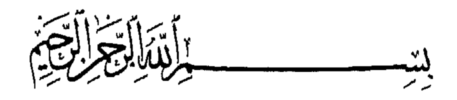
مسؤولية الدولة عن الانتاج الزراعي

مثلاً في هذه السنة حدثت عندنا نكبة قسم منها من الطبيعة ومن قضاء الله وقدره وقسمٌ منها من صنع أيدينا، نكبة الزوابع والعواصف التي دمرت جانباً كبير من المحاصيل الزراعيين في الشتاء هذه كانت من قضاء الله وقدره، ولكن نكبة كساد المواسم الزراعية لأن الدولة لم توجد الأسواق المناسبة لتصريف هذا الانتاج الزراعي الأمر الذي أوقع نكبة كبرى بالمزارعين وبالعمال الزراعيين، والذي يجعل المزارعين دائماً فريسة للاحتكار المحلي من المسؤول عن هذا؟ طبعاً الدولة مسؤولة عن هذا، إن استيراد السلع الأجنبية وعدم خلق أسواق محلية يؤدي إلى كساد انتاجنا والدولة تعطي وكالات واجازات لاستيراد العطور وملابس الترف الذي حدثتكم عنها.

هذا ليس اقتصاداً حراً هذا اقتصاد فوضويٌ أعمى يأخذ بالاعتبار مصلحة رؤوس الأموال ولا يعتني العناية الكافية بالاقتصاد القومي، وبدخل البشر ودخل المواطنين هذا ليس اقتصاداً حراً ليس معنى الاقتصاد الحر ترك العملية الاقتصادية بأيدي المضاربين، وترك السوق للمحتكرين من المحليين أو من المستوردين هذه ناحية نوجه إليا أنظار دولتنا وحكومتنا ومسؤولينا.

رويت لكم من قبل قصة إبراهيم أبو السرايا وعلى نفس المقياس يوجد أسر الآن من قبيل تلك المرأة التي كانت تلم سقط التمر من أحمال التمر هذه مسؤولية جهاز الدولة ألاّ يكون أناس في المجتمع من هذا القبيل.

نستغفر الله ونتوب إليه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



٦ محرم ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

قد تكون الهجرة هجرة منقطعة تنتهي عند أملٍ محدود، أو تنتهي في مكان محدود، أو تنتهي عند تحقيق هدف محدود.

وقد تكون الهجرة هجرة دائمة يهاجر الإنسان ويبقى مهاجراً إلى أن يموت، لا تنقطع هجرته أبداً. هجرة أهل الدنيا، الهجرة المحرمة أو غير المحمودة هي هجرة غالباً تكون منقطعة كما ذكرت لكم في الحديث المروي عن رسول الله (ص) «من كانت هجرته إلى الله ورسوله فأجره على الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى غنيمة يغتنمها أو امرأة يريدها. فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1] تنتهي هجرته عند من هاجر إليه أما الهجرة إلى الله ورسوله فهي هجرة دائمة لأن الله دائم لا ينتهي ولا تنقضي رسالته، بل تتجدد على طول السنين والأعوام.

وإذن فالهجرة المنقطعة لا شأن لنا بها. هجرة الحسين سلام الله عليه كهجرة أبيه علي وكهجرة جده النبي ومن هاجر معه من المسلمين الأولين وكهجرة الأنبياء الذين تبركنا بذكرهم سابقاً هي هجرة دائمة، بقي النبي سلام الله عليه مهاجر حتى مات في المكان اتخذ المدينة وطناً ولكن في المهمة لم تنقطع هجرته أبداً ولم تنقطع حركته في سبيل تحقيق أمر الله سبحانه وتعالى اطلاقاً.

---

(١) تقدم تخريج الحديث قبل صفحات، ولفظ الحديث في الصحاح: «من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله».

هجرة الحسين سلام الله عليه كذلك لم تنته بمجرد وصوله إلى كربلاء وإنما بقيت متفاعلة في الزمان وفي الأمكنة وفي البشر إلى يومنا هذا ونحن الآن في هذا المجلس الكريم كما في مئات ألوف المجالس الحسينية في العالم في هذه الأيام، مظهر من مظهر الهجرة الحسينية، الهجرة إلى الله، الهجرة عن الطاغوت إلى كلمة الله وإلى إرادة الله سبحانه وتعالى.

الهجرة الدائمة هي أن يحمل الإنسان فكرة وقضية مرتبطة بالمجتمع وليست مرتبطة بمصالح خاصة. حاجات الأمة وحاجات المجتمع حاجات متجددة.

القضية التي هاجر من أجلها الحسين كما عبر عنها في كتابه إلى أخيه محمد ابن الحنفية، وفي مكالماته مع من حاولوا أن يثنوه وأن يجعلوه يعدل عن هذه المهاجرة، وفي خطبة منذ اليوم السابع من محرم اليوم الذي وصل فيه إلى كربلاء إلى ظهيرة اليوم العاشر من محرم، تكشف عن أنه هاجر من أجل قضية الأمة يكفي في ذلك النص الذي تسمعونه كثيراً وتحفظونه وهو:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبينه بالحق ـ أو ـ حتى يحكم الله بيني وبينه بالحق وهو خير الحاكمين».

الحق مطلق، الحق لا ينقطع ولا ينقضي، هو متجدد دائماً بحاجات البشر، وبتجدد مشاكل البشر، وبتجدد مظالم البشر دائماً قضية الحق والباطل قضية حية ومتحركة، لأن المجتمع والعالم دائماً في حالة صراع بين الحق والباطل، فهي هجرة دائمة بدأت من حين رفض الإمام الحسين لبيعة يزيد، حين قال: «ومثلي لا يبايع مثله» ولم تنته على الإطلاق.

ولعل هذا ما تتضمنه الفقرة الشهيرة في زيارة (وارث) التي بدأنا بها أحاديثنا في هذه العاشوراء.

«السلام عليك يا ثأر الله وابن ثأره والوتر الموتور» ثأر الله ثأر مفتوح،

والوتر الموتور وترٌ مفتوح حتى الآن لم يؤخذ بثأر الله، وحتى الآن لم ينته وتر الله، لأن هذه القضية المطروحة القضية التي من أجلها هاجر الحسين وآله وصحبه وجاهدوا واستشهدوا لا تزال قضية مفتوحة حتى الآن، وكما قلت لكم ليس المهم أن يكون هناك يزيد معين شخصٌ محدد إن الأشخاص في كثير من الحالات الذين يسيطرون على المجتمعات ويقودون المجتمعات يتحولون إلى أفكار، ويتحولون إلى قضايا متحركة ودائمة. الآن في كل مكان من العالم أو في معظم العالم نجد هذه الروح اليزيدية التي مظهرها الاستهانة بالبشر، الاستهانة بالإنسان، الاستهانة بالقيم، الاستهانة بالعدالة، الاستهانة بالمساواة، لا يهم أن يكون الطاغية مسلماً، أو كافراً المهم نوع القيم التي يحملها ويتحرك من خلالها، في عصرنا توجد نماذج، كما في كل عصر توجد نماذج لما سميته الهجرة الدائمة، الهجرة التي لا تنقضي بتحقيق هدف معين أو تحقيق غرض معين.

ونجد هذه الهجرة الدائمة عند المسلمين وعند المسيحيين وعند سائر الأديان عند سائر الأمم نجد مهاجرين منقطعين ونجد مهاجرين دائمين.

نتكلم عن المسلمين ومن المهاجرين الدائمين المسلمين في التاريخ الحديث السيد جمال الدين الأفغاني الأسدآبادي مهاجر كبير، واجه الاستعمار البريطاني، واجه الاستعمار الفرنسي، واجه تخلف الأمة الإسلامية، واجه تصدع الدولة العثمانية وتحرك على مساحة العالم الإسلامي مع مجموعة من الكبار: الشيخ محمد عبدة، الشيخ رشيد رضا، والشيخ عبد الرحمن الكواكبي، ابن باديس، الطاهر بن عاشور، الطيب الإبراهيمي، في كل العالم الإسلامي مهاجر دائم له هجرة دائمة لأنه انطلق من قضية دائمة في أوائل هذا القرن في أواخر القرن الميلادي والهجري الماضي وأوائل القرن الميلادي والهجري وأوائل القرن الميلادي الهجري الذي انقضى.

في أواخر هذا القرن الميلادي وأوائل هذا القرن الهجري نجد مجاهداً كبيراً هو الإمام الخميني الذي تحرك أيضاً من قضية أمة لم تكن هجرته هجرة منقطعة، إنما كانت هجرته هجرة دائمة، لأنه لم ينطلق من قضية جزئية أو

محدودة عامة أو شخصية لا فرق لقد انطلق من قضية عامة هي قضية الأمة، تجسدت اهتماماته أو مصب عمله في ايران، ولكن الأطروحة هي أطروحة عامة، أطروحة تتحرك على مساحة الأمة الإسلامية كلها والتفاعلات التي أحدثتها هجرته ويلحظ أن هذه الهجرة بدأت من حكم بالاعدام أصدره شاه إيران خفض إلى حكم بالنفي أصدره بعد ذلك إلى تركيا وتتابعت المنافي على طرق العالم، إلى العراق إلى فرنسا، إلى النصر في إيران، إلى جنة الله.

هذه الحركة ليست هجرة منقطعة هي هجرة متجددة دائماً وموجودة حتى الآن توفي رضوان الله عليه ولكن انطلاق حركته هو انطلاق من هذا المفهوم.

أمة تحاول أن تتخلص من ذلها ومن تخلفها ومن قيودها ومن استضعافها، قيض الله لها هذا القائد وهذه القيادة ولكن من مفهوم الهجرة كما ذكرت لكم.

إن السكون من دون حركة في الآفاق والأنفس، وحتى في الأمكنة والأزمنة لن يثمر ولن يغير.

هذه الهجرة أيضاً حركة دائمة لم تنته بتأسيس الجمهورية الايرانية ولم تنته بوفاته وإنما هي متحركة.

هجرة الإمام الصدر وقضية المستضعفين في لبنان

من نماذج الهجرة المتحركة والدائمة هجرة الإمام موسى الصدر التي انطلقت أيضاً من رؤية واقع معين ليس لطائفة معينة هي المسلمين الشيعة في لبنان بل رؤية حالة المسلمين في لبنان رؤية حالة لبنان ككل.

ذكرنا مراراً وتكراراً أن الاستضعاف لم يكن خاصاً بالشيعة اللبنانيين وحدهم، أو المسلمين اللبنانيين وحدهم، سائر اللبنانيين حتى الآن لا يزال فيهم محرومون ومستضعفون لا نستطيع أن نهمل الجبل، لا نستطيع أن نهمل سهل عكار، لا نستطيع أن نهمل العرقوب، لا نستطيع أن نهمل الاقليم.

في الحقيقة الشعب اللبناني كان يعاني، وكانت توجد نخبة منه، نخبة فيها

شيعة وفيها سنة وفيها موارنة وفيها دروز وفيها كاثوليك وأرثوذوكس، تتمتع بمنزلة بمكانة رفيعة، ولكن سائر الشعب اللبناني لم يكن يتمتع بهذه المكانة.

أقول لكم بصراحة الشعارات التي تطرح تارةً بعنوان حقوق الطائفة المارونية أو امتيازات الطائفة المارونية بعنوان المجتمع المسيحي في لبنان كما عودتكم دائماً هي شعارات غير دقيقة نتساءل: من يمثل المسيحي الماروني في عكار الفقير المحروم؟ كان الإمام موسى الصدر يمثل هذا المسيحي المحروم في عكار أكثر مما يمثله الناطقون باسمه وكذلك لا يمكن لأية نخبة أن تتحدث عن حرمان شيعي حيث إن الشركاء الذين صنعوا النظام القديم أيضاً يجب محاسبتهم يوجد منطق أعور منطق أعمى. إن كثيراً من الناس يريدوا أن يكونوا عند علي بخير وعند معاوية بخير، يريد أن يكون عند الشيطان بخير وعند الرحمن بخير، وهذا لا يمكن أبداً.

هذه القضية، قضية لبنان التي يرمز إليها عنوان هجرة الإمام موسى الصدر لا تلخص قضية طائفة خاصة، وكم نكون مخطئين حين ننظر إلى هذا الخط من خلال هذا التوجه الذي رسمه هذا الرجل العظيم وهو أننا نريد ما يسمى حقوق الطائفة الشيعية كان هذه كلاماً يقال في الستينات والسبعينات، وصدرت بعض التصريحات بل وبعض الكراسات، واختصرت قضية الطائفة الشيعية بعدد محدد من الوظائف، وعدد من الشوارع وعدد من محطات الكهرباء إذا كانت هذه هي ما يسمى حقوق الطائفة الشيعية فلعنة الله عليها.

وأنا قلت مراراً وتكراراً ما يسمى حقوق الطائفة الشيعية ليس موضع اهتمامنا هذا المعيار نحن لا نعتمده، المعيار عندنا ليس بالضرورة عدد الموظفين الشيعة وأقول هذا لبعض القيادات الشيعية وأنا لا أرضى عن بعض المهاترات أو التواترات التي تحدث لا يمكن أن نوقف عجلة إدارة معينة لأجل شخص.

بصراحة، لا أقول لهم تسامحوا لأنه لا أحد يدفع من جيبه، ولكن لم يكن في فكرنا اطلاقاً من ضمن هذا الخط الذي وضعه وأسسه الإمام موسى الصدر وفي فكره وعقله أن حقوق الطائفة الشيعية ممكن أن تختصر بعدد من

الوظائف وبعدة طرق في الجنوب وفي البقاع وبناء محطة كهرباء في المكان الفلاني أو البلدة الفلانية أو بالتزامات يأخذها بعض المقاولين، وفهمكم كفاية.

هذه ليست حقوق الطائفة الشيعية، وليست حقوق الطائفة السنية، أو المارونية، أو الدرزية، أو أية طائفة أخرى، حقوق الطائفة الشيعية هي حقوق الإنسان اللبناني، كرامة الإنسان حرية الإنسان الحقوق السياسية الإنمائية المتكافئة بين الإنسان وبين المناطق.

مشروع الوطن وليس مشروع المزرعة

٦ محرم ١٤١٣ هـ
٦ حزيران ١٩٩٢ م

حينما أطلقنا مشروع الديمقراطية العددية القائمة على مبدأ الشورى قيل إن الشيخ يريد أن يسلم لبنان إلى الشيعة، والذين أحسنوا الظن بنا قالوا يريد أن يسلم لبنان للمسلمين.

الحقيقة لا نريد أن نسلم لبنان الى الشيعة ولا للمسلمين بل نريد أن نسلم لبنان للبنانيين إن لبنان في صيغة اتفاق الطائف الذي تبلور في وثيقة الوفاق الوطني التي وضع الدستور الجديد على أساسها... إن لبنان هذا موزع على ثمانية عشر طائفة كل طائفة عليها مجموعة ملوك.

نريد أن يسترجع اللبنانيون لبنانهم وطنهم.

ليست المشكلة مشكلة حقوق طوائف، نحن نظر إلى أن مشكلة لبنان ليست مشكلة حقوق طوائف، ويعرف الجميع بسطاء السياسة ودهاقنة السياسة يعرفون أن المئة لا يمكن تكون مئة وخمسين وإذا أرادت كل طائفة أن تأخذ ما تدعيه لنفسها، فمعنى ذلك أن نجعل من ١٠٠ ـ ١٥٠ هذا هو المستحيل تقسيم السلطة وتقسيم التنمية وتقسيم المجتمع وتقسيم الأرض بهذه النسب هذا جنون هذا تقسيم للبلاد وإفساد للعباد استحمارٌ للبشر، قسمة السلطة والثروة والإمكانات على كوتا الطوائف سيهدم كل شيء.

نحن نحمل نظرية مشروع دولة وأقول بصراحة في هذا المجلس ان المطلوب دولة تقوم على العدالة للإنسان، حكاية الطوائف يجب أن نخرج عنها ومنها.

أقول لكم بصراحة الآن عندي في مكتبي أسئلة من عدة جهات محلية وأجنبية من الصحافة الدولية يسألون عما يجري، والآن أجيبهم.

إن الفقرة الصغير التي صدرت بالبيان الرسمي الأخير للمجلس الشيعي الأعلى والتي يقول فيها إن المجلس توقف طويلاً أمام الأرقام التي نشرت حول عدد الناخبين، ماذا يقصد المجلس منها؟ أنا أقول لكم ماذا يقصد منها يقصد منها، أن هذه الأرقام التي نشرت تستبطن وراءها تفكيراً إما غير سليم أو غير نظيف، وإذا أردنا عن طريق بعض الدهاقين ومن يعتبرون أنفسهم مهندسي السياسة أن ندخل في التلاعب في التعداد السكاني للناخبين، فسندخل البلد في متاهة عظمى.

هذه القوائم فيها أشخاص مولودون سنة ١٨٦٠ يعني قبل ١٣٢ سنة بكل صراحة هذا الأمر نحن نحسن الظن نحمله على العجلة وعدم الدقة ولكن هذا التفكير يجب أن يتوقف.

اتفقنا في الطائف وسمينا هذا الاتفاق اتفاق الضرورة، وقبلناه على كره قبولاً مرحلياً وعلى أساس أن يبنى على صيغة أساسية مفتوحة لمشروع الدولة. بحيث تكون قابلة للتطور.

ننطلق من العائلة من سيطرة الاقطاع ورأس المال العائلي والفئوي، من سيطرة وإقطاع الطائفة وكهف الطائفة، إلى رحاب الوطن الكبير والإيمان الكبير من عائلة إلى قضاء إلى محافظة إلى لبنان دائرة انتخابية واحدة، وإلى شعب لبناني واحد، إلى مجتمع سياسي واحد فيه مسلمون مخلصون لإسلامهم ونريدهم أن يكونوا مخلصين لإسلامهم ومسيحيون ملخصون لمسيحيتهم هذه هي القضية ليست قضية حقوق طائفة بل قضية إنسان يوجد إنسان لبناني نغمض عيوننا ونضع يدنا على أي رأس من رجل أو امرأة قد يكون مسلماً أو مسلمة أو

مسيحياً أو مسيحية، ما هي حقوقهم؟ ما هو اعتبارهم؟ ما هي علاقتهم بالدولة؟ الآن نحن نعمل للتخلص من هذا الوضع الشاذ، حيث الولاء للوطن يمر بالولاء للزعيم والطائفة إن الصيغة القائمة هي أن علاقة المواطن الانسانية هي بالطائفة، هذا إذا لم تكن علاقته قبل ذلك بالزعيم والشيخ والآغا، ومن خلال الطائفة، تكون علاقته بوطنه.

حقوقه درجة ثانية حقوق طائفته درجة أولى أين هي هذه الحقوق الطائفية لا أدري، هذا الأمر أردنا أن نخرج منه.

نقول بدل أن يكون لبنان مكون من ثمانية عشر طائفة أو من تسعة عشر طائفة لبنان مكون من أربع ملايين مواطن، هذه هي قضية الإنسان.

قلت لكم: أنا أدخل إلى الذكرى الحسينية في هذه السنة من باب الحضارة

نحن نعتبر أن تفكيرنا في لبنان على هذا النحو، ثقوا أن هذا هو التفكير الحضاري.

حينما ثار الحسين عليه السلام لم يثر لمصلحة الهاشميين، لمصلحة العشيرة والعائلة ولم يثر إطلاقاً لمصلحة الطائفة، لمصلحة خطه وخط أبيه لأن كثيراً جداً ممن خذلوه وابتعدوا عنه كانوا من الشيعة وإلا فهل شيعة علي بن أبي طالب هم ٦٣ شخصاً؟ هل هذا معقول؟ لقد كانوا ملايين كثيرة، وهم الذين قال الفرزدق الشاعر عنهم: يا بن رسول الله قلوب الناس معك وسيوفهم غداً عليك، ليس من أجل أنهم شيعة الإمام الحسين تحرك وإلا لكانت ثورته مثل أي شيخ عشيرة أخذته الحمية حاشاه وحاشا خطه وحاشا دينه وحاشا شرفه.

لقد تحرك من أجل الأمة كانت قضية أمة قضية كل المسلمين واليهود والنصارى والصابئة المستضعفين في الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، قضية الموالي، قضية المسلمين غير العرب الذين كانوا مثل الزنوج في جنوب إفريقيا من أجل الموالي المسلمين غير العرب ومن أجل العرب غير المحظيين الذين لم يكونوا من قريش ولم يكونوا من أصهار البيت الأموي الذين لهم نسب مع العائلة الأموية.

من أجل هؤلاء، تحرك الحسين (ع) ولذلك هذه القضية قضية هجرة دائمة قضية تتناول مجمل البشر.

الثورات الدعوات التي تتناول تفصيلاً معيناً في حياة البشر تنتهي عند حدود هذا التفصيل، وتارة تتناول جوهر الإنسان وجوهر الإنسان هو اعاد الإنسان وكرامة الإنسان وحرية الإنسان وإنسانية الإنسان في كلام أمير المؤمنين سلام الله عليه الذي نقلته لكم «ألا وأن هؤلاء القوم قد اتخذوا مال الله دولاً» ماذا يقصد بقوله: مال الله؟ الله عنده السموات والأراضين والدنيا والآخرة (مال الله) مصطلح فكري إسلامي، يعني مال الأمة المال العام «اتخذوا مال الله دولا وعباداً الله خولا» عباد الله سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

جوهر الموضوع هو انه كل ما استطاع الإنسان بحجمه الصغير بحجمه المحدود أن يجعل نفسه على خط الهجرة الدائمة، الهجرة من الداخل (إني مهاجر إلى ربي) من المعصية إلى الطاعة، من الإباق إلى الانقياد الهجرة في وصية الله ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝﴾[1] الهجرة إلى التقوى وإلى الإيمان وإلى الطاعة الهجرة في المجتمع إلى الاهتمام بأمور الناس «من أصبح وأمسى ولم يهتم بأمور المسلمين فليس مني» والهجرة الدائمة إلى الله سبحانه وتعالى نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك هم أولوا الألباب والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٥.

الشباب ودورهم في مواجهة حضارة الشيطان وبناء الحضارة الإنسانية البناءة

٧ محرم ١٤١٣ هـ
٧ حزيران ١٩٩٢ م

يتركز الحديث في هذا اليوم على ذكر العباس واخوانه ووالدتهم أم البنين. ربما يكون ذلك من جهة أنه هذا اليوم السابع من محرم هو اليوم الأول من أيام عاشوراء التاريخية.

في هذا اليوم وصل الحسين إلى كربلاء واستقر فيها.

التقليد الشائع بين المسلمين على أن هذه الواقعة بدأت في اليوم الاول من المحرم وهذا غير دقيق. اليوم الأول من الأيام الكربلائية، أيام المواجهة بين الخط الحسيني والأطروحة الإسلامية وبين الخط اليزيدي والأطروحة الطاغوتية اليزيدية وهو هذا اليوم السابع.

ربما يكون تخصيص العباس رضوان الله عليه بهذا اليوم ناشئاً من أنه أبرز الهاشميين الذين استشهدوا بين يدي الحسين وخصص هذا اليوم لذكراه.

ما يعنيني هنا من هذه الملاحظة الرمزية، رمزية اليوم السابع واقترانها بذكرى العباس بن علي في نطاق الموضوع العام الذي قلت لكم أني خصصت عاشوراء هذه السنة له وهو مسألة الإسلام والمسلمين و الحضارة، هو عنصر الشباب أو عنصر الشباب سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً.

العباس بن علي كان أكبر الشبان سناً، أو من أكبر الشبان سناً في مجموعة أهل البيت، وفي مجموعة الصحابة الذين رافقوا الإمام الحسين وثبتوا معه إلى النهاية. ونلاحظ عند التدقيق في سجل كربلاء في أسماء وتواريخ الرجال والنساء الذين شاركوا في هذه الثورة واستشهدوا أن عنصر الشبان كان عنصراً بارزاً. كان فيها شيوخ أيضاً، كان فيها أبناء السبعين والثمانين، وكان فيها رجالاً مسنون ونساء مسنات، ولكن كان فيها شبان وشابات.

نلاحظ أن عنصر الشبان في هذه المعركة، في هذه الثورة كان عنصراً بارزاً، وأنا لي كتاب مخصص عن شهداء كربلاء ولكني لا أتذكر الأرقام بالدقة، ان حجم عنصر الشبان والشابات في هذه الثورة يتجاوز الخمسين بالمائة هذا الأمر له دلالته وغالب هؤلاء الشبان كانوا غير متزوجين أيضاً أو كثيراً منهم كانوا غير متزوجين، وبعضهم كان متزوجاً وكانت زوجته شريكة معه. هذا الأمر من الأمور التي تلفت النظر في ثورة كهذه وصلت إلى جدار اليأس.

في العادة يثور الناس ويقاتلون، ويعرضون أنفسهم للجرح والقتل سعياً وراء هدف، إما أن ينتصروا ويستمتعوا بثمرات انتصارهم أو يكون موتهم من عوامل الانتصار الذي سيتمتع به ويقطف ثمرته أهلهم وأحبابهم، أما أن تكون ثورة يائسة واستشهادية، وليس من وراءها رجاء قريب، وكان الأمر بيّننا واضحاً منذ هذا اليوم السابع، غاية الأمر ان اليوم السابع واليوم الثامن غلب عليهما عنصر التفاوض، كانا يومين من أيام المفاوضات بين مندوبين عن الحسين ومندوبين عن النظام الأموي، واستمرت المفاوضات إلى اليوم التاسع، وكانت تتخللها معارك خفيفة، ولكن كان واضحاً أن المطلوب هو الاستسلام، وأنه من غير استسلام فلا بد من المواجهة، وبحساب الاحتمالات والظنون كانت نتيجة المواجهة أيضاً واضحة، وهي أن هذه النخبة من الرجال ستصفى بالكامل وتقتل، ومع ذلك نجد أن هؤلاء الشبان استمروا في المعركة إلى النهاية، واستشهدوا جميعاً ولم ينج منهم أحداً على الإطلاق، لا من الأصحاب ولا من الهاشميين، سوى شخص واحد هوالإمام زين العابدين سلام الله عليه وأما البقية فأبيدوا إبادة كاملة.

السؤال هو لماذا؟ ما هو السر وراء ثبات هؤلاء الشبان؟ يمكن ان يفهم هذا الثبات وروح الاستشهاد من الشيوخ كبار السن، الذين أدبرت عنهم الحياة، الذين استنفذوا إمكانات نجاحهم ولذتهم وانتصارات حياتهم، الذين يمكن أن يقال أن العقيدة في قلوبهم وفي عقولهم ناضجة ومتأصلة، أما الشبان في رعيان العمر، مستقبلهم أمامهم، لم يفيدوا من حياتهم شيئاً، لا يزال أمامهم إمكانات المستقبل كلها من مباهج العيش ومباهج الحياة ومع ذلك يعرضون عن ذلك كله.

ولا يمكن أن نفسر هذا الأمر بالحياء أنه غلب عليهم الحياء وثبتوا. الحياء يمكن أن يجعل الإنسان يضحي بشيء من المال، يمكن أن يضحي بشيء من الجاه أما أن يضحي بحياته لأنه يستحي ويجامل فهذا أمر لا يمكن فهمه، لا بد أن الداعي العقائدي والوجداني والروحي والأخلاقي كان قوياً غالباً في هؤلاء الشبان بحيث إنه دفعهم إلى أن يثبتوا وإلى أن يساهموا بحياتهم في هذه الثورة التي انتهت بمقتلهم جميعاً.

ترى ألم يكن في الأمة الإسلامية في ذلك الحين شبان مثلهم وشابات مثلهن؟ بطبيعة الحال كان هناك كثيرون، ولكن إما لم تتح لهم فرصة المشاركة أو لم يريدوا أن يشاركوا، هذه النقطة أيضاً ملفتة للنظر.

إن شيعة علي وأتباع خط أهل البيت سلام الله عليهم لم يكن محصوراً في ثلاثمائة وأقل من خمسين رجل وامرأة كانوا موجودين في كربلاء لقد كان معظم العالم الإسلامي يتّبع هذا الخط وخاصة في العراق، ومع ذلك يستطيع النظام تجنيد جيش يتراوح حسب رواية المؤرخين بين ثلاثين ألف وبين مائة ألف، ولا يستطيع الحسين أن يجند مجموعة تثبت معه أكثر من ثلاثمائة وبضع عشرات ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أقل أو أكثر قليلاً.

هذا الأمر يكشف عن خلل كان موجوداً في جسم الأمة، هذا الخلل يجعل الناس تأخذ المواقف الخطأ والموقف الخطأ يؤدي إلى الكارثة. لا شك في أن الكثير ممن وقف مع النظام الأموي وقاتل تحت إمرة عمر بن سعد في كربلاء.

كانوا من الناحية الشكلية مسلمين من الناحية العقائدية.

من الناحية السياسية كان الموقف غلطاً كان يوجد خلل في الرؤية السياسية وحينما تأخذ القوى الحية والفاعلة في المجتمع الموقف الغلط في الناحية السياسية تكون قد جلبت على نفسها الكارثة، لأنها تكون قد مكنت من عنقها.

هؤلاء الذين حاربوا مع النظام الأموي ضد الحسين لم ينالوا أية جائزة سوى العطاء، العطاء السنوي أو الشهري الذي كانت تأخذه كل أسرة مسلمة من المسجلين في ديوان العطاء وسوى (الخمسين درهماً) التي زادها عبيدالله بن زياد في الرواتب، حين نادى منادي عبيدالله إن الأمير قد زادكم خمسين خمسين أو مائة مائة لا أذكر، وفيما بعدا ذلك، بعد الحسين بعد كربلاء، استخدم النظام هؤلاء في محاربة الخوارج والذين لم يحاربوا الخوارج استخدم ضدهم جيش السلطة الذي أرسله يزيد من دمشق، استخدم ضدهم إذاً كان موقفهم السياسي غلطاً كان موقفهم السياسي في غير مصالحهم.

هنا يأتي دور الشبان.

توجد عادة في كل مجتمع ثلاث فئات من الناس:

فئة الناس الذين يمثلون الماضي، وهم الذين تجاوزوا سن الرجولة ودخلوا في سن الشيخوخة هؤلاء ـ غالباً ـ يمثلون الماضي.

وفئة لا تزال امكانية مستقبلية، وهي فئة الأطفال الذين هم في سن الطفولة والصبا.

الفئة الثالثة الذي تمثل الحاضر والمستقبل، وأكثر ما تمثل المستقبل، هو الذي ينهض بعبء المجتمع كله أو جلّه، في العمل والاقتصاد والسياسة وإدارة الأمور، وهي عنصر الشباب.

بمقدار ما يكون عنصر الشباب واعياً وملتزماً ومدركاً لقضايا أمته ومجتمعه يمكن أن يكون المسار السياسي مستقيماً وصحيحاً، ولكن بمقدار ما يكون عنصر الشباب مضللاً ومهزوز الرؤية، والأمور عنده غير واضحة، يحدث

نتيجة لذلك انقسام داخل المجتمع، يسمى عادة في لغة الحضارة (صراع الأجيال) جيل الكبار وجيل الشبان، جيل الشيوخ وجيل الشبان.

على المستوى الاجتماعي والحضاري والسياسي يحدث ما نسميه في داخل المجتمع صراع الأجيال، وبالنسبة إلى المستقبل تحدث المواقف الخطأ التي تؤدي بالمجتمع كله إلى الكارثة.

إحدى القضايا الكبرى في مجتمعات هذا العصر هي قضية الشبان، قضية جيل الشبان وغالب المجتمعات في هذا الزمان، والمجتمعات العربية بوجه خاص، هي مجتمعات شبان، الذين هم بين العشرين والأربعين أو بين الخمسة عشر والأربعين يمثلون الأكثرية الساحقة من كل مجتمع، وهؤلاء من جيل الشبان، هؤلاء هم الذين يكوِّنون الجيوش غالباً، وهؤلاء هم الذين يكونون الجسم التجاري والزراعي والإداري في المجتمع، وعي هؤلاء لمسؤولياتهم يعتبر شرطاً أساسياً في سلامة أي مجتمع وفي حسن مسيرته.

أضرب لكم مثلاً الآن: المجتمع اللبناني يواجهه ما يمكن أن يكون انتخابات، الانتخابات يفترض أنه يأتي فيها وكلاء ممثلون عن هذا المجتمع إلى البرلمان، إلى مجلس النواب الذي يضع السياسة العامة للدولة وينظم حياة المجتمع من خلال القوانين، ويؤلف الحكومات ويراقب الحكومات، وما إلى ذلك من عمل البرلمان.

نتسائل: كيف سيتم اختيار هؤلاء شخصاً شخصاً ومجموعة مجموعة، كيف سيتم، وفقاً لأي مقياسٍ سيتم؟ هذا مثل من الأمثلة التي تظهر فيها دور الشبان في صياغة مصير ومستقبل المجتمع.

مثال آخر:

من الأفكار والمطالب التي بيّنتها في الأيام الماضية حديثي عن الترف وسلع الترف، أغلب بضائع الترف التي حدثتكم عنها في الأيام الماضية من المآكل والمشارب والروائح وأدوات الزينة والملابس والسيارات أغلب بضائع الترف يستهلكها عنصر الشبان.

ماذا لو أن هؤلاء توقفوا وواجهوا الأمور مواجهة نقدية، مواجهة فحص وتفتيش؟ بطبيعة الحال سيتغير الموقف.

الحضارة، كل حضارة من الحضارات لا يبنيها الأطفال ولا يبنيها الشيوخ، يبنيها الشبان، التحولات الكبرى في المجتمع ربما يقودها ناس كبار السن، ولكن الذي يشكل جسمها ووقودها وجيشها وجمهورها هم الشبان.

من أول الإسلام في نهضة الرسول سلام الله عليه، في الصحابة الأولين، في السنين المكية الأولى من حين البعثة إلى مرحلة بيت الأرقم ومن مرحلة بيت الأرقم إلى مرحلة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾[1] و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾[2] مرحلة الاعلان العام بالدعوة، ومن هذه المرحلة إلى مرحلة الحصار في شعب أبي طالب، ومن هذه المرحلة إلى مرحلة الهجرة إلى الطائف، ومن هذه المرحلة إلى مرحلة الهجرة إلى المدينة دائماً كان العنصر الغالب هو عنصر الشبان الشيوخ.

كان التحرك الفكري بطيئاً في كبار السن الذين تكيفت أفكارهم وأدمغتهم وعاداتهم وتقاليدهم على الثقافة القديمة وعلى المعطيات الفكرية القديمة لقد كان التحول السريع والواعي والمنفتح في عنصر الشبان.

من هنا نلاحظ في عصرنا وفي جيلنا وفي مجتمعنا خطورة ما يتعرض له عنصر الشبان من تأثيرات مدمرة، من هنا التركيز على أنه يجب أن يلاحظ في برامج وزارات التربية في العالم العربي والإسلامي في وزارات الثقافة في مراكز الثقافة في وزارات الإعلام أن يركز على نوع المادة العلمية والثقافية والترفيهية التي توجه إلى عقول وقلوب هؤلاء الشبان من خلال المدرسة أو من خلال الكتاب أو السينما أو الراديو أو التلفزيون.

من هنا نلاحظ أن كل فيلم من الأفلام التي تركز على الجنس وعلى العنف، وكل اعلان من الاعلانات التي تروج البضائع التجارية المحرمة أو المحللة التي تستخدم العنصر الجنسي في الإغراء والتسويق، وكل ما يتعلق

---

(١) سورة المزمل، الآية: ١.

(٢) سورة المدثر، الآية: ١.

بالأغاني والأناشيد التي تتضمن هذه الإيحاءات وهذه التأثيرات المدمرة على عقول وعواطف الشباب، يجب أن تكون موضعاً للمراقبة.

رأس مالنا في العالم الإسلامي وفي العالم العربي وفي مجتمعاتنا في لبنان أو في سوريا أو العراق أو في مصر أو في أي بلد آخر، رأس مالنا الأول ليس النفط وليس الناتج القومي، رأس مالنا هو الإنسان العنصر الإنساني الحي المتحرك هو عنصر الشبان، التركيز الذي يأتي من قبل الأجهزة الأجنبية والقوى الأجنبية يصب كل تأثيراته الضارة والسامة على هذا القطاع من المجتمع لأنهم يدركون أن هذا القطاع سيتسلم بعد سنين قليلة كل مقدرات المجتمع، فإذا هيأوا منذ الآن عقله وقلبه وذوقه، في هذه الحالة يكونون قد حققوا لانفسهم مواقع مهمة تؤثر في الحياة الثقافية والسياسية.

هذه النقطة هي إحدى النقاط الحية والهامة التي يجب أن تتنبه إليها كل القوى المؤثرة بالمجتمع، القوى الموجهة للرأي العام من علماء الدين والمفكرين والمؤلفين والخبراء الاعلانيين ورجال الصحافة والمسؤولين عن التوجيه العام في الدولة وفي الحكومة.

ما نلاحظه الآن في لبنان في فوضى الاعلان والاعلام الموجودة وهو أمر لا نعرف كيف ندفع تأثيراته الضارة على المجتمع، أقول بكل صراحة هذه الفوضى الضاربة أطنابها وخاصة في برامج التلفيزيونات، أصبح يشكل تهديداً مباشراً للسلامة الروحية والأخلاقية للمجتمع من خلال ما نراقبه ومن خلال ما نطلع عليه.

نحن نراقب شخصياً وهناك من ينقل إلينا تطوعاً أو بتكليف منا، عن نوع البرامج التلفزيونية التي تبث سواء في التلفزيون الرسمي أو ما يسمى التلفزيونات الخاصة فنلاحظ أكثر ما يبث هو مواد مدمرة إن كان على مستوى الأفلام أو الريبورتاجات والتقارير الصحافية المصورة، أو ما يسمى حفلات فنية وغنائية، أو الاعلانات التي تجاوزت كل لياقة وكل عرف وكل خلق، وطالبنا مراراً وتكراراً بسن قوانين تعاقب أو تراقب شركات الإعلان والشركات المنتجة للبضائع والسلع، ويقال لنا دائماً أن هناك قوانين موجودة، وينبغي تطبيقها ولا

نرى تطبيقاً لأي شيء والحقل الذي يناله أكبر قدر من الدمار. هو حقل الشبان وتجاوز الأمر هذا إلى حقل الأطفال، في كل بيت يوجد أطفال دون العاشرة يشاهدون كل هذا لا يفهمونه ولكنه ينطبع في لاوعيهم.

ولعل بعضكم يعلم، إن الشرع الشريف والأخلاق الكريمة يتضمنان نواهي كثيرة وعن بعض الممارسات أمام الأطفال الذين لا يعون، مثلاً يُكره ممارسة العملية الجنسية بين الرجل وزوجته أمام الطفل الغير الرشيد لئلا ينطبع في لاوعي الطفل هذا النوع من النشاط الغير مهيىء عقلياً ونفسياً له.

اظهار العورة أمام الطفل منهي عنه شرعاً فكيف حينما يشاهد الطفل المشاهد التي يندى لها الجبين يومياً.

هذا الدمار الذي يتعرض له جيل الشباب يجب أن يوضع له حد، يجب أن يخضع للرقابة، وهذا ليس تخلفاً وليس التقدم لقد حدثتكم سابقاً عما سميته الحضارة الشيطانية وهذا بعض مظاهرها، لقد كان ترويج الحضارة التي تشوه روح الإنسان التي تشوه عواطف البشر، التي تشوه أذواق البشر، إحدى السياسات التي اتبعت بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من قبل معاوية بن سفيان ويزيد من بعده هي هذه.

المدينة ومكة يعتبران مركز الإسلام الأول، ومنذ النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إلى حين هجرة أمير المؤمنين سلام الله عليه إلى العراق كانت المدينة ومكة مركز النبوة ومركز الخلافة أيضاً. والمدينة ومكة غالباً هما مركز الوحي القرآني فأغلب القرآن أوحي إلى الرسول في هذين المكانين أو ما بينهما أو حولهما، فهما أطهر وأشرف مكان على وجه الأرض وهو الكعبة الشريفة التي هي مهوى ومأوى لأفئدة جميع المسلمين في العالم وفيها مسجد الرسول وقبره ومسكنه.

كانت السياسة الأموية تركز على تشجيع الغناء ومجالس اللهو وجلب المغنيات من البلاد الأجنبية إلى المدينة وإلى مكة، وكان يغدق عليهما الأموال والعطايا خاصة على المدينة وعلى مكة.

وللمتهمين بهذا الأمر من الباحثين أرشدهم إلى قراءة الكتاب الشهير والنفيس للمؤرخ والأديب الشهير أبو الفرج الأصفهاني (كتاب الأغاني) بمجلداته كلها ليطلع الباحث على كل التشجيع الرسمي المبرمج الذي كان موجهاً خصيصاً نحو الحجاز عامة ونحو المدينة ومكة بوجه خاص لأجل تحقيق هدفين:

الهدف الأول: إشهار المدينة ومكة بأنهما مكان من أمكنة الفسق واللهو، لأجل أن لا تكونا موضع احترام وثقة من المسلمين، ومن ثم تفقد القوى الثورية والقوى السياسية المعارضة، المتمركزة فيهما ثورتها على التأثير الفكري فيها.

والهدف الثاني: هو موضوع كلامنا، هو افساد عنصر الشبان واغراقهم في اللهو المباح أو المحرم لخلق حياة مترفة لاهية بعيدة تماماً عن مهمات التغيير والثورة وتحمل التبعات والنقد السياسي، هذا أمر يعرفه كل المؤرخين وهكذا كان وما ينقل من مباذل اللهو الفاحش عن مجتمع الحجاز عامة وعن مجتمع المدينة ومكة بوجه خاص أمور عجيبة، حتى بمقايييس هذا الزمان هي أمور عجيبة وغريبة.

هذه النقطة هي إحدى النقاط التي ينبغي التوقف عندها في التبصر والاستفادة من عنصر جمهور الثوار الذين شاركوا الحسين بن علي وخاصة عنصر الشبان منهم الذين استطاعوا أن يكونوا شريحة نظيفة في ذلك المجتمع الذي تعرض للإفساد بالشكل الذي ذكرته لكم.

وأن نلفت إلى أن جيل الشبان في مجتمعنا العربي والإسلامي مستهدف الآن بأخطار كبرى، أخطار العنف الذي جربناه في لبنان تحت شتى العناوين، العنوان الديني والعنوان القومي والعنوان المذهبي والعنوان الطائفي والعنوان العشائري، هذا العنف الذي حفر قبور الكثيرين.

الشبان معرضون لتيار المخدرات وهو تيار شديد الخطورة يمكن أن يدمر أي مجتمع. الشبان معرضون لوباء جديد على مجتمعنا وهو ما يسمى (الجريمة

المنظمة) وهو تكوين مجموعات تمارس الجريمة بجميع أشكالها وبشكل مؤسسة للإجرام، هذا الأمر انتشر في الغرب في أميركا في أوروبا، في أميركا بشكل خاص، لكن هناك توجد مجتمعات قوية وحكومات قوية استطاعت أن تتماسك وبدأت الآن تنهار أما في مجتمعنا فستكون أثاره مدمرة.

الجريمة المنظمة يمكن أن تصل إلى أعلى موقع من مواقع السلطة، العربية والاسلامية في مجمعاتنا المعاصرة هذا السرطان هائل يمكن يضرب أي مجتمع ويمكن يضرب مجتمعنا، المخدرات بدأت تنتشر بجميع أصنافها الجنس والعنف بدأ ينتشر. هذه الأمور مستهدف فيها جيل الشبان هذا الجيل الذي كانت منهم كثرة في جيش عمر بن سعد من جميع التيارات السياسية ومن جميع التيارات العقائدية سياسية وثقافية.

في هذا المجال لا يوجد سنة وشيعة، المواجهة ترتكز على الالتزام الديني والاخلاقي وأقول هذا للمسلمين وللمسيحيين أيضاً. المسيحي الضال يشكل خطراً على المسلم لأنه ثقب في جسم المجتمع المسيحي الذي يمارس الجريمة أو يمارس المخدرات أو يمارس الشذوذ الجنسي أو يمارس الجريمة المنظمة يشكل خطر على المجتمع كله، والمسلم كذلك.

من هنا مسؤولية كل قيادات المجتمع وعلى رأسها الدولة لأنها تملك كل الإمكانات التي لا تملكها قيادات المجتمع، ومن هنا مسؤوليات وزارات الشباب والرياضة والثقافة والاعلام والمعارف والتربية وكل ما يتصل بحياة الشبان ونموهم السليم.

سلام الله على العباس بن علي عليه السلام، وعلى اخوته وعلى أصحابه جميعاً الذين نشهد ونعيش في هذا اليوم ذكراهم في هذه الساعات.

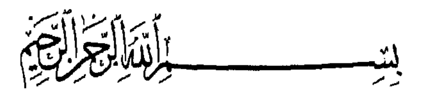
تحت الشمس الساطعة، على الرمال الملتهبة في كربلاء، مجموعة قليلة من البشر، من الرجال والنساء الذين انقطعت كل صلة لهم بالعالم وحوصروا في هذه الصحراء من كل جانب، وبدأ الحصار عليهم بالماء ربما من هذا اليوم وربما منذ اليوم الثامن، وعرفوا أنهم يواجهون الموت الصعب، وعُرضت عليهم

فرص النجاة ولكنهم رفضوا جميع الفرص، واستمروا على موقفهم وهم يعلمون أنه موقف يائس، ولكنهم كانوا يرون أنه هو الموت الصحيح واستشهدوا جميعاً.

سلام الله عليهم ورضوان الله عليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حضارة الشيطان واللهو الحرام

٨ محرم ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م



والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم أيها الاخوة والأخوات جميعاً ورحمة الله وبركاته.

موضوعنا اليوم يتصل بشكل أو بآخر بموضوعنا الأساسي وهو: «الإسلام والمسلمون وحضارة الشيطان ودلالات الثورة الحسينية الحضارية».

الموضوع الأول:

هناك ظاهرة منتشرة ومتفشية في مجتمعنا، وخصوصاً في المدة الأخيرة ألا وهي كثرة محلات التسلية التي تعتمد بشكل رئيسي على الماكينات الكهربائية أو ما يسمونها بالتعبير الأجنبي «الفليبر».

ومن الملفت أيضاً أن أكثر رواد هذه المحلات هم من الشبان والفتيان الفقراء والبؤساء، نظراً لقلة كلفتها المالية نسباً. ماكينات التسلية الكهربائية

ليست محرمة بحد ذاتها، إذا كانت لا تندرج تحت عنوان المقامرة، الذي هو حرام قطعاً.

ولكن ما يرافقه ويلابسه وخاصة فيما يتعلق به، هدر الوقت الذي قد يصل إلى ساعات طويلة هذا الأمر ينبغي أن الحذر فيه والتحرز عنه.

هذه الآلات المتداولة في المحلات إذا كان ينطبق عليها عنوان المقامرة فهي قطعاً محرمة، بعنوان أنها مقامرة.

وأما إذا لم ينطبق عليها عنوان المقامرة، كما هو الظاهر بحسب ما كشف عنه استعلام حالها، فاستعمالها للتسلية ليس محرماً، ولكن علينا ان نعي أنها تضيع ساعات طويلة ثمينة من عمر اللاعب بها ومن دون أية فائدة على الاطلاق ليس فيها لذة وليس فيها ثقافةٍ.

والمحلات التي تضع هذه الآلات هي المشكلة ليس فقط للاعبين الشباب أو البنات المشكلة ليست للاعبين فقط ترى لماذا يؤجر صاحب الدكان دكانه لأجل وضع هذه الآلات فيه، لماذا يقبل أهل الحي أو أهل الشارع بأن يكون في شارعهم محل من هذا القبيل؟

إن هذا العمل يستهدف مجموعات من الشباب البائسين اليائسين الذين حفت بهم الهموم والكروب والجهل والضياع، ويقضون ساعات من عمرهم الشريف الثمين يحرقونها في هذا العبث الذي لا فائدة له.

المفاسد هي دائماً هي مفاسد المجتمع كما قلت في عدة مجالس.

حينما كانت الأم والزوجة والأخت يأتينا إلى الرجل إلى الزوج والأخ والابن الذين التزموا بالمشروع الحسيني مع مسلم بن عقيل في الكوفة يقلن له: ما لك وللفتنة، ما لك وللشر، الناس يكفونك.

ويبدأ مسلم بن عقيل بثمانية عشر ألف مقاتل، وينتهي بثلاثة أشخاص، ثم ينتهي وحيداً هذه مسؤولية الجميع مسؤولية على الشبان.

وأنا أنصح وأقول هذا العمر الثمين الذي تنفقونه في هذا اللعب ليس له

أي نتيجة على الإطلاق أبداً. لا ثقافة لا علم. ولا مال، انه احراق للوقت من دون أية ثمرة على الإطلاق إني انصح الشبان، ولكن أنهى صاحب المحل ومالك الدكان أنهى أهل الحي هذ النكير يجب أن يكون من الجميع وعن الجميع هذه واحد.

حضارة الشيطان والمرأة السلعة:

الموضوع الثاني: يتعلق بقضايا النساء والسباحة على الشواطىء، السباحة المختلطة على الشواطىء.

هذا الأمر ماذا نقول فيه؟ لو أن رجلاً تناول امرأة أمام أبيها أو أخيها أو زوجها بكلام بذيء لحدثت فتنة تحت شعار حماية الشرف ولو أن رجلاً أو شاباً تناول امرأة في نفسها تكلم معها بكلام بذيء أو غمزها باصبعه في أي موضع من جسمها، لقامت القيامة وحدثت الفتنة واعتبرت أن شرفها وكرامتها أُهينتا، ولا شك أنهما أُهينتا.

ولكن كلنا يعرف لباس البحر كيف يكون. أكثر ألبسة البحر حشمة لا تستر إلا موضع العورة وبقية جسم المرأة نهب للناظرين ومجال لتعليقاتهم، أو في الشوارع العامة والأماكن العامة لقد تحدثت عن الأزياء سابقاً وإحدى مظاهر الاختلال والارتباك الثقافي والحضاري والضياع، إننا نلاحظ فتاة أو سيدة محجبة حجاباً كاملاً إلى جانبها أخرى قد تكون أختها أو ابنتها أو جارتها أو كنّتها سافرة سفوراً كاملاً وهما متفقتان وتذهبان إلى مكان واحد.

هذا الأمر بمقاييس الحلال والحرام من بديهيات الشرع الشريف أنه حرام، بمقاييس الكرامة من بدهيات الأخلاق أنه مخالف للكرامة، أنا لا اتحدث عن عفة هؤلاء النسوة، فهن عفيفات وحاشى النساء الفاضلات أنا أثق بأنهن عفيفات فاضلات حتى الموجودات على البحر.

ولكن هذا الأمر مخالف للشرع، ومخالف للكرامة لعلنا إذا قلنا للرجل عن ابنته أو قلنا لامرأة عن نفسها أنها سلعة تروج السلع لغضبت ولكنها في

الحقيقة سلعة لترويج الأزياء الحديثة، الصيفية والشتوية، أو أزياء البحر، أزياء الحشمة أو أزياء الستر وظيفتها الوحيدة أن تحول المرأة من إنسان إلى حيوان من إنسان إلى موضوع للشهوة الجنسية فقط.

في الشرع الإسلامي وفي الفكر الإسلامي أيضاً المسألة الجنسية، ومسألة الفتنة ومسألة الإغراء، كلها أمور معترف فيها ومبرمجة، ولكن الشرع الشريف ينظر إلى الرجل وإلى وللمرأة نظرتين نحن الآن موجودون في المجلس الكريم، وفيه رجال ونساء نقوم بنشاط ديني إيماني ثقافي نحن رجال موجودون بصفتنا الرجولية الإنسانية والنساء موجودات هنا بصفتهن الإنسانية هنا نحن في هذه الجلسة ليس النساء إناثاً وليس الرجال ذكوراً في هذه القاعة يوجد جنس بشري يوجد جنس إنساني، أما حينما تخلو المرأة إلى زوجها إلى رجلها، ويخلو الرجل إلى زوجته يكونان ذكراً وأنثى بالإضافة إلى الإنسانية الرجل الزوج يكون إنساناً ذكراً والمرأة تكون إنسانة أنثى، الاسلام يحصر خصوصية الذكورية والانوثية في الحالة الزوجية وفي حالة الخلوت بين الزوجين، أما الحضارة الغربية الحديثة فقد جعلت (الخصوصية الجنسية) مباحة للجميع، جعلت الرجال ذكوراً هائجين جنسياً في الشوارع والنساء موضوعات للمضاجعة الجنسية أيضاً في الشارع أية كرامة في هذا؟ أية حضارة في هذا؟ أية إنسانية في هذا؟.

السباحة ليست حراماً، العري ليست حراماً، الثياب الأنيقة ليست حراماً، الحرام المقارنات الأجنبية مع الأجانب إذا لم تسبح المرأة مع الرجل هل تنقص انسانيتها؟ هل تنقص ثقافتها؟.

حدثتكم سابقاً في الشرع عن بعض العطور والأحذية أو الملابس أو القمصان أو الجزادين كل قطعة من هذه السلع كم برميل نفط تستهلك من ثروة المسلمين هذا الأمر أكرره لماذا؟

إن الله سبحانه وتعالى حفظ كل شيء، حفظ جانب الإنسانية وحفظ جانب الذكورة والأنوثة لا يوجد دين فيما أعلم، لا توجد ثقافة محترمة اعتنت بقضايا الجنس وبقضايا الذكورة والأنوثة كما اعتنى بها الإسلام. الثقافة الجنسية إحدى

أساسيات الفكر الإسلامي والفقه الإسلامي ولكن الإسلام أطّرها في إطار إنساني سليم، إطار يحفظ الكرامة الإنسانية ويحفظ كرامة المجتمع، يحتفظ للمرأة بإنسانيتها.

الآن أي أخت عزيزة أي بنت من بناتنا أي أخت من أخواتنا أي عمة من عماتنا تفكر فيما بينها وبين نفسها ويفكر زوجها وأبوها أو أخوها أنه إذا أظهرت مساحة معينة من الصدر أو من الظهر أو من الذراع أو من الساقين، هل يمكن أن يتكسب احترامات أكثر أو يتكسب ثقافة أكثر.

لاحظوا حتى في رقص الباليه يكون الراقص مكسواً بالثياب من عنقه إلى كاحله، ورفيقته الراقصة مكشوفة الرأس من عنقها إلى كاحلها لماذا هي لا تلبس أيضاً؟ لأن المطلوب في كل شيء، حتى الثقافة العالية، أن يكون فيها جنس.

هذه طبيعة الحضارة الشيطانية حضارة الشيطان المريد ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾[1] لماذا تتحول هذه المرأة الكريمة الجميلة النفيسة العزيزة الإنسانية إلى قطعة لحم مغرية لكل الناس، لماذا التركيز على الوظيفة الانثوية في المرأة وإغفال أنها إنسان لماذا التركيز فقط على أنها موضوع للإثارة الجنسية.

أنا أوجه أنظار العزيزات والأعزاء معاً إلى أن هذا ليس مظهراً من مظاهر الحضارة هذا مظهر من مظاهر التخلف هذا مظهر من مظاهر الغفلة.

حضارة الشيطان تحاصر حضارة الإسلام:

كنت أريد أن أتكلم معكم في هذا اليوم عن مفهوم المواجهة ومعادلات القوة.

في كل مواجهة حضارية توجد ثلاثة مواقف في كل مواجهة بين شعبين وبين جماعتين وبين حضارتين وثقافتين.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٠.

وقلنا سابقاً إن المسلمين، إن الأمة الإسلامية والأمة العربية في حالة حصار، والإسلام أيضاً في حالة حصار ونحن بالخيار في اتخاذ موقف من ثلاثة:

أحدها: موقف المواجهة الصريحة الحاسمة بعد استنفاد جميع وسائل الحلول السلمية العادلة.

ثانيها: موقف الاستسلام والتسليم وإلقاء الأسلحة والقول بما قال به بعض الناس لنبيهم[1] ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[2] هذا موقف الاستسلام.

ثالثها: موقف الانكفاء موقف جلوس الناس في بيوتهم والقاء التبعة والقاء المسؤولية والقاء المهمة على القيادة فقط ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[3].

وأكثر المسلمين وقفوا هذا الموقف أمام انحراف الحكم الأموي واعتبروا أن المعركة هي معركة بين الحسين ويزيد أو بين الهاشميين وبني أمية، وقالوا: دعوهم يصفون حسابهم بين بعضهم، ونحن لا يعنينا الأمر.

بعد ذلك حصل موقف مواجهة لكن كان موقفاً أعمى هو موقف التوابين رضوان الله عليهم هؤلاء هم الذين قعدوا عن نصرة الحسين، وبعد أن وقعت الواقعة اجتمعوا إلى بعضهم في الكوفة، وبكوا عند (سليمان بن صرد الخزاعي) وذهبوا إلى النجف، وبكوا على قبر أمير المؤمنين علي (ع) وذهبوا إلى كربلاء وبكوا على قبر الحسين، كانوا أربعة آلاف، وذهبوا إلى الموصل إلى منطقة اسمها عين الوردة، وواجهوا هناك جيش بني أمية وأبيدوا عن آخرهم.

في وقت الثورة قعدوا في البيوت، وفي وقت السياسة والإدارة اختاروا

---

(١) المقصود داود عليه السلام.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

الاستشهاد من دون هدف إن أمرهم إلى خير، لكن عملهم لم يكن حكيماً. في كل تحدٍ لا بد أن تكون هناك مواجهة ولكن هذه المواجهة أولاً يجب أن يقوم بها المجتمع، ثانياً ويجب أن تكون القيادة بصيرة بحيث لا تسلك سبيل الانتحار مهما أمكن ذلك.

هنا قد يقال إذاً لماذا لم يجامل الامام الحسين (ع) لماذا لم يسايس لماذا لم يقبل عروض التسوية.

الحقيقة أن الإمام الحسين سلام الله عليه عرض التسوية الممكنة في صيغتين:

إحداهما: قبل بأن يعود الأمر شورى بين المسلمين.

ثانيتهما: قبل أن يترك المواجهة، وأن يخرج عن دائرة الصراع وينتظر، قبل أن يفتحوا له الطريق لأجل أن يذهب إلى اليمن أو إلى بعض بلاد الله ولكن النظام الأموي رفض الشورى وإعادة الأمر إلى الأمة، إعادة الأمر إلى الخيار الديمقراطي، كما رفض إعطاء فرصة لمراجعة المواقف، وفك حالة الحصار.

طلب منه أحد أمرين إما الخضوع المطلق والتسليم، أو الموت.

هنا يتردد هذا الشعار الذي يردده خطباء المنبر الحسيني ولا أدري إن كان صحيح النسبة إلى الحسين بألفاظه:

«الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار» الحقيقة أنا أشك في نسبة هذا الشعار إلى الحسين لأنه لا يوجد عار يرتكب وتكون بدله النار لا يوجد وحاشى أن يكون في الشرع الشريف عار.

لقد اضطر الامام الحسين إلى أن يختار المواجهة النهائية الحاسمة، لأنهم لم يتركوا له فرصة أخرى، والفرص التي كانت متاحة هم أغلقوها، النظام أغلقها رفضوا إعادة الأمر شورى بين المسلمين، بالتعبير الحديث (إعادة القضية إلى الشعب) استفتاء الشعب الرجوع إلى الخيار الديمقراطي رفضوا واعتبروا أن

يزيد يتمتع بسلطة شرعية نهائية، وأنه أمير المؤمنين، وأنه رئيس الأمة، الإسلامية.

الخيار الآخر الذي عرض هو فك الحصار عند الانسحاب حتى يؤول أمر الناس إلى الهدوء، وتبدأ مفاوضات جديدة وعرض عليهم الخروج من العراق الى اليمن، يعني الخروج من دائرة الصراع والصدام المباشر دائرة الصراع المباشر كانت في العراق وفي الحجاز الخروج من العراق والحجاز معاً والانسحاب إلى اليمن أيضاً رُفض قيل له: إما البيعة وإما الموت في هذا المستوى لم يكن هناك مجال لأي بيعة لأن الحسين سلام الله عليه إذا بايع يعني أنه أعطى شرعية نهائية ليست فقط ليزيد بن معاوية، يزيد بن معاوية يمكن أن يموت في سنة في عشر سنوات في مائة سنة بل يكون أعطى شريعة نهائية لأمرين: أحدهما ـ للأسلوب والطريقة التي تولى بها يزيد بن معاوية وهو أسلوب قهر إرادة الأمة والسيطرة عليها بوسيلتين وسيلة السيف ووسيلة الدينار.

عندما ذهب معاوية وحاول أن يأخذ البيعة ليزيد وزع أموالاً وقالوا عن لسانه في المدينة على منبر رسول الله هذا يزيد هو ولي العهد من لم يقبل فليس له إلا السيف لو بايع لتأسيس في الشريعة وفي الفقه مبدأ أن استعمال القوة في ولاية السلطان هو استعمال شرعي.

الآن نحن نقول: الذي يتسلط على غير رضاً من الأمة وغير اختيارٍ لها بالقوة أو بالاغراء أو بالخداع فسلطته ليست شرعية. هو والٍ من ولاة الجور، وحاكم من حكام الجور.

السبب الأول هو هذا. إنه لم يستطع بحكم موقعه كإمام معصوم، فعله تشريع، وكما تعلمون أن مصدر الشريعة الإسلامية شيئان الكتاب يعني القرآن الكريم والسنّة والسنة ليست مجرد الأحاديث النبوية أو الإمامية، السنّة هي ثلاثة أقسام:

أولاً: قول المعصوم يعني عندما نقول قال رسول الله، قال أمير المؤمنين، قال جعفر الصادق قال الحسين... ويكون السند صحيحاً يعني يكون ناقلوا

الخبر من أهل الصدق والوعي هذا الكلام نسميه سنّة.

ثانياً: عمل المعصوم وفعله لو أنه النبي (ص) أو الإمام المعصوم لم يتكلم بشيء، ظل ساكتاً، لكنه عمل عملاً معيناً، مثلاً لبس عبايته وكان لونها أحمر أو شرب ماء بالشليمون مثلاً نقول هذا الفعل مشروع لأن النبي عمله وهذه هي السنة الفعلية، لان فعل المعصوم سنة.

ثالثاً: إمضاء المعصوم وتقريره، فلو فرضنا ان أحد الناس عمل عملاً أمام المعصوم ورآه الامام ولم يعترض عليه وكان قادراً على الاعتراض والمنع نقول سكوت المعصوم أيضاً سنَّة.

هذه يسمونها قول المعصوم وفعل المعصوم وتقرير المعصوم.

انطلاقاً من هذا: لو أن الإمام الحسين سلام الله عليه سكت ولم يرفض خلافة يزيد بن معاوية، لغدت شرعية يزيد شرعية ثابتة لذا كان مضطراً إلى أن يقول لا، لأنهم لم يعطوه الخيار، طلب الشورى فرفضوا وطلب الاعتزال وترك الأمر إلى أن تهدأ الخواطر وتجميد الصراع فرفضوا طلبوا منه إما البيعة وإما الموت، وإلا أنا ممن يقول وكتبت أن ثورة الإمام الحسين كانت ثورة استشهادية وأنه صمم على الاستشهاد، أنا أرى ذلك، وأن الإمام الحسين لم يكن عنده أي مشروع سياسي على الاطلاق، مشروعه الوحيد كان الموت.

لكن متى حصل هذا؟ لقد حصل هذا حين اكتشف من أول الأمر ان جميع الابواب قد سدت أمامه لقد رفضوا الشورى ورفضوا تجميد الصراع، حينئذٍ لم يبق إلا طريق واحد لتخليص الأمة الإسلامية من مبدأ شرعية السلطان بالقوة، شرعية السلطان بالإرهاب.

هذا هو الأمر الأول الأمر الثاني: أن المرجعية الدينية في الفقه والفكر لا تكون لكل متسلط، بل هو الإمام المعصوم، فليس كل من تأمر يكون مصدراً للشريعة لقد بلغت به السخرية في الموقف في ذلك الحين أن قال شاعر في تلك الحقبة:

ولـــو جـــاؤوا بـــرملـــة أو بهنـــدٍ   لبـــايعنـــا أميـــرة المـــؤمنينـــا

إذا مـا مـات كسـرى قـام كسـرى نعـــد ثـــلاثـــة متعـــاقبينـــا

كسرى لا يكون مصدراً للشريعة. إذاً خيار المواجهة للتحدي المخالف للشريعة والمخالف لخط الإسلام الأصيل، كان هو الخيار الذي لا مجال لغيره اطلاقاً.

يواجه المسلمون والعرب الآن تحدياً يمكن يكون تحدياً صغيراً من نوع الفليبر الذي حكينا عنه، من نوع السابحات والسابحين على شاطىء البحر كبير.

ومن نوع كبير وخطير، من قبيل اسرائيل على الجنوب أو على غير الجنوب.

من نوع قذيفة مدفعية يقذفها هذا الطاغية الصربي على المسلمين في البوسنة والهرسك.

من نوع بعض المتعصبين الهندوس الذين يعتدون على المسلمين في كشمير.

من نوع الاحتلال الاسرائيلي للجنوب.

من نوع الاحتلال الصهيوني لكل فلسطين والأراضي العربية الأخرى.

كل هذه صور من التحدي والاعتداء وهنا الآن تحد على مستوى عالمي هو ما يسمى النظام الدولي الجديد الذي تتزعمه وتقوده الولايات المتحدة الامريكية وتريد من كل العالم ان يقف بالصف يتكتف ويقول، أنا تحت الأمر بزعامة الولايات المتحدة الأميركية.

يمكن ان يكون الموقف هو الاستسلام، وتعلو أصوات الآن في كل العالم تقول: إننا لا نستطيع أن نواجه النظام العالمي الجديد، فلا بد أن نخضع له وأن نستسلم له، توجد طروحات أخرى وهي أن على أصحاب المشاكل ان يحلو مشاكلهم، فهي لا تعنينا أنتم يا عرب حلوا مشاكلكم مع الإسرائيليين بوصاية الأميركان أنتم يا بوسنة وهرسك يا مسلمين في يوغسلافية حلوا مشاكلكم نحن لا يعنينا أنتم يا مسلمين في الهند حلوا مشاكلكم نحن لا يعنينا.

تجزأ المشكلة وكل واحد يقول (اذهب أنت وربك فقاتل) أو اذهب يا حسين نحن نقعد في بيوتنا مثل ما عمل جماعة التوابين رحمة الله عليهم.

هذا الأمر لا يجوز لا بد من مواجهة التحدي ولكن بعقلانية وببصيرة لا يجوز أن يستسلم المسلمون والعرب لهذا الطغيان الآن يقال يجب أن تمتثلوا لما يفرضه النظام الدولي الجديد في مؤتمر سلام في الشرق الأوسط وما أشبه ذلك مفاوضات ثنائية وشروط لاسرائيل ومشاركة في المياه وفي الأراضي، وفي البيئة وفي التجارة، هذا الأمر لا يمكن التسليم به.

ونقول بصراحة إن النظام الدولي الجديد ليس إلهاً، وليس قادراً على كل شيء، ولا يمكن أن يحول العالم إلى مجموعة عبيد يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه لا بد من المواجهة ولا يجوز، الاستسلام، نعم المواجهة لا تكون مواجهة عمياء، تكون مواجهة بصيرة ومحسوبة، ولا نلقي بأنفسنا إلى التهلكة أيضاً بالاستسلام الكامل.

هذا النموذج الحسيني قال: (لا، مثلي لا يبايع مثله) (إلا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة) الخياران الآخرين خيار تجميد الصراع وخيار إعادة الأمر شورى.

نحن الآن في نفس الموقع يجب ان تحشد الأمة كل قواها لئلا تستسلم للنظام الدولي الجديد.

ان هذا النظام لم يصبح إلهاً، أميركا ليست إلهاً. الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾[1] الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2] الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾[3] مبدأ الدفع هو مبدأ من المبادىء

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.
(٣) سورة الحج، الآية: ٢٢.

الأساسية في الخط القرآني وفي التاريخ البشري مبدأ الدفع هو مبدأ أساس ويجب على الأمة وعلى قيادات الأمة أن تعيه.

في وقت ما كانت روما كانت سيدة العالم وذهبت، في وقت ما نحن كنا سادة العالم وأخطأنا وذهبنا، في وقت ما في العصور الحديثة الهتلرية احتلت ثلث أرباع العالم وسحقت.

الله سبحانه وتعالى يقول واجهوا، لا تخعضوا للظلم ولا تذلوا، واعتمدوا على العقل وعلى القوة الذاتية.

لو أرادنا أن نحسب ويوجد من حسب لكن الفضيحة فضيحة لو عرفت أرقام مئات مليارات يعني ملايين دولارات التي صرفت على السلاح المتطور الحديث في دول العالم العربي لأجل ربح معركة ضد الصهاينة، لكانت فضيحة كبيرة لم نربح أي معركة على الإطلاق ليس لأننا ضعفاء وليس لأننا قليلون وإنما لأننا لم نحسن إدارة أمورنا، لأننا لم نواجه أصل النظام الذي غرس اسرائيل، وكانت النتيجة هكذا كانت النتيجة ما نحن فيه.

الجزائر وفلسطين:

هناك مسألتان اريد إثارتهما وطرحهما من على هذا المنبر الشريف، انطلاقاً من رؤية المواجهة وعدم الاستسلام، ورؤية موقف الإمام الحسين سلام الله عليه.

الآن يوجد أمران أمر في الجزائر، وأمر في الضفة الغربية وقطاع غزة.

أما في الجزائر فنحن نعرف مصيبة المسلمين الموجودة هناك نتيجة للتفاوت في النظر السياسي، وللمواجهة بين قوى سياسية داخل الشعب الجزائري والجبهة الإسلامية للإنقاذ، في مقابل قوى أخرى إسلامية وقومية ووطنية والأمر يتعاظم والحل الوحيد هو الحل الذي كان بعض أهل الحكمة والغيرة وبُعد النظر يعملون لأجل بلوغه، وهو تكوين ائتلاف عام من كل القوى لأجل إعادة الوحدة إلى الشعب الجزائري والانطلاق جديد في مسيرة البناء.

ولكن هذا المسعى فشل بكل أسف، فشل وتكلّل فشله باغتيال الرئيس بوضياف.

الآن نحن وكل المسلمين المخلصين في العالم وفي العالم العربي بوجه خاص، نعلن خوفنا وقلقنا ونشارك في مسؤوليتنا عن مصير الشعب الجزائري، ونناشد من على منبر الحسين القوى الخيّرة في كل الشعب الجزائري في الإطار الإسلامي والوطني والقومي أن تعود إلى فكرة الائتلاف وإلى تكوين الجبهة الوطنية التي تجمع كل القوى على قواسم مشتركة لإنقاذ الجزائر من حالة التخبط التي تتخبط فيها أو مما هو أسوأ ونأمل أن يكون هذا النداء ويعرفه أهله، وهم من نثق بهم ونعتمد عليهم، ونشاركهم في أفكارهم نأمل أن يكون هذا النداء هو موضع عناية وموضع تبصر عميق، وأكثر من يتحمل المسؤولية، هم الأكثر وعياً والأكثر إدراكاً للمسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى. ولنا برسول الله سلام الله عليه أسوة حسنة.

الأمر الثاني: هو الفضيحة المأساة، هو الكربلاء الجديدة التي تجري منذ أسبوع في الضفة الغربية وفي قطاع غزة بعد انتصار حزب العمل الصهيوني واسحاق رابين وهو الصراع الدموي الذي انفتح بين حركة حماس وبين قوى منظمة التحرير، والذي يشكل بالنسبة إلينا وإلى سائر العرب، وإلى سائر المسلمين، وإلى سائر حاملي هم المواجهة، يحمل بالنسبة إلينا عامل الفضيحة وعامل المأساة.

نحن في غرفنا وراء أبوابنا المقفلة نقول لإخواننا الفلسطينيين إننا نشعر بالخجل حينما نسمع عن عدد الضحايا وعن عدد الجرحى نتيجة للمصادمات وللصراعات التي حدثت بين هذين التيارين: التيار الإسلامي والتيار الوطني القومي داخل الشعب الفلسطيني ولا يمكن أن يوجد حل بيد أحدهما فقط، لا بد من البحث عن خيار وفاقي، لا يمكن لمنظمة التحرير أو لمن يمثلها أن تذهب إلى المفاوضات الثنائية وهي على خلاف مع حركة حماس ولا يمكن لحركة حماس أن تحمل مشروع إسلامياً تحريرياً وهي على خلاف مع القوى الوطنية والقومية داخل الشعب الفلسطيني، لا بد من بناء الائتلاف وبناء الجبهة

الوطنية الموحدة لمواجهة هذا السرطان المرير الذي هو الصهيونية واسرائيل.

ويصدق قول الله سبحانه وتعالى في اليهود الله في القرآن الكريم قال الله عن اليهود ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾[1] الآن هؤلاء اليهود بأسهم بينهم ليس شديداً تحسبهم جميعاً وهم جميع، لأنهم أصبحوا يعقلون مفتاح الآية ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ هذه حقيقة إلهية المسلمون الآن هكذا. هذه الآية الآن في المسلمين ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ هذا كما قال الشاعر:

إذا دام هذا النوح لم تبق أدمعٌ

انفتح مجال التناحر الداخلي، وتحت حراب وجزمات الجيش الإسرائيلي الذي ينظر إلى المواجهات ويحميها. نحن نناشدكم الله والرحم ونقول ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2] والسلام عليك يا أبا عبدالله والسلام عليكم جميعاً ورحمته.

---

(١) سورة الحشر، الآية ١٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

غربة الإمام في قومه

٩ محرم ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

الآن كدنا أن نصل إلى نهاية الشوط. هذا اليوم هو التاسع منه وهذه هي الليلة العاشرة وغداً يوم عاشوراء عند الظهر أو بعد الظهر من يوم غدٍ تعارف الناس على أن يسموه «يوم الفلة».

الآن نحن في الساعات الأخيرة من كربلاء في هذه الساعات الأخيرة التي أرى فيها الآن بعين الخيال والتصور هؤلاء الرجال والنساء يستعدون لساعتهم الأخيرة ساعة القتل وساعة السبي.

وتخطر في بالي قضية الغربة وأثرت أن أترك هذا الموضوع إلى الآن، هؤلاء الغرباء لا أتصور أن غربة أقسى وأوجع للقلب من غربة الناس في أوطانهم وغربة الناس بين أهلهم. كما نفهم نحن، الغريب هو الذي يكون في غير وطنه وبين غير أهله نقول عن المسافر إلى البلاد الأجنبية إنه غريب ويقول عن نفسه أنه غريب حينما يكون في أرض غير أرضه وبين قومه وغير قومه أما أن يكون الإنسان في وطنه وبين أهله غريباً فهذه أقسى وأوجع حالة الغربة في بيته على أرضه ويشعر أن الأرض ترفضه ويشعر بأن من حوله يرفضونه وينبذونه.

الحسين سلام الله عليه وكل من معه من رجالٍ ونساء كانوا على أرضهم، أرض العراق أو أرض الحجاز، هي أرض الإسلام وهي أرضهم وكانوا بين قومهم معسكر عمر بن سعد كان معسكر أهلهم، كانت لهم فيه أرحام أبناء

عمومة وأبناء خؤولة ويتكلم الحسين ويتكلم آل الحسين وأصحاب الحسين فلا يُسمع كلامهم ولا يفهم يطلبون الحق والإنصاف فلا يُعطون حقاً ولا انصافاً، دائماً تغيرات الأمم تقترن بالغربة حدثتكم عن اقترانها بالهجرة أيضاً تقترن بالغربة وغالباً تكون الغربة بين الأهل الغربة الكافرة القاسية الرسول الأكبر صلوات الله وسلام الله عليه في مكة بين عشيرته وقومه عاش ذلك. قبل الرسول، الرسل السابقون سلام الله عليهم وسلم بين أقوامهم وبين أهلهم كانوا غرباء في القرآن الكريم نقرأ عن قوم نوح وقوم لوط وقوم موسى وقوم شعيب وقوم يوسف وقوم عيسى.

الغربة كيف تنشأ؟ تنشأ حينما يتكلم الناس لغتين ويعيشون في عالمين لا توجد روابط ولا صلات ولا علاقات بين الغريب وبين الناس. حينئذٍ الإنسان يشعر بالغربة هذه غربة المصلحين الذين يكلمون الناس ويكفر بهم الناس. كم كذب الأنبياء من أقوامهم وعانى الأنبياء سلام الله عليهم ألم الغربة في أقوامهم بين أهلهم يحدثنا الله عن امرأة لوط وعن امرأة نوح زوجتان غريبتان عن زوجيهما وزوجان غريبان عن زوجتيهما يحدثنا سبحانه وتعالى عن ابن نوح إنه ليس من أهله أب غريب عن ابنه وابن غريب عن أبيه يحدثنا عن أقوامهم، أن يعيش الإنسان في غربة حقيقية أمر مألوف أما أن يعيش في غربة بين أهله وفي وطنه فذلك هو الوجع الكبير وقد عاش الحسين وآله وصحبه ونساءهم وأطفالهم هذه الغربة كأقسى ما تكون.

الغربة يمكن أن تترجم في عدم التفاهم عدم القبول عدم الانتباه أما أن تترجم الغربة فتصل إلى حد حصار الماء الذي يصل إلى حد أن الماء تشرب منه الكلاب ويموت الأبرار عطشاً ويتضور الأطفال عطشاً أن تصل الغربة إلى حد أن رجلاً في حجم الحسين يطلب شربة من الماء لطفله ويقول لهم: إذا خفتم أن نأخذ هذا الماء ونشربه نحن فخذوا أنتم هذا الطفل واسقوه أنتم، فقد تمزق قلب أمه قل لهم لا تعطون الماء لنا إذا خشيتم أن نستغل الطفولة لأجل أن نشرب هذا الطفل أنتم خذوه واسقوه شربة ماء وردوه إلينا.

يكون الجواب سهم حرملة أن يذبح هذا الطفل وهو على يدي أبيه. أي

غربة أقسى من هذه الغربة الحسين الغريب في هذه الساعات الأخيرة من حياته الصعبة والمرّة. الهاشميون الغرباء أصحابهم الغرباء ينظرون بأعينهم إلى وجوه أهلهم في جيش عمر بن سعد بني عمومتهم وبني خؤولتهم ينظر بعينيه الحسين وآله إلى الشيعة الموجودين في جيش عمر بن سعد شيعته. لكن الشيعة كما أخبرتكم بصيرتهم السياسية مختلة، ومن تختل بصيرته السياسية يعمل بنفسه ما لا يعمله عدوه به.

وخاطبهم الحسين في خطبة هذا اليوم التاسع وفي خطبة اليوم العاشر قال لهم ما معناه: أنتم تنتحرون أنتم تقتلون أنفسكم أنتم تدمرون أنفسكم ينظرون في أعينهم ويشعرون أنها أعين غريبة وألسنة غريبة.

في هذه الساعات الأخيرة وهم يستعدون لساعاتهم الأخيرة، ساعة الشهادة لكل قادر على القتال أو لكل قادرة على القتال وساعة السبي لكل من سيقتل من امرأة والطفل في هذه الساعات الأخيرة نلمس شيئاً مخيف هائل إنسان في هذا الحصار العظيم في هذه الغربة الموجعة والمرّة في هذا العطش العظيم هل نتوقع منه رحمة وشفقة، في هذه الساعات الحسين سلام الله عليه يبكي عليهم، يبكي على أعدائه الذين سيقتلونه ويحزن لأجلهم ويقول لهم هذا بلسانه في أقسى ساعات الغربة لا نجد في كل خطب الحسين وفي كل خطابات الحسين، بالخصوص الحسين، أي كلمة حقد أي كلمة بغضاء أي كلمة غضب.

زينب سلام الله عليها دعت عليهم وغضبت أما هو كان قطعة من الرحمة كان قطعة من البركة وهو يستعد للذبح. غربة بهذه القسوة وغربة بهذا الوجع تقابلها هذه الرحمة وهذه الشفقة على هؤلاء الذين سيخسرون مصيرهم وحياتهم في الدنيا على أيدي الطغاة الذين يرسلونهم وفي الآخرة على حساب الله الذي سيحاسبهم وسيعاقبهم.

هذه الأمثولة أمثولة الغربة التي تتجسد في موقف الإمام الحسين سلام الله عليه في هذا اليوم تجعلنا نعي أن حياتنا كمجتمع وكجماعة يجب أن تنتفع ونستفيد من هذا الدرس ماذا قدم النظام الأموي لهؤلاء المغروبين الذين جندهم ضد أنفسهم.

قدم لهم وعوداً زائفة ومنافع عاجلة وخوّفهم كما قال الله سبحانه وتعالى عن الشيطان ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾[1].

ومن هنا في الحياة العامة على كل رجل وامرأة رشيدين واعيين أن يفتح عينيه جيداً على بازار السياسة والوعود، قبل أن تصدقوا أحداً ممن يعرض عليكم نفسه من تجار السياسة افحصوا كلامه ألف مرة ليست مئة مائة وقارنوا حاضره بماضيه وتاريخه بحاضره عملية الخداع والغش والنفاق في الحياة السياسية هي أولى ما يتقنه السياسيون والمشتغلون بالسياسة.

أنقل لكم قصة: يوجد شخص بعضكم يعرفه وأكثركم لا يعرفه هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين يعني جده الأعلى هو الحسين بن علي بن أبي طالب وجده الأدنى هو زين العابدين الإمام السجاد الإمام الرابع من الأئمة المعصومين سلام الله عليهم. أبوه هو زيد بن علي بن الحسين وهو من العظماء من المجاهدين العظماء وإليه ينتمي مذهب الشيعة الزيدية. هذا ابنه يحيى أيضاً كان رجلاً عالماً جريئاً مجاهداً، أراد أن يثور ويخرج بالثورة على السلطان في ذلك الزمان. قام باتصالات سياسية لأجل أن يحقق الأنصار وأعوانهم مؤيدين ومساعدين فجاء إلى أحد الأشخاص من أصحاب الأئمة الواعيين دعاه إلى نفسه قال له: أدعوك إلى نفسي أنا عازم على الخروج، يعني على الثورة، وأدعوك إلى أن تكون معي أجابه ذلك الرجل وقال له: إذا دعاني أبوك إذا دعاني عمك، أنا حاضر أم أنت فأنا أريد أن أفكر.

عمه من؟ عمه الإمام سلام الله عليه الإمام الباقر الإمام محمد الباقر. قال أنا يحيى بن زيد تشك بي كان جدي ينتقي لي اللقمة الدسمة ويطعمني إياها.

قال له: نعم ولكن أنا لا بد أن أستشير ألح عليه، والشاهد هنا.

قال له: يا سيدي لو كانت عندي نفسان أو روحين أعطيتك واحدة واحتفظت بالأخرى. ولكن هي نفس واحدة أضن بها على نفسي روحي أريد أن

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٠.

أنقذها، أريد أن أدخل الجنة إنما هي نفس واحدة هذه النفس الواحدة أنا أريد أن أخلص لها النجاة.

يا أعزائي أخطر الحالات حينما المجتمع يصبح غريباً الآن ما نخشاه هو غربة المجتمع. المجتمع يصبح سلعة تجارية في البازار السياسي، أنا أقول لكم بصراحة، كل واحد منكم، أقول له نساءً ورجالاً، عنده نفس واحدة وضمير واحد وجسم واحد قبل أن تقولوا نعم افحصوا ألف مرة مش مائة مرة ألف مرة. النعم الواحدة قد تذل أعناقكم سنوات وسنوات.

هؤلاء المساكين الذين كانوا في مثل هذا اليوم في مثل هذه الساعات واقفين مدججين بالسلاح أمام الحسين هؤلاء تورطوا بكلمة نعم قالوا لعبيدالله بن زياد ولعمر بن سعد قالوا نعم إنهم لم تكلفهم دنياهم فقط كلفتهم دنياهم وآخرتهم، من أجل ماذا؟، من أجل أن يزيد بن معاوية يظل خليفة من أجل أن عبيدالله بن زياد أن يظل حاكم العراق من أجل أن عمر بن سعد أن يصير والياً على منطقة ظهران هذه منطقة الري يعني طهران الحالية.

يقول عمر بن سعد:

فوالله ما أبغي وإني لحائرٌ	أقلب في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي	أم أرجع مذموماً بقتل الحسين

أي الري في كفة والحسين في كفة أخرى ففي ميزان عمر بن سعد الري أثقل. فقتل الحسين.

لكن بالنهاية باء بلعنة الله ولعنة التاريخ.

ورد في الأثر الشريف، «أسعد الناس من أحرز دنياه وآخرته» هذه الحياة الرضية أن يكون الإنسان في دنياه يرتب الأمور وأن يكون مطيعاً لله وعلى خط الشرع.

السعيد من أحرز دينه والشقي من باع دينه بدنياه، وأشقى الناس من باع دينه ودنياه بدنيا غيره.

أهل كربلاء هكذا هم أناس توازنت عندهم الأمور بين دنيا بلا دين وبين دينٍ ثمنه الدنيا فآثروا دينهم وثبتوا مع نفسهم.

وهؤلاء الذين نحتذي بهم وندخل الآن في مدرستهم نحن الآن في مدرسة كربلاء.

الطرف الآخر وازنوا بين دينهم ودنياهم باعوا دينهم من أجل الدنيا وخسروا الدنيا والآخرة، الذي أفلح في الدنيا فقط يزيد أنه ظل خليفة، عبيدالله بن زياد ظل أمير ورئيس.

كلمة نعم في الحياة السياسية هي كلمة مخيفة. في الحياة السياسية والحياة العامة. الناس يتعرضون للخداع ويتعرضون للكذب. لذلك عنصر الغربة يجب أن يحسب حسابه بالنسبة إلى كل دعوة من الدعوات يجب أن تخضع لميزان النقد والفحص وإلا يكون الندم.

يوجد استثناء واحد في كل عملية كربلاء مراجعة وحيدة أيضاً تعتبر مدرسة. هي مراجعة الحر بن يزيد الرياحي غدا في صبيحة العاشر من المحرم حينما رأى أنه كل ما سمعه كان كذب وأن حقيقة الحال هي حقيقة الإبادة تردد قليلاً ثم ضرب فرسه وجاء إلى الحسين سلام الله عليه. وهذا من الأمراء وقال له الكلام الذي سمعتموه وتسمعونه هذه المراجعة الوحيدة، وأما البقية استمر الحسين معهم غريباً. واستشهد وهو غريب على أرضه وبين قومه لأنهم هؤلاء القوم قطعوا صلتهم مع الله وقطعوا صلتهم مع التاريخ وقطعوا صلتهم مع الإسلام وقطعوا صلتهم مع الشرع وقطعوا صلتهم مع أنفسهم ومع مصالحهم وسلموا رقابهم للطغيان ولحكم الطغيان. كانت النتيجة أن يقتل الحسين غريباً.

غداً كما قلت لكم أنتم تسمون غداً «يوم الفلة» يعني يتفرق الناس عن العزاء. الحسينيون الحقيقيون هم الذين لا يفلون هم الذين يبقون مستمرين بمدرسة الحسين وبمدرسة كربلاء.

التخرج من مدرسة عاشوراء لا يعني ترك المدرسة، يعني تطبيق الحياة

وتطبيق الأخلاق وتطبيق القيم على منهج وعلى طريقة هذه المدرسة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يصلون هذا الغريب وممن يرفعوا غربة الحسين وغربة زينب وغربة أهل البيت وغربة أصحابهم بصلتنا بهم واتباعنا لهم.

سلام الله عليك يا ثأر الله الذي يطلب الأنصار دائماً والأنصار على دين وعلى تقوى الله أسأل الله أن يعيد هذه الذكرى عليكم جميعاً وأنتم سالمون وأنتم مأجورون وقد أثابكم الله سبحانه وتعالى وأسألكم الدعاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وحدتنا شرط نصرنا

١٠ محرم ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢

للثورة الحسينية قراءات كثيرة ككل انجازٍ بشريٍ ينطلق من الثوابت الكبرى والأصلية في شخصية الإنسان والمجتمع الإنساني. منها قراءة أشعر بأننا بحاجة إليها الآن في لبنان والعالم العربي والإسلامي ولذلك اعتمدتها من وراء حديثي عن هذه الثورة في هذا العام.

لقد كانت الثورة التي انتهت بالمأساة نتيجة مواجهة البطولة في أعلى بتعابيرها الأخلاقية، للحسبة في أقوى تعابيرها التكرارية، كانت هذه الثورة تعبيراً عن اختلال المسيرة السياسية عند قيادات المجتمع السياسي. جعل هذه القيادات تتخلى عن واجباتها اتجاه المجتمع وتخون أمانتها عليه وتستسلم لإغراء السلطة أو ارهابها.

إن موقف الإمام الحسين الذي انتهى ولم ينتهي باستشهاده كان جواباً على سؤالٍ واستجابة للتحدي.

السؤال عن موقف المسؤول الأول عن موقف القيادة العليا المهجورة من شعبها أو التي ضل عنها شعبها هل تتصرف وفقاً لرغبة هذا الشعب واستسلامه وخداع قياداته له أو تتصرف وفقاً لرؤيتها التاريخية المستقبلية ووفقاً لالتزامها المناقبي والأخلاقي؟

هل تتصرف بقضية الأمة بما هي انتداب تاريخي في الزمان يستقبل الأجيال الآتية كأن هذه الأمة سلعة خاضعة للمساومة ولمنطق السوق السياسي

أو تتصرف في هذه القضية باعتبارها أمانة إن خانها جيلٌ أو قيادة أو مجموعة من القيادات أو تخلى عنها أن تُحفظ للأجيال الآتية؟

هذا هو السؤال، والتحدي هو منطق الأمر الواقعي والقاسي الذي يضع الإنسان المسؤول أمام خيار السلامة والخيانة أو الصدق والأمانة مع الشدائد.

ماذا حدث؟ حدث أن مبدأ الشورى الذي قامت على أساسه الخلافة الراشدة قد انتهك بفرض حكماً يقوم على سلطان المال وعلى سلطان السيف وأن إرادة الأمة انتهكت وصودرت بعد أن عجز السلطان عن تجييرها وأن مؤسسة العلاقة التي تجمع المقدس والزماني في الإسلام قد تحولت إلى مؤسسة قيصرية وكسروية لا تؤمن على شيء من دين الأمة ودنياه. وقد حدث أن قيادات المجتمع الأهلي في معظمها قد استسلمت أو اعتزلت وقد حدث أن التخدير الديني والتضليل الديني قد استعمل من قبل السلطة بشكل واسع وأوجد حالة البلبلة التي أعمت الناس عن رؤية مصالحهم الحقيقية وعن رؤية ما يراد بهم وقد طلبت السلطة من الحسين أن يعترف بشرعيتها من خلال البيعة بكل ما تعنيه البيعة من اعتراف وتوثيق وتسديد. وقد سنحت أمام قيادات المجتمع الأهلي الكبرى فرصة لن تعوَّض أن تتخذ مع الحسين موقفاً ينقذ الخلافة الراشدة وينقذ الأمة وقضيتها من المأزق التاريخي الوجودي الذي كان يتكون أمامها لو أن هذه القيادات لم تستسلم ولم تعتزل ولم تتخلى عن الأمانة ولكن مع الأسف هذا هو الذي حدث وبقي الحسين وحيداً أمام السؤال وأمام التحدي.

وقد حاولت بعض تلك القيادات أن تستدرجه نحو موقف الاستسلام أو موقف الاعتزال وحاول من جديد أن يفتح أعينها على واجبها ولكنها لم تنجح معه ولم ينجح معها وبقي وحيداً أمام السؤال وأمام التحدي.

فقد حاول كما تحدثنا وقائع التاريخ أن يتجنب كأس الموت وأن يجنب مجتمعه زلزال الأزمة فدعى السلطة وقيادات المجتمع إلى إعادة الأمر شورى وإلى الاحتكام إلى الأمة ولكن دعوته رفضت.

أمام هذا الرفض وهذا الخذلان قدم عرضاً ثانياً وهو تجميد الصراع

واعفاؤه من البيعة إلى أن تهدأ النفوس ولكن عرضه رفض من السلطة التي ركزت على الاستسلام والتسليم أو القتل وقد استبان له ذلك على نحو لا مجال فيه لأي التباس وقد أجاب على السؤال وعلى التحدي بالتزام الكامل لقضية الأمة وأداء الأمانة ليبقى مبدأ ولاية الأمة على نفسها وحقها في الشورى سليماً من أي تزوير أو تهويل ينتزع منها هذا الحق. وكانت نتيجة لكل ذلك كربلاء هذا ما حدث. هذه القراءة لعاشوراء هي ما نحتاجه الآن.

إننا عرباً ومسلمين نواجه النظام الدولي الجديد الذي تريد القوى العظمة فيه أن تصوغ العالم كله وفقاً لفهمها ورؤيتها ومصالحها تحت ستار دعوة عدالة وتوازن في العلاقات الدولية وحقوق الإنسان لم ننل منها جميعاً غير السراب. فلا تزال جراحنا عرباً ومسلمين تنزف في فلسطين وفي بقاع أخرى من عالم المستضعفين ولا تزال جراح المستضعفين تنزف في كل مكان من العالم ويريدوننا أن نرى في هذا النظام الدولي الجديد قوة لا تقهر وقدراً محتوماً لا يرد. ويريدوننا أن نسلم لهذا النظام بكل شيء وأن نستسلم له في كل شيء من خاصة أمرنا وعامتنا. وأن نوكل إلى القيمين عليه مصائرنا فكيف نجيب على السؤال وكيف نرد على التحدي.

إن هذه القراءة لعاشوراء تعلمنا أن لا نرد على التحدي بغباء وأن لا نستسلم له بضعف بل أن نجابهه ونواجهه فلا نمكّنه من نفوسنا وأن نعيد تكوين ذاتنا ومجتمعاتنا ونستدرك أسباب ضعفنا مدركين أن التاريخ يصنعه البشر بإرادتهم وأن الله يمكن لأهل الحق إذا أرادوا أن يمكنوا لأنفسهم ووفروا الشروط الموضوعية لانتصارهم وأن الله يداول الأيام بين الناس وأن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[1] ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.
(٢) سورة الحج، الآيتان: ٤٠، ٤١.

وإننا نواجهه كمسلمين متغيرات كبرى في عالمنا الإسلامي تهدد بأثارها وجودنا تبدأ في فلسطين ولا تنتهي بالجمهوريات الإسلامية الجديدة في آسيا الوسطى وما يراد بها أو في البوسنة والهرسك أو في ليبيا التي لن ننسى جرحنا الفاغر فيها بإخفاء الإمام السيد موسى الصدر وقضيتنا المفتوحة بسبب ذلك ولكن هذا لن يجعلنا نسكت على ما يراد بها من قبل هذا النظام الدولي الجديد من إذلال شعبها وتحطيم قوتها ومصادرة ثروتها تحت ستار عدالة لا ترى إرهاب النظام الصهيوني في لبنان بالجنوب والبقاع الغربي وضد الشعب الفلسطيني. عدالة عوراء أو عمياء يريدوا مدعوها أن يرتكبوا الجريمة تحت ذريعة الشبهة ويسكتوا عن الجريمة الظاهرة بذريعة الدعوة إلى التوازن بين الضحية والجلاد. أو في اعتبار قوى النظام الدولي الجديد الإسلام خطراً على الحضارة تجري مواجهته بعد انهيار النظام الشيوعي في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي.

نواجهه كمسلمين واقعاً صوره لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في حديث مشهور حذرنا فيه من يومٍ تجتمع فيه الأمم علينا كما تجتمع الأكلة إلى قصعتها[1].

إننا نواجه هذه التغيرات وتحيق بنا هذه الأخطار.

والمؤامرة التي بلغت باتساعها حتى الإعلان عن نفسها ويراد منا أن نستسلم لما يراد بنا من تبعية واحتواء وتسليم ونحن في وضعٍ يفتقر إلى قدرٍ كبيرٍ من الوعي والتماسك والصمود وإرادة الانتصار.

وإننا نواجه قضيتنا في فلسطين وفي أراضينا المحتلة في إطار ما يسمى مؤتمر سلام الشرق الأوسط الذي فرضته معادلة للقوى في غير صالحنا، ويراد منا أن نستسلم لواقع الظالم يفتقر إلى أبسط عناصر العدالة، ويراد منا أن نعطي شرعية بهذا الواقع الذي يسلب حق المسلمين والعرب في أرضهم وثرواتهم ومستقبل الأجيال. إننا نواجه هذا الواقع ونحن نفتقر إلى الحد الأعلى من

---

(١) الحديث: «الأمم أنْ تداعى عليكم كما تداعى الأكَلَة إلى قصعتها» أخرجه أبو داود في الملاحم باب ١٥، وأحمد في المسند ٥/٢٧٨.

التماسك والتضامن بين دولنا، ونواجه هذا الواقع، ونحن نفتقر إلى الحد المقبول من التماسك والتضامن بين القوى الحية في أمتنا.

إننا نواجه هذا الواقع على أرضية تعمل فيها الأنظمة منفردة عن بعضها كل نظام منها يحاول أن يحل ما يعتبره مشكلته الخاصة، والحقيقة أنه لا توجد مشكلات خاصة ومنفصلة وإنما هي مشكلة واحدة للأمة كلها ومأزق واحد يحاصر الأمة كلها في واقعها ومستقبلها وإمكاناتها.

ونواجه هذا الواقع على أرضية يتقابل فيها التيار الإسلامي والتيار القومي والوطني وكأن الإسلاميين ليسوا عرباً وليسوا وطنيين وكأن القوميين والوطنيين ليسوا مسلمين، وقد وصلت حدة هذا الصراع في أحيان كثيرة إلى التناحر والتقاتل وآخر مصائبنا وقد لا تكون الأخيرة ما نشاهده ونسمع به في الجزائر وفي داخل فلسطين المحتلة حيث يتحول بأسنا عن عدونا إلى أن يكون شريكاً بيننا وحيث تتحول طاقاتنا عن حشدها من أجل انقاذ أمتنا إلى أن نهدرها بالصراع فيما بيننا.

إننا من فحوى القراءة لعاشوراء نطلب من قادة ودول الأمة الإسلامية والعربية وقيادات المجتمعات الأهلية، أن لا يروا في هذا النظام الدولي الجديد قوة لا تقهر ولا تتغير. فإن الله يداول الأيام بين الناس ويمكّن للذين آمنوا وتمسكوا بحقهم ولم يهنوا ونطلب منهم أن يواجهوا هذا النظام بحكمة لا تبلغ حد الاستسلام، وقوة لا تبلغه حتى التهور وأن يكونوا أوفياء لأماناتهم على حق الأمة ومصيرها فلا يفرطوا فيه وأن لا يكون فيهم من المستسلمون. ومعتدلون وأن يحققوا فيما بينهم أعلى درجة من التضامن وتنسيق المواقف والقوى من منطلق أنه لا توجد مشكلات منفصلة بل هي مشكلة واحدة للأمة كلها وخطر واحد يحيق بها كلها.

ومن فحوى هذه القراءة لعاشوراء نطلب من القوى الفلسطينية الحية الإسلامية والقومية والوطنية المتناحرة أن ترحم نفسها وشعبها وأمتها ونناشدها الله والرحم أن تكف عن المواجهة والتقاتل تحت سمع الصهاينة وبصرهم وكأنها وحاشاها تقدم هدية لهم على تجاوز مأزقهم الداخلي والتوحد فيما بينهم لمتابعة

الهجوم والعدوان على شعبنا الفلسطيني وأمتنا العربية والإسلامية.

ونقول للمتوهمين منهم بوهم السراب وهم استعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه عن طريق حكومة رابين نقول لهم لا تفرطوا بالأمل المضيء المتجسم بالانتفاضة المجيدة ولا تكبحوا انطلاقتها وعنفوانها وإرادة الأمة المتجسدة فيها. ونقول للجميع لا تقدموا لإسرائيل جائزة بهذا الاقتتال الذي يفشلنا ويذهب بريحنا وهدر قوتنا وهيبتنا ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1] وعسى أن يكون اجتماع تونس المرتقب إطاراً لرأب هذا الصدع الأليم.

ومن فحوى هذه القراءة بعاشوراء نطلب من القوى الجزائرية الحية الاسلامية والقومية والوطنية أن تتوقف عن المواجهة والتحدي وأن تستجيب لدعوة الله وأمره في تجنب الفتنة التي هي أشد من القتل وأن تجنب الجزائر العظيمة المجيدة والعزيزة أخطار الانقسام وأن تعيد لها دورها الرائد في العالم العربي والإسلامي ووهجها في العالم. وذلك لتكوين ائتلاف من القوى كلها يعيد للجزائر وحدتها وقوتها ودورها.

ونقول للجميع عرباً ومسلمين فلسطينين وجزائريين بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2] ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾[3].

ومن هذه القراءة لعاشوراء فإننا في لبنان نواجه مهمة مزدوجة تتعلق بوجودنا وكياننا فمن جهة نواجه الاحتلال الإسرائيلي والمشروع الصهيوني في لبنان الذي يهدف إلى اعادة تفجير وضعنا السياسي الداخلي.

وأمام ذلك فإن مسؤوليتنا الوجودية والأخلاقية هي تحرير أنفسنا من هذا الاحتلال عن طريق مشروع المقاومة التي هي إحدى خياراتنا التي لا يمكن أن

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة محمد، الآية: ٢٢.

نتخلى عنها ونتهاون فيها لأننا بذلك نخون إنسانيتنا ونتخلى عن واجبنا.

وبالعمل السياسي والدبلوماسي لتنفيذ القرار ٤٢٥ على مستوى الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمجتمع الدولي وهو خيارنا الآخر الذي نتمسك به ونختبر به العدالة الدولية وشعار حقوق الإنسان.

ومن جهة أخرى نواجه مسؤوليتنا جميعاً عن إعادة تكوين مجتمعنا السياسي الوطني وإقرار مشروع الدولة من حيز النظرية إلى الواقع الفعلي على قاعدة الوفاق الوطني والانطلاق به ومنه نحو إعادة العافية إلى بلدنا ونحو استعادة دور لبنان العربي والدولي.

وهنا نسجل، أننا قد قطعنا شوطاً كبيراً نحو انجاز هذه المهمة في زمان قياسي لمجتمع عانى وتخبط في أزمة دامية شرسة استمرت أكثر من خمسة عشرة عاماً. وهذا يشهد لحيوية وقوة شعبنا وقدرته على النهوض من بين أنقاض الكارثة. ويشهد للدور البناء والحيوي الذي قام بمساعدتنا اخواننا العرب من خلال القمة الثلاثية العربية التي حققت بالتوافق مع الإرادة السياسية للشعب اللبناني كما صممت عليه وعبرت عنه قياداته في مجلس النواب وخارجه بصيغة الوفاق الوطني في اتفاق الطائف الذي تضمن صيغة الحل التوافقي والوطني.

وفي جميع مراحل الفتنة والمساعي نحو حلها لا ننسى ولن ننسى في لبنان التضحيات الغالية التي قدمتها سوريا قيادة وجيشاً وشعباً في سبيل وحدة لبنان وتحصينه ضد المشروع الإسرائيلي وإخراجه من المحنة التي تخبط فيها، كل ذلك كان تعبيراً عن التزام الأخلاقي مستقل بوحدة الواقع والمصير طالما عبر عنه سيادة الرئيس حافظ الأسد الذي رعى لبنان رعاية الأب ورعاية الأخ.

ولكن فيما أنجزناه ما نشكو منه مما يعرفه الجميع ومما يتوقع الجميع أن يصار إلى تصحيحه وتصويبه لئلا تكون هناك نكسة في هذا المستوى أو ذاك وفي هذا المجال أو ذاك من مجال حياتنا الوطنية السياسية والمجتمعية. ولا يزال أمامنا مهمات أخرى يتوقف عليها انجاز مهمة إعادة تكوين مجتمعنا السياسي واخراج مشروع الدولة من حيز النظرية إلى الواقع الفعلي على قاعدة الوفاق

الوطني وهي: إعادة إعمار لبنان على قاعدة التنمية المتوازنة وإعادة تكوين الإدارة على قاعدة الكفاءة والأهلية وتجديد مؤسستنا البرلمانية.

وإذا كنا نعتمد بعد الله تعالى على أنفسنا في إعادة اعمار لبنان ونأمل أن يفي لنا اخواننا العرب والمجتمع الدولي بالتزاماتهم نحو لبنان وهي التزامات يستحقها لبنان على أشقائه وعلى أصدقائه في العالم لأن جزءاً كبيراً من دماره جاء نتيجة لعكس السياسة الدولية ونتيجة لعدوان اسرائيل عليه وتفاعلات هذا العدوان. ونتيجة لموقفه المبدئي في عدم التفريط بالحق العربي والفلسطيني.

إذا كنا كذلك فإننا نواجه في هذه الأيام مسؤوليتنا عن تجديد مؤسستنا البرلمانية عن طريق الانتخابات التي نطلب أن تتوفر فيها ولها جميع الضمانات بحرية الناخب من التأثير عليه من الترغيب والترهيب وهي أمور لا بد أنها تثير قلقنا ونحذر منها ونحذر من أن مؤسسة تولد واتهامات من هذا القبيل تحيط بها فإنها لن تكون أداة صالحة في مشروع الدول وفي الوفاق الوطني.

ولكننا مع ذلك لا نرى مبرراً لأن تشلّ هذه المخاوف إرادتنا في هذا الطلب، وتعطل حركاتنا قبل انجازه الآن قبد بدئه كما أننا نتفهم بعمق مخاوف المتخوفين التي لا يجوز القفز فوقها وتجاوزها بل يجب التغلب عليها بالحوار الواقعي الموضوعي وبتوفير جميع الضمانات والضوابط الممكنة لسد الثغرات التي تتولد منها هذه المخاوف ولا يجوز أن يكون من هذه الثغرات حضور سوريا في لبنان، بل يجب أن يكون منها الاحتلال الإسرائيلي وهو ما يجب أن نحصن هذه الانتخابات من تأثيراته وسلبياته وأما حضور سوريا في لبنان قبل أيلول القادم فهو كحضورها بعد أن أيلول القادم لا يختلف اطلاقاً بعدد من الجنود والضباط يعسكرون حيث هم الآن أو ما وراء ذلك في اتجاه الانقاذ.

كما أن حضور سوريا في لبنان لا يتوقف على ما يعتقد أو ما يتوقع عن نسبة من النواب الموالين لسوريا في البرلمان لأنه حضور كياني ناشئٌ من طبيعة حدود سوريا ولبنان في الأرض والشعب ووحدة المصالح والمخاطر والمسؤولية.

كما وأننا ونحن في سياق الحديث عن الانتخابات نؤكد أن من حق جميع القوى السياسية أن تعود إلى الشام طالبة أن يوليها ثقته في تنفيذه والمشاركة في تكوين لبنان المتنوع في مضمونه الديني بنطاق الإيمان الإبراهيمي الواحد على قاعدة المجتمع السياسي الوطني الوفاقي الواحد. وهذا ما يجعلنا نستحضر إحدى أنبل وأعظم مهماتنا في لبنان العربي والإسلامي والعالم الأوسع وهي الحوار الإسلامي المسيحي الذي يعتبر لبنان المجتمع والدولة أحد تعابيره وركيزة وجوده الكبرى والذي كان وسيبقى ضمانة وضرورة لاستمراره على قاعدة العيش المشترك.

هذا الحوار الذي تتعاظم الحاجة إليه في عالم شهد تحرر الإيمان الإسلامي والمسيحي من قبضة الإلحاد وهيمنته ويواجه التعصب والعنصرية الصهيونية التي اغتالت شعبة يهودية في الإيمان الإبراهيمي وحولتها إلى مؤسسة عنصرية وهيمنة تهدد الإنسان والإيمان.

إن الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة للمسلمين والمسيحيين على كل أرض يتجاورون فيها متحملين مسؤولية المحافظة على القيم الإنسانية التي تهددها الحضارة المادية والصهيونية العنصرية في المحق والتدنيس وتعرض الإنسان المسلم والمسيحي لأخطار سوء الفهم وسوء التفاهم الذي لن تكون عاقبته إلا شراً على الجميع.

وهنا نتوجه بمناشدة ونداء إلى جميع شعوب العالم الغربي لأقول لها إن الإسلام الحي المتحرك لا يشكل خطراً على الحضارة كما تحاول بعض مراكز التوجيه في العالم الغربي أن تصور الإسلام عليه في هذه الأيام.

إننا نرى في هذا التوجيه مشروعاً جديداً من مشاريع الاستقواء والعدوان على هذه الأمة الإسلامية تروج له الصهيونية العالمية لتحارب به المسيحية والإسلام معاً وتحتفظ من خلاله بدورها التقليدي في العالم.

إن الحوار الإسلامي والمسيحي العميق والشامل هو المدخل الصحيح لمواجهة مشكلاتنا باعتبارنا مؤمنين ومشكلات العيش والازدهار المادي

والتكامل الأخلاقي والإنساني في عالم مليء بالمخاطر والتحديات إننا نواجه السؤال نفسه والتحدي نفسه الذي واجهه الإمام الحسين نواجه هذا السؤال وهذا التحدي النابعين من مسؤوليتنا ومن الأمانة التي نحملها جميعاً تجاه وطننا وأمتنا العربية والإسلامية ونحمل أيضاً المسؤولية والأمانة تجاه إنسانية الإنسان وكرامة الإنسان في جميع الأديان والأوطان.

والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عاشوراء مشروع الأمة

٣ محرم ١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م



وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن المأتم الحسيني ليس مؤسسة للحزن. بل هو مؤسسة للعلم. ومن الأخطاء الكبيرة التي حصلت في فهم المأتم الحسيني وحصره بأنه مؤسسة الحزن، حتى اقترن في أبحاث علماء النفس والاجتماع والحضارة، اسم الشيعة بالحزن، الطائفة المغموسة في الحزن، وليس الأمر كذلك.

مؤسسة مأتم الحسين التي أنشأته السيدة زينب، هذه المؤسسة بدأت بعد مصرع الحسين مباشرة. أول خطبة مأتم وأول قارئة مأتم وأول نادبة وأول نائحة هي زينب، وأتى بعد ذلك أئمة أهل البيت من زين العابدين عليه السلام إلى إمامنا المنتظر عجّل الله فرجه، أكملوا عملاً بدأته زينب في كربلاء، في مساء العاشر من محرم وتابعته في الطريق وعممته في حلب وفي دمشق، وتابعته في المدينة، حتى ضج أهل المدينة، منها، وحتى كتب والي المدينة إلى يزيد: إنْ كان لك شغل بالحجاز والمدينة فأخرج عني زينب.

والي المدينة لم يضق ذرعاً ببكاء الناس. المظلومون دائماً يبكون تحت

سمع الطغاة وبصرهم ولا يؤثر فيهم ذلك شيئاً، الذي ضايق والي المدينة والذي خاف منه هو المضمون الآخر غير مضمون الحزن، هو مضمون الثقافة، هو مضمون الأخلاق، ومضمون السياسة.

عندما نخاطب الإمام الحسين ونقول: السلام عليك يا وارث الإيمان النقي الصحيح، أي وارث إيمان جده الرسول الأعظم، الإيمان الذي لا يخضع لا لوصاية السلطان ولا لوصاية عملاء السلطان، ولا يخضع لوصاية رجال الدين الدجالين الذين يتاجرون بالدماء والكرامة والأعراض وكل شيء ويغشون الناس بالدين.

والمسألة الأهم في ثورة الإمام الحسين هي المسألة الأخلاقية، الحسين كان يمارس أخلاقاً عندما قال: إن يزيد فاسق فاجر شارب للخمر قاتل للنفس، ومثلي لا يبايع مثله.

منذ معركة صفين ومنذ كربلاء لم يكن لدى أهل البيت مشروعاً للسلطة، السلطة لم تكن هي الأساس، كان لديهم مشروعاً للأمة، والإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين تفرغوا لهذا المشروع الذي هو مشروع الإيمان النقي والأخلاقي. كان الأمويون يريدون أن يخضعوا الإمام الحسين وأن يستلحقوه وأن يجعلوه كافراً. فقرار عدم المبايعة بالإضافة إلى كونه قراراً سياسياً فهو أيضاً قرار أخلاقي. وقرار زهد، هذا الزاهد تُعرض عليه الدنيا مغموسة بالقذارة والخيانة، لأن بيعة الحسين ليزيد ليست بيعة شخص، الحسين ليس شخصاً، هو مؤسسة، فإنه إذا بايع فيكون بهذا قد جر مؤسسة الإيمان التي ورثها عن جده رسول الله إلى المبايعة ليزيد أيضاً.

من حين قوله: «مثلي لا يبايع مثله» في المدينة إلى اليوم العاشر، بدأت مهمة الحسين ديناً وانتهت ديناً، وهو بذلك يسير على خطى جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فالنبوة ليست شخصاً، النبوة مؤسسة إلَهية. لقد عرضت قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل ما تريد النفس الدنيوية، عرضت عليه المال والجاه والسلطان والنساء فقال: «لو وضعتم الأرض والشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته

ولو هلكت دونه»، كانت قريش تريد أن تجعل النبوة جزءاً من دكانها ومن مصالحها، وتآمروا عليه ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾[1] أي إما السجن أو القتل أو النفي، رفض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلحاق مؤسسة النبوة بنظام مصالح قريش.

أمير المؤمنين علي سلام الله عليه تكررت معه نفس التجربة ووقف منها نفس الموقف، لم يُدخل مشروع الأمة في نظام المصالح الخاصة والضيقة. والإمام الحسن كذلك.

وهكذا كان الإمام الحسين، هو لم يعتبر نفسه شخصاً عادياً، هو وارث الإيمان النقي الصحيح، واستشهد الحسين ورفاقه، ولكن السيف بقي يلاحق هذه المؤسسة طيلة العهد الأموي، وطيلة العهد العباسي، وطيلة عهد العثمانيين، بقي ثمن الله، ثمن أن الحسين فصل مشروع الأمة نهائياً عن مشروع السلطة.

إذاً هذه المؤسسة ليست مؤسسة للحزن فقط، بل هي مؤسسة الفكر ومؤسسة الحضارة ومؤسسة العلم ومؤسسة السياسة، ومؤسسة الأخلاق هي مؤسسة الأمة. ولذلك أنا أرى أنّ الشيعة أخطاؤا في حق أهل البيت وفي حق الحسين خصوصاً، فيما قاموا بأعمال ومراسم وأطروحات، جعلت مأتم الحسين مأتماً شيعياً. الإمام علي ليس إماماً شيعياً والإمام الحسين ليس إماماً شيعياً هؤلاء أئمة المسلمين، واعتقادنا بهم على أنهم أئمتنا لا باعتبارنا شيعة بل باعتبارنا مسلمين. الحسين إمام الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية.

عندما قال الحسين: مثلي لا يبايع مثله، الشيعة بالمعنى المذهبي لم تكن موجودة من ذلك الوقت، كان يوجد خط إسلامي كبير فيه تنوعات، وكان أئمة أهل البيت أئمة المسلمين.

يمكن أن نقول إن أبي حنيفة إمام مذهب، ومالك بن أنس إمام مذهب والشافعي إمام مذهب. أما علي بن أبي طالب وأبناؤه ليسوا أئمة مذهب، إنهم

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

أئمة الأمة، ولهذا نرى أنه كان مع الحسين في كربلاء بعض العثمانيين، أي نسبة للإمام عثمان بن عفان، وجيش يزيد كان فيه كثير من الشيعة، القضية إذن ليست قضية مذهب وطائفة.

لهذا نرى أن الشيعة أخطأوا والسنة أخطأوا أيضاً، الشيعة أخطأوا لأنهم اعتبروا أن الحسين إمامهم فقط، وعلّبوه، والسنة أخطأوا أيضاً لأنهم اعتبروا أن قضية الحسين لا تعنيهم كثيراً.

كل مسلم يجب أن يضع في ذهنه فاصلاً بين مشروع السلطة بأساليبها وخداعها وأدواتها، وبين مشروع الأمة. الذي يحمل بالإضافة إلى المضمون السياسي المضمون الإيماني والأخلاقي. هذا الفصل يتيح لمشروع الأمة أن يحاسب السلطة عندما تخون وتكفر وتظلم ويقول لها: لا، وهكذا فعل الإمام الحسين.

السلطة الكافرة والظالمة دائماً تسعى لأن تستلحق مشروع الأمة وتستتبعه بكل وسائلها المتاحة لديها، الترغيب والترهيب والكذب والخداع، وكتب التاريخ تروي لنا حكاية معاوية بن أبي سفيان الذي استقدم شيخاً راوياً للحديث وأعطاه كذا مائة ألف لكي يروي حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول أن الآية ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[1]، أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب.

وتروي كتب التاريخ أيضاً قصة هارون الرشيد والشيخ العلامة الخطيب المحدث. الذي دخل على هارون الرشيد وزور حديثاً نبوياً يقول «لا سبق إلا في خفٍ أو حافرٍ»[2]، فزور هذا الشيخ الحديث وقال: روينا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا سبق إلا في خفٍ أو حافرٍ أو جناح»،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٢) الحديث: «لا سبق إلا في خف أو حافرٍ أو نصل» أخرجه أبو داود في الجهاد باب ٦٠، والترمذي في الجهاد باب»، والنسائي في الخيل باب ١٤، وابن ماجة في الجهاد باب ٤٤، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٦، ٣٥٨، ٤٢٥، ٤٧٤.

ومن المعلوم أن هارون الرشيد كان يهوى تطيير الحمام، وبالتعبير الدارج «كشاش حمام» وكان يراهن عليه، وهو نوع من الميسر. وهو حرام كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾[1]. فلما زوّر الشيخ هذا الحديث لهارون الرشيد سُرَّ وأجازه بالمبلغ المرقوم، ولما خرج قال هارون الرشيد: والله أشهد أن قفاه قفا كذاب على رسول الله ولكنه كذب لنا فأكرمناه.

هذان المثلان يعطيانا فكرة عن أساليب السلطة في استخدام كل أدواتها لكي تلحق مشروع الأمة ومؤسسة الإيمان تحت لوائها، فلو أن هذا السلطان طلب من هذا الشيخ المزور، الذي هو أحد أدواته، أن يفتيه في ذبح هذا المسلم لفعل. ولو طلب منه أن يفتيه في ذبح أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفعل، وقد فعلوا ذلك.

إذاً هناك دائماً صراع بين مشروع السلطة الظالمة ومشروع الأئمة المؤمنة، صراع بين مؤسسة السلطة ومؤسسة الإيمان. الرسول الأعظم ومن بعده الأئمة عليهم السلام حملوا مشروع الأمة ودافعوا عنه ودفعوا كل شيء ثمناً لهذه الأمانة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على هذا الطريق وأن يقوينا على دفع الأثمان مهما كانت صعبة وفادحة.

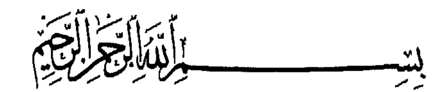
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

مسؤولية المجتمع في نصرة الإمام العادل

خطبة الرابع من محرم
١٤١٤ هـ- ١٩٩٣



صلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

اخواني العلماء الأجلاء اخواني وأخواتي المؤمنين الأعزاء السلام عليكم ورحمة الله والسلام عليكن ورحمة الله وبركاته.

نحن في اليوم الرابع من أيام محرم هذا اليوم الرابع وفي مثل هذا اليوم كان الإمام الحسين لا يزال في الطريق إلى مصاعبه كان لا يزال في طريقه من مكة إلى كربلاء. في هذا الطريق مرت عليه أحداث مهمة أحد هذه الأحداث المهمة هي المحطة التي بلغه فيها خبر استشهاد مسلم بن عقيل ومشهد حركة الثورة في الكوفة وسيطرة السلطة الأموية على الكوفة.

في إحدى هذه المحطات جاءه الناعي فنعى إليه مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة وخطب الحسين سلام الله عليه وأعلن للناس استشهاد مسلم بن عقيل وأن شيعته خذلوه.

حينما خرج الحسين من مكة تبعه جمع غفير من الناس حينما أعلن

استشهاد مسلم بن عقيل وفشلت حركة الكوفة بل كافة العراق كله تفرق عنه الناس يميناً وشمالاً، تفرق الناس الألوف المؤلفة التي خرجت معه من مكة والتي تبعته في الطريق ولحقت به في الطريق تفرقت عنه. وبقي العدد القليل الذي لا يبلغ مائة شخص والذين ثبتوا معه في كربلاء حتى استشهدوا بين يديه.

هذه الواقعة ربما تسمعوها بتفصيلها وأسماء رجالها من خطباء المنبر الحسيني لماذا تبعوه ولماذا تفرقوا عنه وهم يعلمون من هو، تبعوه لأنهم اعتقدوا أنه يصير إلى سلطان وأنه سيملك وأنه سيحكم وأنهم سينتفعون بحكمه وبسلطانه في دنياهم فلما عرفوا أن السلطة الأموية استعادت زمام الأمور واستعادت السيطرة على الأوضاع تركوه لأنه لم يعد معه إلا الموت فتركوه.

من هنا الكلمة المشهورة عن الحسين: «ألا وإن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يخوضونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون» هذه تجربته وتجربة أخيه الحسن من قبله وتجربة أبيهما علي من قبلهم حينما تكون هناك دنيا يكثر الناس وحينما لا تكون هناك دنيا يقل الناس.

درس اليوم نريد أن نعرف من هم هؤلاء الناس من هم الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، الناس الذين اتبعوه وتفرقوا عنه من هم هؤلاء.

هؤلاء الناس هم أمثالنا، الناس البسطاء العاديون ذوو الأعمال البسيطة المزارع البسيط والكاسب البسيط والعامل البسيط، أو أنهم الذين يسمونهم النخبة نسميهم الوجهاء.

من التجربة أن الناس البسطاء هم أهل الدين حماة الدين، الناس البسطاء العابدين يتمسكون بالدين دائماً جمهور المجاهدين قوّة المجاهدين التضحيات الكبيرة المجد الكثير هو يأتي من الناس العاديين من الرجال والنساء في كل ملحمة من ملاحم الجهاد والنضال والشهادة أكثر الشهداء والضحايا وفي بعض الأوقات كل الشهداء والضحايا هم من الناس العاديين البسطاء من الرجال والنساء. دينهم ليس لعق على ألسنتهم قد يقعون بالغش قد يقعون في الخليعة

والغرور بسبب دجل الدجالين بسبب تضليل المضلين ولكنهم يتميزون بالطهارة والاخلاص والنقاء.

أنا أفهم من كلمة الحسين سلام الله عليه ما دل عليه القرآن الكريم الناس هنا والوجهاء والكبراء الذين اتبعوا الحسين لا أعتقد أنهم أصحاب المهن البسيطة والعمال البسطاء والمزارعون البسطاء الذين اتبعوه غالباً هم صيادوا الثروات وصيادوا المناصب وصيادوا الوجاهة هؤلاء الذين يتبعوه من أجل أن يكتسبوا.

هذه هي محنة الرسالة في كل زمان ومكان. الأشخاص الرساليون يحملون المسؤولية يحملون الورثة التي ذكرتها لكم الإيمان النقي والأخلاق السامية وكرامة البشر كرامة الإنسان. ويجاهدون ويحاربون من أجلها ويستشهدون من أجلها ولكن دائماً يأتي الصيادون لأجل أن يقتنصوا النتائج.

نجد هذا في حياة جميع الأنبياء من قبيل ما قال قوم نوح له ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾[1] الأراذل تعني عوام الناس البسطاء هؤلاء الوجهاء يقولون إن الذي اتبعوك البسطاء نحن الوجهاء لنا مقام خاص مع الرسول سلام الله عليه كان أول المؤمنين وأكثر المؤمنين هم البسطاء.

الذين دينهم لعق على ألسنتهم والذين يتاجرون بالدين حينما يناسبهم غالباً هم من أهل الوجاهة والنخبة والملأ هؤلاء في كل عصر يتاجرون في كل شيء يتاجرون بالله وبالدين وبالوطن وبالشعب ولكنهم دائماً يتاجرون بشرط الربح هم لا يخسرون شيئاً.

وأنا أقول وأقول الآن دلوني على وجيه أو زعيم خسر بأي عملية جهادية أو نظامية دلوني. يدخلون فقراء تحت شعار الجهاد ويخرجون أغنياء يدخلون عاديين ويخرجون كباراً هؤلاء تفرقوا عن الحسين وهؤلاء يتفرقون عن كل حسين.

هذه الثورة هذه النهضة كما قلت لكم هي نهضة إنسانية على الحسين. هي

(١) سورة هود، الآية: ٢٧.

ليست مشروعاً لبني هاشم حركة الإمام الحسين لم تكن مشروعاً من مشاريع الهاشميين ولا من مشاريع أهل الحجاز ولا من مشاريع العرب. هي مشروع إسلامي من أجل الإنسانية العالمية عالمية كل حركة وعالمية كل ثورة حسب أهدافها حسب القضايا التي تطرحها.

القضايا والأهداف التي طرحها الإمام الحسين لا تختص بالحجاز أو العراق أو العرب أو بالمسلمين تشمل كل البشر. كرامة الإنسان وحرية الإنسان وسيادة الإنسان على نفسه حتى لا يتحول إلى رقيق سياسي كما قلت لكم سابقاً لا يتحول إلى عبد من عبيد السياسة والسياسيين هؤلاء تفرقوا عنه هذا مشهد هذا نموذج.

في ليلة العاشر من محرم حينما انهارت كل الآمال لم يبق أمل ولا رجاء علم بشكل نهائي أن المصير غداً هو الذبح سمعتم وتسمعون أن الإمام الحسين في تلك الليلة المعظمة جمع أصحابه في خيمة واحدة وهم قليلون الذين بقي أقل من مائة رجل كانوا مع الهاشميين مع إخوته مائة وعشرين معه تقريباً جمعهم: وقال لهم: إني لا أعرف أصحاباً أبرَّ ولا أوفى من أصحابي ولا أهل بيته أبرَّ ولا أوفى من أهل بيتي ألا وأن هذا الليل قد أظلكم فاتخذوه جهلاً وليأخذ كل رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي وألحقوا بسوادكم، السواد يعني الأرياف، فإن هؤلاء القوم لا يطلبون غيري. هو المطلوب فقط. فإن هؤلاء القوم لا يطلبون غيري ولو قد ظفروا بي لكفوا عن طلب غيري، وأمامهم الموت. أجابوه بلسان واحد هو لسان أحدهم زهير بن القين قال له: يا ابن رسول الله لو قتلت ثم بعثت ثم قتلت ثم بعثت يفعل بي ذلك ألف مرة ما تركتك. أموت ألف مرة ولا أتركك يا أبا عبدالله وأولئك في تلك المحطة بمجرد أن سمعوا أن مسلم بن عقيل قد قتل وأن النهضة لم تؤدي إلى السلطة تفرقوا يميناً وشمالاً. هذا نموذج من الناس وذاك نموذج من الناس.

في التاريخ والتقدم والحضار والقوة والانتصار هي لا تقوم على أولئك في كل دعوة من الدعوات وفي كل مسيرة من المسيرات النهضة لا تقوم على هؤلاء الذين يتفرقون يميناً وشمالاً وإنما تقوم على هؤلاء الذين يقولون إننا نموت

ونحيا ألف مرة ولا نتركك النموذج المطلوب في المجتمع هو هذا، المجتمع كلما كثرت فيه أمثال هؤلاء كلما كان مجتمعاً قوياً منيعاً قادراً على النهوض من الكبوات وقادراً على الانطلاق والتغلب على الصعوبات.

رسالة الإسلام رسالة أئمة الإسلام هو تربية أمثال هؤلاء هؤلاء الدين ليس لعقاً على ألسنتهم هؤلاء الدين هو حقيقة وجودهم جوهر حياتهم الذي يموتون عليه ويحيون عليه، أولئك هم الذين يكون الدين لعقاً على ألسنتهم.

هؤلاء هم الذين يشكلون حقيقة المجتمعات المهاجرون والأنصار مع الرسول سلام الله عليه الذي اتبعوه في احسان هم من هذا النوع من نوع المجاهد في بدر أو في أُحد الذي كان في يديه قبضة من التمر يأكلها أخذته الحماسة في الله قال ما بيني وبين الجنة إلا هذه التمرات ثم ألقاها من يديه وهجم على المشركين وقاتلهم حتى استشهد.

أمثال هؤلاء.

هذه النماذج الإنسانية موجودة دائماً وموجودة حتى في حالات غير متوقعة في صميم حالة الكفر وفي صميم حالة الشرك وفي صميم حالة النفاق وفي صميم حالة الفتنة يوجد أمثال هؤلاء الرجال نموذجهم الكبير في كربلاء هو الحر بن يزيد الرياحي الحر بن يزيد الرياحي، أيضاً وجيهاً كان، ليس كل الوجهاء سيئين كان من قبيلة شهيرة ومعظمة بني رياح وهو أمير أمرائها وكان ضابطاً كبيراً في جيش بني أمية وهو قائد ألف وله منزلة عظيمة.

وهو يتمتع بثقة كبيرة عند عبيدالله بن زياد وعند إدارة الأمويين في العراق ولذلك كان هو أحد المكلفين الأول بأن يتصدى للمسلمين وخرج كما تعلمون وكما تسمعون وتصدى للحسين وحاصره ومنعه من العودة إلى المدينة ومنعه من التوجه إلى الكوفة وجعجع به إلى كربلاء وشاهد بعينه في اليوم العاشر كيف أن الحصار محكم وكيف أن بني أمية مصممون على ارتكاب الجريمة وسمع كلام الحسين سلام الله عليه وخُطبه في اليوم التاسع وفي اليوم العاشر.

ووضع نفسه في حالة الاختيار وذهب إلى عمر بن سعد وسأله قال له:

أأنت مقاتل هذا الرجل؟ قال له: نعم أنا مقاتل هذا الرجل، عمر بن سعد بن أبي وقاص صاحب رسول الله بطل فتوح العراق يقول له أنا مقاتل للحسين هذا الحر أخذ يبكي سئل ووصف بالجبن قال: لا أنا أخير نفسي بين الجنة والنار. الجنة هناك حيث الموت والنار هنا حيث الدنيا وحيث السلطان وحيث الدولة المعظمة والله ما اختار على الجنة شيئاً. ثم ضرب فرسه ولحق بالحسين وتاب بين يديه وقال له هل لي من توبة قال له نعم هذا هو الحر. حتى نعرف ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

أكبر من جريمة الحر لا توجد إلا جرائم الذين باشروا القتال ولكن إلى اللحظة الأخيرة.

تبقى الفرصة أمام الإنسان المفتوحة. الحر في ثانية واحدة في لحظة واحدة ينتقل من قعر الجريمة إلى قمة البطولة والإيمان في هذا الاختيار وكل إنسان منا يواجه هذا الاختيار أمام كل معصية من معاصي الله وأمام كل طاعة من طاعات الله كل واحد منا يواجه هذا الاختيار هي لحظة الاختيار فقط الإنسان يحزم أمره ويقول: أريد الجنة يدخل الجنة بمجرد أن يقول: أريد الجنة ويحرك هدفه نحو الجنة هو يدخل الجنة، لا يبقى على المعصية ولا يبقى متردداً.

الحر نموذج وعمر بن سعد بن أبي وقاص الصحابي العظيم نموذج، الحر يخير نفسه بين الجنة والنار وعمر بن سعد يخير نفسه بين الجنة والنار ويقول:

فوالله ما أبغي وإني لحائرٌ	أقلب في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي	أم أرجع مذموماً بقتل الحسين

خير نفسه بين قتل الحسين وبين ملك الري فاختار ملك الري اختار أن يصير والياً من قبل ابن زياد ابن العاهرة على الري. الري تابعه للكوفة والكوفة تابعة للعراق والعراق واليه ابن زياد يعني أمير من الدولة السامية وعجائب الأيام وعجائب الدنيا ومسخرة الدنيا أن مجرماً مثل يزيد بن معاوية مجرم منحط مثل عبيدالله بن زياد ابن أبيه مجهول الأب يستخدمون أبناء الصحابة العظماء هكذا.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

الصحابة الكبار الذين أسس الله على أيديهم الإسلام أبناؤهم يكونون خدماً عند المجرمين هؤلاء.

الامتحان البشري هو هكذا مسألة الاختيار بين الهدى والضلال وبين الجنة والنار بين النجاة والهلاك.

هذا الاختيار يواجه البشر دائماً نحن مثلاً في لبنان الآن نواجه هذا الاختيار.

واجهنا ونواجه، أذكركم بعهد الميلشيات كانت الناس تواجه هذا الاختيار بين وطن مجتمع موحد متضامن متعاون مستقر، وبين جماعات طائفية مسلحة، الناس دخلت في الفتنة لماذا طبعاً كل فئة تقول: أحمي نفسي وكل فئة تقول أحمي مذهبي وكل فئة تقول أحمي أرضي فكانت النتيجة أنهم دمروا الأرض ومن عليها. الناس الذين اختاروا يدفعون ثمن اختيارهم خراباً ودماراً وتشريداً وتهجيراً وهكذا كل زمان الاختيار الحضاري والاختيار السياسي المستنير هو ليس للطائفية هو ليس للمذهبية هو ليس للفئوية الاختيار الصحيح هو اختيار المجتمع اختيار الوطن.

ولكن نأتي إلى مشكلة القيادة السياسية المجتمع يجب أن يراقب إذا لم يراقب المجتمع أيضاً يضيع أمره صوت المجتمع يجب أن يكون عالياً نقد السلطة يجب أن يكون مستمراً وإلا تظل سلطة بلا حساب ويكون هناك مجتمع مستسلم وتضيع مصالح المجتمع وقضايا المجتمع في النسيان وفي السكوت سكوت المجتمع سكوت قوى المجتمع.

وهذا ما حصل مع الحسين في ذلك الزمان المجتمع الإسلامي والمجتمع العربي في الأمة الإسلامية هل كانوا راضين بقتل الحسين؟ لا والله لم يكونوا راضين هل كانوا راضين بحكم الأمويين؟ لا والله لم يكونوا راضين أيضاً. لكن لماذا ارتكبت الجريمة في حق الإنسانية وفي حق الإسلام وفي حق المسلم لماذا ارتكبت الجريمة؟ لأن المجتمع سكت المجتمع اعتبر نفسه على الحياد المجتمع حمل الحسين المسؤولية وقال له ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا

قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾[1] الله لا يقاتل بنفسه الله يقاتل بالمؤمنين المخلصين، فإذا كان هؤلاء المؤمنون المخلصون متخاذلين يُهزم المجتمع وينتصر الطغيان.

المسؤولية لا تقع فقط على من ارتكبوا الجريمة، المسؤولية تقع على الذين سكتوا عن الجريمة أيضاً.

في خطب زينب حينما وصلت إلى الكوفة ورأت أهل الكوفة يبكون وكانوا يبكون بصدق بحرقة ولذلك شتمتهم ودعت عليهم أي بكاء هذا بكاء الذل بكاء الهزيمة بكاء التخاذل. المجتمع الواعي هو الذي يتنبه في حين المشكلة وفي حين الأزمة أما أن تقع الواقعة ويبكي بعد ذلك فما قيمة هذا المجتمع. يريدون من القيادة أن تتكلم دائماً وأن تتصدى دائماً هذا لا يمكن في بعض الأوقات الحرجة القيادة الواعية المسؤولة تؤثر السكوت من قبيل كلام أمير المؤمنين سلام الله عليه في إحدى أوجع المواقف في حياته قال: لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليَّ خاصة.

حينما ترى القيادة أن الكلام يؤدي إلى الانقسام ويؤدي إلى الفتنة ويؤدي إلى تساقط المجتمع تسكت. ولكن ليس معنى أنها تسكت، أن الآخرين يجب أن يسكتوا الآخرون يجب أن يتحركوا ويتكلموا وإلا الموقف الباطل المتحرك دائماً يغلب موقف الحق الصامت. وهزائم التاريخ الكبرى كشفت عن هذا أن هناك باطلاً متحركاً وحقاً مشلولاً حقاً ساكتاً مشهورة كلمة أمير المؤمنين سلام الله عليه عن أهل الشام وعن جماعته وعن مصارفة الدينار بالدرهم مصارفة العشرة بواحد. وعن التحرك في الباطل والسكوت عن الحق هذه هي آفة أهل الحق هي السكوت يخسرون حقهم ويخسرون أنفسهم ويخرجون بفتات الدنيا وخزي الآخرة وهم أهل الحق في نفس الوقت. الذين سكتوا عن النظام الأموي حتى ارتكب جريمته في الحسين النظام الأموي داسهم بحذائه جميعاً لم يوفر منهم أحداً لم يسْلموا على مال ولم يسْلموا على عرض ولم يسلموا على آمال ولم يسلموا على منزل.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

حينما استحكم ابن زياد نفى خمسين ألفاً من أهل الكوفة نفاهم إلى إيران إلى خراسان أخرجهم من كل ديارهم ومن كل وطنهم هذه هي النتيجة.

السكوت عن الحق السكوت عن العدالة إذا كان الشعار ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾[1]. فهذا ينتج ينتج كربلاءات. لا يكون هناك كربلاء واحدة الذين سكتوا وتخاذلوا بعد ذلك ماذا عملوا تسمعون بالتوابين توابين أهل الكوفة وغير أهل الكوفة. النادمين يعني تابوا جمعوا أنفسهم كانوا أربعة آلاف فارس اجتمعوا ذهبوا إلى كربلاء بكوا على القبر وخرجوا وواجهوا الجيش الأموي في الموصل في مكان اسمه عين الوردة وقاتلوا حتى أبيدوا عن آخرهم.

كان ثورة انتحارية رحمة الله عليهم ولكنهم أخطأوا حينما قعدوا عن النهوض مع الحسين وأخطأوا حينما انتحروا هذا الانتحار المجاني، رحمة الله عليهم شهداء لكن شهادة خالية من الحكمة.

حينما كانت حياتهم مطلوبة بخلوا حينما كانت شهادتهم مطلوبة بخلوا بها واختبأوا في بيوتهم سجن عبيدالله بن زياد بعضهم لكن أكثرهم تخلفوا عن نصرة الحسين وحينما أصبح عليهم أن يتحولوا إلى قوة متحركة في المجتمع ذهبوا واستشهدوا.

ومتى كان البكاء يبني دولة ويرفع ظلماً ويقيم عدلاً.

البكاء حينما يوظف في مشروع عام يفيد، أما حينما يتحول إلى مجرد حزن شخصي حزن قال أنا أحزن على قتلاي وعلى موتاي. هو حزني ولا يغير شيئاً في الدنيا.

نريد من أنفسنا في هذا الدرس أن نعي أننا كلنا يجب أولاً أن نراقب الكبراء، كبراء الدين وكبراء الدنيا في القرآن ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا﴾[2] وهم دائماً يفعلون هكذا مراقبة الكبراء مراقبة النخبة لا يفرطوا في حق الناس لا يفرطوا في حق المجتمع وأن نحافظ على الوحدة الداخلية أن لا

---

(١) سورة المائدة الآية: ٢٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.

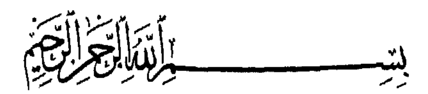
تتسلل الغربة إلينا تحت كل شعار من الشعارات إياكم أن تتفرقوا إياكم أن تتحاربوا سواءً على مستوى طائفة أو على مستوى دين أو على مستوى المجتمع لأن الكثير من هؤلاء الكبراء لا تنموا وجاهتهم ولا ذروتهم ولا نفوسهم إلا على تفريق بين البشر. وإشعار كل فريق أن عدوه هو الفريق الآخر وليس بينكم ما يفرقكم في حين أنتم جميعاً عباد الله أنتم جميعاً في رحمة الله أنتم جميعاً أو غالب الناس فقراء أو بسطاء همكم أن تكسبوا رزقاً حلالاً وتنفقوه على أنفسكم إنفاقاً حلالاً.

ليس من سبب لتختلفوا من أجله لا يوجد سبب لتتظاهروا من أجله وظيفة قيادات الشر قيادات الدجل قيادات الفتنة أن تفرق أن تصنف الناس هؤلاء صالحون هؤلاء طالحون الكل صالحون ورحمة الله تسع الجميع ورضوان الله يسع الجميع.

الإمام الحسين إمام المسلمين

لا إمام الشيعة أو فئة منهم

١ محرم ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م



والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين وعلى صحبه الذين اتبعوه بإحسان وعلى اتباعهم وأشياعهم إلى يومنا هذا وإلى قيام يوم الدين..

نستغفر الله تعالى ونتوب إليه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ونعوذ به من النفاق في القول والرياء في العمل واتخاذ الدين وشعاراته ذريعة إلى مكاسب الدنيا، فإن روح العمل هو الإخلاص وأن أشر ما يبتلى به الدين هو روح النفاق والتجارة، والإغراء بالنفاق إغراء كبير والإغراء في التجارة (جعل الدين سلعة تجارية) إغراء كبير.

السلام عليكم وعليكن أيها الإخوة والأخوات الأعزاء ورحمة الله وبركاته. وأخص بالسلام إخواني علماء الدين الأجلاء والسادات الكرام.

اليوم نبدأ بسنة ١٤١٦ للهجرة بعد أن انتهينا من سنة ١٤١٥هـ وانقضت سنة من عمر الدنيا وانقضت سنة من عمر البشر وانقضت سنة من عمر كل واحد منا وتجددت سنة جديدة، وأول ما نسأل الله أن يرزقنا التوفيق لعبادته وطاعته في هذه السنة الجديدة وأن ونستغفر الله من ذنوبنا في السنة الماضية التي طوى بسجلها على ما عملناه من خير أو شر.

وأنا أنصح نفسي وجميع إخواني وأخواتي وأبنائي وبناتي أن نجدد التوبة إلى الله في هذه الليلة، التوبة إلى الله مما مضى فنستقبل سنتنا الجديدة بصفحة بيضاء نعاهد فيها الله تعالى على أن نكون ممن استقاموا على أمره ونهيه (هذه أول نقطة) ولا أستطيع أن أخرج من فكرة أن كل واحد ما زاد في عمره سنة ونقص من عمره سنة واقترب من قبره سنة.

نقطة ثانية إن هذا المجلس المبارك، إن شاء الله، هو مجلس عاشوراء وأن ذكرى عاشوراء الجديدة بدأت في هذا اليوم وأن تشرفنا بحضور هذه المجالس والمشاركة فيها يشدنا إليه ولاء واحد فقط هي مجالس ليس فيها أنس ولا لهو وليس فيها فرح ولا شهوات ومسرات، هي مجالس فيها عبرة وفيها لحظة وذكرى لهؤلاء الكرام.

فأنا أطلب من الجميع الآن أن نرتد بأفكارنا إلى تلك الأيام وأن نستعيد صورة الحسين وهو يتذبذب بين بقاع الصحراء بعد أن خرج في اليوم الثامن من ذي الحجة من مكة وقلب حجه إلى عمرة مفردة. ولقد خرج من مكة لأنه كما روي عنه أنه قال «لم يرد أن ترتكب فيها جريمة هتك حرمته باغتياله فيها من قبل المتآمرين الموفدين من قبل يزيد بن معاوية» وخرج في ذلك اليوم والناس ذهبت إلى منى تستعد لعرفة وهو خرج إلى العراق. ومنذ الثامن من ذي الحجة إلى الآن هو في محطات الطريق التي سمعتموها وتسمعونها من قراء مجالس العزاء.

اليوم أول محرم ولم يكن الحسين وآله قد وصلوا إلى كربلاء، فهم لم يصلوا إلى كربلاء في أول محرم، هم كانوا لا يزالون في الطريق وكان الإمام الحسين يفاوض لعله في مثل هذه الساعات من هذا اليوم يفاوض سلطات بني أمية في أن يترك ويعود إلى المدينة أو يذهب إلى اليمن وكانوا على الظاهر في مثل هذا اليوم، وغدا يرفضون المفاوضة ويقولون له «أنزل على حكم أمير المؤمنين يزيد بن معاوية أو على حكم وكيله عبيد الله بن زياد».

نحن نعود بأذهاننا إلى ذلك الوقت ونفترض أننا هناك ونعود إلى ذلك اليوم بخيالنا رجالاً ونساءً، نتصور الحسين وآله وأصحابه رجالاً ونساء نتصور ثقل آل محمد زينب وصحابتها وأخواتها وبناتها. وشعور مجموعة الرجال

والنساء الذين استقر عليهم الأمر حينما خرج الحسين يوم التورية من المدينة كان معه كثير من الناس جيش كبير كان معه، ولكن حينما وصله خبر استشهاد مسلم بن عقيل وعرف الناس بذلك تفرقوا عنه يميناً وشمالاً وبقي في هذه الصفوة التي نزورها ونتعلم منها ونسلم عليها ونقيم لها هذه المآتم مع الحسين عليه السلام.

ونسأل أنفسنا لماذا كل هذا السؤال؟ نسأله لماذا خرجوا؟ ولماذا رفضوا؟ ولماذا قتلوا؟ ولأي شيء؟ ولأي سبب ولأية غاية؟ هذا السؤال دائماً نسأله، وأصبحنا نعرف جوابه ألف مرة ولكن الآن أنا سأطرح هذا السؤال من جديد وسيطرح بعدي ملايين المرات من جديد لا لأجل أن نفهم الحسين بل لأجل أن نفهم أنفسنا ونفهم موقعنا وموضعنا.

حتى الآن وكما سمعتم قبل قليل أنا لم يستقر رأيي بعد على محور الأحاديث في هذه السنة ربما أخبركم به قبل أن أودعكم في هذا اليوم، وربما أخبركم به غداً، وكنت أفكر الأمس واليوم بالمحور عاشوراء في هذه السنة وما هو الأمر المهم للمسلمين؟ مدرسة عاشوراء أي درس في هذا السنة يجب أن نتعلم منها؟ ما هو الأمر المهم في حياتنا العربية والإسلامية متى نجعل عاشوراء مدرستنا وندخل فيها، أسأل الله أن يكشف شيء عن شيء يكون مفيداً ولكن أنا الآن واليوم علمت بشيء قبل ساعة أو ساعة ونصف. أنا مضطر من الناحية الشرعية والأخلاقية والقيادية أن أقول هذا الشيء وأحذر منه وأعاقب عليه والله هو الذي يعاقب عليه وأنا لا أعاقب أحداً يا أعزائي ويا عزيزاتي أنتم في هذا المجلس ومن يسمع هذا الكلام من سيسمع ويقرأ هذا الكلام غداً أوصيكم واحداً واحداً وواحدة واحدة أنتن النساء في بيوتكم مع إخوانكم وجيرانكم أن تنقلوا عن لساني هذا الكلام في بيروت والبقاع والجنوب والجبل وفي المجالس وفي كل مكان.

تعرفون أني أقول دائماً أن الشيعة يسيئون الأدب مع الرسول وآل بيته بمقدار ما يظنون أنفسهم أنهم مؤيدون ومعززون ومحبون ومخلصون للرسول وآل بيته وأنا أقول الشيعة يسيئون الأدب وبالعامية أقول الشيعة يصغّرون الكبار

ويصغرون كبارهم. الرسول لو قرروا أن يعملوه نبي الشيعة لكانوا فعلوا ذلك ولكن أئمة أهل البيت العظام أئمة الإسلام أئمة البشرية صغّروهم وصغّروهم حتى عملوهم أئمة الشيعة. الإمام علي بن أبي طالب أعظم شخصية في التاريخ البشري بعد رسول الله ﷺ صار إمام الشيعة، لا ليس إمام الشيعة علي بن أبي طالب بالمعيار الإسلامي هو إمام المسلمين وبالمعيار الإنساني هو إمام الإنسانية والأئمة عليهم السلام من الحسن إلى الإمام المنتظر (عج) هؤلاء أئمة المسلمين وليس أئمة الشيعة. الشيعة يسيئون بسلوكهم وتعابيرهم وفهمهم. وبهذه العاشوراء الشيعية التي يقيمونها وبهذه الوجودات المعظمة الضخمة يصغرونها الزهراء أم المؤمنين يحولونها إلى أم ثم امرأة شيعية صغار.

وهذا الخطأ دائماً نردد بتصحيحه ونقول: أيها أيتها الشيعة اسلكوا وافهموا واسلكوا سلوك بحيث أن هؤلاء أسرار الله على الأرض وبركات الله على البشرية أعطوهم حجمهم وعاملوهم كأئمة المسلمين ولا تدعوا حبهم الذي يقزمهم ويصغرهم هؤلاء أئمة المسلمين، طيب، أمير المؤمنين علي والحسن والحسين والإمام زين العابدين والإمامين الباقر والصادق وإلى أخر السلسلة الذهبية المعظمة والمشرفة سلمنا أنهم أئمة الشيعة وهم أجل وأعظم من أن يكونوا أئمة الشيعة وهم أكبر من الشيعة بكثير هم أئمة المسلمين.

البعض وخاصة في عاشوراء يريدون أن يجعلوهم أئمة بعض الشيعة، ومن المفروض أن مجالس العزاء يا أعزائي ويا عزيزاتي أنها عقدت على ذكر الله ورسوله وأهل بيته لخدمة الإسلام والدعوة الإسلامية ولتربية الناس على الإسلام ولتجديد العلاقة بالإسلام وبكتاب الله وتجديد العلاقة بشريعة الله وبالأخلاق الإسلامية. فإذا أردنا أن نجعل من الحسين حصتنا الخاصة وأنا أقول لكم بصراحة هذه المجالس يجب أن تنزع عنها جميع الصفات الحزبية والفئوية.

هذه المجالس لا يجوز أن تكون أفخاخاً لأجل أن يظهر فيها أية جهة سياسية تريد أن تستحوذ على الناس عن طريق أن هذا المجلس للجهة الفلانية والجهة الفلانية.

أنا لا أقبل أن يصير الحسين إمام الشيعة وهذه المجالس والله يعلم أنا لا

أقبل أن تظل مقصورة على الشيعة، أنا أريد جميع المسلمين يأتون ويحضرون ويستفيدون من ذكر أهل البيت عليهم السلام وإذا جاء فلان وفلان يريد أن يعمل هذا المجلس مجلس فئة خاصة وينقسم الناس ويصير مجلسنا ومجلسكم وجماعتنا وجماعتكم وحسين وحسينكم حتى الأناشيد تختلف وحتى العقائد تختلف ويختلف قراء التعزية وحتى زينب تبكي دمعتين وتلطم لطمتين. أنا أقول قليلاً من الحياء وإذا أردتم أن تتاجروا فلا تتاجروا بالدين ولا تجعلوا من هذا الدين تجارة.

يجب أن تكون هذه المجالس خالصة لله وهذه المجالس يجب أن يتصالح فيها الخصوم ويجب أن يلتقي فيها الخصوم و(ليست بأكثر من الحر بن يزيد الرياحي وهذه المناسبة كانت وسيلة من أتى والتقى بالحسين).

وهذا أمر لا يجوز يا أعزائي وعزيزاتي، وأنا كما أقول في الدعاء «اللهم ارزقنا الإخلاص في العمل، وأبعدنا عن الرياء وأبعدنا عن التجارة في الدين».
أما الآن أقول أنا أبوهم وكل واحد حزبي أنا أتولاهم وأنا أودهم وأخدمهم وأنا لا أتبرأ منهم ولكن لا أريد أن يكون هذا السلوك، كيف يبلغني أنه يقع جرحى في القرية الفلانية والأخرى. وعلى مجالس العزاء.

الآن وبوجهي أنا نازل من الطيارة أسأل عن أحوال الناس فيقولون لي في القرية الفلانية في خمس جرحى وفي القرية الأخرى عدداً من الجرحى فهل هذا معقول؟

والله أنا أقول لكم جميعاً هؤلاء الآن يجعلون الزهراء تبكي والحسين كذلك ويقول نحن حينما وتشردنا وذبحنا وسبينا حتى نصل على هذه النهاية. أليس كذلك.

أنا أناشد هؤلاء الأعزاء وحيثما كانوا وأناشد إخواني علماء الدين وأقبل رؤوسهم فليعظوا الناس بالصلح وليعظوا الناس بالمحبة والأخوة.

لا يجوز أن تستغل عاشوراء ولا يجوز أن تصبح عاشوراء سبباً للإثم والفتنة ولتفريق كلمة المؤمنين وبدل أن تجتمع كل قرية ويجتمع أعيانها

والخيرين فيها فيقيمون مجلساً واحداً ينفقون عليه ويجمعون له المال منهم جميعاً، هذه اللافتات في الشوارع لماذا؟ ألا يعرف الشيعة أن اليوم أول عاشوراء، ألا يعرفون أن الشيعة يقيمون مجالس عزاء في هذا الشهر. وهل من الضروري استعراض أنفسنا باللافتات في الشوارع وكل واحد يكتب اسمه موقعاً لأجل بيان الشهرة والظهور. فما الداعي إلى ذلك؟ فأهل الضيعة يعرفون بأن عندهم مجلس عزاء، وهل عددهم خمسة ملايين حتى لا يعرفون بعضهم. أهل الحي يعلمون والناس تسمع مكبرات الصوت.

أولاً: إنفاق المال على اللافتات، ثانياً الخلاف حولها أنا انصب لافتة أو الشيخ حسن عواد ينصب لافتة ونتقاتل عليها فهل هذا معقول؟ هذه اللافتات لا لزوم لها، إذاً فلماذا نعمل لافتات ونقاتل عليها، يجب على أهل الحي والمنطقة جمع المال وتضافر جهودهم ومحبة بعضهم، فالحسين أبوهم والناس حينما ينذبح أبوهم يأتون من أقاصي الدنيا ويبكون ويحبون بعضهم ويتعالجون وفلا يجعلون جنازة أبيهم باب تجارة لكل طرف ويتقاتلون على الجنازة، هذا أمر قبيح وهو من أقبح ما يكون. هذه المسألة الأولى.

المسألة الثانية: الآن نحن في هذه القاعة وربما بعض الإخوان موجودون في الساحة الخارجية وهذه المكبرات موجودة في الخارج والمكبرات وظيفتها أن تسمعكم وليست وظيفتها أن تدخل على غرف نوم الناس وعلى غرف المستشفيات وعلى ساحات البيوت وتقلق الناس في الليل والنهار بالصراخ والزئير والزعيق.

هذا العمل محرم ومحرم حرمتين وأنا أفتيكم بحرمة هذا العمل. بالتعزية محرم وبدعاء كميل محرم بالأذان محرم وبالقرآن محرم وبكل شيء محرم حرمتين حرمة أولى إيذاء الناس وإيذاء الناس من المحرمات الحقيقية ولا أحد يضحك على الناس ويقول لهم نحن نبلغكم الدين. إيذاؤهم حتى في إبلاغ الدين محرم. والأمر الثاني أنه يجعل الناس تنفر عندما يكون الحسين يقترن بإقلاق الراحة، والأذان يقترن بإقلاق الراحة والقرآن والدعاء كذلك، فالناس تنفر من كل ما يقلق راحتها من هنا أنا أوصي كل أصحاب المجالس وأطلب من

كل قراء التعزية وأطلب من كل علماء الدين ومن كل جمهور الناس أن يتنبهوا أي مكبر للصوت مفتوح على الشارع وعلى بيوت الناس يجب إقفاله فالمكبر وظيفته أن يسمع الناس داخل مجلس العزاء، أما حرب المكبرات في الشوارع فهذا شيء مخجل وأن هذه الجهة عندها مجلس في هذه الغرفة أو المدرسة أو الشارع، أما الجهة الثانية فتتخذ موقعاً مقابلاً وتضع مكبرات الصوت وتتضارب فهذا عيب وهذا هتك لشرف الإسلام ولكرامة أهل البيت والله هذه مجالس لا تحضرها الزهراء ولا يحضرها صاحب الزمان (عج) وهذه مجالس لا تحضرها الملائكة إلا لأجل تسجيل الذنوب ولا تسجل الحسنات.

المسألة الثالثة: فلندخل إلى عاشوراء دخولاً كريماً لائقاً بالحسين. وأنتم لا بد أنكم تعلمون بوجود آداب لزيارة أهل البيت وهي موجودة في كتب الأدعية وأردد قراءتها وهي مكتوبة وتقول أنه يقف على الباب الأول بخشوع أأدخل يا الله؟ أأدخل يا رسول الله؟ أأدخل يا أمير المؤمنين؟ أأدخل يا فاطمة الزهراء؟ ويستأذن بخشوع إلى أن يدخل. وهذا أمر لم يرد في سنة إلا أنه من آداب المكان كما ورد في القرآن الكريم، أن الإنسان إذا أراد أن يدخل إلى بيت من البيوت المحترمة «إذا دخلتم بيوتاً فاستأذنوا وسلموا على أهلها» وهذا من أدب القرآن وإذا أراد أحدنا الدخول إلى بيت إنسان يستأنس هل يوجد أحد أم لا ثم يستأذن ويقول ـ السلام عليكم يا أهل البيت، هل أدخل عليكم أم لا؟ من باب أولى حينما يريد أن يدخل إلى مقام من المقامات المعظمة لأهل البيت عليهم السلام، هذا أدب الدخول وليس هذا الشيء الفجيع الخالي من كل أدب والذي ينتهك حرمة بيوت الناس واستقرارهم ويجعل من الحسين مادة لإقلاق الراحة.

أنا أقول لأصحاب المجالس اتقوا الله ولا تعصوه، وأقول للناس، أيها الناس لا تسكتوا. وحينما يبتلى أصحاب الحي بمجلس من هذا القبيل فليجمعوا أنفسهم ويأتون إلى أصحاب المجلس طالبين منهم إقفال مكبرات الصوت عندهم وعلى مسؤوليتي. هذا العمل مطلوب فلننزه مجالسنا وسلوكنا الديني عن الابتذال وعن المعاصي الشرعية ولننزه هذه المجالس عن أن تكون استعراض سياسي وفئوي وأن تكون سبب للتجارة بالدين. هذه مجالس إنما أمر بها أهل

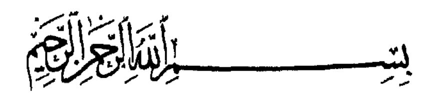
البيت عليهم السلام لتكون مدارس إسلامية ومدارس أخلاقية.

استغفر الله وأتوب إليه وأسأل الله أن يجعل هذه العاشوراء مجالاً لطاعته ولتحديد المعاهدة مع الله سبحانه على الإيمان النقي المخلص على أخوة البشر وعلى أخوة المؤمنين وأخوة المسلمين وأن يصلى ويسلم على رسول الله وعلى أهل بيته وعباده الصالحين.

آجركم الله مبارك عليكم هذه السنة الجديدة التي أسأل الله أن يجعلها سنة خير وبركة ويمن وأن يسبغ عليكم فيها نعمه الظاهرة والباطنة وأن يرزقنا المقامات المحمودة مع الحسين وآله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيعة جزء لا يتجزأ من الإسلام

٢ محرم ١٤١٦هـ



والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين الذين اتبعوه بإحسان، والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات جميعاً ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن يوفقنا إلى الاستقامة على هداه الذي استقام عليه الإمام الحسين وصحبه.

هذا هو اليوم الثاني من أيام محرم وهو فيما تذكر الروايات روايات السيرة الحسينية هو اليوم الذي وصل فيه الركب الحسيني إلى كربلاء. وفي اليوم الثاني من المحرم من سنة ٦٠ للهجرة وصل ثقل أبي عبدالله الحسين إلى كربلاء ومنعوا من التقدم ومنعوا من المضي قدماً إلا مستسلمين لعبيد الله بن زياد في الكوفة ومنعوا من العودة إلى المدينة ومنعوا من الذهاب إلى جهة ثالثة وما يعرفه الناس من عاشوراء بدأ في هذا اليوم، في اليوم الثاني من المحرم بدأت المفاوضات والمباحثات بين الحسين وممثليه ووكلائه وبين القيادة الأموية المتمثلة بقيادة الجيش الأموي. وجرت الأمور بعد ذلك بالشكل الذي جرت عليه وتعرفونه.

فشلت كل المفاوضات وأصرت السلطة على أن الحسين يسلم أمره إلى عبيدالله بن زياد أو يواجه مصيره في القتل والقتال وقال الحسين كلمته الشهيرة «ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة» وكانت كربلاء.

كما قلت لكم، وكما أقول في كل سنة، هذه المدرسة هي ليست مجرد الحزن وقد يكون الحزن أقل ما هو مطلوب فيها ومنها، وهي ليست للمواساة، والمواساة فيها أمر مهم «مواساة الرسول وأهل بيته والتعاطف معهم والحزن لحزنهم والغضب لهم» وهذا أمر مطلوب ولكنه ليس كل شيء. مؤسسة المنبر الحسيني والخاتم الحسيني التي أسسها أئمة أهل البيت ابتدأ من الإمام زين العابدين ونفذها أهل البيت أنفسهم من زين العابدين وزينب وليس المقصود منها فقط الحزن والمواساة بل المقصود منها العبرة والعظة والتعلم ووظيفتها وظيفة تربوية وتعليمية وتثقيفية كما هي وظيفة القصص والسير التي حددها الله تعالى في القرآن بقوله ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[1].

فالسيرة الحسينية مثل السيرة النبوية ومثل السيرة العلوية فسيرة الإمام علي مثل سيرة أهل البيت جميعاً وتشبه سير الأنبياء والصالحين على مدى التاريخ.

ولقد أورد الله في القرآن قصصاً وسيراً للأنبياء ولأقوام الأنبياء وقال عنها ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ فحينما تتجدد في بداية كل سنة هذه الذكرى يجب أن نلتمس أهم الأمور التي تشغل بال الناس والتي تؤثر على حياة الناس والتي تتصل بمصالح الناس الحقيقية ونتعلم من السيرة الحسينية الطريقة التي نتعامل بها مع هذه القضايا لتكون السيرة الحسينية عبرة ولا تقتصر على مجرد القصة والبكاء والتسلية.

بالأمس ذكرت أمرين، والآن أكرر ذكر الأمرين وأمراً ثالثاً وربما رابعاً. أمس ذكرت أن هذه السيرة لا يجوز أن تكون مظهراً من مظاهر الخصومة والخلاف بين الناس وأن هذه المجالس المباركة يجب أن تكون تعبيراً عن وحدة الناس مع بعضهم وأن تكون تعبيراً عن الوحدة وليس عن الخلاف. لا يجوز لنا أن نقسم الحسين بيننا فنجعله نصفين أو أرباعاً.

لا يجوز أن تتعدد المجالس في المكان الواحد تعبيراً عن تكتلات مهما كانت طبيعة هذه التكتلات لا يجوز. ومهما عللت هذه التكتلات فإني لا أرى

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

من المناسب أن تكون بهذا الشكل الذي بلغنا ويبلغنا دائماً. وبالمناسبة نذكر استطراداً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[1] حينما يكون هناك مجلس مجلل ومعظم ولا يكون فيه لهواً وعبث ويكون فيه كلام نافع إنشاء الله يحسن الإصغاء إليه ولا يحسن التلهي بالحديث عنه ومن أراد أن يتحدث في شأنه الخاص فليؤجل حديثه إلى ما بعد ذلك. هذا التعليم هو تعليم عام ولكن نزل في شأن النبي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ يجب أن لا يكون من أشباه الذين قالوا ﴿ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾[2].

هذه هي النقطة الأولى أكررها اليوم وأظل أكررها لا أريد أن أشكك أو أدين الذين يمارسون هذه الممارسة أو يحاولون أن يأخذوا قطعة من الحسين لأنفسهم وأن لا يندمجوا في مجالس عامة مشتركة تمثل الجميع ولكن هذا الأمر هو لا يرضي ولا يناسب إطلاقاً عمومية الحسين. الحسين رجل عام وقضيته قضية عامة.

أنا أعرف أن البعض لهم أتباع وأنصار ويخافون أن يذهب أتباعهم من الرجال والنساء إلى المجلس الآخر فيكونوا قد أفلتوا من أيديهم. أنا أعرف وأنا أبوهم ومربيهم هم يخافون أن يذهب التابع وابنه وزوجه وابنته إلى مجلس آخر ويسمعون كلام الله من مقرء آخر ورثاء الحسين من مقرء آخر والموعظة من شيخ آخر وأيضاً أن قسماً من المشايخ (الله يوفقهم) انخرطوا في هذه الانقسامات وهذا الأمر لا يليق بالحسين ولا يليق بالمسلمين لا يليق أن نجعل حجاز وحجاب بين الناس وبين أن ينفتحوا على بعضهم. الله سبحانه وتعالى أمر الناس بأن يتسالموا ويتحاوروا ويتذاكروا. وأن نأتي نحن ونجعل من الحسين قفلاً وسداً وسوراً وسجناً ندخل فيه أتباعنا وأشياعنا ونعزلهم عن الآخرين. هذه المجالس أسأل الله سبحانه لأصحابها الهداية وأنا لا أراها مجالس مباركة وهذه المجالس لا تريد أن تخدم ولا تريد أن تخدم قضية الحسين وهذه المجالس تريد أن تستخدم الحسين ودمه وعطشه في سبيل الإطار الخاص المغلق.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٢.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٢٦.

أنا رأيت أموراً أعظكم بالله وأعظ نفسي ففي أول الشارع يوجد حسينية ومسجد فيه مجلس تعزية وفي نصف الشارع يقطع الشارع ويقام مجلس آخر في نفس الوقت وتقام الحواجز من قبيل الأقمشة ويصير هذا مجلس جماعتنا، وذاك ليس مجلس جماعتنا وهذا استحمار للناس واستغلال للذكرى الدينية المقدسة وهذا أمر لا يجوز.

أنا أطلب من جميع علماء الدين الأجلاء أن يعظوا الناس بالحق والحقيقة ولكن كما أتكلم الآن في الموعظة الحسنة والمحبة وبدون مهاجمة وبدون إيذاء للمشاعر ولكن أطلب من علماء الدين أن يعظوا الناس ويقولون لهم أنتم إخوة، وأحد أهداف الحسين أن يوحدكم فلا تجعلوا ذكراه سبباً لانقساماتكم، هذه النقطة الأولى وسأكررها غالباً يومياً وأعمل بذلك بأمر الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن في هذه الأمور شيء من المنكر.

الأمر الثاني: الذي نبهت إليه أمس وأعيده اليوم وهو أن هذه المجالس مجالس طاعة ومجالس توعية وهي مجالس أبلاغ للموعظة بالحسنى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[1] وأجبنا أن نحبب أهل البيت وذكرياتهم إلى الناس. أن نكشف عن حقيقة معدنهم وأن نكشف أنهم أهل بيت الإسلام وأنهم أهل بيت رسول الله وليسوا أهل بيتي وبيتك وعشيرتنا، هؤلاء أهل بيت الإسلام وهؤلاء هم أهل بيت المسلمين وليسوا أئمة الشيعة فضلاً عن أن يكونوا أئمة حصة من الشيعة. وهذه المجالس لا يجوز أن تستخدم فيها الوسائل المنفرة للناس وحكاية الميكروفونات والأصوات النكراء في الليل والنهار لا يجوز. أكرر ما قلته بالأمس استعمال الميكروفونات في قراءة القرآن طيلة أيام السنة وفي الأذان وفي جميع أوقات اليوم وأيام السنة وفي الدعاء من دعاء كميل وغيره وفي جميع أيام السنة وفي شهر رمضان وفي ليالي الجمعات وفي مجالس العزاء في عاشوراء إن استعمال الميكروفونات بالأصوات المنكرة على الشوارع والأحياء زائداً على مقدار الحاجة في نفس المجلس صاحب العلاقة هذا الاستعمال فيه إيذاء للناس وفيه هتك لحرمة الشرع الشريف وحرمة أهل البيت

(١) سورة النحل: الآية: ١٢٥.

(سلام الله عليهم) وبهذين العنوانين الاثنين هذا الاستعمال ليس حلالاً.

ونحن نعلم أن اقتحام البيوت بالأصوات المنكرة على الناس، فالناس لا يرضون به وقد عبروا لنا دائماً ولغيرنا عن استنكارهم ولكنهم يخافون ويخجلون أنا أقول أصحاب المجالس ينبغي أن يكون عندهم شيء من الورع وشيء من الحياء. ومما يتصل بهذا أنا أقول للشيعة: يا شيعة أهل البيت بمقدار ما يكون سلوككم سلوكاً نظيفاً ومنفتحاً وإنسانياً ومدارياً تكونون دعاة لأهل البيت وهذه سياسة اللافتات والأعلام السوداء والمنقشة في كل زاوية ومكان حيث يلزم وحيث لا يلزم وفي أماكن يعلم أن أصحابها لا يرضون ولكنهم يخجلون أو يدرؤون من الفتنة وعلى أي أساس هذا ومن قال لكم أن هذا أمر مطلوب. هذه المسألة أنا ألفت الأنظار إلى ضرورة المراجعة فيها والتوقف عنها وهذه ليست مراجل وهذه ليست حباً وهذه إثارة وإستثارة لا معنى لها ولا وجه لها وهذا ليس ولاء لأهل البيت ولا حباً لهم عليهم السلام وهذا يتصل بالأمر الأول وهو أن هذه الجهة أو تلك الجهة لافتاتها أكبر وأعلامها أكثر.

هذا الأمر يضاف إلى ما ذكرت والأمر الجديد وسنعود إلى ذكره وأنا أعلم أنه لا يطاع أعود إلى ذكره واعلم أن البعض سيشتمني كما شتمني في السنة الماضية، أعود إلى ذكره واعلم أن العصبية الجاهلية وأن الحماس الذي ليس فيه ورع ولا فقه سيجعل الغلط يستمر وأقول أنا أخشع وأقبل جبين كل الناس الذين يعبرون عن حبهم وولائهم لأهل البيت وللحسين ولا أشكك في ولاء أي موالي ولا في إخلاصه ولا أزايد على أحد بشيء وأقول اللهم أرزقني شفاعة أبسط الناس في يوم القيامة. أنا أتولاكم جميعاً وأتولاهم جميعاً ولكن العمل الخطأ من واجبي أن أقول خطأ ولقد قلت إنه خطأ حين كنت في العراق منذ أكثر من عشرين سنة وقلت إنه خطأ في لبنان منذ أكثر من ٢٠ سنة أيضاً. وسأظل أقول إنه خطأ. إن التطبير (ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات والآلات الجارحة) إن جرح الرؤوس تحت أي شعار من الشعارات وبأي ذريعة من الذرائع عمل غير مشروع.

وهو محرم قطعاً ويقيناً وكله محرم ولكني تورعاً أقول غير مشروع أما

الأمهات اللواتي يدعين أنهن ينذرن رؤوس أبنائهن وبناتهن ولهذا فإنهن عاصيات لله وهذا العمل غير مشروع وهذا العمل فيه هتك للتشيع والشرع والإسلام ولكن إن الذي يحصل يا أعزائي جميعاً وإلى كل من يبلغه كلامي أن الإسلام يفصل عن التشيع، وهنا سأدخل إلى منحى شديد الخطورة وهو أن الإسلام يفصل عن التشيع فيقال أن المسلمين كذا والشيعة كذا ويستخدم تصرف الشيعة ضد الإسلام مرة ولكن ضد التشيع دائماً. الإرهاب والشعارات غير الواقعية من جمهورية إسلامية التي دعي إليها في لبنان منذ أكثر من عشر سنوات وكنا نقول «لا» والحمد لله الآن الذين كنا نقول لهم «لا» صاروا يقولون «لا».

الآن من أساليب المزايدة ضرب الرؤوس شبان ونساء وصبايا وأنا لا أعرف كيف تظهر شابة على الملأ مكشوفة النحر عارية الرأس وتجرح رأسها على الحسين قربة إلى الله وهي تنتهك حكماً شرعياً إلهياً بوجوب التستر وبعدم الاختلاط المثير للفتنة. هذا العمل غير مشروع في ذاته ولا يشرع للإنسان أن ينزل أي أذى بنفسه من غير مبرر عقلائي.

أما القول بأن إظهار الحزن على أهل البيت مبرر عقلائي فنحن نقول «لا» ليس بهذا الأسلوب وبمعيار الإسلام والتشيع هذا فيه هتك للإسلام وفضيحة للتشيع والذين يقومون بهذا العمل والذين يمولون هذا العمل والذين يسكتون عن هذا العمل أو يشجعونه هم يساهمون في هتك التشيع وفي إظهار الشيعة وتقديمهم إلى العالم أنهم مجموعة همجية خالية عن الشرع والإسلام خرافية وإرهابية. وهناك سياسة بعض الدول ضالعة فيها وبعض الشخصيات وبعض معممي الشيعة ضالعون فيها وتحت كل الشعارات تقديم الشيعة إلى العالم بهذه الصورة ـ والقول أن شيعة العالم يتبعون جهة معينة ومنطق معين وثقافة معينة وأسلوب معين والعالم يجب أن يعاملهم على هذا الأساس. وهذا الأمر مرفوض جملة وتفصيلاً.

أنا قلت دائماً وأقول الآن وسأظل أقول أيها الشيعة اندمجوا في الإسلام أيها الشيعة اندمجوا في المسلمين أيها الشيعة اندمجوا في أوطانكم، أيها الشيعة لا تسمحوا لأحد أن يجعل منكم فئة خاصة في وطنه أو في العالم العربي أو

العالم الإسلامي. أنتم طليعة في هذا الدين وجزء من هذه الأمة وبهذه المحاولة وبأي شعار أو خطاب سياسي أو بأي خطاب تعبوي ترتكب جريمة في حق الشيعة والتشيع في العالم العربي وغيره عن قصد وعمد وسابق تصور وتصميم أو لا عن عمد ولا عن قصد في إظهار الشيعة وكأنهم فئة مستقلة عن مجتمعاتها وأوطانها وعن مجتمعاتها الوطنية وعن الأمة الإسلامية.

هذا الأمر هو أحد الأمور الذي حاربه الحسين، التمييز والفرز الداخلي في الأمة هي أحد الأمور التي حاربها أبو عبدالله الحسين وهو حارب عملية الفرز والتجزئة الداخلية وإظهار فريق من المجتمع على أنه ليس من الأمة والأمويون كانت سياستهم هذه والإمام الحسين حارب هذه السياسة.

وسأذكر لكم وقائع من هذه المحاربة أعود فأقول إن هذه العادة وهذه الطريقة ومع احترامي المطلق والله لمن يقومون بها ومع خشوعي أمام إيمانهم وولائهم أنا لا أتهمهم أو أتهم أحداً بأنه يقوم بعمل استعراضي «لا» هم يقومون بعمل من أعمال الولاء ولكن عملهم خطأ وعليهم أن يبحثوا عن عمل آخر يعبرون به عن حبهم.

سبق واقترحت وتكرر الاقتراح أن تنشأ مؤسسات وبنوك دم حسينية لمن يحب أو يريد أن يواسي أهل البيت بدمه وهذا عمل حضاري ينسجم مع أرقى المعايير الشرعية وأرقى المعايير الحضارية ويقدم الإسلام إلى العالم تقديماً صحيحاً ويقدم التشيع، هذا التيار الطاهر في جسم الإسلام يقدمه تقديماً صحيحاً. الذين يريدون أن يمذهبوا التشيع ويجعلوه مذهب صغير مغلق هؤلاء مخطئون فالتشيع ليس مذهباً والشيعة ليس مذهب التشيع تيار كبير موجود في قلب الإسلام وفي صحيح الإسلام قاده الإمام علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام ولم يكن شغل الإمام علي أن ينشأ مذهب أبداً.

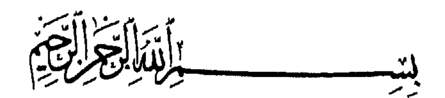
التشيع ليس مذهباً والتشيع ليس مجموعة منتفعين وليس مجموعة تكايا وزوايا والإمام الحسين حينما خرج لم يخرج للدفاع عن المذهب «لا» الإمام الحسين خرج دفاعاً عن الأمة والمجتمع وعن الإنسانية.

أعود فأقول لا تجزؤوا الحسين ولا تقسموه ولا تذبحوه ألف مرة جديدة ولا ترفعوا رأسه فوق الرماح وأقول لكم هذه اللافتات التي تنتشر حيث ينبغي وحيث لا ينبغي فيها هتك، وهذا النوع من الاستعراضات لا لزوم له وهذا استعراض وليس ولاءً وهذا استثمار للذكرى الحسينية فلا تستثيروا الناس وحببوا أهل البيت إلى الناس واجعلوا قضية الحسين قضية نابعة من كل بيت لا قضية مفروضة من فوق.

استغفر الله وأتوب إليه والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

القيادة والمجتمع
مسؤولية متبادلة

٣ محرم ١٤١٦هـ



والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه الذين اتبعوه بإحسان ونخص بالسلام سيدنا أبا عبدالله الحسين وآله وصحبه بهذه الأيام التي هي أيامهم وهي أيام الله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

في الأيام الباقية من هذه التسعة أيام سنخصص الحديث العاشورائي لموضوع محدد في هذه السنة وهو علاقة المجتمع بقيادته ومسؤولية المجتمع عن قيادته ومسؤولية القيادة عن مجتمعها لأن الحسين (سلام الله عليه) يمثل قيادة للمسلمين والمسلمون هم قاعدته وأتباعه ولأن ما حدث في كربلاء وما حدث بعد كربلاء وإلى يومنا هذا هو مظهر من مظاهر الخلل في العلاقة بين القيادة وبين الناس.

أولاً مفهوم القيادة ومفهوم الحاكمية ومفهوم الولاية في الشريعة الإسلامية يختلف عن مفهومها في الشرائع الوضعية ولا بد للناس من قيادة ولا بد للناس من حكومة ترعى شؤونهم وتدبر أمورهم وتحكمهم وهذه وظيفة أساسية في المجتمع وقد عبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن هذه الضرورة في جوابه

على الخوارج فيما قالوا: لا حكم إلا لله وقال. «كلمة حق يراد بها باطل». نعم إنه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله ولا بد للناس من أمير بر أو فاجر إلى آخر الكلام.

الحكم هو القانون والإمرة هي التنفيذ. في الإسلام الحكم لله حكم الشريعة وحكم الدين ولكن تنفيذ هذا الشرع هو بيد الأمير الحاكم.

في موقف من المواقف الصعبة على أمير المؤمنين، هذا الموقف كان وهو في طريقه إلى البصرة بعد الفتنة التي تورط فيها المسلمون بسبب الأطماع والنزاعات وتورطت فيها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن سائر المؤمنات الصالحات وغير الصالحات، قال مر عليه عبدالله بن عباس وهو يخصف نعله جالس وعنده نعله وقد انقطعت فجلس في الشمس يخصفها قال لابن عباس: يابن عباس ما قيمة هذه النعل (النعل لا قيمة لها) فقال له لا قيمة لها فقال له الإمام: ما قيمة دنياكم هذه عندي إلا كقيمة هذه النعل إلا أن أقيم حقاً أو أضحد باطلاً ثم قال: إلا وأن هؤلاء القوم قد اتخذوا مال الله دولاً والصالحين حرباً والفاسقين حزباً وبين أنه لولا أن وظيفته ومهمته هي أن يقيم الحق ويضحد الباطل لما تولى السلطة ولما قبل بالقيادة.

هذه هي الوظيفة الناس تحتاج إلى قيادة وإلى سلطة لتقيم حياتها على الحق وعلى العدل هذا الأمر لا يرتبط لا بزمان ولا بمكان المجتمع بحاجة وحينما يفقد المجتمع السلطة المركزية القوية العادلة الصحيحة فما الذي يحدث؟ يحدث أن تنشأ سلطات أن كل حي تكون فيه سلطة متحزب أو متزعم أو متسلط يجمع حوله مجموعة من الناس ويتسلط على الناس فيذلون كرامتهم. قال الله تعالى في كتابه الكريم في حكاية شأن موسى وفرعون ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾[1] أي قسم الناس إلى أقسام والله خلق الناس موحدين، الفرعونية تقسم الناس إلى أقسام وإلى طبقات وأحزاب وفئات وإلى عشائر وتعمل عملية ضرب الناس بعضها ببعض، هذا الحكم الفاسد، إما لا

(١) سورة القصص، الآية: ٤.

حكم ولا يوجد شيء ينشأ فراعنة صغار فالناس بين فرعون كبير يقسمهم وبين فراعنة صغار أيضاً يقسمونهم.

ومر على لبنان تجربة ذاقها اللبنانيون تماماً والآن هذه التجربة موجودة في أفغانستان وموجودة في بعض أنحاء مصر والجزائر (الفراعنة الصغار) وتذكرون أحياءكم وقراكم تذكرونهم حينما تفسد العلاقة بين القيادة وبين الناس، القيادة الصحيحة تخسر والناس يخسرون، القيادة الصحيحة تخسر دورها ولا يعود لها دور ولكنها لا تخسر نفسها وتبقى قيادة أمير المؤمنين عليه السلام خسر دوره ولم يخسر نفسه، أئمة أهل البيت (سلام الله عليهم) خسروا أدوارهم ولم يخسروا أنفسهم ولكن المجتمع يخسر نفسه لا أنه فعلاً يخسر دوره إنما يخسر نفسه وكرامته وحياته واقتصاده وأمنه حينما يفتقد القيادة الصحية.

وفي هذا السياق وفي هذا المجال مسؤولية الناس مسؤولية كبيرة ولقد اعتاد الناس نتيجة لتربية فاسدة ومنحرفة على أن يتكلوا على الحكومة وعلى مؤسسات الدولة في كل شيء وربوا ونشئوا على هذه العقلية في جميع البلاد الإسلامية وفي البلاد العربية بشكل خاص وأصبحت الدولة عندهم هي التي تعطيهم الخبز الرخيص والماء الرخيص والكهرباء الرخيصة والطريق والصحة والتعليم وكل شيء وفي نفس الوقت الناس أعطوا لأنفسهم إجازة ألا يلتزموا بالقوانين يريدون مكاسب من دون التزامات هذه الظاهرة كانت موجودة في زمان الرسول (سلام الله عليه) وكانت موجودة فيما بعد زمن الرسول وظهرت أكثر ما ظهرت في أيام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

الناس تريد من القيادة كل شيء ولا تعطيها شيئاً أبداً كأنه بالإعجاز الإلهي القيادة تقدم الأمن والخبز والحرية والكرامة والازدهار دون أن تتلقى أية معونة، هذا الموقف أنتج في زمان علي بن أبي طالب مواقف - بعضكم يعرفها - وصلت إلى حد أن يصعد على المنبر في أيامه الأخيرة ويقول بحسرة مريرة أنه يتمنى لو أن معاوية صارفه عشرة بواحد أنه يعطيه عشرة من جماعته وأتباعه العراقيين ويأخذ واحداً من الشاميين وأدى الأمر في النهاية إلى انهيار كامل في المجتمع نشأ في مجتمع علي ميليشيات داخلية فراعنة صغار تحكموا بالمجتمع وقادوه

بعد ذلك إلى الدمار الذي جاء بمعاوية بن أبي سفيان في القصة الشهيرة مع الحسن عليه السلام وقال معاوية: «ألا أني ما قاتلتكم لتصوموا أو تزكوا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولكن قاتلتكم لأتأمرّ عليكم، بعد ذلك انهار المجتمع وحصلت التوترات والانفجارات التي أدت إلى نهوض الحسين عليه السلام نتيجة إلى أن بعض الناس وعوا وقالوا أقدم علينا يا ابن بنت رسول الله وعبروا عن عزمهم على القيام بمسؤوليات المجتمع ولكن كانت النتيجة هي أنهم خذلوا هذا الإمام العظيم في آخر لحظة وأفردوه مع النظام الأموي وكانت النتيجة هي هذه النتيجة التي نجتمع من أجلها الآن كما في كل سنة.

والآن في مجتمعنا على مستوى إسلامي عام نحن نتحدث عن انهيار وخذلان وضع المسلمين على مستوى عربي عام نتحدث عن انهيار وخذلان وضع العرب وعلى مستوى لبناني خاص نتحدث عن كل الأزمات المعيشية وغير المعيشية التي تعصف بالناس وما هو منشؤ هذا؟ هل الحكومة هي المسؤولية عن كل شيء في لبنان؟ وهل في العالم العربي الدول والحكام والملوك والرؤساء وحكوماتهم هم المسؤولون عن كل شيء؟ كذلك في العالم الإسلامي أو أنه لا! الناس أيضاً مسؤولون؟

بحسب الجري التاريخي الناس أيضاً مسؤولون، العلة والفساد لا يأتي فقط من القيادات يأتي أيضاً من الناس. الناس هم يتخلون عن مسؤولياتهم وعن القيام بواجباتهم ويكون هناك فساد مشترك وإلا لماذا فشل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولماذا فشل الصالحون دائماً لماذا ينجح الشر أكثر مما ينجح الخير؟ لماذا ينجح الطغيان أكثر مما تنجح الشورى والديمقراطية؟ لماذا؟ ولماذا يسمح المجتمع أن ينشأ فيه فراعنة صغار ويشكو منهم ويخضع لهم؟ تذكرون كلمة الفرزدق الشهيرة التي ينقلها إليكم في كل سنة قراء مجالس العزاء حينما لقي الحسين في بعض الطريق بعد أن تكشفت جميع أوجه الخذلان وسأله عن الناس قال له: «يا ابن رسول الله قلوب الناس معك وسيوفهم عليك»، قلوب الناس معك لأنهم يدركون الحقيقة وسيوفهم عليك لأنهم لا يتحملون المسؤولية.

في حياتنا الأمور دائماً تأخذ هذا المنحى وفي موقف لأمير المؤمنين عليه السلام في صفين يبيّن أن الحق أوسع الأشياء في التواصف وأصعب الأشياء في التناصف لا يجري لأحد إلا جرى عليه ولا يجري عليه إلا من جرى له. نحن نتحدث عن حقوقنا على الدولة ونتحدث عن حقوقنا على الحكومة فهل نتحدث عن حقوق الدولة علينا. المسلمون في زمان علي كانوا يتحدثون عن حقوقهم ولكن هل تحدثوا عن واجباتهم. الآن في مجتمعنا نحن نمجد المعارضة والمعارضة أمر حقيقي وصحيح ومطلوب ولا يجوز أن يكون مجتمع من دون معارضة ولكن الحياة ليست كلها معارضة توجد مسؤوليات حينما نقوم بمسؤولياتنا فلنا الحق بأن نطالب بحقوقنا وعندما لا نقوم بمسؤولياتنا فليس لنا أن نطالب بحقوقنا لأننا نكون نحن دمرنا حقوقنا. سمعتم وستسمعون موقف الكوفيين حينما دخل عليهم السبايا وكانوا يبكون وتذكرون ما يقال عن كلام السيدة زينب عليها السلام التي شتمتهم وقالت لهم ساءت الوجوه. أناس قادمون وقفوا يبكون وجلسوا ينظرون إلى رؤوس الشهداء وإلى سبايا بني هاشم وكان أن شتمتهم السيدة زينب لأنهم جزء من المجزرة والمشكلة ولأنهم لم يقوموا بمسؤولياتهم وطالبوا فقط بحقوقهم.

هذه الحقيقة يجب أن نعيها دائماً. نشكو من كثير من وجوه التخلف في حياتنا في القرية أو في الحي أو في المدينة لماذا؟ في القرية لماذا يكون هناك تخلف والمختار وجماعته متحكمون ولماذا تسكتون عنهم؟ رئيس البلدية والمجموعة المنتفعة متحكمة وتسرق الأموال البلدية من الناس ولماذا تسكتون عنها؟ الفئة المتحزبة والمتسلطة على الناس تجبي باسمها وتتحكم باسمها لماذا تسكتون عنها؟ فرعون صغير أو فرعون كبير، فرعون يلبس لفة أو لا يضع لفة. لأنه يوجد بعض فراعنه يضعون لفات، ولماذا تشتكون وتسكتون؟ من جملة الأمور التي وردت في دعاء كميل ذنوب منها من هذا القبيل، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك....، هذه ليست بترك الصلاة والصوم هي تقصير في تحمل الواجبات.

أنا أقول لكم جميعاً رجالاً ونساء اتبعوا علماءكم ولكن بعد أن تختبروا دينهم وتقواهم وأمانتهم وعفتهم وبعد أن تختبروا أنهم يريدون الإصلاح بين الناس ويريدون وحدة كلمتكم وبعد أن تتأكدوا من أنهم يريدون أن يجمعوا شملكم لا أن يفرقوا شملكم، هؤلاء أنا أتولاهم وأتبرك بهم ولكن دعاة الفتن هؤلاء فراعنة صغار مقنعين هؤلاء هامانات الفراعنة وأعوان الفراعنة كائناً من كان تحت ستار الدين أو تحت ستار الطائفة والمذهب أو تحت ستار المصلحة العامة، فرعون أيضاً قال للناس أن موسى وأصحابه يريدان أن يذهبا بطريقتكم المثلى (حالة شعب مصر تحت سلطة الفرعون كانت المثلى) والذي يفسدها موسى، هكذا يفكر الفراعنة وهكذا فكر يزيد وجهازه الدعائي حينما قدموا الحسين إلى المجتمع على أنه من الخوارج وضد الإسلام وضد رسول الله واستبيح دمه بهذه الذريعة وبهذه الحجة، قلت لكم وأقول لكم الآن وسأقول لكم في المستقبل كل شعار من الشعارات افحصوها أولاً كل شعار من شعارات الدين والمذهب والطائفة افحصوه وافحصوا عن أصحاب الشعار ماذا يريد وأي مال يريدون أن تدفعوه واسألوا إلى أين يذهب هذا المال؟ وكيف ينفق هذا المال؟ وبأي ذريعة يطلق هذا المال؟

حالة الاستباحة غير معقولة وإذا نزل البلاء فلا تلوموا إلا أنفسكم، مسؤولية الناس مسؤولية كبيرة فالناس ليسوا همجاً رعاع، الناس لا يقادون من آذانهم، الله أعطاهم عقولاً يجب أن يفكروا وأعظم محنة عند القيادات الصالحة كانت عدم تفكير الناس، إن الناس يتبعون المهرج ويتركون الداعية يتبعون المشعوذ ويتركون الجد والحقيقة، يتبعون من يريهم الأمور سهلة ويتركون من يريهم الأمور على حقيقتها وبعد ذلك بعد أن تقع الواقعة تقوم النواح والمناح ولكن بعد ماذا بعد أي شيء، اسألوا ودققوا افحصوا، الله أعطاكم عقولاً وعلمكم التكليف الشرعي وعلمكم أن تفحصوا وبهذه الحالة يمكن أن تكتشفوا الحقيقة وتكتشفوا القيادة الصالحة.

أما كما قال أمير المؤمنين عن بعض الناس في بعض الحالات: همج رعاع يتبعون كل ناعق فهذه المسؤولية مسؤولية الناس ولا يلومون إلا أنفسهم

كما حصل أن المجتمع الصائم المصلي المزكي الحاج الداعي للقرآن حينما تخلف وخذل قيادته المتمثلة بالحسين آل أمره إلى ما تعلمون، القيادة الآن هذا الشعب العراقي المسكين يسحق كما لم يسحق شعب في التاريخ لأنه من أول الأمر قصّر في الوقوف في وجه الطغيان الفرعوني وكذلك في كل مكان، كل فئة من هذا الشعب تريد أن تحكم وتتحكم هي كما حصل في لبنان أيضاً كل طائفة تريد أن تبني لها جمهورية لبنانية خاصة وتنشأ لنفسها جلاوزة خصوصيين وكانت النتيجة أن دمروا البلد برمتها.

هذا الواقع يجب أن تدركوه إدراكاً عميقاً بهذا الأسلوب نستفيد من الحسين كما حدثتكم وأعود اليوم وأذكر أن جرح الرؤوس وضرب الرؤوس بالسلاسل المدمية الجارحة عمل غير مشروع لا يشرف الإسلام ولا يشرف الشيعة الذين قلت لكم أنهم ليسوا مذهباً بل هم تيار موجود في الإسلام شاءت المذاهب أم أبت، هذا العمل غير مشروع أحترم وأقدس وأبجل كل من يقومون به بصدق وعاطفة وإخلاص ولكنهم مخطؤون وعلى الناس أن يكوِّنوا رأياً عاماً يجعل من هذا العمل شيئاً فشيئاً عملاً غير مرغوب ولتتكون، كما قلت في السنة الماضية، مجموعات من الأطباء والممرضين من الخبراء الصحيين والممولين لإنشاء بنوك دم حسينية، تصوروا أن تنشأ الآن بنك دم للأعضاء والجلود وأن ننشأ بنك دم حسيني.

وقد تلقيت وأنا في طريقي إلى هذه القاعة الشريفة عدة خبريات وعدة شكاوى عما يجري بكل أسف في بعض الدساكر والأحياء وأقول يا أعزائي الحسين لا يستحق منكم أن يقتتلوا على جثته هذين المجلسين اللذان يتبارزان بالميكروفونات فليتصور الناس ذلك أقول لكم اتركوا الظالم منهما والآن أتصور واقعاً أنه في شارع كذا أو في قرية كذا الحسين ممدود على الشارع وهم يتمرجلون عليه عن طريق الميكروفونات من يسحقه ومن يفضحه أكثر أنتم لست وحدكم يا أبنائي ويا بناتي أنتم تحت سماء العالم مجالسكم وأساليبكم تصور للأقمار الاصطناعية، والناس المغالين الموجودين والمنتشرين بينكم تحت ستار أو آخر وتذهب إلى دوائر المخابرات وكليات علم النفس لتحلل فيحللون

عقولكم ويدرسوا دخائلكم النفسية فيضحكون عليكم، هذا العمل كما يجري يسمونه فولكلوراً احترموا أنفسكم واحترموا مقدساتكم احترموا الزهراء وزينب ولا تحولوا زينب إلى مهرجة وأنها رأت رأس أخيها فنطحت رأسها وسال الدم وسارت سنة حسنة إن الناس تطلع وتضرب رأسها.

هذا الإسلام وهذا التشيع العظيم الذي هو الروح الحية المتفجرة بالإسلام والعافية، أنتم أكبر من هذا وأجل وأكرم من هذا، كما قلت والله أنا أتقرب من الله الآن وطول حياتي بمولاة هؤلاء العزيزات والأعزاء الذين يجرحون حباً وإخلاصاً أنا أتولاهم وأتبرك بهم ولكن هذا العمل غلط وأي ذريعة رحمة الله على روح السيد محسن الحكيم المصلح العظيم الذي اكتشف هذه الحقيقة وتجرأ بطرحها منذ أكثر من سبعين سنة ولكن روح الحب وعدم المبالاة هي لم تؤثر بهذه الدعوة الإصلاحية.

أنا أقول لا تكفوا عن ما قاله بعدل، أيضاً هذه من جزئيات القيادة كيف يمكن أن ننقي سيرة الشيعة في الرأي العام العالمي (صورة مشوهة بالإرهاب والاختلاسات وما إلى ذلك) كيف تنقى هذه الصورة؟ حتى يأتي بعدها التطبير والسلاسل وغيرها، أنتم تقفوا وتقولون «لا» نحن أتباع أهل البيت والحسين ونحن أبناء الزهراء وزينب نحزن لهم ونبكيهم بنبل ونتمثل القيم التي قاموا من أجلها ونطبقها على حياتنا. هذا الأمر الحقيقي الجوهري الذي نستخلصه من هذه العبرة، عافاكم الله جميعاً سنعود إلى هذه الأحاديث غداً إنشاء الله وأقول ما قاله الله تعالى فيما بيننا وفي كل من يسمعه كلامي بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[1].

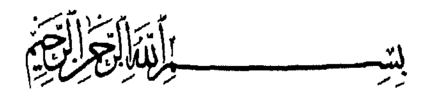
صدق الله العظيم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٣.

الشيعة بين القدوة والتمذهب

٤ محرم ١٤١٦ هـ



وأفضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

تأتي هذه الذكرى للعبرة والتعلم فيما يعود إلى مشاكلنا ومطالبنا ومخاوفنا وأمالنا وحاجاتنا المعاصرة، نحن لا نريد أن نذهب إلى الماضي في عاشوراء وإنما نريد أن نذهب إلى المستقبل من عاشوراء.

من الناس من يجعل الذكريات هروباً إلى الماضي أن ينقلوا الناس من حاضره ومن مشاكلهم ومن حاجاتهم ينقلونهم إلى الماضي، وهذا هو الهروب من الحاضر وهو على خلاف تعليم الله في عبر التاريخ التي جعلها مدرسة للحاضر. نحن لا نريد أن نذهب إلى سنة ٦٠ للهجرة بل نريد أن نجلب عاشوراء كموقف ومنهج إلى سنة ١٤١٦ للهجرة، من هذا المنطلق قلت لكم إن درس هذه السنة ومحور أبحاث هذه السنة عن عاشوراء هي مسائل القيادة والأمة والناس والمشاكل التي تدور بين القيادة وبين الناس في علاقاتهما ومصاعبهما في هذا الصدد أنقل إليكم حديثاً روي عن الإمام الصادق عليه السلام بلغه أنه سمع عن أحد جماعته وباصطلاح هذه الأيام كوادره سلوك سيء فدعاه وقال له: «يا فلان الحسن من الناس حسن ومنك أحسن لأنك منا والقبيح من الناس قبيح

ومنك أقبح لأنك منا». هذا السلوك الشائن الذي سلكته هو أكثر شيناً. لأنك لست مسلماً عادياً، أنك مسلم ممتاز.

أنا قلت لكم وأكرر إن التشيع ليس مذهباً أنا لا أعترف بوجود مذهب شيعة أصلاً التشيع حقيقة موجودة في الإسلام تيار في الإسلام، في كل المذاهب الإسلامية يوجد تشيع وفي ما يسمى تشيع يوجد تسنن، وإلا مصطلح شيعة وسنة هذا مصطلح لا أساس له في الشرع، ولا في الفكر والفقه ولا في شيء على الإطلاق. يوجد مسلمون ملتزمون مسلمون مركبون جديون ويوجد مسلمون بين هذا وهذا وفيما يسمى تسنن يوجد مسلمون ممتازون وفيما يسمى تشيع يوجد نفايات وفيما يسمى تشيع يوجد مسلمون ممتازون وفيما يسمى تسنن توجد نفايات من قمتهم إلى قاعدتهم من مشايخهم إلى عامتهم لا يخدعونكم «يا فلان» وهذا الكلام، أي شخص يقول لا فليبارز علمياً لا تهريجياً ولا دجلاً كما اعتادوا أن يدجلوا عليكم لم أرَ عصراً شاع فيه الدجل كما شاع في هذا العصر ولم أره شاع كما شاع في هذه البقعة من لبنان.

«يا فلان الحسن من الناس حسن ومنك أحسن لأنك منا والقبيح من الناس قبيح ومنك أقبح لأنك منا» منهم ومن هم؟ الإمام الصادق يقول منا. من هم؟ هم اللذين يمثلون صفاء الإسلام والشاهد على قولي لكم في كل تشيع تسنن وفي التسنن تشيع، أبو حنيفة الذي له صورة سيئة في أذهان الشيعة هو ومذهبه نتيجة لسوء ممارسة وسياسات العثمانيين لأن المذهب الحنفي كان المذهب الرسمي المطبق في دولة الخلافة العثمانية، أبو حنيفة النعمان أفتى بالثورة ضد الأمويين والعباسيين مع العلويين مع زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ومع يحيى بن زيد بن علي بن الحسين وأفتى بالثورة وسجن وجلد ويوجد علويون، هاشميون باعوا القضية كلها للمنصور الدوانقي ولابنه ولهارون الرشيد وللجميع المذاهب أمر حادث حدث حينما تحولت إلى أنظمة مصالح. أبداً ونعم يوجد خط عميق شريف طاهر في الإسلام هو التشيع وتيار من قلب الإسلام كله وليس قطعة من الإسلام والأعتقاد بولاية علي وأهل بيته وأتباع هذا النهج المضيء هذا ليس مذهباً أبداً «يا فلان الحسن من الناس حسن ومنك أحسن لأنك منا والقبيح

من الناس قبيح ومنك أقبح لأنك منا».

أنا أطالب كل إنسان ينتمي إلى خط التشيع الشريف أن يضع أمامه هذا الشعار.

هل الثورة الحسينية هي دعوة أو مشروع تجاري؟ هل هي دعوة وتعبئة على الحق وعلى مواجهة الباطل من أجل وحدة الأمة أو أنها مشروع تنافسي؟ هذه الحقيقة العميقة هي التي أريد أن تترسخ في عقول الناس ولا يجوز أبداً أن تتحول القضية الحسينية إلى مشكلة شيعية وأن تتحول من هذا الباب إلى مشكلة بين المسلمين.

المسلمون لا يعادون أهل البيت ولا ينصبون لهم العداء، والمسلمون ليسوا يزيديين. كل المظاهر التي تدفع وظيفة عاشوراء هي الفرز المذهبي يصدق عليها قول الإمام الصادق لصاحبه: القبيح من الناس قبيح ومنك أقبح لأنك منا. أنا لا أخفي عدم رضاي أبداً عن أن عاشوراء سنة بعد سنة تتحول في الشيعة إلى وظيفتين وأنا واجبي الأول أنا أقول وأنا مسؤول وواجبي أن أقول قبل غيري أن الذي ألاحظه وهذه مسؤولية علماء الدين بالدرجة الأولى وموجهي الرأي العام في الدرجة الأولى وغيرها.

أرى أن هذه المناسبة المجيدة المدرسة الدورية تتحول إلى وظيفتين أول وظيفة أنها تكون ظاهرة من مظاهر الفرز المذهبي وأي جريمة أكبر من هذه الجريمة الذي حاول أن يقوم بالفرز المذهبي هو النظام الأموي هو الذي حاول أن يقسم المسلمين ونهج أهل البيت عليهم السلام أنهم كانوا يدعون إلى دمج المسلمين ولذلك قلت في اليوم الأول وقبل ذلك وأقول الآن الشيعة في كل مكان يجب أن يندمجوا اندماجاً كاملاً في محيطهم الوطني في كل مجتمع ولا يميزون أنفسهم، هم غير مميزين فلا يميزوا أنفسهم وظيفة عاشوراء أن تكون وظيفة دمج إسلامي والذين حاربوا مع الحسين فيهم عثمانيون من الملتزمين بالخط العثماني والذين تخاذلوا وخانوا فيهم علويون، أصلاً لم تكن ثورة مذهبية قلت لكم منذ اليوم الأول.

إن الإمام الحسين ليس إمام مذهب وليس صغيراً إلى هذه الدرجة وليس

شيخاً من شيوخ ضيعتكم وأحياءكم هو إمام مسلمين وإمام الأمة وقائدها، هذه الوظيفة وهي وظيفة غلط أنا دائماً أدعو إلى تهذيب عاشوراء من خصوصياتها غير الواقعية ومن خصوصياتها التخلفية الرجعية الخرافية.

من أروع ما كتب عن عاشوراء كتبه غير الشيعة كتبه مسلمون كبار غير شيعة بل في بعدها الأعظم تجاوزت عاشوراء حتى الإسلام، بعض أروع ما كتب ونظم من حشاشة القلب عن عاشوراء كتبه ونظمه غير مسلمين أيضاً. ولماذا تصغرون كباركم ولماذا تقزمون تاريخكم ـ لماذا تسورون على أنفسكم لماذا؟ يوجد بعض تجار دين يأسروكم ليستغلوكم، ارفضوهم.

إنهم لا يقودونكم إلى خير ولم يقودونكم في الماضي إلى أي خير، وظيفة عاشوراء أن تدمج الأمة في بعضها، عاشوراء بعد أن فهمها المسلمون أطلقت كل القوى من عقالها، عاشوراء وحدت الأمة في مقابل النظام «لا أنها مزقت الأمة» وجعلت فئة صغيرة هم جماعة عاشوراء لا هذه نقطة أولى.

نقطة ثانية إنما عندي شعور أقوله علناً وأنا سيء الظن جداً أن هناك قوى أجنبية تساعدها قوى من داخل العالم الإسلامي وبعضها شيعي وظيفتها وهمها أن تفرز الشيعة عن جسم المسلمين وتقدمهم للعالم على أنهم هكذا.

شيعة القامات والسيوف والسلاسل شيعة الفرار إلى التاريخ والماضي والذي يناسب وصفهم أنهم شيعة الإرهاب. لماذا أنا أرى في هذا سياسة والبعض يعملها لأجل أن يحكم قبضته على الشيعة ويقول هؤلاء جماعتي والبعض يعملها كما يعد الكبش للذبح. أحذركم وأنبه قراء مجلس العزاء المشايخ أو غير المشايخ الذين يقرأون مجالس العزاء وعلماء الدين والمنتسبين إليهم والمثقفين وهذا أمر سكت عنه طويلاً ولكنه تفجر في هذه السنة بشكل قبيح يشبه القيح وفي كل مكان ولن أسكت عنه.

فصل الشيعة عن جسم الإسلام وجسم الأمة وتقديمهم على أنهم مذهب مقلق له ثقافته وله تقاليده الخاصة وله فهمه الخاص إلى الحياة، تقديم أقدس وأطهر فكر الإسلام المتجسد في أهل البيت على أنه فولكلور من النبطية إلى

أحياء الضاحية السجينة. هذا أمر لا يجوز وهذه تجارة بلحم الشبعة وبدمهم وبسمعتهم وكرامتهم.

وكانت عاشوراء وكان الحسين أحد ضحايا الدجل الديني، وأحد ضحايا السياسة التي حولت الدين من كونه رسالة إلى كونه مؤسسة سياسبة اقتصادية ولا أريد أن أذكر الصحابة والتابعين الذين وضعوا أنفسهم في خدمة وضع الحديث الشريف من أجل أن يحولوه إلى مؤسسة اقتصادية سياسية تخدم سلطة ونفوذ وتسلط هذا الأمر غير مسموح وأكبر مسؤولية تقع في هذا الأمر على علماء الدين. كنا نحدث البعض في الزمن القديم فنقول ما هذا فيقول إننا نريد أن نحافظ على عقائد العوام (أنتم العوام) أي تروج بينكم الخرافة لنحافظ على عقائدكم هذا المنطق موجود ويعرفه بعض المعممين فيما بينهم وهذا الأمر لا يجوز. في الإسلام لا يوجد عوام والمسلمون كبيرهم وصغيرهم يعتقدون اعتقاداً واحداً ولا توجد عندنا اعتقادات خاصة بالعلماء واعتقادات بالعوام. ومن القبيح أن يجلس المشايخ فيما بينهم فيتذاكرون جرح الرؤوس ويتفقون على أنه غير مشروع وحينما يواجهون الناس ينقلب بعضهم على عقيدته ويقول للناس من رؤوسكم ومن جروح رؤوسكم وهذا قبيح وهذه ليست أمانة الله التي أخذها على العلماء.

وظيفة عاشوراء هي دمج الناس وتوحيدهم. الفرعونية هدفها تجزئة الناس كما قلت حكاية الله عن الفرعونية أن فرعون علا في الأرض واتخذ أهاليها شيعاً يقسمهم إلى مذاهب وإلى فرق وإلى قبائل واتجاهات. وظيفة الإيمان النقي هو أن يوحد بين الناس وأن يلتمس جوانب اللقاء. المسلمون أمة واحدة ولا تصدقوا أن هناك من يتآمر على الآخر. هناك سياسيون بكل أسف دخل فيهم دينيون تحول الدين عندهم إلى سياسة، هؤلاء هم الذين يفرقون بين الناس هؤلاء هم الذين يخلقون لكم أعداء وهميين لتحاربوهم وبدل أن تلتصقوا بهم كما صنع النظام الأموي بالمسلمين في عهد الإمام الحسين حين حولهم إلى مقولة الفرزدق: قلوب الناس معك وسيوفهم غداً عليك.

هذا الواقع يجب أن يوعى وعياً كاملاً. أيها المسلمون وأنا لا أخاطب

جماعة خط التشيع أنا أخاطب المسلمين وأقول لكم جميعاً هذا الحسين إمامكم هذا الحسين حمل قضيتكم حمل هم حريتكم في وجه عبودية الظلام وحمل هم رغيفكم الحلال الشريف في وجه استغلال النظام وحمل كرامتكم في وجه امتهان النظام. هذا الحسين هو لم يكن قائد فرقة إسلامية ولا حزب إسلامي ولا جماعة إسلامية، وهذا الكلام سينشر ويسمعه الناس أنا أطلب من كل قراء العزاء أن يذكروا للناس بصراحة إن الذين توجعوا وتألموا وحاولوا أن ينصحوا قدر جهدهم الإمام الحسين لم يكونوا كلهم من الخط العلوي الهاشمي كان فيهم عثمانيون ومحايدون الذين سموا أنفسهم معتزلين، هؤلاء كلهم كانوا يدركون ضمانة المسؤولية وكانوا يخافون من المواجهة وكانوا يحرصون على تجنب المواجهة ولكن الفرق بينهم وبين الإمام الحسين أنه كما ذكرت في أول الحديث أنه قيادة هو قيادة، وهم ليسوا قيادة عبد الله بن عباس أو عبد الله بن عمر أو عبد الله بن الزبير أو غيرهم من العشرات الذي كانوا في مجتمع المدينة في تلك الأيام السوداء في نهاية سنة ٥٩ للهجرة كلهم كانوا شخصيات بارزة في المجتمع يشعرون بالخطر ويشعرون بهول الكارثة وكلهم رفضوا بيعة يزيد بن معاوية وكلهم ثاروا بعد ذلك على يزيد بن معاوية ونظامه ولكن لم تكن فيهم القدرة ولا الجراءة أن يخطو الخطوة النهائية باتجاه الخروج والثورة لأنهم في الواقع كما هم وكما أثبت الحدث التاريخي لم يكونوا قادة كانوا شخصيات.

القيادة كانت فقط هي الحسين القيادة لا تبالي، القيادة لا تحسب حسابات سياسية، حينما تتحرك تحسب حسابات مبدئية، من هنا كل ما يحكى عن الحسين أو يقال عنه أو ينسب إليه عن أنه رأى أن قدره الوحيد هو أن يخطو هذه الخطوة في مواجهة النظام وأن يتحمل كل الأخطار والآلام. أنا أقول هذا الكلام يصور الواقع، الإمام الحسين لم يخرج سعياً وراء مشروع سياسي أبداً كان الوضع يائساً من الأول لا أن بعد أن بلغه مقتل مسلم بن عقيل لا أنا أعتقد وكتبت هذا في كتاباتي عن الإمام الحسين منذ الأول كان مقرراً أن يقوم بعملية إستشهادية لأجل أن يحدث الصدمة المطلوبة في الأمة ويوجد الصحوة الإسلامية في الأمة. كان المجتمع مخدراً نائماً من جانب دعاة التخدير الديني يروون أحاديث موضوعة ويفسرون القرآن تفسير خاطىء وينيمون المجتمع ومن

جهة السلطة تضربه بالكرباج وتقيده وربطت الرغيف بأمرها.

الإمام الحسين أخذ قرار المواجهة لا لينتصر في ميدان المعركة وما يروى عنه من قوله «ألا ومن تخلف عنا لم يدرك الفتح»، هذا الكلام صحيح وأنا أعتقد بصحته. هو أي فتح النفس للأمة إعادة إحياء الأمة حدثت الصدمة وثاروا على النظام الأموي هم الشيعة، كلا الأمة ثارت على النظام الأموي وظلت الثورات تتلاحق على مدى ثلاثين سنة وأربعين سنة وإلى أن تهاوى عرش بني أمية تحت مطرقة يوم عاشوراء، ولم تكن هذه المطرقة مطرقة شيعية هي مطرقة الإسلام وكان فيها شيعة وفي بعض الأوقات الشيعة لم يحسنوا إدارة العملية (التوابين الله يرحمهم) وما يملؤن نفسي كثيراً أي وقت المصيبة جلسوا في بيوتهم وسلموا أنفسهم للسلطة وبعدها ذهبوا إلى قبر الحسين ليبكوا ثم قاموا بثورة انتحارية لم ينتفع منها الإسلام بشيء. إجمالاً حقيقة عاشوراء هي ليست ثورة شيعة ولا تتكون في أعماقكم أنكم أنتم جماعة الشيعة أي جماعة الحسين والأمة الإسلامية ليست جماعة الحسين. الإمام الحسين أكبر منكم والإسلام أوسع منكم والحسين إمام المسلمين وثورته ليست ثورة شيعية ولم يتأسس بعد كربلاء كما يذهب البعض، التشيع خط موجود داخل خط الإسلام من زمان الرسول الأكرم ﷺ . من هنا ممارسات عاشوراء على المنبر وفي الشارع ينبغي أن تكون ممارسات حضارية وجماعة وموحدة تفتح قلوب المسلمين للحسين ليدخلها لا تغلق دون الضمائر والقلوب وتجعله أسير مذهب وطائفة، وتوجد وسائل كثيرة للتعبير ومن الناس من يعبر في مثل هذه المجالس ومنهم من يعبر بالقصة والخطابة ومن الناس من يعبر بالتأمل، والتعبير عن الولاء لا ينحصر أيضاً بإقامة المجالس.

سؤال:

هذا السؤال الآن وصلنا وتقول إحدى الأخوات لماذا تقام مجالس العزاء قبل العاشر من محرم وليس بعده ومن أقام أولاً هذه المجالس؟ بالنسبة للسؤال الأول أن الحسين مثل أهلنا لا يصح أن الإنسان يُعمل له أجر قبل أن يموت من اللازم الانتظار حتى يموت وهذا مشروع عاشوراء بعد المحرم. تقام هذه

المجالس لأن واقعة كربلاء. صحيح أن الحسين استشهد يوم العاشر من محرم وقبل العاشر من المحرم كان حي وأهل البيت والأنصار كلهم استشهدوا قبل العاشر من محرم على الظاهر إلى اليوم التاسع من محرم لم يستشهد أحد، المعركة فتحت صبيحة اليوم العاشر من المحرم، وكان المقرر أن تفتح ظهر أو صبح أو مساء التاسع من محرم بعد أن فشلت كل المفاوضات ولكن تقدم الإمام الحسين بطلب ستسمعونه من قبل جناب الشيخ في المجلس المقرر «أمهلونا سواد هذا الليل نصلي لربنا» ليلة عاشوراء المقدسة الحزينة هذه الليلة كان مفترض أن تكون هي ليلة المأساة ولكنها بطلب من الحسين أن يتركوهم للتفرغ إلى العبادة.

ولما أصبحوا يوم العاشر تقدم أولاً مجموعة أصحاب الحسين حتى استشهدوا من آخرهم، ثم تقدم أهل البيت حتى استشهدوا عن آخرهم إلى الظهر حتى تقدم الحسين عليه السلام واستشهد. لكن المأساة هي لم تبدأ يوم العاشر هي بدأت في الحقيقة منذ ذي الحجة عام ٥٩ للهجرة وبدأت فصولها من اليوم الثاني من المحرم فما يقام كالعادة من إقامة العاشوراء هي حكاية المأساة إلى أن تبلغ ذروتها واعتقد أن الحسين يستأهل أن يكون له عشرة أيام بدل نصف يوم.

أما أول من أقام هذه المجالس فلقد أثبتنا بالبحث التاريخي أن هذه المجالس هي أحد مؤسسات أهل البيت الكبيرة وهذه المجالس لم توجد صدفة إنما وجدت نتيجة لسياسة ثقافية تعبدية وضع أصولها أهل البيت منذ الإمام زين العابدين عليه السلام والمأتم الأول عقد في اليوم العاشر والحادي عشر وما بعده في كربلاء والذي أقامه الإمام زين العابدين والسيدة زينب واستمر هذا المأتم ينمو ـ كما شرحنا في كتبنا ـ إلى أن أخذ شكل هذه المؤسسة التي تشتمل على السيرة النبوية وعلى تفسير القرآن وعلى ذكر تاريخ أهل البيت وتاريخ المأساة.

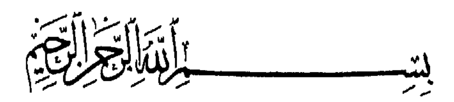
هذا ليس مؤسسة حزن وليس كما يقيم الناس ذكريات تكريمية يستعيدون فيها حزنهم في الأخبار الواردة في بيان لإحياء روح الإسلام المتحركة والنشطة في مقابل الدعوات إلى تحويل الإسلام إلى مؤسسة سياسية اقتصادية وفي مقابل الاتجار وتحويل الإسلام إلى مشروع تجاري وكسب.

الإسلام من خلال المأتم الحسيني يبقى مشروع دعوة ومشروع حرية ومشروع تفتح وإنقاذ في مقابل الظالمين وليس في مقابل الأمة. المأتم الحسيني نتعلم منه كيف نكون أحراراً وكيف نكون مخلصين لإيماننا ولا نتعلم منه كيف نكون أعداء لغيرنا؟ وكيف نكون منقسمين عن غيرنا؟ المأتم الحسيني أسس في يوم عاشوراء في سنة ٦٠ للهجرة من قبل الإمام السجاد، والسيدة زينب هي أم هذا المأتم وروح هذا المأتم.

إذا كان الإمام السجاد هو عقل هذا المأتم فالسيدة روحه وروحه الواعية وليست روحه المغلقة والسلام عليكم ورحمة الله.

معنى الالتزام

٥ محرم ١٤١٦هـ



والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه الذين اتبعوه بإحسان وعلى أتباعهم إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات جميعاً ورحمة الله وبركاته.

ونعيد السلام على أبي عبدالله الحسين وعلى آله وصحبه ما دامت السموات والأرض في ذكراهم المتجددة على مدى الأعوام.

في هذه الأيام التي تستعاد فيها ذكراهم ومأثرهم ليكونوا قدوة وعبرة لنا في حياتنا. من دروس الثورة الحسينية درس الالتزام (الحياة والوطن والجهاد) هي التزامات، الكون كله يقوم على التزام كبير بين الله سبحانه وتعالى وبين مخلوقاته، استقامة النظام الطبيعي في الكون هي نتيجة التزام بين الله وبين الكون وهو ما سماه الله تعالى في كتابه الكريم «الميثاق» وعبر عنه تارة بالميزان وكذلك النظام البشري الاجتماعي. نظام البشر أيضاً يقوم على الالتزام بين الله وبين عباده ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۝٧﴾[1] وكل نظام في الدنيا يستقيم بمقدار ما يكون فيه من التزامات صادقة وكل إخلال بالالتزامات يتسبب إخلالاً في النظام وخسارة لصاحبه وإن كان يظن أنه هو الرابح في المجتمع في الدولة سواء أكانت

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

دولة النبي أو الدولة العادية البسيطة.

هناك التزامات لا بد القيام بها الإنسان لا بد أن يلتزم وأن يكون صادقاً في التزامه تجاه الدولة والحكم وتجاه المجتمع والناس يجب أن تفي بالتزاماتها فيما بينها، وكل إخلال بالالتزامات يتسبب في انحطاط حياة الناس.

مأساة ومصيبة كربلاء كانت نتيجة من نتائج الإخلال بالالتزامات حينما أخل الناس بالتزاماتهم مع أنفسهم ومع قيادتهم الصحيحة الحقيقية، تمكن النظام الظالم والباغي من ضربهم وضرب قيادتهم الصحيحة، لا أريد أن أحدثكم عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من أول أمره ولكن أحدثكم عن الإمام علي في آخر الأمر. الإمام علي ذهب ضحية ليس لأعدائه أبداً وإنما لأصدقائه ولأتباعه وأشياعه. علي لم يكن ضحية معاوية ولا ضحية النظام الأموي ولا ضحية أهل الشام. النظام الأموي ارتكب الجريمة ولكن الذين هيئوا مسرح الجريمة وإمكانات الجريمة الذين فتحوا الأبواب ويسروا السبل، ليس النظام الأموي بل الأشياع والأتباع هم الذين جعلوا من الإمام علي شخصاً عادياً يبكي حظه ويقول من يصارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ويقف على أخشابه وأحجاره ويبكي وينتحب أمام الناس ويقول أين أصحابي؟ الحسن أيضاً نحكي القصة من أولها أولها علي وآخرها لم ينتهِ. هذه القصة الكونية ليس لها نهاية إلا بنهاية الكون نهايتها خروج المهدي (عج) ونزول عيسى.

القصة من بدايتها بداية التاريخ محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبداية القصة علي، والحسن لم يقتله ولم يسقطه ويجرده من كل قوة النظام الأموي أبداً، شيعته وأشياعه لأنهم لم يلتزموا الحياة التزام والقيادة التزام والسياسة التزام والنجاح التزام والخيانة لا التزام، وهي خلل في الالتزام ماذا كان ينقص المسلمين في أيام علي عليه السلام أقول شيعته ولا أعني الشيعة المذهب. مجتمع الدولة المسلم برياسة وقيادة وسياسة علي وليس المذهب! لم ينقصهم سوى أنهم أخلّوا بالالتزامات وأرادوا انتصارات سهلة، أرادوا انتصاراً من دون حرب ومن دون جهد ومن دون تضحية ومن دون تحمل وهو القائل عليه السلام أنه يدعوهم إلى القتال في الصيف فيقولون «أصبر علينا هذه حمارة القيظ» يدعوهم في الشتاء

يقولن «أصبر علينا هذه صبارة القر» حسناً دولة من دون التزامات كيف يمكن أن تكون؟ لا يمكن أن تكون؟ من هنا كان يقول لهم إن أهل الشام أحفظ وأولى وأوثق لباطلهم منكم لحقكم، يعني الالتزام كان موجوداً نريد شيئاً ندفع ثمنه والحياة لا يمكن أن تكون بأشياء من دون ثمن. هم البسطاء فقط الذين يتخيلون ذلك، فقط أن الحياة هي عطاء من دون ثمن.

. وفي حياة الإمام الحسين عليه السلام الأمور السهلة تتم بسرعة الناس كلها حاضرة تبايع ولكن حينما يأتي وقت الوفاء بالبيعة والالتزامات يذهب الناس إلى بيوتهم، تتكرر قصة ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾[1] أنتم تعلمون وينبغي أن تعلموا أن زمن «اذهب أنت وربك فقاتلا» لبني إسرائيل كان في التيه وكانت الضياع أربعين سنة وثمن «اذهب أنت وربك فقاتلا» للمسلمين هي التيه الأعظم وهي الضياع ألف سنة مع الحسين كذلك تسمعون من قراء التعزية أنهم أرسلوا كتب وعرائض، وصحيح أنا حققت أن هذه الكتب تتجاوز اثني عشر ألف كتاب فيها من الواحد ومن العشرين والكتب لا توضع في الشارع والناس توقع عليها. نخبة المجتمع كان توقع عليها يعني الشخصيات المرموقة كتبوا كتب ولم يلتزموا في الكوفة بايعوا على القتال وبايعوا على الانقلاب على النظام الأموي في العراق وإنشاء الدولة الجديدة، هم بايعوا ابن عقيل ولما جاء وقت الوفاء بالالتزامات كانت المرأة تأتي إلى أبيها وأخيها وابنها وزوجها فتقول ما شأنك والشر أترك الناس يكفونك؟ والقصة التي تسمعونها أن مسلم بن عقيل بدأ بثمانية عشر ألف شخص بايعوه أول النهار وانتهى بثلاث أشخاص بعد صلاة المغرب وانتهى بصفر بعد صلاة العشاء.

حينما تختل الالتزامات تقع الكارثة ماذا ينتظر المسلمون سواء كانوا عراقيين أو غير عراقيين، حينما يخلون بالتزاماتهم السياسية والقيادية والمبدئية بهذا الشكل لا تكون إلا الكارثة، وتكون أن يقتل الحسين، وهذا أول ثمن للإخلال بالتزام ليس إن تسلم القيادة، والمخلين بالالتزامات هم الذين يعاقبون

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

لا القيادة تسقط، وهنا لا توجد قداسة هنا توجد إلية وحساب، القيادة تسقط وتفشل وتقتل والذي جعل هذا ولما «راحت السكرة وجاءت الفكرة» (بحسب تعبير العوام) صاروا يبكون بالكوفة وتسمعون من قراء التعزية أنهم استقبلوا السبايا بالبكاء، السيدة زينب لم توقرهم وقالت لهم شاهت الوجوه. القضية الحسينية أهم وجوهها هو الإخلال بالالتزامات، وأنا أعتقد أنّ جملة أهداف أئمة أهل البيت عليهم السلام الإمام زين العابدين والأئمة المتأخرين بعده الإمام الباقر والصادق وغيرهم من التشجيع والحث عل إحياء العاشوراء بالمأتم والشعر والزيارة هي تربية المسلمين على روح الالتزام بالمبدأ والالتزام بالقضايا لأنه هذا وحده الذي يضمن لهم السلام.

علة المسلمين دائماً مثل علة سائر المجتمعات هي الإخلال بالالتزامات وهي تربية سيئة نراه في الموقف من الحكومات جميعاً حكومات فاسدة وتزيد فساداً لأننا إننا إما أنا نواليها مولاة عمياء أو نعاديها معاداة عمياء. هذا منطق المعارضة ومنطق الموالاة الرخيص المبتذل الموجود في حياتنا السياسية الآن وفي حياتنا القيادية الآن.

أنا أذكر لكم وأطلب من المثقفين والمثقفات أن يرجعوا إذا استطاعوا في هذا الأسبوع أو في هذه الليلة إلى نص موجود في نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام في أثناء خلافته في خطبة من أعظم وأجل خطبة في الأمور السياسية والتنظيمية في صفين. هو حاكم يعلم الناس على الموالاة وعلى المعارضة، هو لم يعلمهم على الموالاة. الإمام علي الذي نعتقد بعصمته والذي يعتقد كل المسلمين بعظمته والذي يعتقد كل العالم بعظمته، الإمام علي يعلم الناس كيف يعارضونه وكيف يوالونه فيقول للناس «ألا فلا تكفوا عن مقالة بعدل» يقول ليس أحد بأعظم من أن ينصح لكن فساد التربية والاخلاق والشخصية واختلال الميزان الديني في النفوس.

الميزان الإسلامي يجعل الإنسان إما أن يوالي موالاة عمياء أو أن يعارض معارضة عمياء ويصير ميزانه وعين الرضا عن كل ذنب كليله ولكن عين السخط تبدي المساوي أما المحاسن تخفيها هذا خلل في المجتمع.

الآن في الموقف من الحكومات في لبنان سواء هذه الحكومة فعلاً أو ما قبلها الناس يُصنفون للسياسيين موالي أو معارض. موالي وهذه الحكومة تغلط يواليها على الغلط، يعارض وهذه الحكومة تعمل شيئاً صحيحاً، فيقول كل عملها غير صحيح. فإذا أعجب بشخص من الأشخاص، هذا الشخص يصبح متولي وممتنع عن النقد ولا يجوز نقده. الإمام علي بن أبي طالب يقول «انتقدوني» هذا نتيجة الخلل في الالتزامات، الخلل في الالتزامات ينتج كربلاءات يقتل الحسين دائماً وتسبى زينب دائماً ويجوع الناس دائماً ويكبر الأشرار دائماً ويصغر الأخيار دائماً، هذا هو الإخلال بالالتزامات. الآن هم العرب يقولون أن أمريكا ظالمة لهم والصهيونية العالمية باغية عليهم في أخذ فلسطين. نعم أنا أقول أميركا ظالمة والصهيونية العالمية باغية ومجرمة ولكن من هيىء مسرح الجريمة؟ من الذي فتح الأبواب؟ أردنا انتصارات سهلة بالكلامات والخطب والمؤتمرات من دون القيام بالالتزامات. الآن أنا معروف ولما أقول الحركة النقابية مثلاً لها حق في أن تطالب ولكن عليها أن ترى واقع الحال، لا يمكن للأشياء أن تتم من دون حساب ومن دون كتاب.

الدرس الذي نستخلصه الآن في عاشوراء في حياتنا الإسلامية في لبنان هو الالتزام.

المسلمون يجب أن يلتزموا بعضهم ببعض، يجب أن يتوحدوا على الخير، يجب أن يتجنبوا كل ما من شأنه أن يفرق كلمتهم بشعارات الدين أو بشعارات الدنيا بشعارات الطائفية أو بشعارات القومية، الالتزام ومن دون هذا الالتزام تكون الفتنة والفتنة مخلوق يدمر كل شيء، لا يعتقد أحد أن الفتنة يمكن أن تحمي ابنها ولا نزال حتى الآن في لبنان الذين ربوا الذئب أكلهم، الذئب بمنطق الميليشيات أو بمنطق الأحزاب المذهبية والأحزاب الطائفية، وعلى المستوى الوطني الالتزام الوطني التزام اللبنانيين بعضهم ببعض والتزامهم جميعاً بوطنهم. هذا الالتزام التزام شرعي لا تصدقوا أبداً من يقول لكم أن الالتزام بالوطن غير واجب أنا أعرف أن هناك أناس يقولون نحن وماذا يعني لبنان؟ هؤلاء فليتركوا لبنان كائناً من كانوا، لأن هؤلاء يريدون أن يأكلوا خيرات الله

التي أنعم بها على اللبنانيين دون أن يلتزموا بهذا الوطن وبدولته وأرضه ومصالح شعبه.

توجد شائعة موجودة وهي اعتقاد فاسد. مال الحكومة حلال ومخالفة القوانين حلال! هذا الكلام يقوله مجرمون أو جهال! مال الحكومة ليس حلالاً، يعني المال العام يعني المشاعات مشاعات الأرض والزرع والأملاك العامة، الاشجار في الشوارع، قساطل الماء وأعمدة الكهرباء، الماء والكهرباء والتلفون حرام أخذها من دون عوض (لصوصية) وجود لصوص كبار في الدولة لا يبرر أن يكون هناك لصوص صغار أبداً. نعم أنا أقول لكم افضحوا اللصوص الكبار، افضحوهم لا توّقروا منهم كبيراً، ولكن أنتم أحذركم أن تكونوا لصوصاً صغار..

هذا الشيء الذي حدث في السنوات الأخيرة أرجو أن يترتب على كلامي مشكلة ولكن أنا أنبه الآن كيف تعالج الدولة الأمور مع السياسيين؟ الله يهديهم ويوفقهم لا أدري. لبنان بلد ريفي وبلد وقروي وجماله وثروته وقوته وخصوصياته في المساحة الخضراء وفي الشجرة وكل الطوائف، وكل الأحزاب وكل المتنفذين اللصوص الكبار والصغار في العشر سنوات أو الخمسة عشر الأخيرة أفلتوا على المشاعات، الآن القرى دمرت لم تعد هناك مشاعات في أغلب القرى وتحولت إلى أبنية ودكاكين وبنايات تحت ستار بيوت للفقراء، وأنا أعلم أن أغلبها ليست بيوت الفقراء أغلبها بيوت المتنفذين لماذا؟ المشاع في كل قرية ليس ملكاً لجيل هو ملك لأجيال بأي حق هؤلاء يأخذون هذا المشاع هذا مثال من أمثلة. على أي أساس؟ هذا إخلال بالالتزامات كون الدولة مقصرة في سياستها الإسكانية لا يبرر. أن هذا الجيل يسرق من الأجيال الآتية، أبداً أن يسرق أرضه الناس في قضية المشاعات سرقت نفسها ولحست المبرد.

الآن كيف الدولة تعالج المشكلة؟ ويعملوا تسوية بكل أسف الشيء الثمين ذهب والتسوية مال والمال لا نأمن عليه، حينما يدخل في جيب الدولة هل يدخل في جيب الشعب؟ أم في جيب المتمولين في المقاولات والالتزامات

المشبوهة لا أدري؟ تربية كربلاء هي على الالتزام، من لا يلتزم يسقط ومن لا يلتزم يخسر الناس، لأجل أن تبني مجتمعاً ولأجل أن تبني وطناً ودولة يجب أن تكون ملتزماً، تسمعون من قراء التعزية أن الإمام الحسين كان يقول لهم هذه كتبكم أنا جئت لأنكم التزمتم معي ولأنكم أنشأتم معي ميثاقاً لم يلتفتوا إلى الميثاق، وكان النتيجة عبودية دائماً ولا تزال حتى الآن.

تفاعلات كربلاء أنتجت شر وهو يتوالد حتى الآن، مطلوب من المسلمين مكافحة هذا الشر بأن يصححوا علاقاتهم ببعضهم بعضاً ويصححوا علاقتهم بالله سبحانه وتعالى. صاحب المواثيق (الله) أخذ منا مواثيق أخذ منا ميثاق له أن نعبده وحده لا شريك له، أخذ منا ميثاق بالنسبة للطبيعة فقال «أصلحوا ولا تكونوا من المفسدين» لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، ولذلك إفساد البيئة وتلويثها هو جزء من المحرمات الكبرى ومخالف للميثاق، وأخذ علينا مواثيق بين بعضنا بعضاً نحن أهل الإيمان وأهل الإسلام نحن الدائرة الإيمانية الكبرى نحن الدائرة البشرية الكبرى هذه المواثيق هي قانون الحياة وهي برنامج الحياة وحينما تختل المواثيق تسقط الحياة.

قلت لكم وأكرر وأختم بما بدأت به علي بن أبي طالب عليه السلام الحسن والحسين والبقية نفس الشيء كان محنتهم سقوطهم هزيمتهم مأساتهم لم تكن نتيجة لأعدائهم أبداً كانت نتيجة لتخلي أهل الحق أو الذين يدّعون أنهم أهل الحق. وهذه رواية تذكر في كتاب الجهاد جاء رجل بأحد عمال بني أمية يعني الحكام المتصرفين إلى الإمام الصادق تقاعد عن الخدمة أو عزلوه، إجمالاً، خرج من الخدمة وجاء يريد أن يتوب ويصحح وضعه قال يا مولاي: أنا أصبت من هؤلاء مالاً كثيراً فهل لي من مخرج، يسأل الإمام الصادق ويقول له: أنا حصلت مالاً كثيراً من العمل مع بني أمية. لكن الإمام بيّن له وقال «لو أن هؤلاء (بني أمية) لم يجدوا من يكتب لهم ومن يجبي لهم ومن يقاتل لهم لما استطاعوا أن يعملوا إلا بقوتهم الخاصة. (أنا أنقل معنى الرواية) وقوتهم الخاصة هي لا تمكنهم من السيطرة ولكن أنت وأمثالك أخللتم بالتزاماتكم وأخللتم بعهودكم مع الله كتبتوا لهم وحاربتم في سبيلهم وجبيتوا لهم وعملتم لهم الدعايات

وصاروا بني أمية بهذا الشكل ـ نتيجة الإخلال بالالتزام هي سيطرة الطغيان الصغير.

والطغيان الكبير داخل الطوائف، والطغيان ينشأ حينما تسكت الناس ولما الناس تربي الذئب ولما الناس تقول للعاهر «يا مولانا» ولما تقول الدجال «يا سيدنا» ولما تقول للحرامي «ما في آمن منك وأشرف منك» يولد الطغيان والفراعنة الصغار. داخل الطوائف يجب أن يتنفذ الالتزام بالله سبحانه والحق وداخل الوطن ينفذ الالتزام، الحديث الشهير عن الرسول الأكرم ﷺ على المثل الجاهلي «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً يقال أنه قيل له يا رسول الله هذا المثل جاهلي وهذا المثل ناشيء عن أن العشيرة والأهل دائماً على حق من قبيل الشعار الذي كان موجوداً في لبنان «وطني دائماً على حق» صحيح مقابل الفلسطينيين «وطني دائماً على حق» فهذه الحقيقة على هذا الشكل فياسر العرفات الذي قلص القضية كلها وأوصلها إلى غزة، وهذه أيضاً قضية الخلل بالالتزامات وهذا باب آخر من أبواب الالتزامات.

نرجع إلى الحديث المنسوب إلى الرسول قيل له يا رسول الله «هذا إذا كان مظلوماً فما شأنه إذ كان ظالماً» قال «يرد عن الظلم، أن تقف في وجهه فتقول له لا تظلم». في دعاء الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام دعاء مكارم الأخلاق وهذه القطعة المعظمة فلا تحرموا أنفسكم من دعاء مكارم الأخلاق، الليلة ادعوا هذا الدعاء.

يقول الإمام زين العابدين «اللهم لا أُظلمن وأنت القادر على الرد عني وألا أظلمن وأنت القادر على الأخذ مني» ويقول في دعاء آخر «اللهم فكما كرّهت إليّ أن أكون مظلوماً، فكرّه إليّ أن أكون ظالماً» والظلم ليس مجرد أن نأخذ مال الناس أو نضرب الناس أو نشتمهم، الظلم أيضاً أن نكف عن التزاماتنا ونتوقف عن التزاماتنا مع الله بشأن الناس، مع الله بشأن المجتمع، مع الله بشأن عامة المسلمين، أقول لكم عامة المسلمين وليس خاصة المسلمين، الدين نصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين.

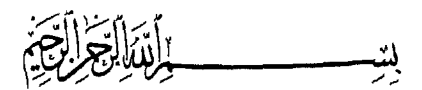
هـذا سـؤال جـاءنـا مـن إحـدى الأخـوات تقـول أنهـا نـذرت للسيـدة زينب عليها السلام في أربعين الحسين بأن أضحي بخروف ولم أقدر بالذهاب فماذا تشير عليّ؟

إذا كان النذر صحيح يمكن أن تذهبي حينما تقدرين على ذلك وإذا عجزت عن الذهاب، فاذبحي هذا النذر حيث أنت ووزعيه على الناس وأرحامك في حيك وضيعتك والنية هي أن ثواب هذه الصدقة هي للسيدة زينب، وهذا لعله أولى وأفضل والحمد لله رب العالمين وأسألكم الدعاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفتنة والالتزام بنهج الإمام عليه السلام

٦ محرم ١٤١٦ هـ



والحمد لله رب العالمين وصلى على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وأثبت عصمتهم في كتابه العزيز وعلى أصحابه الكرام الأبرار الذي اتبعوهم بإحسان وعلى تابعيهم إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين. .

أستغفر الله ونتوب إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ونسأله المعونة على طاعته في جميع ما نأخذ وما ندع من أمورنا.

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[1].

هذه الآية المعيارية الميزانية تبين سياسة الله للبشر، وتربية الله للبشر وتبين أن الحياة ليست لذة كلها، وليست نجاحاً كلها وتبين أن رحمة الله ليست دائماً رزقاً وعافية بل تكون بلاء ومحنة أيضاً، ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، محنة المجتمعات بالطغاة فتنة ومحنة

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢ ـ ٣.

القيادات الصالحة بالعناصر السيئة فتنة ومحنة الإغراء والإغواء في كل عصر وزمان فتنة، صفين فتنة وكربلاء فتنة مثل حرب ٥ حزيران فتنة (كربلاء العرب ٥ حزيران) كل أمة عندها كربلاء، وكل أمة عندها الخامس من حزيران، اعتاد الناس بعد كربلاء المسلمون وليس الشيعة المسلمون اعتادوا بعد عاشوراء أن يعلنوا ولاءهم ومحبتهم وحزنهم على أهل البيت وأن يتبرؤوا من بني أمية على مدى الدهور والعصور.

هذه عاشوراء موجودة في غير البلاد الشيعية ولكن الشيعة هم أساؤوا إلى الذكرى وإمام الذكرى وإلى أنفسهم بأن عملوا منها مناسبة شيعية وإلا عاشوراء مناسبة إسلامية، كان المسلمون وما زال بعضهم إلى الآن يعبرون فيها عن حزنهم في شمال إفريقيا وفي مصر لماذا حصلت واقعة كربلاء في مجتمع لا يحب بني أمية في مجتمع نقطع أنه يكره بني أمية ويبرأُ منهم؟

لماذا حصلت واقعة ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ في مجتمع نعلم أنه بريء من الصهيونية أنه بريء من الصهيونية أنه بريء من العمالة، مجتمع نظيف ومخلص، المجتمع العربي مجتمع نظيف ومخلص. نحن نعلم أنه لا عبد الناصر ولا الجيش المصري ولا الجيوش العربية تريد الهزيمة كانت تريد أن تنتصر ومع ذلك حصلت ٥ حزيران بقدر إلهي.. لا الله لم يقدر الهزيمة أبداً، في ٥ حزيران الله لم يقدر مذبحة كربلاء، البشر عملوها الله لم يقدر الآن المذابح التي تجري في البوسنة والهرسك والشيشان. الله لم يقدر المذابح التي يتذابح فيها المسلمون في أفغانستان والجزائر. الله لم يقدر ما يجري في مصر بين الذين يسمون أنفسهم إسلاميين وغير إسلاميين. هذه ليست تقديرات إلهية. هذا صنع البشر بأيديهم في أنفسهم ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[1] يقول الله سبحانه وتعالى هذا وهذا الذي عبر عنه الله بأنه فتنة.

الإنسان يدخل في تجربة الإيمان وأكرر لكم الإيمان ليس بمعنى صلاة وصوم وحجاب وعدم شرب الخمر وما إلى ذلك. نعم هو كل هذا مع الالتزام

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

العام. الإيمان هو الالتزام بكل شيء، هذا الانسان البشر يدخل في تجربة الإيمان ولا بد أن يتعرض للمحنة ليرى أن هذا الإيمان صادق أو إيمان راسخ. الإيمان دائماً صادق أنا أعتقد أن المؤمنين صادقون ولكن هل أن الإيمان راسخ أو أنه قلق؟ هل الإيمان واعي أم أعمى؟ الله يريد إيماناً صادقاً وواعياً لا يريد إيماناً أعمى يفتن الناس، ويبتليهم، مثلاً يأتي شاب أو شابة إلى أهله ويقول أنا نجحت في الجامعة ويريهم ورقة فيها شهادة النجاح. نحن نعرف أن ٥ آلاف دولار ممكن أن تشتري شهادة جامعية و١٠ آلاف يمكن أن تشتري شهادة دكتوراه ونعرف أنه في بعض البلاد الأوروبية وفي بعض الجامعات إن شهادة الطب تباع بعشرة آلاف دولار ويعود دكتور محاماة في القانون أو بروفيسور في الذرة، وهو اشتراها بعشرة آلاف دولار وهذا يحتاج امتحان أو يأتيكم واحد يلبس عمامة أكبر من عمامتي ويقول إنه علامة ويحل لكم ويحرم عليكم إلى حد أن يبيح أن لهم سفك دماء بعضكم ويحل دماء بعضكم للبعض الآخر.

وهذا صار ويصير ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[1] يعني كل واحد يدعي دعوة فتصدقه فيها ونقول له نعم. كلا. ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ ﴾ الفتنة قانون إلهي في البشرية كلها ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ هذا الخطاب لامة الرسول ولنا، لهذه الأمة المرحومة أمة الإجابة، الله يقول لنا ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ هل دعواهم في الإيمان صادقة هل دعواهم في الإخلاص صادقة. الشاعر يقول إذ استبكت دموع في نحور، سيعلم من بكى ممن تباكى. الامتحان. البشر ينجحون في حياتهم بمقدار ما ينجحون في امتحاناتهم الإلهية. هذا حدث في زمن رسول الله وهناك حسرة.

وأنا أعترف ومن اعترافاتي السرية أيام طفولتي ـ أنا ككل طفل مسلم من خط أهل البيت تربيت على هذا بين أبي وأمي ـ أنا كان لي في كل سنة عاشورائي الخاصة. أحضر كل سنة عاشوراء في النجف وحينما أخلد إلى نفسي كان لي عاشورائي الخاصة في الليل. أنا عندي في مكتبة الشيخ الوالد كتب

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢.

كثيرة كنت أقرأ وأبكي وعندي حسرة في القلب وأتذكرها حتى الآن. أقول يا إلهي هذا الحسين العظيم، هذا الذي ورد أن الأفلاك والأملاك خلقت لأجل هؤلاء أصحاب الكساء هذا كثير عليه أن تنزل له ملائكة وقدرة إلهية يمحقون هؤلاء الطغاة محقاً كاملاً وتنصر هذا الإنسان الطاهر وهذه الدعوة المخلصة الطاهرة. حسناً. . . ربما يسمع بعضكم من بعض قراء التعزية لأن هذا أمر لم يعد يقرأونه عليكم. إنه في يوم عاشوراء نزلت الملائكة على الحسين وقالت له أنه كذا مئة ألف ملك جاهزون لابادة المجتمع إذا أمرت، فالإمام الحسين رفض وقال لا أنا لا أريد. الإمام الحسين عظيم إمام معصوم مفترض الطاعة شفيعنا، لكن هو آلة في يد الله، هو إمام علينا وعبد لله وهو آلة في يد الله وهو أحد إدارة العملية الإلهية. النبي والأئمة وقبل الأئمة الأنبياء والأولياء هؤلاء هم يديرون العملية الإلهية في البشر، حياتهم لله وموتهم لله، لذلك انظروا الشعر الذي يروى يعني جناب الشيخ نقل لنا نقلاً عادة ينقل إليكم، أنا شخصياً لا أقبله، نقل لنا جناب الشيخ أنه في اللحظات الأخيرة من حياة الإمام الحسين، هذا الحيوان الذي كان واقفاً ويقول مع الحسين وبرز شفتيه والله أني لعطشان. هذا الكلام مع احترامي لكل الكتب التي ورد فيها هذا الكلام لا يمشي معي، الحسين رجل الله القديس الأعظم في أعظم ساعة من حياته، انظروا الحسين عمره ستون سنة ويقال خلاصة الستين سنة في هذه الثواني ولم يجد شيء أن يقوله إلا أن يسمع الملائكة التي حوله والله وحق جدي إني لعطشان» تلخصت حياة الحسين بشربة ماء. . لا. أنا الذي أقول ما يروى عن لسان الحسين.

إلهي تركت الخلق طراً في هواك ... وفارقت العيال لكي أراك
فلو قطعتني في الحب إرباً ... لما مال الفؤاد إلى سواك

الشيء الذي يليق برجل الله الذي هو آلة في يد الله أن يكون أداة إلهية وهي المرتبة العظمى ونحن ليس لنا قيمة. قيمة البشر كيف يكون آلة في يد الله هذا الرجل الأعظم في هذه اللحظات التي تلخص حركة النبوة كلها ليس حركته فقط اللائق في هذه اللحظات أن يقول هذا الحسين دوره أنه أداة للامتحان. لا الله عرض عليه ملائكة ولا هو رفض الملائكة لا. . .

كما قلت لكم المسألة كانت تحتاج إلى صدمة والأمة كانت تحتاج إلى صدمة والتاريخ البشري يحتاج إلى تغذية. الآن حينما نقول تاريخ المسلمين من دون الحسين، فالتاريخ بارد تاريخ ناقص دورة تاريخية فيها خلل المجتمع والأمة تحتاج إلى صدمة والتاريخ يحتاج إلى غذاء وإلى تغذية. التغذية استخدم فيها الحسين والله استخدم الحسين واستخدمه في الامتحان، وقدم إنساناً ليس موضع شبهة ولا أحد يشتبه بالحسين ما هي هويته؟ وما هو دوره وما هي دعوته؟ الناس يشكون حكامهم الظالمين، والناس يقولون ظلمنا وسلبت حقوقنا كما قال أمير المؤمنين «اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا والصالحين حرباً والفاسقين حزباً». إذن، هؤلاء الناس يجب أن يحسنوا أوضاعهم، والله لا يعمل معجزات، الله جعل سنن للخلق ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾[1]. سنة الله ما هي؟ سنة الله ليست عمل معجزات أنا أذكركم وارجعوا إلى القرآن، في كل آيات القرآن التي تشهى فيها المشركون على النبي أن يعمل آيات، يفجر لنا من الأرض ينبوعاً. ينزل لنا من السماء وتكون له جنة والله يعلم الرسول ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾[2] وأنا لست أكثر من مبلغ ومعلم لكم، وتغيير حالة البشر يخضع لسنن الله، وسنن الله بينتها وقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[3] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[4] ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦﴾[5] الله بيّن تريدون تحسين أوضاعكم تريدون كرامتكم وتريدون رزقكم ورخاءكم وانتصاركم. تحركوا إما أن تجلسوا مكتوفين وتئنون من الظلم وتعطون فرصة.

الناس عادة حينما لا يكون لديها قيادة تضيع، والله مطلوب منه أن يصنع قيادة وصنع قيادة هذا الحسين قيادتكم، تفضلوا. هذا موسى بن عمران قيادتكم. تفضلوا. هذا عيسى ابن مريم قيادتكم، وهذا محمد قيادتكم وهذا

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٣.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.
(٣) سورة الرعد، الآية: ١١.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.
(٥) سورة الجن، الآية: ١٦.

علي قيادتكم. الله أعطاهم قيادات وعرضهم للابتلاء ووضعهم في التجربة لم ينجحوا في التجربة وفشلوا فيها اللذين خرجوا هم الذين كتبوا وهم الذين بايعوا مسلم بن عقيل وهم الذين خانوا مسلم بن عقيل. ماذا صنع لهم عبيدالله بن زياد خوّفهم بوهم وطمعهم بحقيقة حقيرة، أما الوهم الذي أخافهم فيه أن جيش السلطة جائر وإذا جاء جيش السلطة فماذا يصنع؟ الجيش يقهر جيشاً أما جيش يقهر أمة وشعب فهذا من المستحيلات، ولذلك ـ من باب الكلام يجر الكلام ـ أنا أقول سراً وعلناً وفي ٥ حزيران وقبل وبعد ٥ حزيران الجيش الإسرائيلي هو لم يغلب العرب هو غلب الجيش العربي ولم نحارب كأمة. العرب لم يحاربوا إسرائيل، هم جلسوا متفرجين مثل جماعة العراق أيام الحسين جلسوا متفرجين في المقاهي وأمام التلفزيونات يشربون الشاي ويسمعون الأخبار، وكانت النتيجة هذه. هذا الوهم.

أما الحقيقة فهي أنه زاد في إعطاءات الناس مئة في المئة والعطاءات هي الراتب بعد أن كان مئة درهم أصبح مئتين والحسين بيع بمئة درهم. مجتمع العراق فيه عرب وموالي، وهذا المجتمع باع الحسين بمئة درهم وألغى كل التزاماته بمئة درهم، والعطاء هو علاوة حرب والآن حينما الدول تحرك جيوشها، ومثلاً راتب الجندي مئة ألف ليرة وإذا صار في حال عمليات عسكرية يعطى هذا الجندي علاوة حرب مئة ألف زيادة في الشهر. عبيدالله بن زياد أعطى لمجندي العراق علاوة مئة درهم وكلهم تجندوا وهؤلاء الذين يقولون إنهم ثلاثون ألف كان فيهم القليل من الشاميين وأكثرهم كانوا من العراقيين والحجازيين وقليل من أهل اليمن، وبالمعيار العاطفي المذهبي والطائفي أكثرهم شيعة من هنا إلحاحي أقول لكم أن هذه الحركة والثورة ليست ثورة شيعية. تصغرونها وتهينونها إذا جعلتموها حركة شيعية هي حركة إسلامية وحركة أمة فشلت في الامتحان.

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ .

والفتنة هي الامتحان وجاءت الفتنة يجب أن ينجح الناس في الامتحان

فإذا فشلوا فليلقوا المسؤولية على أنفسهم وليس على ربهم وليس على قيادتهم. بعد ذلك فيما نرى في أيامنا تداعيات ٥ حزيران ما هي؟ الآن العرب يدفعون فواتير ٥ حزيران أبداً، تداعيات ٥ حزيران حتى الآن تدفع. يوجد حسن نوايا وبطولات أنا يعنيني حال الأمة. وهذه الأمة يجب أن لا تنتج فراعنة ولا طغاة ولا أصنام. الآن كل العرب تقريباً يدفعون فواتير ٥ حزيران. الأمة الإسلامية بعد كربلاء دفعت فواتير عاشوراء دفعتها ظلماً وجوعاً وتشريداً وتمزيقاً لأن القانون الإلهي قانون إلهي ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

تبين في امتحان المسلمين في سنة ٦٠ أن صدقهم لم يكن كافياً وأن التزامهم لم يكن كافياً ولذلك بقوا مسلمين جيدين قائمين مصلين مزكين حاجين قارئين للقرآن ومهزومين، وهم مهزومون أمام أنفسهم ودعواهم وحطامهم وأمام طغاتهم وأعدائهم كذلك.

الآن نقول إن العرب هم في امتحان وأن المسلمين هم في امتحان أيضاً. ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ - الآن فيما يسمى مفاوضات شرق أوسط والتطبيع ومعركتنا ضد التطبيع. هذا امتحان، وهذه فتنة أن نقول نحن مسلمون مخلصون وعروبيون، نحن وطنيون لبنانيون. لا بد أن نخضع للامتحان وننجح في الامتحان. عدم النجاح في الامتحان هو تربية لنا لنكتشف أن سنن التاريخ وأن مجرى التاريخ إنما يتم بصنع البشر.

الله لا يصنع للناس تاريخهم، الله يدل البشر على السنن وعلى الطرق التي ينتصرون بها. في زمن الرسول يوجد حادثتان ليس بينهما فارق كبير حادثة بدر وأحد. وقعة بدر قال الله فيها للمسلمين ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[1] أذلة في أعين المجتمع قليلين فقراء وفي أحد انهزموا وفي حنين ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾[2] ولأنه صار غروراً وصار امتحاناً وفي هذا الامتحان لم يثبت المسلمون وكانت النتيجة هي الخسران.

الآن في حياتنا وفي فهمنا للثورة الحسينية يجب أن نفهم الثورة الحسينية

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

على هذا الأساس النظام الأموي ارتكب الجريمة، النظام الأموي هو المجرم الذي نفذ الجريمة ولكن الذي هيء للنظام الأموي أن ينفذ الجريمة هو الناس، هم الذين كتبوا ولم يفترض بهم أن يكتبوا إذا كان إنسان غير واثق من نفسه أنه يفي بالتزاماته إلى النهاية، لماذا يعلن هذا الالتزام؟ وكتب وبعد ذلك بايعوا وثم نكثوا، ولم يكتفوا بالنكث ولم يقفوا على الحياد بل جندوا أنفسهم مع النظام الأموي الذين هيؤوا المسرح هم الناس. لذلك جريمة كربلاء مثل جريمة ٥ حزيران مثل كل الجرائم في التاريخ لا يحملها النظام جريمة ٥ حزيران جريمة النظام، الإسرائيلي الصهيوني، ولكن الذي هيأ لهذا النظام ارتكاب الجريمة هو نحن هو عدم الوفاء بالالتزامات هو عدم النجاح بالامتحان وعدم النجاح بالابتلاء، أنا أسمي فأقول أن الابتلاء الإلهي قسمان: الابتلاء الوارد في القرآن والامتحان والوارد في القرآن والفتنة الواردة في القرآن الذي يقول ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾[1] ينسب الفتنة إلى الله وفي هذه الآية ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ﴾[2] وهل الله يفتن؟ الفتنة هنا هي امتحان تربوي والله يربي البشر بالامتحانات والاختيارات التي هي فتنة. وهناك امتحان تقوية عقاب دنيوي على التخلف عن سنن التاريخ، حينما البشر يتخلون يعاقبهم الله ويفتنهم ويمتحنهم ويبتليهم الابتلاء العقوبي هو ما نحن فيه، وهو ما وقع فيه المسلمون بعد الحسين عليه السلام. حينئذ رجع الناس إلى أنفسهم كما الآن نحن رجعنا إلى أنفسنا، وأخذوا يعالجون أنفسهم بالثورات ضد الجيش الأموي. الصدمة الاستشهادية التي قام بها الحسين صلوات الله وسلامه عليه أثرت أثرها وأوجدت في الأمة هذه الطاقة المحركة. وهذه الطاقة وأنا أقول للقيمين على هذا المأتم من علماء وفضلاء ومفكرين وسائر أعزائي عامة الشيعة، أقول هذه الطاقة لا تحبسوها أخرجوها من قمقمكم وسجنكم وأخرجوها من الحب الأناني والطوق المغلق، اجعلوها طاقة محركة بالأمة وهذا كيف يكون؟ أن تنزعوا عنها أنانيتكم وخصوصياتكم وأن تحولوا كما وجدت حركة القيادة المسلمة الواعية المعصومة في وجه الطغيان وفي وجه المجتمع الميت حولوها إسلامية أخرجوها من شيعيتها التي تزعمون لها أخرجوها من

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣.

حبكم القاتل ألا يقولون «ومن الحب ما قتل» هذا حبكم القاتل. هذه المزايدات في عاشوراء لماذا؟ لماذا بين كل مجلس تعزية ومجلس تعزية مجلس تعزية؟ إذا كان الناس في الشارع الفلاني أو الحي الفلاني ما يكفيهم مجلس واحد فلماذا عشر مجالس لماذا الناس برضاها أو رغماً عنها تنقل بالسيارات من مكان إلى آخر لماذا.

إني أتكلم بروح المسؤولية الجميع أبنائي أتولاهم وأباركهم واسأل الله أن يرزقني بركتهم، لكن هذا العمل غير صحيح. أمر يجب أن تخرج المسألة من الفوضى ومن أن كل شخص صار يريد أن يعمل مجلس تعزية في كل مسجد وكل حسينية وحينما لا يوجد مجلس أو حسينية نعمل مجلس في الشارع العام الذي هو ملك الناس من دون إذن وحينما نعجز نذهب إلى ساحة من الساحات العامة التي لنا فيها شركاء كثيرين ونعمل فيها مجلس لماذا؟ قلة مجالس أو أن هذا الأمر تحول إلى امتيازات خاصة إلى أن أنا أعمل مجلسي والناس تأتي إلى عندي لماذا؟ حتى الحسين نريد أن نجعله ملك شخصي حتى زينب تريد أن نقطعها ونجعل لنا فيها حصة. الذي يدمر روح كربلاء هو هذا.

روح كربلاء روح طاهرة وروح كربلاء هزت الأمة من أعماقها، والله، هزت الأمة من أعماقها على مدى مئات السنين. لا تجعلوها حصتكم لكم فيها شركاء كثيرين لكم فيها شركاء كل المسلمين، كما قلت لكم زينب بطلة كربلاء وليست بطلتكم هي بطلة المرأة الشريفة في كل التاريخ. فضلاً عن تاريخ المسلمين لماذا تجعلون زينب وكأنها معزية صغيرة مثلكم؟ أريد إخواني وأبنائي علماء الدين والمفكرين والقيمين على الرأي العام أن يعيدوا النظر في طريقة إحياء عاشوراء وفي رد كرامة عاشوراء إلى عاشوراء بحيث تكون على وهجها وعظمتها وفي إطلاق هذه الذكرى من الابتذال.

أنا لا أعرف واقعاً إذا كان أحد يفهم فليأتي ويخبرني بالسياسة والفقه وإذا كان أحد أفقه مني فليأتي يفهمني وبالتاريخ والتنظيم فليفهموني إذا كان فلان ابن فلان الذي يحفظ مجالس التعزية المكتوبة وعدداً من قصائد الشعر صعد على المنبر الساعة الخامسة عصراً في المكان الفلاني وقرأ على الناس وهو بعينه

يروح على بعد مئة متر يذهب ويقرأ على الناس على بعد مئة متر فما هذا ولماذا؟ لماذا تحولت إلى عمل مباراة أنا أكرم الناس وأتكلم فقط على الدجالين. لماذا الناس تنغش وتنجر وبماذا بالحسين وزينب ألا يوجد أصغر منهما. أن نأتي لنعبر عن ولائنا بهذه الطريقة. لماذا لا يتجمع الناس في مجالس جامعة كبيرة، ولماذا لا تجتمع المجالس القزمى بدل أن يتباروا بالميكروفونات ٥ مجالس أو ١٠ مجالس يصيرون مجلساً واحداً وتحضر الناس وتحب بعضها ويسلمون على بعضهم ويتعارفون لا أن يبنوا أسواراً بين بعضهم البعض. هذه أريد لها أن تكون جسراً يربط بين القلوب والمشاعر والضمائر وبعد أيضاً أنا أقول وأدعو العلماء والمفكرين أن يعيدوا النظر في مضمون عاشوراء أنا لا أستطيع أن أقبل كل ما ورد في كتب المقاتل هو حقيقة فقهية وحقيقة علمية وتاريخية فليفحص هذا. هل مقام الحسين أن يقال في لحظاته الآخرة التي تفيض بها روحه إلى الله يقول «لحق جدي أني لعطشان» أو أنه لا دخل في المناجاة التي تلخص كل حياته. أنا أرى أن الحسين هذا الشعر:

إلهي تركت الخلق طراً في هواك
وأيتمت العيال لكي أراك

لأنه وكما ستسمعون وهذه حقيقة، وهي أنه عرض عليه أن يكون سلطان المسلمين من مال وجاه وسلطان. وقال: «لا». وعرض عليه كل شيء مقابل أن يسكت وقال لا. ولذلك فإن هذا الشعر يروى على لسان الشاعرة رابعة العدوية ويصلح أن ينقل على لسان الإمام الحسين:

إلهي تركت الخلق طراً في هواك
وأيتمت العيال لكي أراك
فلو قطعتني بالحب إرباً
لما مال الفؤاد إلى سواك

أنا أقول فلتنصرف الأذهان إلى إعادة تقويم مضمون هذه الثورة، مضمون هذه الحركة الاستشهادية المعظمة التي لا تملك أمة من الإمم مثلها. يوجد عند اليهود ما يسمى واقعة إنه مجموعة من الناس حوصروا من قبل الرومان إلى أن

استشهدوا عن آخرهم. ومن تاريخنا الإسلامي العزيز الشريف، يوجد عندنا مئات من هذا ولكن حادثة الحسين لا يوجد في التاريخ عند أمة من الأمم مثلها. لا، لأن القتلى كثيرين فالقتلى مجموعة لا تتجاوز ٣٠٠ شخص ونحن نرى أن توجد وقائع يستشهد فيها ألوف الأشخاص ومظلومين أيضاً. معنى أنه لماذا كان مقتل ٣٠٠ شخص أخذ هذا المنحى العظيم وفي التاريخ حصلت مقتلات فيها ألوف الأشخاص والأطفال أيضاً ومع العطش والجوع أيضاً ولكن لماذا لم تأخذ هذا المنحى؟.

أنا أقول يا أعزائي يا سادتي يا علمائي حرروا هذه الذكرى من أسرها وسلاسلها، من حبكم الذي يأسرها واسمحوا للآخرين أن يظهروا حبهم وولاءهم وأن يستفيدوا منها ويكتشفونها وكما قلت أعظم ما كتب فيها في العربية وغير العربية عن كربلاء لم يكتبه الشيعة كتبه مسلمون من سائر الخطوط. هذا سؤال يقول سائله أن القبر الشريف الموجود في دمشق هو ليس للسيدة زينب العقيلة الكبرى وأن القبر الصحيح موجود في مصر. وأن هذا القبر لزينب الصغرى أم كلثوم؟

يوجد خلاف تاريخي في أن السيدة العقيلة المشهورة مدفونة في راوية في ضواحي دمشق أو مدفونة في مصر. ويسأل السائل وكيف وصلت السيدة زينب إلى مصر. رواية تاريخية يقال فيها أن السيدة حينما عادت إلى المدينة كما أخبرتكم قبل يومين نصبت مجالس العزاء على أبي عبدالله الحسين وأصبحت مجالسها محل لتكتل المجتمع في المدينة نساء ورجال، فكان أن كتب وإلى المدينة إلى يزيد في الشام أو بعد يزيد لا أذكر تماماً. إن كان لك شغل في المدينة أو في الحجاز فأخرج عني زينب ولا تبقها في المدينة. وخيرت السيدة بين المنفى الاختياري في العراق أو مصر ومنذ صدر الإسلام وللمسلمين في مصر علاقة خاصة وولاء للإمام علي عليه السلام فاختارت أن تذهب إلى مصر واختارت السيدة زينب منفاها في مصر وتوفيت في مصر وكان لها هذا المقام الشريف الموجود في مصر.

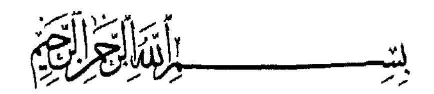
وهذه رواية أما الرواية الأخرى التي تقول أنها دفنت في بلدة راوية إحدى

ضواحي الغوطة في دمشق وتحكى قصة لا أريد أن أنقلها لكم عن سبب كونها في الشام. هذا القبر الموجود الآن في الشام هو قبر صحيح بلا ريب والجزم بأن السيدة موجودة هناك هذا أمر الله أعلم به، ولكن جرت سيرة المحققين والمتتبعين منذ أقدم السنين إلى الآن على أن مقبرة جناب السيدة العقيلة هو في هذا المكان ـ وعلى كل حال زيارتها والتبرك بها والنذر هي أمور تحصل حيث ما كانت ووجود الرفاة الشريف في مكان بعينه هو لا يغير شيئاً من قبيل ما يقال عن رأس الحسين عليه السلام أن الرأس الشريف هل رجع إلى الجسد ودفن في كربلاء أو دفن حيث أودع في الشام؟ أو هو مدفون في مصر بعد أن دفن في فلسطين في عسقلان. فليكن في أي مكان هؤلاء المقدسين ليسوا مثلنا هؤلاء معاني. حينما يستشهدون ويتوفاهم الله هم يفقدون خصويتهم ويبقى معناهم ومعناهم في كل مكان أنا شخصياً أزور السيدة زينب بنت علي الكبرى في الشام وأسلم على أم كلثوم وإذا وفقت لزيارة المقام الشريف في مصر سأزورها في مصر وأسلم على أم كلثوم وهذا الأمر لا يقيدكم.

أسألكم الدعاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مجالس عاشوراء للوحدة لا للتفرقة

٧ محرم ١٤١٧ هـ



والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الذين اتبعوه بإحسان إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات جميعاً ورحمة الله وبركاته.

ونسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من ذوي الأسوة الحسنة حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1] أسوة معيار السلوك ومنهج التوجه في الحياة العامة والخاصة.

كنت قد وعدت هذا المجلس الكريم في حديث يوم أمس أن أحدثكم عن سر خلود واستمرار وديمومة النهضة والثورة الحسينية وسأحدثكم عن ذلك بالإجمال لأن أمراً طرأ علي كنت أخشاه وحذرت منه الجميع في الأيام الماضية، ولكنه في بعض الحالات وفي بعض المناطق يتفاقم بسبب الحب الأعمى، والحماس الأعمى وفي بعض الحالات المشبوه أيضاً، ولذلك أريد أن أكرر بعض ما قلته في الأيام الماضية لا يجوز بوجه من الوجوه ولا تحت أي شعار من الشعارات استغلال الذكرى إلى ما يؤدي إلى فتنة طائفية أو مذهبية،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

وأي مجلس يقام على هذه القاعدة من الضرار يشبه أن يكون كمسجد الضرار الذي أقامه أدعياء المسلمين في عهد رسول الله ﷺ وهدمه رسول الله. وخلد هذه الواقعة في آيات تتلى في الكتاب العزيز إلى آخر الدهر والزمان. لمن لا يعرف مسجد الضرار وكنت أتجنب طيلة السنين الماضية أن أدخل في هذا الأمر وأن أدخل في هذا التنظير ولكن بلغ الأمر حداً لا يسعني فيه أمام الله باعتباري أميناً ومسؤولاً ألا أن أدخل فيه.

مسجد الضرار الذي ذكره الله في القرآن وأمر بهدمه وهدم، وأصبح ملعنة لأصحابه، هو أن مجموعة من أدعياء الإسلام أو من المسلمين غير الواعين والناضجين على حقيقة الإسلام والذين اعتبروا الإسلام مجرد اعتقاد شكلي ولقلقلة لسان ومشروع قبلي وعشائري يعني مشروع مذهبي ومشروع طائفي قالوا يشق علينا أن نذهب إلى مسجد بل نبني مسجداً عندنا في حينا وأنشأوا لهم مسجداً حزبياً وعشائرياً فئوياً قبائلياً نزل فيه القرآن وأمر الرسول بهدمه فهدمه وسواه بالأرض. وهذا مسجد أقيم لعبادة الله في زعم أصحابه وتقام فيه الصلاة في زعم أصحابه ولكن الله سماه مسجد الضرار وقال ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وفي مقابل ذلك قال ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ﴾[2] هذه المسألة لا تختص بمسجد الضرار، كل مشروع وكل تكوين اجتماعي يتصل بمعنى الدين والإيمان وبمعنى أهل الدين والإيمان ويؤدي إلى التفريق بين المسلمين وإلى شرذمتهم وإلى إثارة الأمن فيما بينهم وإلى بذر الشكوك فيما بينهم حكمه حكم مسجد الضرار.

أنا قلت وأكرر بتفصيل أكبر الشعارات تحت ستار الحسين والرايات واللافتات والمجالس التي تعقد في الأماكن العامة في الشوارع والساحات والتي لا ضرورة لها. المجالس التي تعقد بغير رضاً حقيقي من أصحاب المناطق والمحلات فلتلبس عمامة الإمام علي نفسه فهي مسجد ضرار غير مشروعة وغير شرعية وغير إسلامية وغير ولائية. وأنا أطلب من علماء الدين وأحملهم كل

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٨

المسؤولية سواء كانوا علماء دين غير منتسبين وغير متحيزين ومتحزبين أو كانوا يوالون جهة من الجهات، أنا أحملهم مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحملهم مسؤولية التوعية التي تضع حداً للحماس بلا ورع وللتقوى بلا فقه ما يبلغني عن قرية كريمة في مكان أتجنب تسميتها يراد فرض مجلس عليها بالقوة وعلى مسجدها وعلى مدرستها وإذا قيل لا. تتجمع أناس من قرى متعددة ويهجمون عليها. وهذا الأمر أرفضه وأدينه، وأنا أبلغ هذا المجلس ومن خلاله أبلغ كل الاعلام ولقد أبلغت المسؤولين التنظيميين والسياسيين للجهات الحزبية والحركية التي تدعي وصلاً بهذه الليلة العزيزة أن يضعا حداً لكل هذا ومن لا ينتهون أنا أبلغهم الآن هذا أمر لا يجوز بعد. هذه إشاطة بدم الحسين وبدم المؤمنين وبدم الوحدة الوطنية وبدم الوفاق الوطني. وبكل وجه من الوجوه هذا العمل غير مشروع ولو كان هناك شيء يمكن أن يعطي حرمة لعمل غير واقعي لكان عنوان المسجد، ولكن الله سبحانه وتعالى وهو يعلم ما يصلح الناس وما يفسدهم أمر بهدم مسجد الضرار لأنه مسجد لم يؤسس على التقوى وإنما أسس استجابة لغرائز أصحاب الفتنة.

هذه المجالس أقول لكم بصراحة تارة تقام في أملاك خاصة، فلتقم ما شاء لها أصحابها أن يقيموها من دون أن يأذوا أحداً بالميكروفونات وبالأصوات المنكرة التي لا تجوز حتى في الأذان وحتى في الصلاة أن تقام في معابد ومساجد وحسينيات من قبل أولياء تلك المساجد والحسينيات والنوادي. نعم أما إذا أريد أن تقام في ساحات عامة وفي حدائق عامة ومرافق عامة يشترك فيها جميع المواطنين وأن توضع شعارات على هذه المرافق فلا بد أن يخضع ذلك للإجازة بكل صراحة، ولا يجوز استباحة الكل تحت أي ستار من الستارات، وحينما اغتيل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بسيف عبد الرحمن بن ملجم ويئس من حياته كان في وصيته التي أوصاها لبنيه حينما جمعهم في الساعات الأخيرة، أوصاهم ثم أوصاهم ثم أوصاهم. أوصاهم بإصلاح ذات بينهم، أوصاهم بإصلاح الذات بين عامة المسلمين، أكرر بين عامة المسلمين وليس خاصة المسلمين، أوصاهم بالصلاة ثم قال ألا ما معناه وما لفظه ألا «لا تستعرضوا أعناق الناس فتقولون قتل أمير المؤمنين إذا أنا مت من ضربتي هذه

فضربة بضربة». فقط يوجد مجرم واحد هو عبد الرحمن بن ملجم، ونهاهم بصراحة أن يدخلوا في عملية انتقامية ثأرية تستهدف سائر المسلمين تحت شعار قتل أمير المؤمنين.

لا يجوز أبداً تعميم حالة تؤدي في النهاية إلى الفتنة وأنا أحذر ولا أريد أن أسمع شكوى بعد الآن وأنا بلغت وسأبلغ هذه الليلة، وأرجو من كل ذوي النوايا الحسنة والإرادات الطيبة والورعة أن يحرصوا على قدسية ونظافة ونقاوة هذه الذكرى لئلا نقع في نفس المحذور الذي ثار من أجله أبو عبدالله الحسين، لأجل أن لا نقع في الفتنة التي تفاداها أبو عبدالله الحسين حينما طلب إليه أن يبقى في مكة قال: «لا، أنا أخرج من مكة» لأنه كما سمعتم أو ستسمعون ثبت عنده أن النظام الأموي أرسل أربعين رجل مخابرات مأمورين بأن يقتلوه حتى ولو وجد متشبثاً بأستار الكعبة. خرج لأنه يريد أن يجنب حرم الله فتنة أن يقتل في هذا الحرم وأن ينتهك فيه حرمة الحرم.

يا أعزائي جميعاً يا إخوتي وأخواتي.

حرمة المسلمين أعظم من حرمة الحرم. حرمة وحدة المسلمين وكرامة المسلمين ومحبة المسلمين وألفة المسلمين أعظم بكثير من حرمة الكعبة. وهذا بنص القرآن ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾[1] حرمة الإسلام وحرمة سمعة المسلمين وأنتم تعلمون أن هذه الشعيرة وهذه المناسبة هي تحت مراقبة العالم وتحت مراقبة دوائر المخابرات والجاسوسية والتخريب، وتعلمون أن المسلمين مستهدفون في وحدتهم وأعظم نقطة في الاستهداف هي استهداف الشيعية والسنية، وسيكون نحر جديد للحسين وللزهراء. أن يدخل إلى نحر المسلمين وإلى وحدة المسلمين من خلال رأس الحسين. أنا أقول اتقوا الله في أنفسكم وهؤلاء الأعزاء من المتحمسين إن كانوا في بيروت أو خارجها فليكفوا على أنفسهم. الله آمر المسلمين وقال لهم لا داعي لأن تقيموا مسجد الضرار، اذهبوا إلى المسجد الجامع، ولا داعي لكل فئة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

وكل شخص وشخصية، وكل موجه وكل شخص يرى في نفسه شيئاً أن يقيم مجلساً. أما الأماكن العامة فيجب أن تحترم إرادات الناس فيها. نحن في لبنان نحرص على مسألتين وحدة المسلمين ووحدة اللبنانيين والأماكن العامة مشاع للمسلمين وللبنانيين.

في رواية قال فيها رسول الله ﷺ أو كما قال تصور بعض خالنا وبعض حذرنا في قوم كانوا في سفينة بعضهم في أعلاها وبعضهم في أسفلها وكان الذين في أسفلها كلما أرادوا ماء صعدوا إلى أعلاها ليدلو بدلوهم إلى الماء ويأخذوا منه حاجتهم فقال قائلهم بحسن نية وبراءة ما لنا نشق على أنفسنا وعلى إخواننا نحن نتعب ونصعد إلى السطح ونضايق إخواننا الجالسين في السطح لو ثقبنا في مكاننا ثقباً. نحن نثقب السفينة من أسفل ونأخذ منه الماء فنريح أنفسنا وإخواننا لو ثقبنا في مكاننا ثقباً قال رسول الله أو كما قال فإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا، وإن تركوهم هلكوا وهلكوا إذا أخذوا على أيديهم ومنعوهم من ثقب السفينة ينجوا الجميع أو لو قالوا لا شأن لنا بهم يتصرفون بحصتهم، حصتهم السفينة، كلهم يركبون فيها، فإذا غرقت السفينة كلهم يغرقون.

أنا أقول لعلماء الدين وللقيمين على الرأي العام للمسؤولين السياسيين والتنظيميين في كل تنظيم سياسي، نحن كلنا في السفينة كلنا في السفينة وجود فئة متحمسة مخلعة وهؤلاء كانوا في الطبقة السفلى في السفينة لكن فهمهم هذا المقدار. كلنا في السفينة وإذا ترك هؤلاء المخلصون يتصرفون برأس الحسين كما يشتهون ويتصرفون بجسد الحسين كما يشتهون، لا، الخطر سيكون على ركاب السفينة، لذلك أنا أطلب وضع حد نهائي لكل هذه الأمور. وأطلب تدخل فعال وتوعية كاملة بالكف عن هذه الأمور. يكفي، لا معنى أن يقام في الشارع ٥ مجالس. في الحي مجلس يكفي ثم الأماكن العامة يجب أن تحترم الأماكن المدنية العامة يجب أن تحترم. يمكن إقامة أي اجتماع من قبل أصحاب المكان الذي لهم ولاية عليه. أما صرف ولاية الناس كلها والاستئثار بمكان عام وإعطاء صبغة لمكان عام على غير رضا أهله كائنة ما كانت هذه الصبغة، فهذا أمر غير صحيح. وبأي وجه من الوجوه غير صحيح سأتجنب اليوم تسمية

البلاد، ولكن غداً سأسمي البلد بصراحة، ويجب أن يبلغني أن المسألة سويت وانتهت، وأعبّر الآن وأنا بين يدي الله في موقف عبادة، أعبر عن إخلاصي وثقتي ومحبتي وتقديري لهؤلاء الأعزاء الذين يندفعون بقلوبهم الطاهرة ولكنهم يحتاجون إلى وعي. أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: «يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها».

إن الذي يجعلنا نعطي للمناسبة مكانتها وعظمتها وجلالتها ولا نحولها إلى عملية مبتذلة وصية الإمام الصادق عليه السلام لجماعته «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم» هذا أمر اقتضته الضرورة وبيّناه وفاء لأبي عبدالله وذكراه. هذه الذكرى التي نحن الآن في سنة ١٤١٦ للهجرة هذه الواقعة حصلت في سنة ٦١ أو ٦٠ للهجرة.

يعني واقعة حدثت ١٣٥٦ للهجرة يعني مضى عليها إلى الآن ١٣٥٦ وهي تقام بأشكال شتى وتحيى في ضمير الأمة بالشعر وبالكتابة والخطابة والزيارة وبالندب وبنوح النائحات والنائحين وأخيراً في العصر الحديث في القصة والمسرحية وكتاب الفكر من نوع الموالي الكبير والشيعي الكبير عبدالله العلايلي المصنف «سمو المعنى في سمو الذات» «وأيام الحسين» أو العملاق الفكري الكبير عباس محمود العقاد الذي هو شيعي كبير وما إلى هؤلاء القمم الشوامخ الشرقاوي وكتابته المسرحية العظيمة وكل من كتب مئات ألوف النصوص على مدى ١٤ قرن تقريباً.

الحادثة بدأت من اليوم الثاني من المحرم، الحصار حدث في اليوم السابع وحدث إغلاق المنافذ المائية على المعسكر والمذبحة حدثت في الساعات الأولى من يوم العاشر من المحرم وانتهى عند الظهر أو قريب الظهر، وهذه الحادثة والذين قتلوا فيها بين رجال ونساء كما أحصيتهم في كتابي «أنصار الحسين الرجال والدلالات» هم أقل من ٣٢٠ رجل وامراءه من الحسين إلى الطفل الرضيع ومن الحسين إلى جون الحر الكبير الذي كان خادماً عند الحسين.

في التاريخ من أيام نوح إلى زماننا توجد وقائع كثيرة لأهل الحق لأناس

مظلومين ثاروا على الظلم وقتلوا بالمئات وبالألوف ودمروا تدميراً كاملاً ولم تقم لهم أية ذكريات، لماذا الذكرى فقط للحسين؟ هذه السؤال قد يسألونه؟ مثلاً أنا أعرف أناس الله يرزقنا شفاعتهم شهداء بئر معونة الكرام الكبار الذين أرسلهم رسول الله لأجل الدعوة إلى الإسلام وغُدر بهم وحوصروا وأريدوا على الكفر أو أريدوا على الأسر فأبوا الكفر والأسر فقتلوا صبراً وهم أكثر من ١٨ وأمثالهم في تاريخ الإسلام كثير، وأمثالهم في تاريخ الدعوة المسيحية كثير، وأمثالهم في تاريخ الدعوة الموسوية كثير، وقص الله علينا في القرآن الكريم الكثير الكثير من قصص الأنبياء وأصحاب الأنبياء الذين جاهدوا وقوتلوا وصبروا وقتلوا في سبيل الله.

لماذا فقط الذكرى الحسينية؟ يقال مجموعة الشيعة هم الذين يحيون الذكرى الحسينية، فالشيعة عندهم مذابح أكثر من الهم على القلب ولكن لماذا فقط هذه؟ يا أعزائي مع تعظيمنا لكل شهادة ومع تكريمنا لكل شهيد، حجم القضية يكون من حجم مضمون القضية، أولاً الحسين عليه السلام هو ليس رجلاً عادياً وليس ثائراً عادياً، هو رجل مقدس هو كما ذكرت لكم هو إمام المسلمين. الإنسان يمكن أن تكون حياته كبيرة إذ وصل حياته بحياة كبيرة. يمكن أن تكون حياته صغيرة حقيرة إذا وصل حياته بحياة صغير، ويمكن أن تكون حياته كبيرة إذا وصل حياته بقضية كبيرة، يمكن أن تكون حياته صغيرة إذا وصل حياته بقضية صغيرة، حسناً هؤلاء الناس الرجال والنساء سواء كانوا أهل بيت أو غير أهل بيت علماً اني ما عدا استثناءات قليلة من العلويين الهاشميين الذين كانوا مع الحسين أنا أعظم غير الهاشميين أكثر من تعظيمي للهاشميين، لأن هؤلاء جاؤوا على الإخلاص لله دون وجود قرابة ولا ابن عم ولا ابن خال مثلاً زهير بن القين لم يكن له علاقة ببني هاشم جر نفسه وترك بيته ومجده ونعيمه وجاء ليقاتل مع الحسين، وهؤلاء الحسين وصل نفسه بقضية تجاوزت ذاته، والحسين كان يعيش في دوائر الدائرة الأولى دائرته الخاصة هو وزوجته وأبنائه وأخوته، والدائرة الثانية دائرة الهاشميين، الدائرة الثالثة دائرة المؤيدين للدعوة الهاشمية والدائرة الكبرى وهي دائرة العرب، الدائرة الأوسع وهي دائرة الإسلام.

دائرة الإسلام والمسلمين هي كانت متخاذلة ليس أن الناس ملتصقون به ومؤيدون له وهو ينهض بهم. الناس خاذلون كما بينت لكم في مواقف سابقة ووصل به الأمر إلى حد اليأس ومع ذلك تجاوز دائرته الشخصية والعائلية والعشائرية وتجاوز كل الوعود التي يوعد بها إذ سكت وأقدم على عملية استشهادية معلومة من الخطوة الأولى باع كل شيء وهذا شعر من الشاعرة رابعة العدوية رحمها الله.

إلهي تركت الخلق طراً في هواك وأيتمت العيـال لكـي أراك

هذا واقع الحال ترك الخلق حراً من أجل شيء واحد هو إنقاذ الإسلام من الانهيار هو يعلم أنه لن ينتصر ويعلم أنه سيقتل وهو يعلم أنه ستكون هناك مأساة مدوية وسيقتل قتلاً صعباً ليس قتلاً سهلاً قتل مضاعف حينما يرى أمامه أرحام وأولاد أحباب يذبحون واحداً واحداً أمام عينيه يذبحون وحينما يرى نساءه يعلم أنه بعد ساعات سيتعرض إلى أعظم إهانة هي إهانة السبي.

الإنسان يكبر مجرد ما يستلم قضية كبيرة وبمقدار ما يعطي نفسه لقضية كبيرة، والناس تكبر بمقدار ما تربط حياتها بحياة أناس كبار من هذا القبيل والحقيقة خلود القضية الحسينية هو من خلود الإسلام يعني الموضوع الحسيني هو موضوع الإسلام وموضوع الإسلام هو موضوع خالد ومتجدد باستمرار لهذا السبب هذا الدرس كحاضرنا نحن رجال ونساء وأناس عاديين لأي قضية نعطي حياتنا ولأي خط نهب وجودنا ولأية قيادة نعطي أعناقنا؟ وبمقدار ما نعطي حياتنا ووجودنا لمشروع صغير مشروع عائلي صغير مشروع حزبي صغير مشروع مذهبي صغير، اعتقدوا سنكون صغاراً بمقدار هذا المشروع الصغير ولن نكون كباراً أبداً يمكن أن نحصّل أناساً يصفقون لنا ولكن الناس الذين لا يصفقون لنا سيكونون أكثر يمكن أن نحصّل اناس سيحبوننا ولكن الناس الذين لا يحبوننا سيكونون أكثر وليس لنا أي عتب عليهم لأننا لم نعطهم حياتنا ولم نصل حياتنا بحياتهم ولم نصل قضيتنا بقضيتهم.

الإمام الحسين سر عموميته وخلوده أنه خرج من دائرته الصغيرة ووضع

نفسه في الإطار العام. إن جماعته الذين كانوا معه ليسوا كثيرين، الهاشميون لم يكونوا كثيرين والأصحاب لم يكونوا كثيرين، الذين لم يصلوا حياتهم بحياته انطفأوا وماتوا أما الذين وصلوا حياتهم بحياته فكبروا، فأمثاله الذين يعدون أنفسهم أمثاله حينما وصلوا حياتهم بمشروع صغير مشروع حكم. أنا أقول لكم هناك صحابة وتابعين وعبد الله بن الزبير مع تقديره ما ينسب إليه أنه من الصحابة كان يعارض للحكم الأموي تماماً، وكان معارضاً صادقاً ولكنه حصر نفسه بمشروع صغير، حصر نفسه معاندة على خلافة رجل، هو كبير ولكن كبير بمقدار ما مشروعه صغير، الحسين تجاوز حتى مشروع الخلافة والحسين لم يخرج طالباً للخلافة ولم يخرج حاملاً لمشروع سياسي. خرج فقط حاملاً لمشروع تصحيحي على مستوى الأمة من هنا النوعية يعني واحد يعطش ويجوع ويقتلون ابنه ويسبون زوجته لأنه يريد شيئاً معين، أما إنسان تنزل كل ألوان العذاب من هذا القبيل العذاب الجسدي والعاطفي والنفسي، وهو لا يريد شيء أبداً فقط للناس صححوا أنفسكم وحدكم. والذي جعل القضية بهذه الحرارة والخلود هي هذه.

من هنا أنا تحذيري من أن هذه القضية الكبيرة العظيمة بعض الفهم والممارسات يجعلها صغيرة. هذا الحسين الجليل الكبير الذي يقول فيه الرسول «حسين مني وأنا من حسين» صحيح أنه ابنه ولكن حسين مني وأنا من حسين في هذه القضية الصعبة والقيادات تكون سعيدة أن تأتي في وقت مريح ولكن تكون القيادات ممتحنة حينما تأتي من الأوقات الصعبة، الأوقات التي تحتاج فيها إلى تضحية وإلى بذل وإلى نسيان الذات ونكران الذات إجمالاً. الناس تكبر بمقدار ما تكبر قضاياها والقضايا تكبر بمقدار ما تكون عامة. القضية العائلية هي أكبر من القضية الشخصية والقضية العشائرية هي أكبر من القضية العائلية والقضية الوطنية هي أكبر من القضية العشائرية، وقضية الأمة هي أكبر القضايا والقضية الإنسانية هي أكبر من كل شيء وتتجاوز حتى الدين الأديان كل تتداخل وتذوب حينما يصل الأمر إلى قداسة وكرامة الإنسان وحقانية الإنسان وكرامته وهذا الأمر جسده الإمام الحسين صلوات الله عليه.

الآن نحن بعد هذا الزمن الطويل المديد نجتمع ونتذاكر وتستعيد هذه الحياة المقدسة الشريفة لا لشخصه الحسين واحد من اثني عشر إمام معصوم من أئمة المسلمين يعتقد الإمامية بعصمتهم ويتبرك بهم ويتقدس بهم ويعتقد بقداستهم وصلاحهم سائر المسلمين، ولكن للحسين طعم خاص وذائقة خاصة ناشئة من خصوصية الواقعة ومن خصوصية النهضة ومن عمومية القضية التي حملها صلوات الله وسلامه عليه.

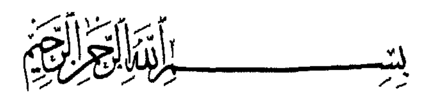
يغفر الله لنا ولكم، والله يجعلنا وإياكم كما بدأنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأنا قبل قليل في مشهد كريم كنت في سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية وتكلمت بكلام إنشاء الله مناسب للمناسبة ودعوت في آخر كلامي بآيات سورة آل عمران ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[1] اللهم استجب دعاءنا وتقبل أعمالنا واغفر لنا، حفظكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

عاشوراء

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٨ محرم ١٤١٦ هـ



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الذين اتبعوه بإحسان والتحية والسلام إلى سيدنا أبي عبدالله الحسين وآله وصحبه الأبرار الأخيار في هذا اليوم الذي نقترب فيه من ذروة ذكراهم هذا هو اليوم الثامن وغداً يومها التاسع (تاسوعاء يومها وليلها) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

في هذا اليوم أريد أن أحدثكم عن مغزى كلمة قالها الإمام الحسين في خطاب الناس في حيثيات وتعليل خروجه في كلام له قال «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به أو إلى المعروف وإلى الباطل أو المنكر لا يتناهى عنه».

يخاطب الناس بهذا فيقول لهم إن المناخ العام للقوى المؤثرة في المجتمع أنها لا تعمل بالحق والمعروف ولا تنهى ولا تتناهى عن المنكر. هذه مشكلة كل مجتمع ويمكن أن تتجدد في كل مجتمع وتشكل خطورة كبيرة على كل مجتمع نتذكر في كتاب الله سبحانه وتعالى نقده وذمه لليهود الذين قال عنهم ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[١].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٩.

يقع بينهم المنكر فلا يتناهون عنه ولا ينهى بعضهم بعضاً عنه بل إما يسكتون أو يرضون ويشجعون.

في حديث شهير مروي عن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه عليه كان يحدث به أصحابه ويحذرهم ويحذر الأمة من خلالهم قال أو كما قال «كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فقالوا وقد استغربوا وتعجبوا ينظرون إلى التاريخ على ضوء حالتهم حالة الصفاء والنقاوة والإخلاص، قالوا أو يكون ذلك يا رسول الله، هل يمكن أن يأتي زمان يترك فيه الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فقال: نعم وأكثر من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف، وهذا أسوء، يعني أكثر انحطاطاً وأكثر بعداً عن الالتزام بالشريعة الغراء. تارة إنسان يرى المنكر فلا ينهى عنه ويرى المعروف في حالة الهجران فلا يأمر به. وتارة هو يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، فزاد استغرابهم ودهشتهم وقال الصحابة أو يكون ذلك يا رسول الله؟ قال: «نعم وأكثر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً» إلى آخر الحديث.

في هذا السياق تأتي كلمة الإمام الحسين «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه» هذه المرحلة أنا أسميها انقلاب المفاهيم. المجتمع محكوم بمفاهيم في السياسة له مفاهيم وفي الاقتصاد له مفاهيم. وفي الأمن والاجتماع له مفاهيم، وكلما اختلت مفاهيم مجتمع كلما تزعزت مفاهيم مجتمع تتعرض حياة المجتمع إلى التحول والتقلب والفساد والفتن، والأغيار أعداء ذاك المجتمع يدخلون إليه من هذا الباب، يدخلون من تغيير المفاهيم ويتلاعبون بمفاهيمه، يزورّون له الأمور، في السنة الشريفة نصوص كثيرة تعالج هذه النقطة، نصوص تقول أن الناس يأتي زمان يرون فيه الاقتصاد بخل. وربما يسمون البخل اقتصاداً يرون فيه الشجاعة تهوراً أو يسمون التهور شجاعة، يرون فيه العفة عجزاً وقد يسمون العجز عفة يرون فيه الأمانة غباء ويرون فيه الإخلاص تخلفاً هذا اختلاف المفاهيم.

يرون فيه تفرق الكلمة حرية، حرية الرأي يمدحونها وهي تفرق الكلمة.

واختلاف الكلمة المفاهيم والمعايير تنعكس. هذه في كل مجتمع موجودة، في زمان الإمام الحسين يتعرض المجتمع لحالة من هذا القبيل. المجتمع الإسلامي خرج من صفين سنة ٤٠ مهزوم انهزم المجتمع الإسلامي والمشروع الإسلامي الصافي مشروع الدعوة انهزم وانفصل عن مشروع الدولة، الدولة مشت في سياق والدعوة صارت في سياق ثاني حينما سقط المشروع في صفين بالتحكيم الذي أدى إلى تثبيت معاوية وإلى خلع علي بن أبي طالب.

رسخت الدولة وسقط المشروع وانفصل المشروع عن الدولة أصبحت الأمة الحاملة للمشروع والدولة الحاكمة للأمة، هكذا دولة حاكمة للأمة وخالية من المشروع وصار مشروع الدولة مشروع سلطة، أن يبعثوا جيوش يحاربوا الأمم الأخرى ويقتحمونها ويحضرون سبايا وتشجع سوق الرقيق والإماء والعبد.

مشروع الدعوة انفصل عن مشروع الدولة، انفصل المجتمع عن الدولة عن الحكومة، صار المشروع مشروع سلطة. من هنا كان معاوية بن أبي سفيان صادقاً مع نفسه حينما جاء إلى الكوفة بعد صلح الحسن عليه السلام وقال للناس «أني لا أحاربكم لتصلّوا أو تصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إلى آخره... إنما حاربتكم لأتغلّب عليكم وقد أتاني الله ذلك وأنتم كارهون».

مشروع الدولة انفصل أصبح سلطة من دون دعوة، ومشروع الدعوة انفصل وأصبح دعوة من دون سلطة. في هذا المناخ بدأ الحكم الأموي بدل المفاهيم للناس ووضع شريعة سب علي بن أبي طالب، حتى الأطفال كانوا يعلمونهم مثل النشيد الوطني (أشبه بالنشيد الوطني) يربون الأطفال على سب علي بن أبي طالب. ويفرضون في الصلاة سب علي بن أبي طالب. إذا أرادوا أن يختبروا الولاء السياسي لأحد يطلبون منه أن يصعد المنبر لسب علي بن أبي طالب أو التبرء من علي بن أبي طالب، هذه ليست قضية إهانة شخصية هذا تبديل سياسي، وليس إهانة شخصية نحن شخصياً تعرضنا لمثل هذا، ليست قضية إهانة انها قضية تبديل مفهوم.

إن القيم والمعايير التي يحملها علي بن أبي طالب هذه سقطت عن

الاعتبار تشتم هي وصاحبها (وحدة الأمة وتجانس الأمة) أصبحت مسألة مرفوضة أصبح الشيء المطلوب والمرغوب هو قريش وحلفاء قريش وعرب وحلفاء العرب، وبعد ذلك سائر الناس وأصبح الحكم قبلياً.

كان يوجد مشروع أمة ومشروع مجتمع وصار يوجد مشروع قبيلة، مثلاً والي كبير والي الكوفة يعني والي العراق يعني والي النصف الشرقي من الخلافة كلها، يقول للناس في مجلسه أن السواد بستان لقريش، يعني كل ريف العراق هذا مزرعة لقريش وهكذا.

الحكم صار حكم القبيلة حكم البيت والعشيرة والفخذ السفياني من بني أمية وبعدها الفخذ المرواني من بني أمية وأصحابها وأنسبائها ونسائها ورجالها وبنات أزواجها إلى آخره. . تحول مفهوم الأمة إلى مفهوم عشيرة.

مفهوم الإسلام السمح صار مفهوم عصبية مفهوم «إنما بعثت داعية»، تحول إلى بعثت جابيا، الناس يريدون أن يدخلوا في الإسلام وأنا أحدثكم وقائع يخفى الإسلام ويقال لا تشجعوا الناس على الإسلام لأن الناس إذا أسلموا لا يدفعون الجزية وضريبة الخراج وينقص إيراد بيت المال. لا. دعوا الناس على مجوسيتهم، وغالباً كان هذا العمل مع المجوس (مع الإيرانيين) فليبقى الناس مجوس ويدفعون الضريبة أفضل من أن يصيروا مسلمين ويصيروا هم يحتاجون إلى الفلوس (المال). انقلبت المفاهيم أصبح المال كما قال الإمام علي والإمام الحسن وتأصلت المسألة في زمان الإمام الحسين «مال الله دولاً دولا. يعني (مجموعة من الأغنياء. المتسلطتين هم وضعوا أيديهم على أموال الأمة على الأموال العامة) عباد الله خولا يعني (أن العامة الناس أصبحت غير ذات إرادة وغير ذات رأي).

والمفاهيم انقلبت، الناس بقيت تصلي وهذه لا تغشكم الناس تصلي وتصوم وتحج وتخدعكم وتأخذ منكم الخمس والزكاة وتسبح وتقرأ القرآن وتطلع تلطم على الحسين وتبكي على الحسين هذا كله صحيح، هذا ما في انقلاب مفاهيم، المفاهيم الحقيقية هي مفاهيم الشريعة التي يقوم عليها حياة

المجتمع وحياة الأمة، كانوا هكذا، أوقات الصلوات الخمسة المساجد تمتلىء ويصلون وشهر رمضان لا إفطار أبداً الناس كلها تصوم القرآن معظم ومحترم ويقرأ يصلون نوافل وتراويح ويحجون لكن ورد عن المعصومين عليهم السلام كلام «لا تغرنكم من الرجل أو من المرأة (من المرأة والرجل) كثرة صلاته وصياحه فإنما هو أمر اعتاد عليه، فإذا تركه استوحش له عادة هو يفيق الصبح يتوضأ ويصلي يعني إذ ما صلى يستوحش ولكن اختبروهم بصدق الحديث وأداء الأمانة الدين». هنا التقوى والإخلاص هنا، نحن نستغرب كنا نتكلم عن بعض المفاهيم السياسية والاجتماعية ومنذ سنوات طويلة والله يشهد بناءً على تحليل فقهي علمي وكان النكير يقوم علينا من كل جانب، الآن نكتشف أن هؤلاء الذين كانوا يستنكرون أصبحوا يتشبثون بهذه الأمور وزيادة إلى حد تعريض الشريعة للخطر وهم يتكلمون باسم الشريعة جهات وأشخاص نقول ما عدا مما بدا إذا كان كلامنا حقاً فلماذا استنكرتموه وإذا كان باطلاً فلماذا تقولونه هذا انقلاب المفاهيم وألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه، طبعاً أنا مسرور أن الكل الآن يقولون بمقولاتي وآرائي أنا مسرور فليدخلوا جميعاً في هذا الهدى حينما تنقلب المفاهيم يقع الخطر الأعظم نفس الشخصية تصير ممسوخة.

في هذه اللحظة الإمام الحسين عليه السلام رأى أن يتدخل والمفاهيم حينما تنقلب يصير المنكر معروف والناس بعد لا تفهم المعروف تفهم أن المنكر هو المعروف ويصير المعروف منكراً.

الإمام الحسين من حيثيات ثورته التي بيّنها هذه «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه» انقلاب هو الذي جعل الإمام الحسين يقوم بهذه الحركة الاستشهادية لأجل أن يصدم الناس ويسبب لهم صدمة عقلية ونفسية وعاطفية واجتماعية وسياسية يزلزلهم زلزلة كاملة لأجل أن يصحح المفاهيم. وبهذا المعنى فإن الإمام الحسين انتصر لأنه بعد أن حصلت هذه الثورة وحصل هذا الصدام الكبير بينه وبين النظام الأموي الأمة تتفرج وهي لا تصدق أن أعظم المنكرات ارتكب، رجعت الأمة إلى نفسها وأفاقت من غفوتها

وكبوتها وبدأت تتحرك من جديد كانت أشبه بالإنسان المخدر وكان التخدير ديني.

أنا أحذركم يا أعزائي ويا عزيزاتي، أعظم أخطار التخدير وأعظم مظاهر التخدير هو التخدير الديني التخدير السياسي له علاج والتخدير العاطفي له علاج التخدير النفساني له علاج. التخدير الديني خطر جداً التخدير الديني هو الذي قتل الحسين، التخدير الديني هو الذي سمح للأنذال أن يركبوا على خيولهم ويدوسوا صدر الحسين وظهره التخدير هو الذي سمح أن هؤلاء الوحوش الأنذال يحزوا هذه الرؤوس الطاهرة ويرفعونها على الرماح، التخدير الديني هو الذي سمح أن حرائر بني هاشم والعرب تحمل سبايا على الجمال يستعرضون بهم الناس من العراق إلى سوريا. هذه أمة مخدرة هي التي استطاعت أن تتحمل انتهاكات فظيعة وفجيعة من هذا القبيل ولكن لما استوعبت الأمة الصدمة الاستشهادية بكل فظاعتها وفجاعتها وبكل دمويتها. أفاقت وحدثت الإفاقة وبدأت الأمة تتحرك كانت دائماً تقول نعم بدأت تقول «لا». وهذه «لا» لم تكن دائماً شيعية، هي «لا» الإسلام الواسعة الذين فيهم الجميع. الذين ثاروا على النظام الأموي المرواني والذين ثاروا على النظام الأموي السفياني ثورتان كبيرتان ثورة أهل المدينة وثورة عبدالله بن الزبير، وبعد ذلك على النظام المرواني عشرات الثورات إلى أن أطيح به نهائياً.

كل الأمة ثارت وكل الأمة استوعبت مضمون وهتاف الحسين. أنا الواقع لا أدري إن كان حصل حقيقة لا أنفي ولا أثبت كان حصل حقيقة أن الحسين في اليوم العاشر صار «يصرخ هل من ناصر ينصرنا» لا أدري ولكن إذا كان قد قال ذلك، فقد أراد أن يوصل رسالة إلى أبعد من جيش بني أمية، أراد أن يوصل رسالة إلى الأمة أراد أن يتناقل الناس أنه في هذه الساعة الحرجة للأمة هتف بهذا الهتاف وسمعه العشرات والمئات، وتناقله ألوف الناس الذين عجزوا ورأوا أن من واجبهم أن ينصروا الروح أن ينصروا الذي دعا الحسين ليقول هل من ناصر ينصرنا يعني هذه الدعوة ليست دعوة شخصية يعني ليس واحد فقير معزول ومكسور يقول أرجوكم لا ـ لا أبداً الحسين أكبر وأعظم من هذا كما قلت لكم

هو ليس أنه بمثابة في الساعات الأخيرة يقول «وحق جدي لأني لعطشان» لا هو بمثابة أن يقول «إلهي تركت الخلق طراً لكي أراك» وهو حينما يقول «هل من ناصر ينصرنا» فهو يريد أن يوصل رسالة ليس إلى هؤلاء فقط وإنما رسالة إلى من ورائهم، ولذلك تولدت عبارة تلخص موقف. الموقف قد يكون موقف لساني لفظي، ولكن أنا أوافق أنه عند الكثير من المسلمين المستنيرين المخلصين هو موقف قلبي موقف الذي يعبر عنه «يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً» أو هذه «يا ليتنا» الآن الناس يتداولونها في الزيارات وموجودة في نصوص الزيارات «لئن غاب جسدي ولم أكن موجوداً في حالة استنصارك فقد أجابك جسدي وعظمي ودمي»، في نص بالزيارة من هذا القبيل وهذا يترجم هذه الاستجابة، هذه الاستجابة استجابة الأمة يعني الأمة تقول يا حسين. رجعت الأمور إلى قاعدتها انقلاب المفاهيم زال.

أعتقد أنه أعظم ظاهرة بشرية في تاريخ الكون، هذا له أصحاب إذا بعض هؤلاء الصحابة بكل ثقلهم بانشعاعهم وبكل حضورهم الطاغي يأتون ويلفقون أشياء ويقولون قال رسول الله ويعملوا فتاوى وتسمونها أنتم فتاوى والناس معذورة. الناس تعتقد بهؤلاء وماذا تصنع؟ انقلاب المفاهيم، هؤلاء المأجورون دجالون ساهموا في قلب المفاهيم.

الإمام الحسين. صحح المفاهيم هذه المسألة لا يفيد فيها موعظة ولا يفيد فيها خطبة. هي تحتاج إلى صدمة وتحتاج إلى شهادة. تحتاج إلى سبايا وتحتاج إلى أطفال يذبحون وتحتاج إلى صدمة تصل إلى أعمق أعماق الأمة وهذا ما حصل. هذه الظاهرة موجودة في كل التاريخ وفي كل المجتمعات لا أتحدث عن الماضي أتحدث عن الحاضر.

الآن اللبنانيون أنا أقول فليحصنوا أنفسهم ضد انقلاب المفاهيم، العرب فليحصنوا أنفسهم ضد انقلاب المفاهيم، والمسلمون فليحصنوا أنفسهم ضد انقلاب المفاهيم السياسات الدولية الآن وما يسمى النظام العالمي الجديد والصهيونية العالمية هدفهم بكل صراحة تغيير المفاهيم. أذكر لكم مثلاً وتعرفونه كلكم وقيسوا كل أمثاله في الفكر والسياسة والاقتصاد والاجتماع سلمان رشدي

أو هذه السفيهة التي اسمها تسليمة نسرين هؤلاء حين التجديف العاهر الفاجر عن الرسول الأكرم وعن الشريعة الإسلامية وحصل من يقبلهم تحت ستار حرية الفكر. هذه ليست حرية فكر وليست حرية فن. هذا انقلاب مفاهيم. حرية الفكر ليست هكذا أبداً لكن مطلوب ترويج هذا الانحراف المفهومي لأنه ينال من المسلمين على جميع المستويات.

الآن النزاعات التي تحدث في الجزائر بين الإسلاميين الله يهديهم لأن بعضهم ظلامين حقيقة حين يستحلون قتل المجتمع. وأنا أعتقد أنهم يحتاجون إلى وعي إسلامي وهؤلاء طلاب سلطة، ليسوا دعاة إسلام، أو في مصر أو أفغانستان، أو ما كان عندنا في لبنان وحرب الإخوة. هذا انقلاب المفاهيم. اقول لهؤلاء، أفغانستان مثلاً والله سبحانه وتعالى نصركم على السوفيات تحت شعار الإسلام. يعني أريد أن أعرف أي إسلام يريد أن يغلب أي إسلام. هذا انتكاس وانقلاب المفاهيم وهكذا في كل مكان من هذا القبيل تحت الشعار السياسي والديني والاقتصادي. والآن يراد ترويج عقيدة باطلة إجرامية في العالم الثالث كله، وخصوصاً في الأمة الإسلامية وبشكل أخص في العالم العربي، مجتمع الاستهلاك يقول لنا أنتجوا ثروة واشتروا سلع وتمتعوا بحياتكم وابنوا بيوت أجمل وأفخم والبسوا ثياب أجمل وكيفوا حياتكم وكلوا طعام كذا، وسافروا واعملوا سياحة لأجل أخذ الثروة. أن ينشأ دمى حقيرة مثل صدام حسين وأمثاله يدفعونهم تحت شعار وحدة عربية، يريد أن يوحد العرب فدمر كل شيء وهذا انقلاب مفاهيم يريد أن يقدم خدمة للغرب فيحارب الإسلام في إيران. يهاجم إيران في الحرب العدوانية تحت هذا الستار، ويحصل أن العرب يمولونه تحت ستار القومية وفي النتيجة هم ينحرون القومية العربية بهذه الحرب نتيجة إنقلاب المفاهيم.

في لبنان عندنا أيضاً على المستوى الوطني العام، وعلى المستوى الطائفي وعلى المستوى الإسلامي، بعض ما يجري إن لم يكن أكثر ما يجري يعكس أوضاع خطرة جداً تحت ستار انقلاب المفاهيم، مفهوم سياسي منقلب، مفهوم اجتماعي منقلب، مفهوم اقتصادي منقلب، مفهوم فلاني منقلب، هذا الأمر

نتعلم من درس عاشوراء ومن موقف الإمام الحسين عليه السلام أن نفحص مواقفنا على هذا الأساس.

إن هذا الشعار وإن هذه الدعوة البراقة تارة تحت ستار الإسلام وتارة تحت ستار الشيعية وتارة تحت ستار الجهة الفلانية أو الخط الفلاني، تارة هذا المعمم أو ذاك المعمم أو تحت ستار هذه المنطقة أو تلك المنطقة، هذا انقلاب المفاهيم.

أنا أقول أنتم أيها الناس البسطاء الطاهرون أنتم موضع الطمع لا يمكن أن يوجد سوق اقتصادي من دونكم، ثروات عظمى لا تكون من دونكم، يعني أنتم تكوّنون الثروات، يصنعون لكم سلعة وينزلونها إلى السوق وأنتم تعملون بكد جبينكم لتشتروا ويكونون ثروات انتبهوا زعامات سياسية ومشيخات من دونكم لا تصير من دون عامة الناس وبسطاء الناس كيف يمكن أن يصير زعامة سياسية؟

من هنا الله سبحانه وتعالى بيّن والرسول بيّن وأئمة أهل البيت بينّوا في هذا المضمون «الله الله في أنفسكم وهي أعز الأنفس عليكم» أنتم تتعرضون للمساومات نتيجة انقلاب المفاهيم، وهؤلاء الناس الذين حدثناكم عنهم والذين كانوا مع مسلم بن عقيل في الكوفة كانت مفاهيمهم صحيحة، تصرفوا بشكل صحيح، ولما جاءت ساعة المواجهة ساعة تحمل المسؤولية انقلبت عندهم المفاهيم وراحوا جلسوا في بيوتهم وقُتل مسلم بن عقيل وسقط المشروع، مثلما صار في صفين عينها سقط المشروع وجاء عبيد الله بن زياد وجرهم من أذنهم من بيوتهم وأعطاهم مئة درهم زيادة حتى يحاربوا أنفسهم. والحسين بن علي من هو؟ هو أنفسهم وهو قضيتهم وهو أبوهم، جندهم عبيدالله بن زياد حتى يقاتلوا أنفسهم وبالفعل قاتلوا أنفسهم وقتلوا وبعدها ماذا فعلوا؟ صاروا يبكون عليه ولكن بعد ماذا؟ هذا الأمر هو أحد دروس كربلاء الكبيرة، نعوذ الله من أن نبتلى بهذا الانتكاس «أن نرى المنكر معروفاً والمعروف منكراً». ومن هنا الدعاء الشهير العظيم «اللهم أرنا الحق حقاً فنتبعه وأرنا الباطل باطلاً فنتجنبه»، هذا الدعاء من أجل الاستعاذة بالله من الوقوع في أوهام وخيالات وأحابيل وحيل

انقلاب المفاهيم وخداع الشعارات التي قال في شأنها الإمام علي عليه السلام «كلمة حق أريد بها باطل».

سؤال:

فتاة تسأل فتقول «أنا فتاة حديثة الالتزام هل الغناء محرم؟ أرجو الإجابة بالتفصيل؟

الغناء بالشكل الذي يتداول الآن وهو يسمى غناء أهل الفسوق، هذا المعروف بالملاهي فهذا محرم ولأجل التفصيل، تأخذين موعد لأشرح لك بالتفصيل، وأنا أشجعك للاستمرار في هذه النقاوة وهذا الالتزام الطاهر لأن فيها كرامة الدنيا وخلاص الآخرة.

وهذا سائل يسأل، يوجد بعض الإخوة ممن لا يصلون وأخوات لا يرتدين الحجاب ومتسترات، وهم يأتون للمجالس الحسينية بدافع حب الحسين أسأل لماذا لا تغتنم هذه الفرص ولو قليلاً بدعوتهم للصلاة والالتزام بالحجاب للأخوات؟ وهل ممكن بدل أن تركزوا حضرتكم وقارء العزاء على الأمور السياسية التي لا تهم إذا لم يكن الإنسان ملتزماً بحبل الله المتين والسلام عليكم.

أشكر هذا السائل على وعيه وأقول هذه المجالس هي مدرسة، وأنا في هذا المجلس أرحب بكل من يأتي من تاركي الصلاة وعزيزاتنا من غير المحجبات أنا أريد أن يسمع الجميع هذه الدعوة الخيرة.

وأعتقد أن التأثر بالروح الإسلامية والمناخ الطاهر للحسين وزينب وأصحابهما وصاحبتها هو باب من أبواب الهداية والخير، وبطبيعة الحال الحديث عن الذكرى الحسينية هو في نفس الوقت حديث عن الالتزام بالشريعة، ولكن أنا أقول هذه المجالس صدر مفتوح وقلب مفتوح لارتيادها لانتهال الثقافة الإسلامية الصحيحة ولا أنصح بارتياد جميع المجالس.

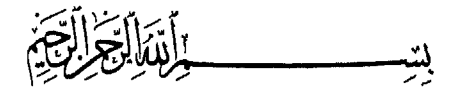
أقول المجالس التي تحمل هذا الفكر وهذا الروح وتحمل الذكرى الحسينية وفي نفس الوقت نحن دائماً نذكر أن الحسين مثّل خط الشريعة المستنير

وكلما اقترب الإنسان في زيه وسلوكه من هذا الخط الطاهر هو سيكون أقرب إلى الإمام الحسين. ولكن هذا الحضور ليس مشروطاً مائدة الحسين وخطاب الحسين هو خطاب مفتوح ينال منه كل إنسان حظه من الخير والبركة.

رعاكم الله إنشاء الله نحن نستقبل الآن نهاية عاشوراء أسأل الله أن يعيدها على الجميع بعقل أوفر وحكمة أكبر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإمام الحسين وارث رسالات الأنبياء

٩ محرم ١٤١٦ هـ



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه الذين اتبعوه بإحسان وعلى جميع أنبياء الله ورسله وعلى عباده الصالحين ونستغفر الله تعالى ونتوب إليه ونعوذ به من شرور ومن سيئات أعمالنا ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول من أولي الألباب الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه في حياتهم وفي سلوكهم وفيما يأخذون ويدعون من جميع أمورهم.

والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات جميعاً حيثما كنتم في هذا اليوم المبارك المثقل بهذه الذكرى المجيدة ذكرى عاشوراء في اليوم التاسع من المحرم.

ونحن نستعيد هذه الذكرى المجيدة وقد بلغت أوجها الأعلى ونأمل أن تبلغ أوجها فينا لما تتركه من أثر تربوي روحي وأخلاقي وسلوكي يطبع سلوكنا بطابعها في حياتنا العامة حيث نتواصل بقيمها ومعاييرها مع مجتمعنا ومحيطنا ـ في هذا اليوم نستعيد هذه الذكرى كما قلت في أوجها، ولنا أن نتمثل في ذلك الحين وذلك الزمان هذه النخبة الطاهرة والصافية من الرجال والنساء الذين هم نخبة زمانهم وعصرهم وعياً والتزاماً وأداءً لحقوق هذا الالتزام. لا، لأية مصلحة خاصة لأي منهم ولا لمصلحة فئوية لأقوامهم، بل التزاماً بقضية الأمة وقضية

الإنسان كما جسدها الإسلام وجسدتها سيرة الرسول الأكرم ﷺ، وتعرضت للانتهاك والتزوير والتشويه من قبل النظام المتسلط «الذي جعل مال الله دولاً وعباد الله خولا» والصالحين حرباً والفاسقين حزباً»، فأراد الحسين بنهضته ومن معه أن يصحح هذه المفاهيم وأن يعيد للشريعة صفاوتها ووهجها وقدرتها على التغيير في مقابل التزوير الديني والتخدير الديني والدجل الديني الذي حوّل الإسلام من كونه دعوة هادية إلى كونه مؤسسة للانتفاع وللتسلط.

هذه المعاني أكدها أئمة أهل البيت المتأخرون، أئمة أهل البيت المعصومون منذ الإمام السجاد وإلى الإمام المنتظر (عج) حينما لخصوا كربلاء ومعناها ونهضة الحسين ومغزاها في النص الشهير لزيارة وارث الذي عبروا فيه عن رؤيتهم للنهضة الحسينية باعتبارهم الحسين عليه السلام وارثاً لآدم ووارثاً لنوح ووارثاً لإبراهيم ووارثاً لموسى ووارثاً لعيسى ووارثاً لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم. في السلام الشهير: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله السلام عليك يا وارث نوح نبي الله السلام عليك يا وارث ابراهيم خليل الله السلام عليك يا وارث موسى كليم الله السلام عليك يا وارث عيسى روح الله السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله»، بهذا النص يكشف أئمة أهل البيت عن أن الثورة الحسينية هي تلخيص وتعبير عن خط النبوات حينما تتصدى للانحراف ولانكسار الروح الإنسانية أمام الطغيان وأمام التجهيل وأمام التدجيل، وهو ما تعرضت له روح الإنسان المسلم وشخصيته في النصف الثاني من القرن الأول الهجري بعد انطواء عهد الخلافة الراشدة وبعد تحول الخلافة إلى ملك عضوض إلى ملك لا يأبه للروحانية ولا يأبه للأخلاقية ولا يأبه للشريعة، بل حوّل الإسلام إلى مجرد مؤسسة تمارس السلطة نفسها ومن غير أي هدف إنساني على الإطلاق.

الإمام الحسين بما هو إمام كبير للمسلمين بما هو قيادة تلخص آمال الأمة ومخاوف الأمة ورجاء الأمة يحمل في قلبه وفي ضميره وفي مسؤوليته مشروع الأمة وليس مشروع السلطة، مشروع الإنسان وليس فقط مشروع الدولة.

واجه هذا الواقع فنهض به وهو يعلم أنه يخوض معركة استشهادية لم يأبه

فيها للانتصار الآني بل علق الآمال فيها على ما سيحدثه في ضمير وقلب ووعي الإنسان المسلم الذي هو وحده يحمل حل مشكلته ويحمل صنع مصيره من دون أن يكون مصيره مصنوعاً بأيدي الآخرين أو مفروضاً عليه من الآخرين. وهذه هي نظرة الإسلام الذي يجعل مصير الإنسان منوطاً به وليس منوطاً بأي سلطة أخرى يسلم إليها قياده حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾[1] الإنسان هو الذي يحمل مسؤولية مصيره ومسؤولية حاضره ومستقبله. هذه الروحية التي حملها الإمام الحسين تكشف عن أن حركته ونهضته لم تكن رد فعل آني لم تكن حدثاً محصوراً في الزمان أو محصوراً في المكان، وإنما كانت تعبيراً عن مبدأ عام وعن خط عام في داخل الإسلام وفي داخل الأمة المتجددة في كل جيل من أجيالها وفي كل عهد من عهودها.

هذه الأمة المعرضة لأن تواجه دائماً نفس المأزق ونفس الأخطار ونفس المهالك التي واجهتها في العهد الحسيني عليه السلام التشويه الروحي والتزوير الثقافي ومصادرة الإرادة ومصادرة الحرية ومسخ الشخصية وإلغاء الدور واختزالها كلها في شخص واحد أو في بضعة أشخاص، هذه المهالك وهذه الأخطار تواجه أمة الإسلام دائماً واجهتها في عهد الحسين وواجهتها بعد الحسين وتواجهها الآن وستواجهها في المستقبل.

قلت إن ديمومة وخلود هذه الثورة الاستشهادية نشأت من أنها تقوم على معطيات وعلى قيم خالدة هي لم تنطلق رد فعل على حالة آنية ظرفية تنتهي بانتهاء وقتها، لم تنطلق من أجل مشروع سلطوي أو من أجل غضب قبلي أو من أجل مطمع مذهبي أو قبلي أو عشائري. هي انطلقت من مشروع الأمة ومن دور الأمة ومن مهمة الأمة في محيطها وفي الإنسانية جمعاء على القاعدة التي وضعها الله سبحانه وتعالى في القرآن حينما قال مخاطباً هذه الأمة المرحومة المجيدة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[2]. الأمة المسلمة هي الأمة الشاهدة على العالم يعني أمة ذات دور في ذلك الحين،

---

(١) سورة القيامة، الآية: ١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

تعرض هذا الدور للانتهاك وهو التحذير الذي أطلقه رسول الله ﷺ حينما حذر المسلمين من أن تتحول دولتهم إلى كسروية وقيصرية إلى مجرد تحمل مشروع سلطة ولا تحمل مشروع دعوة إلى مجرد دولة تمارس السلطة ولا تكون قوة تحرير وهداية العالم.

من هنا نظرة أئمة المسلمين إلى الثورة الحسينية وإليه على أنها الحركة الوارثة لرسالات الأنبياء وعلى أنه الوارث للأنبياء. تسلك هذه الثورة في هذا الخط الذي بدء بآدم والذي اختتم برسول الله والمستمر من خلال خط أهل بيته وصحابته الذين اتبعوه بإحسان على هذا الخط وعلى هذا المعيار وعلى هذا المضمار. تأتي هذه الثورة الآن لا لتكون ثورة الحسين في سنة ٦٠ للهجرة لا لتكون ثورته تاريخاً مضى على ١٤ قرناً من الزمان، بل لتكون حدثاً معاصراً يومياً إذا قرأناها من خلال هذه الوراثة ومن خلال ما يواجه الأمة الآن ومن خلال ما يرتجى لهذه الأمة. الآن الذي يصدق عليها ما حذر منه رسول الله ﷺ حينما قال: «كيف وبكم إذا تداعت عليكم الأمم كما تداعت الأكلة إلى قصعتها» قالوا: أمن قلة يومئذ يا رسول الله فنفى سلام الله عليه أن يكون ضعفهم وذلتهم والاستهانة بهم ناشئة من قلتهم بل رد ذلك إلى الأسباب الموضوعية وإلى القوانين التاريخية والتي تسبب ضعف الأمم وانحطاط الأمم وفقدانها لدورها.

الآن ثورة الحسين الاستشهادية من هذا المنظور هي ثورة معاصرة. هي شيء نعيشه الآن نستعيده في حياتنا مسؤولين وعامة، نعيشه في حياتنا ونحن نرى إلى الأخطار تحدق بنا من كل جانب. تحدق بنا في وحدتنا الداخلية على مستوى الأمة وعلى مستوى الشعوب وعلى مستوى المجتمعات الوطنية. أعظم الأخطار هو ليس أن نفقد أو يضعف دورنا الاقتصادي أو دورنا السياسي بل أن نفقد وحدتنا الداخلية أن نفقد تماسكنا الداخلي سواء أكان على مستوى المجتمعات الوطنية أو على مستوى تجمعاتنا الإقليمية أو على المستوى العالمي. المسلمون اليوم في كل تمظهراتهم عالمياً وإقليمياً ووطنياً مستهدفون بهذه الحالة من الانقسامات انقساماتهم الداخلية كأنظمة وانقساماتهم الداخلية

كجماعات هي أخطر ما يواجههم، وهي أخطر ما يمكّن منهم أعداؤهم سواء أكان هؤلاء الأعداء متمثلين في النظام العالمي الجديد الذي لا هم له الآن إلا ضرب الإسلام ومصادرة دوره، أو هذا الخطر متمثلاً في المشروع الصهيوني إن كان في فلسطين أو في كل مكان من العالم الإسلامي والذي جعل من همه أن يحرض الدول الكبرى على المسلمين.

ثورة الحسين الاستشهادية تحمل النداء الذي يواجه هذا الخطر تقول: يا أيها المسلمون اتحدوا، تجاوزوا كل تنوعاتكم إلى ما يجمعكم، ويوحدكم أمام الله وبين يديه على عقيدتكم وعلى شريعتكم وعلى مشروعكم ودوركم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١] كنتم، خلقكم الله وأوجدكم وكونكم الله لتكونوا شهداء على الناس وهذا الدور لا يمكن أن يستمر ويستعاد ويستمر إلا من خلال الوحدة وهذه الوحدة المسؤول عنها هم القيمون على هذه الأمة علماء الدين في كل مكان المراكز الدينية القيادية في كل مكان من العالم الإسلامي، المؤسسات الثقافية وجميع القيمين وصناع الرأي العام في كل مكان من الأمكنة.

حينما نرى أن هذه الأمة الآن تستباح فإننا نواجه استباحة عظيمة خطيرة لا بد من مواجهتها بكل ما نملك من أهبة. الأمر الثاني الخطر الذي نواجهه هو خطر الاستلاب، خطر تكالب هذه الأمم على اقتصادنا وعلى مياهنا وعلى نفطنا وعلى دورنا في كل موقع من مواقع العالم، فنجد أن أكثر هذه الأمة المسلمة يعاني من الجوع ويعاني من العي ويعاني من التشرد، وهي تعوم على ثروات عظمى أعطاها إياها الله لا لشيء إلا لأن القيمين على هذه الأمة لم يدركوا أو لم يتمسكوا بالمفتاح الأصيل والصحيح لنهضتها وقوتها وهو الاعتصام بحبل الله سبحانه وتعالى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٢].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حينما نستعيد ذكرى هذه الثورة الآن ننطلق من واقعنا الحاضر من هنا من لبنان ننطلق من أننا مسؤولون عن دعم وحدتنا الوطنية على قاعدة المشاركة والعيش المشترك بين المواطنين اللبنانين في وطن واحد في دولة واحدة تحمل مشروعاً واحداً هو مشروع الإنسان، مشروع كرامة المواطن مشروع كفاية المواطن مشروع الدولة العادلة التي لا نريدها دينية ولا نريدها علمانية لا نريدها طائفية نريدها دولة مدنية تحترم الإيمان وتحرسه وتتحصن به ولكنها لن تجعل نفسها أسيرة للقيم الطائفية والمذهبية التي شلت حياتنا الوطنية والتي تهدد نمونا وازدهارنا.

نتمسك هنا ونحن نواجه هذا الواقع وهذه المرحلة بوحدة المسلمين في لبنان على قاعدة المصير المشترك وعلى قاعدة القضايا المشتركة التي تجمعنا جميعاً على هدف واحد وعلى طريق واحد وعلى رؤية واحدة.

نتعاون جميعاً على مواجهة المشروع الصهيوني في لبنان والهادف إلى صهينة لبنان وتفتيته وتقسيمه واستلحاقه واستلاب دوره، وذلك كله باستعادة هذا الدور بالتصميم الكامل على مواجهة هذا المشروع بالتلاحم الوطني وبالمقاومة وبالممانعة إلى أن يتحقق العدل الدولي.

وقلنا كثيراً نحن لا نطرح عدالتنا الخاصة. عدالتنا الخاصة قد لا يستطيعها القيمون على الشأن الدولي الآن، ولكنا على الأقل نطالب بالعدالة الدولية عدالة العالم. نطالب بعدالة الأمم المتحدة. حينما طرح الإمام الحسين عليه السلام في مثل هذا اليوم ولعله في مثل هذا العصر من الوقت من النهار على النظام الأموي هو لم يطرح العدالة المطلقة. طرح العدالة النسبية حينما طلب منهم فقط أن يتركوه وشأنه. طلب منهم أن يعيدوا الأمر شورى بين المسلمين. طلب منهم ألا يصادروا إرادة الأمة الإسلامية بالسيف. نحن نطلب العدالة الدولية. العدالة الدولية بصراحة هي التنفيذ الكامل وغير المشروط للقرار ٤٢٥ الكامل وغير المشروط، ومن دون هذا لا نصدّق أي دولة تدعي لنفسها القيمومة إنها تستطيع أن تفرض إرادتها على لبنان الذي يعتصم بإرادته الوطنية ويعتصم بالتنسيق الكامل والشامل بينه وبين سوريا بقيادة الرئيس الأسد الذي يدير بحكمة وشجاعة

ووعي وبعد نظر يدير هذا الصراع المر بيننا وبين عدونا في مواجهة هذه القوة الباغية. وبهذه المناسبة ومن هذا المنبر وفي هذا اليوم المجيد أنا أوجه تحية الإكبار والإجلال إلى هذا الرئيس الجليل وإلى هذه القيادة الحكيمة وإلى سوريا وجيشها لما قدموه للبنان وللبنانيين من ضمانات الوحدة وضمانات الصمود أمام المشروع الصهيوني.

هذه الروح روح عاشوراء تلهمنا هنا وتسجل لنفسها حضوراً فينا على قاعدة إنها الوارثة لأننا الآن نحن نمثل بمواقف العدالة والحق هذا الخط المضيء خط النبوات الوارث لآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وجميع الصالحين والتابعين لهم بإحسان.

في هذا الواقع علينا أن نلتفت أن مجتمعنا يعاني من مشكلة حقيقية مزمنة حادة هي المشكلة الاجتماعية بكل ما تلقيه من أثقال على قلب وإرادة ومشاعر المواطن. ونقول للدولة ولمؤسساتها ونقول للحكومة ليس المهم أن تنجحوا بتكديس الأموال، المهم أن تنجحوا بإراحة المواطن. دولة غنية مواطنوها فقراء هي دولة فقيرة. دولة قوية مواطنوها ضعفاء هي دولة ضعيفة. لا أريد أن أشبه أحداً بأحد، ولكن علينا أن نستحضر أن الواقع الذي ثار عليه ورفضه الإمام الحسين كان فيه شيء من هذا القبيل. كان فيه ما قاله عن الذين اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولا والصالحين حرباً والفاسقين حزباً في هذا اليوم نتعلم من عاشوراء كيف نقلب الهزيمة إلى انتصار، كيف نخرج من عقل الهزيمة ومن فكر الهزيمة ومن الانكسار الداخلي إلى إرادة الانتصار الذي لا بد أن يأتي.

نحن الآن في مواجهة المشروع الصهيوني وفي مواجهة ما يسمى النظام الدولي الذي يريد أن يفرض ما لا يناسبنا على الإطلاق، علينا أن نواجهه بالممانعة وبشعار «والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد» بشعار «ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة» هذا الشعار لا يبقى شعاراً حينما تكتل قوة الأمة الواعية إرادتها وتصميمها لجعله حقيقة قائمة بذاتها ونقول إن مجرد قول ومجرد إعلان الممانعة أمام

المشروع الصهيوني وأمام التحيز الدولي لإسرائيل ولمشروعها هو سيحبط هذا التحيز وذاك المشروع.

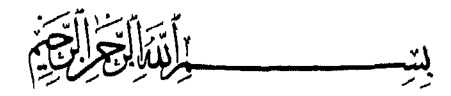
هذه هي بعض المعاني التي نستوفيها من هذه الذكرى في هذا اليوم والتي نحملها ذخيرة لنا فلا تنقضي علاقاتنا بعاشوراء بانتهاء هذه المراسم الاحتفالية، بل نحمل في عقلنا ووعينا هذه الذخيرة التي تجعل عاشوراء أمانة في قلوبنا، وتجعل وحدتنا الداخلية وحدة المسلمين ووحدة اللبنانيين واعترافنا ببعضنا وقبولنا لبعضنا تجعلها أمانة الله ورسوله عندنا. وهي أقدس ما تخلفه فينا عاشوراء من القيم.

الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق الجمعية الخيرية الثقافية وجميع العاملين في كل مكان لإقامة هذه الذكرى في كل عام، ولكن إقامتها بوعي إقامتها تحت شعار السؤال التالي «لو أن الحسين سُئل وقيل له يا سيدنا هل ترضى أن تقوم ذكراك بنحو يؤدي إلى أي اختلال أو تصدع أو توتر لقال: إياكم ذلك ولقال حافظوا من خلالي على وحدتكم حافظوا على صفاء علاقاتكم، حافظوا على وحدة كلمتكم.

هذه الذكرى هي ذكرى توحيد الإرادات وتوحيد المشاعر، من هنا ندعو إلى أن تتكامل هذه المجالس في اتحادات كبرى تجمع شمل الجميع وتوجه خطاباً إسلامياً ووطنياً مستنيراً منفتحاً يتسع للجميع ويوحد الجميع على كلمة التقوى والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثورة الحسين هي ثورة الحب

٥ محرم ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بالإسلام وعلى التابعين له إلى يوم الدين وفي مقدمتهم العلماء الأبرار الدعين إلى الله الموحدين بين الناس الذين يشيعون روح الأمة والالفة والمودة والمصالحة بين الناس والمؤمنين جميعاً والمؤمنات.

أيها الأعزاء السلام عليكم والسلام عليكن ورحمة الله وبركاته. أستغفر الله ربي وأتوب إليه وأعوذ به من شرور النفس ومستلهمات العمل ونستغفره ونستعينه على طاعته وأجدد الشكر له على جميع نعمه علينا، ومنها نعمة التوبة.

الحمد لله رب العالمين. اعتدت معكم أيها اللبنانيون جميعاً أن أجعل لعاشوراء في كل سنة محوراً تدور عليه وقلنا منذ سنوات طويلة إننا نريد أن نخرج عاشوراء من دائرتها التقليدية ونحولها إلى قضية مفاهيم وإلى قضية تصحيح للسلوك وإلى قضية إنارة للقلوب.

كنت أقدّر في نفسي أن يكون محور عاشوراء في هذه السنة محور خطابي اليومي إلى الناس إلى المسلمين أهل عاشوراء وإلى جميع اللبنانيين وسائر الناس الذين تعنيهم عاشوراء لأنها لم تكن يوماً فئوية أو مذهبية أو خاصة بأهل

دين تحولت إلى الإنسانية كلها حينما تحول الحسين وآله إلى أن يكونوا ثأر الله لم يعودوا ثأر عائلتهم وعشائرهم وأوطانهم أصبحوا ثأر الإنسانية وكل ثأر للإنسانية هو ثأر الله.

كما هي قانا وكما هي النبطية الفوقا وكما هي سحمر وكما هي المنصوري وكما هي كل قرية سقط فيها جريح طفلٍ أو امرأة أو رجلٍ أو قتلى هؤلاء كلهم ثأر الله.

قلت إني كنت أريد أن أجعل محور عاشوراء في هذه السنة الحب والبغض دور الحب في الإيمان والتقوى والإنسانية ودور البغض في التهديم والتفرقة.

الحب في عاشوراء وفي سلوك البشر والبغض في عاشوراء وفي سلوك البشر والحب في حياتنا الآن والبغض في حياتنا الآن، ما هي حاجتنا إلى الحب؟.

وكم هي حاجتنا إلى الحب؟ وما هو خطر البغضاء علينا أشخاصاً وجماعات ومجتمعات؟.

نبدأ من الجذور من عهود الخلقة الأولى من قول أحد ابني آدم لأخيه حينما قرب قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر فقال له لأقتلنك قال ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾[1].

قرب قرباناً قدم تضحية إلى الله قدمها أحدهما بروح المساومة وبروح التجارة وبروح الكسب وبروح الانتهاز وبروح التي يريد أن يقبض فيها ثمناً وبالروح التي ليس فيها اخلاص وليس فيها تقوى يقدم القربان لا ليعطيه بل ليأخذ ثمنه وهذه مسألة عميقة ومهمة في كل ما يعود إلى العمل العام وإلى القائمين بالعمل العام وإلى القيمين على العمل العام قرب أحدهما هذا القربان بروح الكسب لم يكن مخلصاً ولم يكن عابداً ولم يكن مضحياً ولم يكن باذلاً

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٨.

من نفسه بل كان تاجراً في السوق كما يدير تجارته في السوق، قرب القربان إلى الله.

وقرب الآخر قربانه بخشوع مطلق وتضحية مطلقة وإخلاص لله سبحانه وتعالى ورحمة في رضاه دون رضى غيره قرب القربان لأن الله ربه ولا حقيقة غير ذلك. تقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر تقبلت العبادة ولم يتقبل الرياء، تقبل الاخلاص ولم تتقبل السمسرة والمساومة تقبل التقوى ولم يتقبل النفاق تقبل الحق ولم يتقبل الباطل الذي وضع على وجهه وعلى رأسه قناع.

ماذا كانت حجة الكافر. قال لأخيه: لأقتلنك هو لم يلتفت لأن يصحح نفسه حينما لا يتقبل القربان يكون الخلل في القربان وبالأساس يكون الخلل في صاحب القربان وهذا يعني أنك يا صاحب القربان عليك أن تصحح نفسك عليك تبحث عن موضع الخطأ لماذا لم يتقبل قربانك هو لم يبحث عن موضع الخطأ لم يسعى إلى التصحيح رأساً انطلق إلى فكرة الجريمة انطلق إلى أن يمحوا الصواب ليبقى الخطأ إلى أن يمحو العطاء ولتبقى السمسرة إلى أن يمحو العبادة ليبقى الرياء، ولكن الجواب كان هكذا ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾[1] لم يقل له إني أخافك. نفس الروح التي قُدم بها القربان، هي الروح التي كان بها.

الجواب روح السمسرة التي قُدم بها القربان من الأول هي التي قالت لأقتلنك وروح العبادة والإخلاص والروحانية والتقوى والصدق التي قدم بها القربان الآخر هي التي قالت ﴿**لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين**﴾ هذا هو الأساس الأول حرّكته روح التجارة والبغضاء الثاني حرّكته روح العبادة والحب. منطق البغضاء أن تقتل أن تشتهي أن تشوه أن تحول مقدس المقدسات إلى سلعة في السوق أن تحول القربان الذي هو أرقى مراتب العبادة في الشرائع القديمة أن تحوله إلى منصة للبروز وللظهور أن تحوله إلى سلعة في السوق، والبغضاء وتمزق تفتت البغضاء تقول لأقتلنك.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٨.

الحب يجلو الحب يجمع الأغيار الحب يوحد القلوب عبادتنا وصلاتنا وصومنا وحجنا وتذكيتنا وتلاوتنا للقرآن صدقتنا.

مجلسنا هذا الذي هو تعبير حب ما عندنا لنجتمع هنا لنتحمل ضيق المكان واختناق المكان وحرارة المكان وفي الأرض لهو الكثير وسرور كثير. روح الحب هناك، عقيدة حب تجمعنا.

الذي حرك الأخ التقي وقال له: لا، هو الحب والذي حرك الأخ الشقي وقال لأقتلنك هو البغض وحينما عملت آلية الحب والبغض حدث أول قتل في تاريخ الجنس البشري قدم قربانه فسولت له نفسه قتل أخيه فقتله نفّذ. الحب مثل البغض تحرك تحول إلى فعل تحول إلى جريمة بأي شعار تم هذا.

القربان عبادة الله تقوى الله من موقع العبادة ارتكبت الجريمة وهكذا جيل بعد جيل مرحلة بعد مرحلة الذي حكم مسيرة الإيمان مسيرة النبوّات مسيرة الأوصياء مسيرة الصالحين تكوين المجتمعات تكوين الحضارات هذان الروحان.

إرادة الحب وروح الحب وإرادة البغض وروح البغض. ما الذي أدخل قانا في التاريخ ما الذي حول شهداء قانا حول لاجئي قانا إلى شهداء؟ ما الذي حول أضاريحهم إلى منارة للإنسانية؟ الحب ما الذي جعل الجريمة ترتكب فيهم؟ البغض بغض التلمود بغض الصهيونية البغض الذي تحول إلى جريمة.

نأتي إلى عهد نوح وسأسير معكم إلى يوم عاشوراء في هذا الموضوع. نجد الحب والبغض نأتي إلى عهد إبراهيم أبي الأنبياء وأبي الإيمان الكبير نجد هذا. نأتي إلى عهد موسى إلى عهد عيسى وإلى عهد التجليات الكبرى عهد الرسول سلام الله عليه نجد هذه الأمور الخير يعبر عن نفسه بالحب والشر يعبر عن نفسه بالبغضاء البغضاء الساخرة ولكن بكل أسف في كثير من الحالات البغضاء المقنعة بقناع الإيمان وبقناع التقوى وبقناع الغيرة إلى أن وصلنا إلى عهد الرسول الرسول ووجه بإرادة البغضاء هو يقول «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا

يعلمون» يواجهونه بالبغضاء ويواجههم بالحب يواجهونه بالقطيعة ويواجههم بالصلة.

بعد ذلك في عهد أمير المؤمنين ركبوا كل شيء ركب الناس كل شيء وقالوا له بلسان الحال وإن لم يقولوا بلسان المظهر لأقتلنك كان جوابه الحب قال: اللهم لأسلّمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليَّ خاصة نفس قول ابني نوح ولكن في صيغة الإسلام «لأقتلنك» قال ﴿**لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين**﴾ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أيضاً حينما وضع في الامتحان كان جوابه منذ الأول جواب الحب. الحب الذي يجمع، الحب الذي يوحد، الحب الذي يغفر، الحب الذي يؤثر على نفسه فيقول: لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليَّ خاصة، ولكن ماذا إذا لم تسلم أمور المسلمين وتعدى الجور حالته الشخصية ليمس المسلمين عامة وليقعوا ضحية لمنطق البغضاء ومنطق التفريق ومنطق الاستعباد ومنطق الاستحواذ كما كانت الشعارات التي انتهى إليها العهد الأموي السفياني. حينئذٍ بمنطق الحب لا بد أن يُدافع عن الأمة وعن الجماعة ومن هنا كانت النهروان وكانت الجمل وكانت صفين كانت دفاعاً عن منطق الحب لأن البغضاء لم تعد خطراً على الأشخاص أصبحت خطراً على المجتمع أصبحت تصنف المجتمع وتمزق المجتمع.

وفي عهد عاشوراء الحسين سلام الله عليه كان يجسد الحب كان ابن آدم الذي قال ﴿**لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك**﴾ الإمام الحسين سلام الله عليه الذي كافح وجاهد وحارب في حياة أخيه الحسن سلام الله عليه أن يجمع الناس على الخير وعلى التقوى وفشل لأن روح البغضاء وكانت هي الظالمة وهي الحال.

البيت السفياني أي دولة معاوية ويزيد. معاوية ابن هذا ابن أبي سفيان البيت السفياني ينتمي إلى أمية البيت الأموي ينتمي إلى قريش البيت القرشي ينتمي إلى الحجاز عرب الحجاز ينتمي إلى العرب الجنسي العربي.

كانت الدولة دولة البيت كل شيء من أجل بيت بني أبي سفيان ومن أجل

حاكم، فإذا زاد شيء يكون لبني أمية، فإذا زاد شيء يكون لقريش، فإذا زاد شيء يكون لأهل الحجاز، فإذا زاد شيء يكون للعرب، وتنتهي الدنيا. الإسلام تحول إلى وسيلة من وسائل التسلط للبيت، لبني سفيان ولبني أمية ولقريش. العرب سحقوا وسائر المسلمين سحقوا تحول الإسلام من كونه دعوة حب من كونه دعوة جامعة من كونه دعوة سواسية ومساوات إلى دعوة جماعتنا وجماعتهم وأقاربنا ومش أقاربنا وعشيرتنا ومش عشيرتنا وأنصارنا ومش أنصارنا ويوجد ناس مثل هذا الزمان في ذاك الزمان مثل ما يوجد الآن كهنة ومعممين وقلانس وشخصيات دينية تحول الدين إلى مؤسسة كسب، أيضاً في ذاك الزمان معاوية وظف عشرات من الصحابة المرموقين بكل أسف الذين لهم أسماء لامعة، وظفهم وخصص لهم رواتب ليخترعوا أحاديث ينسبونها للرسول لماذا لمدح بني أمية ولذم علي بن أبي طالب أنقل لكم قصة واحدة وأرجو منكم ومنكن أيها الأعزاء أن تسألوا علمائكم الأبرار الغير الحزبيين اسألوهم عن مزيد من القصص.

صحابي لماح كبير لم يدخل في التسويات صحابي كبير لماح روى عن النبي سلام الله عليه أن الآية المباركة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧﴾[1] نزلت في معاوية وأصحابه والآية الأخت لها أخت ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥﴾[2] هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب هكذا، كان يدفع الخمسين ألف والمائة ألف ومائتين ألف والمليون على رواية أحاديث واختلاق قصص تسند إلى رسول الله لتشويه سمعة علي بن أبي طالب وتشويه سمعة كل من كان من ريحة علي بن أبي طالب، والتزوير تزوير الدين وتزوير الحديث وتزوير القرآن في سبيل التوصل إلى هذا لماذا؟ البغض.

البغض الشرير البغض الشيطاني هل كان معاوية مضطراً أن يأمر بسب علي بن أبي طالب على المنابر في حضرة الصلاة وفي أعقاب الخطب وفي كل

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٠٧.

(٢) سورة البقرة. الآيتان: ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

شيء أن يجعل سب علي بن أبي طالب جزءاً من عبادة المسلمين وأن تقضي على ذلك عشرات السنين لمجرد تربية الناس على بغض علي بن أبي طالب لماذا؟ لماذا؟ علي بن أبي طالب وخط علي بن أبي طالب خط الإسلام النقي الإسلام الذي لا يجزىء المسلمين ولا يخصص المسلمين والناس كل الناس علاقتهم كانت بعلي بن أبي طالب وبخط علي بن أبي طالب كان المطلوب عزل علي بن أبي طالب عن المجتمع كيف أولاً أميناً يستعمل كل أجهزة الأمن وكل المال يستعمل لإرغام الناس وتهديد الناس عن الاتصال بعلي بن أبي طالب.

ومن هنا يوجد تعميمات كما يقال بلسان هذه الأيام مراسيم تعميمات بأن يبحثوا عن كل من له صلة بعلي حتى يحرم عطاءه ويرجم بيته ويلاحق في اسمه وعرضه وفي ماله وفي سلامته. أربعين سنة يسب علي بن أبي طالب بأي روح؟ روح البغض استشهد علي بقي الحسن السب استمر استشهد الحسن بقي الحسين السب استمر استشهد الحسين السب استمر لأنه الخط يجب أن يحارب، روح علي وليس فقط شخص علي.

الحسين سلام الله عليه كان ضحية البغضاء وهو الأخ الذي قال ﴿**لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك**﴾ وثقوا لو أنهم انصرفوا عنه لانصرف عنهم ولكن إنما اضطر أن يشهر سيفه لأنهم وضعوا السيف في نحره وقال: هيهات منا الذلة قال ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة. استشهد لأنه شهيد البغضاء هو بطل الحب بطل العشق الإلٓهي الأبيات التي تقال على لسانه سلام الله عليه:

إلهي تركت الخلق طراً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا
فإن مزقتني في الحب إربا لما مال الفؤاد إلى سواكا

هذا لسان حال الحسين سلام الله عليه.

الحب، الحب الذي جعله كما تذكر الروايات يبكي بكاء حقيقياً ينتحب على قاتله على الجيش الأموي الذي جاء ليقتله الروح التي ذبحت الطفل الرضيع

العطشان وهو في حضن أبيه روح البغضاء الروح التي جعلت هذا الطفل في حضن أبيه هي روح الحب.

الآن الشعب اللبناني حينما التف حول نفسه حول قضيته حول كرامته عبّر عن عمق المحبة. اسرائيل حينما ارتكبت جريمتها الشنيعة التاريخية عبرت عن طبيعتها التي قامت على البغضاء وعلى تحطيم كل ما هو ثمين في الجنس البشري وفي الروح البشرية.

السلام على الحسين وآله ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من أنصاره لأرواحنا وفي قلوبنا وبثقافتنا وبدعوتنا إلى الله ويجمعنا لكلمة الناس على الخير وأن يعز هذا الدين بعلمائه الأبرار الذين يجمعون الناس على الحب وعلى التقوى والذين هم الورثة الحقيقيون للحسين وآله رعاكم الله جميعاً.

ابتداءً من هذا اليوم أنا أطلب منكم إلى اليوم العاشر طلب أنا عندي حاجة وهذه الحاجة هي حاجة عامة ذات طبيعة عامة. كل يوم أنا أدعو الله تعالى وآمل أن تدعوا جميعاً معي بدعاء المضطر لأجل إجابة الدعاء.

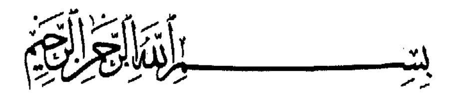
بسم الله الرحمن الرحيم على نيتي التي هي من أجلكم جميعاً ومن أجل اللبنانيين جميعاً ومن أجل كرامة هذه البلاد ومن أجل الجنوب والبقاع الغربي من أجل الكرام الذين يقاومون بوقوفهم ويقاومون بصمودهم ويقاومون بتضحيتهم ويقاومون بسلاحهم ويقاومون بصدرهم ويقاومون بسكوتهم ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[1] تردد (أربعة مرات) اللهم أنك تعلم أننا مضطرون فاكشف السوء عنا يا أرحم الراحمين يا من هو على كل شيء قدير بحق الحسين وآله وبحقك عليهم ولا أحد أعرف بحقك منك يا الله. السلام عليكم جميعاً ورحمة لله ونستغفره.

---

(١) سورة النمل. الآية: ٦٢.

مشروع الحب، ومشروع البغض

٦ محرم ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الذين اتبعوه باحسان. والسلام عليكم أيها الإخوة الكرام العلماء الأجلاء والأساتذة الفضلاء والاخوة والأخوات جميعاً ورحمة الله وبركاته.

كنت قد حدثتكم أمس عن أن محور عاشوراء في هذه السنة هو الحب والبغضاء، دور الحب في حياة الناس وفي مسيرة الأنبياء وأوصيائهم ودور البغضاء التي تواجه هذه المسيرة البغضاء التي تواجه روح الحب الجامعة بقوة البغضاء المفرقة.

الحب الذي يمحض العبادة لله والبغضاء التي تحول المقدسات إلى سلعة في السوق وتحول العبادة إلى مساومة مع الله سبحانه وتعالى.

بدءاً من ابني آدم اللذين قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر فقال لأخيه لأقتلنك فقال له ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾[1].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٨.

وجرت حركة تاريخ النبوة التي كانت دائماً تهدف إلى رفع مستوى الإنسان وإلى جمع الناس بعضهم مع بعض وإلى اعتراف بعضهم ببعض هذه المسيرة التي تقوم على الحب في مقابل القوة المفرقة التي تقوم على البغض والتي كانت تقف دائماً في وجه الرسالات وفي وجه الدعوات الحقة. وكانت في ظل حركة الأديان تستعمل في مواجهة دعوة الحب تستعمل عوامل التفرقة والبغضاء التي تمكن ساداتها وقاداتها من أن يحولوا الناس إلى سلع وأن يحولوا الأفكار إلى سلع وأن يقطعوا وشائج الناس بعضهم مع بعض ليقتطعوا فريقاً منهم يجعلونه مركباً لغاياتهم ومآربهم تحت ستار المقدسات وتحت أقنعة التقوى.

حدث هذا في عهود الأنبياء جميعاً حدث في عهد آدم كما رأينا، وحدث في عهد نوح وفي عهد إبراهيم وفي عهد موسى أو عيسى وفي عهود الأنبياء جميعاً إلى عهد نبينا صلوات الله وسلامه عليه ومن بعده إلى يومنا هذا.

قضية الحب والبغضاء هي التي تحكم حركة المجتمع في بعض وجوهها وخاصة حينما يتعلق الأمر بالقيم. نتذكر أن النبي في أشد حالات وجده كان يتوجه إلى الله بالدعاء قائلاً: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» كانت قوة الحب في قلبه حب قومه وحب الإنسانية وحب العالم كانت هي التي تقود خطاه وهي التي تجعله يصبر ويصابر على الأذى وعلى التجريح وعلى التهديد بكل ما يمكن أن يتعرض له إنسان من صنوف التهديد في خاصة نفسه وفي أهله وفي صحابته وفي رزقه وفي سمعته لأن الحب كان يحكمه قالوا عنه إنه ساحر وقالوا عنه إنه كذاب وقالوا عنه إنه مزور وقالوا عنه كل ما حكاه الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه الكريم.

الثورة الحسينية هي أحد مواقف هذا الحب الذي يدفع بالإنسان إلى أن ينقذ نفسه وينقذ كل ما يعز عليه في سبيل افتداء البشر في سبيل أن يوضح للناس أن قيمة حياتهم عنده لا تعلوها قيمة في تواريخ الثورة الحسينية وفي نصوصها كان الإمام يفلسف حركته فيقول لهم ما مضمونه وما معناه أن هؤلاء القوم أن هذا النظام الجائر هو استغلهم واستعبدهم بالتعبير الذي كان سائداً في ذلك الحين أن هذا النظام اتخذ عباد الله خولاً ومال الله دولاً والصالحين حرباً

والفاسقين حزباً هذا النظام، كان يستغل في الوقت نفسه في مواجهة الحسين وآله ودعوته كان يستغل نفس الشعارات كان يستغل نفس المفاهيم ولكنها مفاهيم يعطيها مضموناً مختلفاً وشعارات يعطيها أبعاداً مختلفة مثلاً إذا أردنا أن نأخذ نموذجاً من النماذج لنرى كيف أن العاشق الكبير عاشق الإنسانية وعاشق الفضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كيف كان يكابد ليله ونهارها في سبيل أن يجمع الناس على كلمة واحدة وكيف كانت تواجهه قوى السلطة التي تحركها البغضاء وكلها كانت تتقنع بقناع الدين ولكنها كانت تتوسل دائماً بهذا الدين وهذا القناع إلى السلطان.

أذكر منها الحركة والشعار التي أودت بحياته شهيداً حينما خرج عليه الخوارج ماذا قال ماذا كانت حجتهم عليه قالوا له كفرت يا علي لماذا كفر علي قالوا له حكّمت الرجال في دينك وهو جادلهم وكابدهم ساعات طوال وأيام كثيرة يريد صرفهم عما كانوا عليه في صفين فلم يطيعوه فلما غُلب على أمره كفّروه وقالوا له حكّمت الرجال في دينك وانفصلوا عنه واشتغلوا بسببه ماذا فعل معهم؟ لم يفصلهم، روح الحب عنده، الحب الأخلاقي والحب الإنساني. أنه قال لهم وللناس: أنتم منا، هم تبرأوا منه ولكنه لم يتبرأ منهم وهم يكفّرونه لم يتبرأ منهم قال لهم: لا نمنعكم مساجدنا ولا نمنعكم عطاءكم ما دمتم لم تشهروا السيف في الناس ما دام المعارضة أو الرأي الآخر يبقى في حدود المعارضة والرأي الآخر يبقى في حدود أنه يطرح فكر بالناس يدعوهم إليه بالأسلوب السلمي ولا يتحول إلى مشروع سلطة على الناس فليختلف الناس ولتتعدد آراؤهم، لا نمنعكم مساجدنا ولا نمنعكم عطاءكم ما لم تشهروا السيف، هكذا حبُّه استوعبهم وحضنهم وأبقاهم جزءاً من الأمة بالرغم من موقفهم، بالرغم من أنهم قسموا المساجد وقسموا الناس وخرجوا على الرأي العام بعد أن خرجوا عليه قال: لا نمنعكم وبقي يتولاهم.

ماذا استحدثوا له استحدثوا له شعاراً قرآنياً هذا الإيمان حينما يتحول إلى بغضاء الإيمان حينما يقع ويحوِّل صاحبه إلى أداة صماء وإلى صنم اخترعوا له شعاراً قرآنيا وهو «لا حكم إلا لله» هذا شعار الحق أنا الآن وأنتم كلنا نقول «لا

حكم إلا لله» ولكن العبرة ليست دائماً في الشعارات، الشعارات الصحيحة موجودة في الشارع موجودة بالكتب موجودة على كل ألسن الكلام ليس هو فقه الشعار، كيف يدار الشعار؟ ما هي الإدارة والتوجه التي تحول الشعار إلى حقيقة موضوعية حية في حياة الناس؟.

هذا شعار الحق كانت تقوده روح البغضاء كانت تقوده روح الأنانية كانت تقوده روح خارجة عن سياق الجماعة لأجل التمايز والانتصار هذا الشعار كان تطبيقه هو قتل علي بن أبي طالب في صلاة الفجر التاسع عشر من رمضان حينما شهر عليه عبد الرحمن بن ملجم سيفه قال: يا علي لا حكم إلا لله وضربه بالسيف.

وكانت الشهادة التي كرم الله بها علياً ولكنها نكبت البشرية كلها ولم تنكب المسلمين وحدهم. هذه روح عبد الرحمن بن ملجم حتى على معايير الخوارج لم يكن قديساً ولا تقياً الحوار الذي ينقل عن مساومة صاحبته له عشيقته له قطاة.

علي بن أبي طالب الذي قُتل بشعار «لا حكم إلا لله» كان أيضاً موضع مساومة مع عشيقه مع خطيبة تريد أن تشفي وحاوح قلبها بدم علي هكذا يتحول الدين إلى سلعة وهكذا تتحول الدعوة إلى صنم وهكذا يتحول الشعار الصحيح إلى خنجر ينحر الإيمان الصحيح وينحر الحب بروح البغضاء.

هذه الروح إحدى المحركات التي جعلت الحسين يتحرك في العهد اليزيدي أيضاً استُخدم شعار الدين أيضاً استخدم شعار الإيمان أيضاً طُلب الحسين ليساوم على مصير مجتمع بكامله وعلى مصير أمة بكاملها أيضاً بشعار الطاعة وبشعار الخضوع لمفاهيم السلطة التي تستخدم الدين ولكن لتحوله إلى مادة للبغضاء، أن تجعل الدين مخيفاً ومرعباً أن تحول الدين من كونه مشروع توحيد وحب ونقاء وصفاء لتجعله مشروع تفرقة وفرز.

وهكذا واجه العراقيون في ذلك الحين وواجه غيرهم بعد ذلك في المدينة في الحجاز في الحرّة واجهوا نفس هذا المصير.

أيها الأعزاء هذه الروح نواجهها الآن نحن أمام مشروع يصارع مشروعاً أمام إسلام نقي مبارك يصارع الصهيونية العالمية في فلسطين وفي غير فلسطين، وأمام عروبة مظلومة ومضطهدة تصارع الصهيونية في فلسطين وفي كل العالم العربي. وأمام لبنان يحاول أن ينهض ويحرر نفسه من الاحتلال ويعيد بناء ذاته ومجتمعه أمام مشروع الاحتلال الصهيوني.

لبنان الذي يريد أن يبني ذاته على قوة الحب، الحب الواعي، الحب الذي يجمع بين الأغيار الحب الذي تدعو إليه الآية المباركة آية سورة الممتحنة ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ ﴾[1].

هذا المعيار هو الذي يفرز في عمقه ما نسميه باللغة السياسية. ثوابت الكيان اللبناني ثوابت العيش المشترك هذا المعيار الذي يقوم على الحب والذي يؤلف بين الأغيار فيجعل منهم شعباً واحداً ووطناً واحداً على قاعدة قول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لمالك الأشتر في عهده إليه: واعلم يا مالك أن الناس صنفان إما أخاً لك في الدين أو نظيراً لك في الخلق.

هذا العمق الذي نواجهه الآن، فلنواجه هذا المشروع الصهيوني الذي يحتلنا هو لا يحتل الجنوب يحتل لبنان هو لا يحتل المسلمين هو يحتل الشعب اللبناني هو لا يحتل شيعة الجنوب هو يحتل المسلمين جميعاً.

هذا العدو يواجه بإرادة التوحيد ويواجه بالوعي الوطني ويواجه بدعم مشروع الدولة أقول لكم بكل صراحة وبكل بساطة كل من يحدثكم أو يستبطن في عمله ما لا يحدثكم عنه، عن مشروع خاص للشيعة في لبنان فهو يتاجر بكم جميعاً، لا يوجد عندنا مشروع خاص على الإطلاق ولا يجوز أن يكون هناك مشروع خاص على الإطلاق، مشروع الدولة هو مشروعنا جميعاً ومشروع المجتمع هو مشروعنا جميعاً ومشروع التحرير هو مشروعنا جميعاً نقاوم الاحتلال بكل قوانا السياسية والاجتماعية والثقافية والصمودية والمسلحة كل

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

شيء هو يتداخل مع الشيء الآخر كل قوة تتداخل مع القوة الأخرى لتنتج مجتمع المقاومة وشعب المقاومة ليست المقاومة شيئاً منفصلاً عن هذا المجتمع تعيش على هامشه أو منفصلة عنه وتطالبه بالتأييد.

هذا المجتمع هو الذي أنتج مقاوماته الخاصة على كل صعيد هو الذي أعطى للبنان دوره وبريقه وبهاءه في مواجهة المشروع الإسرائيلي. دائماً في هذه السنة وفيما يأتي من السنين وكما في هذه السنة وفيما سبقها من السنين دائماً نواجه عاشوراء بكوكبة جديدة من الضحايا ومن الشهداء.

في هذه السنة في القلب شعلة لا تنبض وحرقة لا تبرد حين نفكر بين أضرحة الشهداء بين ساحة الشهداء المجدلين على الرمضاء بكربلاء المقطعة رؤوسهم المرضوضة أجسامهم الجافة أجسامهم حينما ماتوا عطاشا.

وبين شهدائنا الأبرار الذين اصطفاهم الله إليه في قانا وفي غير قانا هؤلاء الشهداء هم المقاومون هم الذين افتدوا بأروحهم بدمائهم بجلدهم بلحمهم هم الذين افتدوا لبنان وهم الذين دخلوا في ضمير لبنان. بعد ذلك كل الشعب اللبناني في مقاومته السياسية وفي مقاومته الصمودية وفي مقاومته المسلحة هو عيال على هؤلاء الشهداء فضل هؤلاء الشهداء عليه جميعاً بجميع أبعاده فضل لا يجوز استصغاره ولا نكرانه. هؤلاء ليسوا ضحايا هؤلاء لا أستطيع أبداً أن أتجاهلهم كما لا أستطيع أن أجعل منهم مادة لاستدرار الصدقات هؤلاء يمثلون شرفنا وكرامتنا وأهلهم وآلهم الذين صمدوا أتدرون ماذا يمثلون عندي والله يمثلون عندي رجال ونساء وأطفال الذين سلموا في كربلاء من المذبحة.

السيدة زينب لها أمثال في عشرات آلاف السيدات اللاتي هن أمهات وأخوات وزوجات وعمات وخالات هؤلاء الشهداء.

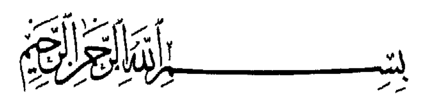
سكينة نموذج لكل فتيات الجنوب والبقاع الغربي اللاتي صمدن واللاتي فقدن الحبيب والأخ والأب والعم والخال والأخت والأم الصبيان الصغار كلهم أمثال عبدالله الرضيع وكلهم أمثال صبيان كربلاء الذين سبوا مع السبايا وعطشوا مع العطاشى هؤلاء الذين جسدوا روح الحب الناس صمدت في لبنان وصمدت

في الجنوب وصمدت في البقاع الغربي كما صمد هؤلاء في كربلاء أنتم تسمعون من خطبائنا الأجلاء كلاماً. حينما الحسين جمع أصحابه وقال لهم إن هؤلاء القوم لا يريدون غيري أنتم اذهبوا هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وقالوا ما سمعتموه وما تسمعونه حينما أقسموا أنهم لا يعيشون بعده هؤلاء الصامدون هذه مقاومة الصمود، أي روح كانت تجمع هؤلاء؟ الحب روح الحب هي التي جمعتهم هؤلاء لم يكونوا تجاراً مع الله، هؤلاء لم يكونوا سماسرة، هؤلاء هم الذين صمدوا في وجه المشروع، المشروع الذي يريد أن يستعبد الناس ويستذل الناس باسم الدين هم أفشلوه بصمودهم وبشهادة من استشهد منهم وبسبي من سبي منهم هذا المشروع هم فشّلوه وهم أحبطوه لتبقى شعلة الإسلام الحية المتوهجة الداعية إلى الإخوّة والداعية إلى المحبة والداعية إلى عيش الناس بعضهم مع بعض على أساس التعارف والتعاون على البر والتقوى كما أرادها الله أن تكون.

الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله.

الحسين ثأر الله

٨ محرم ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين والسلام عليكم أيها الاخوة والأخوات الأعزاء والعلماء الأجلاء ورحمة الله وبركاته.

السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

هذا النص ورد في عدة زيارات رويت عن أهل البيت في زيارة الحسين، «السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك» أرواح أصحابه وأهل بيته وهذا السلام ليس سلاماً آنياً مؤقتاً إنه سلام أبدي، «عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار».

إذاً هذا السلام يكون على الحالات الحية لا يكون على الحالات الميتة السلام يكون على من يسمعه وعلى من يعيه، السلام يسمعه الأحياء حينما نسلم على الحسين وآله ويسمعوا الناس سلامنا يعرفون أن الحسين حيٌ في قلوبنا وفي ضمائرنا وحيٌ في حياتنا أيضاً. ولذلك نحن نسلم على حي وهذا السلام لا

يختصر على حدٍ من حدود الزمان السلام عليكم أبداً ما بقيت أنا وبعد فنائي ما بقي الليل والنهار هو سلام أبدي.

هذا السلام هو لا يختص بالحسين حقيقة. كل حملة الرسالات هم يستحقون هذا السلام الأنبياء الأوصياء الشهداء كل الشهداء يستحقون هذا السلام لأنه بالشهادة كما ذكرت لكم في أحاديث سابقة هم يخرجون عن حدود عائلاتهم وبلادهم وزمنهم وأقوامهم وأوطانهم يصبحون أشخاصاً عالميين الإمام الحسين والأرواح التي حلت بفنائه هم أشخاص عالميون الإنسان العالمي إنسان دائم ولذلك السلام أبدي هذه نقطة.

النقطة الأخرى السلام عليك يا ثأر الله وابن ثأره والوتر الموتور هذا سلام آخر هذا الحسين هو ثأر الله والذين استشهدوا معه هم ثأر الله، ما معنى ثأر الله؟ الإنسان يكون ابن رجل وامرأة ينتمي إلى عائلة.

والعائلة تنتمي إلى عشيرة والعشيرة تنتمي إلى شعب من الشعوب هذا الشعب يعيش في منطقة معينة، هذا الإنسان ربما واحد إذا قتل مظلوماً يكون ثأره ثأر عائلته من باب ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾[1]. الولي العائلة أبناء عمومته أصهرته فإذا كان أوسع وأكبر هو يكون ثأر عشيرته فإذا كان أضخم وأضخم يصير ثأر وطنه، يقال هذا الوطن يثأر لك، فإذا كان أكبر وأكبر يكون ثأر قومي ليس لبنانيين أو عراقيين أو مصريين للعرب كله فإذا كان أكبر وأكبر يصير ثأر أمته يعني ثأر المسلمين جميعاً فإذا كان أكبر وأكبر يصير ثأر الإنسانية يصير حتى أوسع من المسلمين والأمة الإسلامية، في هذه الحالة يكون ثأر الله لا يدرك ثأره أحد إلا الله سبحانه وتعالى. وإلا في المقاييس القضائية العادية نجمع المجرمين والذين ارتكبوا الجريمة بشكل مباشر في كربلاء ونقول لهم: أنتم بدل الحسين. معقول هذا الكلام. أن نجمعهم ونحاكمهم ويثبت الذين تسببوا القتل والذين باشروا القتل أن ثأر الحسين يتحصل من هؤلاء.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٣.

المختار الثقفي بعدما استقرت الأمور هو عنده غايات شخصية صار يتتبع قتلة الحسين ويقتلهم حسناً فعل لكن هذا ليس ثأر الحسين.

الحسين ثأر الله يعني استيفاء الثأر من الحسين على مدى التاريخ يعني الآن نحن بعد ألف وثلاثمائة وكسور سنة الآن نثأر للحسين ممن من أي ناس نثأر للحسين؟ نثأر للحسين من كل عوامل الشر من كل عوامل الجوع من كل عوامل الفتنة ونثأر للحسين سلام الله عليه أول ما نثأر من ظلم الإنسان للإنسان لأن الإمام الحسين كان ضحية ظلم.

النظام الأموي الذي ارتكب الجريمة انتهى هذه نقطة مهمة أنبهكم إليها، النظام السفياني نظام بني سفيان الذي ارتكب الجريمة انتهى مع معاوية الثاني النظام المرواني الذي كان متآمراً ووافق وصادق انتهى النظام العباسي الذي رفع شعار «يا لثارات الحسين» الثورة العباسية رفعت شعار «يا لثارات الحسين» وقتلت بني أمية بعنوان ثأر الحسين لكن ارتكب في آل الحسين وآل البيت جرائم بنفس الحجم، انتهى. الأنظمة الموالية الأنظمة الراضية انتهت.

الآن بكل صراحة الأنظمة هي ليست موضع ثأر كل الدنيا تقول الحسين مظلوم ملوك ورؤساء وأمراء وحكومات وأوطان وأحزاب كلها تقول الحسين مظلوم، إن الحسين تحول من إنسان مطارد محصور إلى إنسان معترف به عالمياً مسلمين وغير مسلمين انتهت المسألة، الحسين تجاوز حتى الإسلام حتى الأمة الإسلامية لو فرضنا أن الأمة الإسلامية تناست وتنكرت الحسين له قلوب تخفق بحبه حتى عند عبدة الأوثان يعلم بعض الناس أنه في الهند «السيخ» عبدة الأصنام والأوثان أنا رأيت وشاهدت معابدهم عبدة بوذا هؤلاء السيخ يعملون عاشوراء هؤلاء يقيمون مراسم للحسين لأن الحسين تجاوز الحدود لماذا ثأر الله هذا ثأر لا يدمل. يدمل فقط في ظهور صاحب الزمان عجل الله فرجه.

هذه مجالسنا المباركة جزء من تحصيل هذا الثأر هذه المجالس هي عبارة عن تعبير كل رجل منا وكل امرأة وكل طفل.

هذه المجالس هي جزء من عملية ثأر الحسين نحن الآن نقوم بمظاهرة

احتجاجية نحتج على قتل الحسين نطالب الآن بثأر الحسين، الإنسان يا أعزائي الذي يرفع شعاراً يجب أن يكون على الأقل عنده مسحة من ذلك الشعار شعار الحسين كان التقوى شعار الحسين كان حب الله الحسين كان عاشقاً لله سبحانه وتعالى كان عاشقاً للإيمان كان عاشقاً للأمة كان عاشقاً للشعب والحسين في نفس الوقت لم يكن يتاجر بالناس ولم يجعل الدين وسيلة لخداعهم للابتزاز للتسلط عليهم. الإسلام وسيلة للتحرير وليس وسيلة للاستعباد ومن هنا الإمام الحسين كان آخر اهتماماته أن يتولى حكم.

أخبرتكم أن مسألة الحكم عند أهل البيت مسألة جداً ثانوية ولو كانت مسألة رئيسية كان أمير المؤمنين سعى إليها، الحسين قوة مرشدة للأمة هو القوة المحركة والمرشدة هو المصباح المضيء الذي ينير طريق الأمة هو يوجه الأمة لتهتدي هي بنفسها.

من هنا الإمام الحسين لما ثار لم يثر إلا فقط ليحرر الناس من التسلط الديني، بنو أمية باسم من كانوا يحكمون؟ باسم الدين ولذلك هذا الشاعر العربي القديم لما الناس كفرت بالدين بسبب بني أمية صار يقول:

ولو جاؤوا برملة أو بهندٍ لبايعنا أميرة المؤمنينا[1]
إذا ما مات كسرى قام كسرى نعد ثلاثة متعاقبينا

إذاً هذا، تسلط باسم الدين، الإمام الحسين لم يثر على نظام شيوعي أبداً، ما ثار على نظام المال ثار على نظام ديني الحسين ثار على نظام ديني، على نظام يستعمل الدين لإذلال الناس وللتسلط على الناس باسم الدين ثار حتى يحرر الناس من استعمال الدين بصيغة سلطوية، الدين صيغة تحرير صيغة كرامة صيغة إنسانية صيغة انطلاق صيغة توحيد، الإمام علي سلام الله عليه أيضاً حكم باسم الدين. أمير المؤمنين حكومته كانت دينية.

الخوارج ماذا صنعوا معه كفروه وانفصلوا عنه أخبرتكم ما اعتبر أنه

(١) البيتان من الوافر، والبيت الأول لعبدالله بن همام في لسان العرب (أمر) والتنبيه والإيضاح ٢/٧٩، وتاج العروس (أمر)، والمخصص ١٧/٣٦.

مخالفتهم له سبب أن يضر بهم لا الإسلام يعطي حرية التعبير عن الرأي وحرية التنوع أبداً الإسلام لا يسعى أن يجعل الناس قالباً واحداً مثلكم مثل بعضهم يعني يحضر مليون أو يحضر واحد هم نفس الشيء لا ولذلك مجتمع أمير المؤمنين سلام الله عليه كان مجتمعاً متنوعاً، مسلمون وعندهم آراء سياسية مختلفة كانوا على خطأ نعم لكن هذا الخطأ يتسع له الاسلام قال لهم عندما يقع خلاف في الرأي خلاف سياسي خلاف فهم كله مقبول لكن لا تشهروا السيف على الناس لا تقتلوا الناس ظلماً وعدواناً والخوارج تعلمون أنهم شهروا السيف على الناس أصبحوا مفسدين في الأرض الإمام مسؤول أن يحمي المجتمع.

أمير المؤمنين حكومته دينية لكن حقيقة الدين حقيقة الإيمان جوهر الإيمان الذي يسمح للناس بأن يعبروا عن أنفسهم عن تنوعهم، أخوه عقيل بن أبي طالب ذهب لعند معاوية ما انقلبت الدنيا أبداً أبداً ما انقلبت الدنيا أمير المؤمنين لم يكفّره النظام اليزيدي مثل كل نظام يريد أن يحول الدين إلى قمع سياسي أراد الناس كلهم نسخة واحدة، من ليس معنا فهو ضدنا فاقتلوه فسِّقوه كفروه اطردوه احرموه، ولذلك خيّر يزيد الحسين بين أن يبايعه أو أن تضرب عنقه الإمام الحسين ثار على هذه الصيغة من تطبيق الدين، بنو العباس أيضاً حكموا باسم الدين كان شعارهم الأساسي «يا لثارات الحسين» الرضى من آل محمد، أهل البيت خالفوهم خالفوهم الإمام الصادق الإمام الباقر الإمام الجواد خالفوهم لماذا؟ لأنهم استعملوا نفس الأسلوب الأموي فالإمام الحسين لما ثار، ثار على صيغة استعمال الدين في السياسة استعمال الدين في السلطة استعمال الدين في التسلط. الصيغة التي ثار عليها الإمام الحسين أيضاً صيغة دينية لكن يجب أن نفحص كيف استُعمل الدين. وأن نحذر من أن ننتج حالات مماثلة حالات تحويل الدين إلى الصيغة السلطوية وليست صيغة تحرير.

الآن في حياتنا السياسية الحاضرة نحن نقول في لبنان نريد نظام حريات محترم يحترم الكرامة البشرية يحترم الحرية الإنسانية يحترم تنوع الناس لأن الله سبحانه وتعالى يريد للناس أن يختاروا هم مصيرهم هم يتحملون مسؤولياتهم

﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾[1]، هذه حرية معطاة ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[2] هذا كتابه ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[3].

الله سبحانه وتعالى هو يقول للناس اختاروا صيغوا حياتكم هذه ليست مسائل صلاة وصوم الصلاة لها صيغة محصورة، والصوم له صيغة ووقت، الذكاة لها صيغة، الستر للنساء له صيغة. حرية العلاقات الإنسانية لها صيغة، عزل النساء، يعني العفة الجنسية، لها صيغة.

أما في الحياة السياسية العامة لا يوجد صيغة واحدة. الإمام الحسين ثار من أجل تحرير الناس من أجل تحطيم الوثنية الدينية تحطيم الاستغلال الديني تحطيم الاستعباد الديني نعم حرر الناس والشاهد الأعظم هذا في زمان رسول الله حق الاختلاف كان موجوداً في زمان النبي مع النبي كان الناس يختلفون ويتناقشون ويتجادلون كل واحد محتفظ بنفسه محتفظ باعتباره.

هذه المسألة بكل أبعادها بكل خصوصياتها نطبقها على حياتنا الحاضرة نكتشف أننا بمقدار ما نحترم بعضنا بعضاً، لبنان بلد متنوع نحترم التنوعات طوائف مذاهب أحزاب حركات، نحترم التنوع الموجود في لبنان لكن ضمن وحدة الشعب الواحد وضمن صيغة العيش الواحد قلت نحن نتجاوز صيغة عيش مشترك نحن تطورت أمورنا إلى أعمق وأقوى من صيغة العيش المشترك.

نستعيد الآن في هذه الساعات نحن اليوم في الساعات الأخيرة من اليوم الثامن أنا أطلب منكم جميعاً أن نذهب إلى كربلاء بالصيف بالصحراء على الرمل لا يوجد ماء ولا طعام أطفال جياع يصرخون في آذان أمهاتهم من العطش سدت الآفاق في وجه الحسين وهو يقول: «هل من ناصر ينصرنا» يصل في تعمق حركته الإلهية النبوية الإمامية إلى أعمق أعماق القلوب يريد أن يقيم الحجة إلى

---

(١) سورة القيامة، الآية: ١٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤، والإسراء، الآية: ١٥، وفاطر، الآية: ١٨، والزمر، الآية: ٧، والنجم، الآية: ٣٨.

آخر لحظة. يريد تحرير المسلمين من الاستعباد، تحرير الإنسان من عبودية الأنظمة والحكام قال لهم حولوا الأمر شورى بين المسلمين، أعطاهم خيارات قال لهم أذهب لليمن قالوا له لا اركع اخضع، قال أذهب أنا إلى المدينة لم يقبلوا إلا أن تبايع أو الموت المبايعة ليست بيعة شخصية معنى الطلب الذي وُجِّه إلى الحسين يجب أن تعترف بالمنهج السفياني المرواني بالمنهج الأموي في حكم الناس قال لهم: لا أنا أبو الناس أنا إمام الناس أنا لا أوقع صك العبودية للناس. تعتقدون لو أن الحسين قال نعم لمصلحته الشخصية كانت ذهبت إلى أبد الأبادين الإمام الحسين لذلك كان ثأر الله وكان «السلام عليك مني أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار».

في لبنان يجب أن نحترم غيرنا شيعة يحترموا غير الشيعة يحترموا عواطفهم عقائدهم مصالحهم كراماتهم سلامتهم مسلمون يحترموا غير المسلمين مسيحيون يحترموا المسلمين روح الحسين روح الإنسانية روح المساواة مسلمون الإمام الحسين كما قلت لكم إحدى المرتكزات الفكرية العميقة: «واعلم يا مالك أن الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق» قرابة الدين ليست منفردة عن الآخرين لأن الآخرين لهم قرابة ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1] حمر صفر بيض سود مسلمين غير مسلمين كتابيين غير كتاب بني آدم الله كرمهم. الحسين سعى إلى كرامة البشر.

شعب العراق كله حسين، النظام الصدامي اللعين حول العراق كله إلى كربلاء كما أن الصهيونية العالمية وربيبتها إسرائيل المجرمة حولت جبل عامل والبقاع الغربي إلى كربلاء حولت لبنان إلى كربلاء حولت ساحة قانا وكل الساحات إلى منحر الرؤوس إلى محرقة الخيم نحن نعيش حالة الحسين في حياتنا السياسية في حياتنا المقاوماتية في حياتنا الدفاعية نعيشها في قلوبنا.

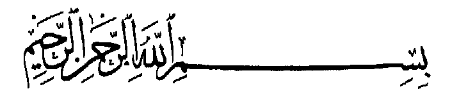
السلام عليك يا سيدي يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته. والسلام عليكم.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

ثورة الحسين ثورة مضمون لا شكل

٩ محرم ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان والتابعين له وفي مقدمتهم الشهداء والمجاهدين تحت كل سماء ومن أجل كل قضية عادلة وفي مقدمتهم سيدهم وابن سيدهم الحسين سيد الشهداء وابن سيد الشهداء أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً والسلام عليكم أيها الاخوة والأخوات الأعزاء جميعاً ورحمة الله وبركاته.

السلام عليك يا سيدي يا مولاي يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وما بقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

السلام عليك يا ثأر الله وابن ثأره والوتر الموتور.

تحدثنا سابقاً عن مغزى هذا السلام الأبدي عن الحسين وعن معنى كونه ثأر الله سبحانه وتعالى ومن أجل أن نعمق ادراكنا ووعينا لهذه الحقيقة أقول نحن الآن في تاسوعاء هذه الليلة العظيمة هذه الأمسية العظيمة التاسوعاء ننتقل الآن بخواطرنا إلى كربلاء، نستحضر كربلاء في وعينا وفي ذاكرتنا وننتقل بها إلى هناك.

ماذا نجد؟ نجد نخبة الأرض كلها الحسين وآله وأصحابه وعيالهم وأطفالهم على الرمضاء تحت الشمس معزولين عن كل أحد في الدنيا إلا عن الله. يعذبهم العطش يعذب رجالهم ونساءهم وأطفالهم يتلوون جوعاً والفرات حولهم يجري كما قالت زينب كأنها بطون الحيات تشرّب منها الكلاب والخنازير ولا يشرب منه أهل بيت النبوة والطعام حولهم وفير ولكن أثداء أمهات الأطفال جفت من الجوع والعطش.

هؤلاء وجدوا في هذا الموقف من أبسط الأسئلة التي تطرح نفسها نتيجة لهذا الموقف أن يقال لماذا لماذا فعل بهم الناس ما فعلوا؟ ولماذا ارتضوا لأنفسهم هذا الموقف؟ هل يريد النظام الأموي أن يجيعهم؟ هل يريد النظام الأبوي أن يضنكهم؟ أنا أقول كلا نظام يزيد بن معاوية لم يكن يريد جوع الحسين وآل الحسين ولا عطش الحسين وآل الحسين أبداً. كان يريد أمراً آخر، توجد قضية أساسية هي مورد الخلاف كما قلت لكم وكما تعلمون النظام السفياني الأموي ومن بعده النظام المرواني الأموي ومن بعده النظام العباسي ومن بعده الأنظمة الكثيرة التي حكمت المسلمين كانت تحكمهم باسم الدين كانت دول خلافة كانوا يصلون ويصومون ويحجون ويزكّون ولكنهم كانوا يستهينون بالحياة الإنسانية والقيمة الإنسانية، حولوا الإسلام من كونه مؤسسة حرية وانطلاق وإخلاص لله إلى كونه مؤسسة سلطة كما قال الرسول سلام الله عليه وكما حذر، حولوه إلى كسروية وقيصرية.

الصلاة موجودة ولم يكن الخلاف على الصلاة ولم يكن الخلاف على صوم أو على حج أو على مرفق من مرافق الأحكام الشرعية المتعارفة.

كان الخلاف على جوهر الدين على حقيقة الإسلام الموجود أيضاً أقول بصراحة وهذا أمر أكدناه وأثبتته جميع الدراسات العلمية، أيضاً لم يكن الخلاف على سلطة. الإمام الحسين ومن قبله الحسن ومن قبلهم أبوهما علي هم لم ينازعوا على سلطة ولو نازعوا على السلطة لأخذوها ولم يكن علي عاجزاً عن أن يقسم الناس ويلقي الفتنة والحرب بين الناس ويقتطع لنفسه قطعة من الأمة ويحكمها، لم يكن النزاع على سلطة، وإنه لإساءة كبرى إلى الحسين سلام الله

عليه أن يقال أنه أشبه برئيس حزب أو رئيس حركة سياسية طالب سلطة وفشل وقتل رغماً عن أنفه. استشهد رغماً عن أنفه، أبداً كان من السهل على الإمام الحسين أن يصالح وأن يحتل أعلى رتبة في المجتمع ولكن القضية الأساسية بينه وبين النظام الأموي السفياني ومن ثم القضية ظلت مطروحة بين دعوة الحق ودعاة الحق من أئمة أهل البيت وبين كل الأنظمة التالية التي تشكل فيها نظام الخلافة هي طبيعة السلطة، الدين الإسلامي الإسلام هل هو مؤسسة سلطة؟ هل هو مؤسسة حكم؟ هل هو مؤسسة استعباد واسترقاء؟ كما هو المنطق الأموي الذي كان يقول: السواد بستان لقريش، يقول: إننا ملكنا الناس طراً. أو أنه مساحة حرية مساحة انعتاق للكرامة البشرية الخلاف كان هذا، الخلاف بين منطق: «واعلم يا مالك أن الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق» وبين منطق الحكم البربري الذي لا يبالي في أي شيء. لا يعترف لا بكرامة الإنسان ولا بأخوة في الدين. يعتمد على العشائرية والقبلية والحزبية يعتمد على من ينضوي في حزب السلطة ومن هنا كتاب معاوية الشهير بملاحقة كل إنسان يوالي علي بن أبي طالب.

الخلاف لم يكن على حكم كان الخلاف على معنى الدين ما هو؟ معنى الدين ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1] هذا معنى الدين بالكرامة البشرية للمسلم ولغير المسلم معنى الدين المواطنة لجميع أبناء الوطن من دون تمييز بين عرب وعجم وبين أبيض وأسود في المقابل منطق «السواد بستان لقريش» يعني كل البلاد المعمورة هي ملك قريش والناس عبيد وخول.

من هنا كلمة أمير المؤمنين سلام الله عليه في طريقه إلى صفين أو إلى الجمل: «ألا وأن هؤلاء القوم قد اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً والصالحين حرباً والفاسقين حزباً»، طبيعة الاسلام ما هي هل هي سلطة تستعبد الناس تذل الناس تطارد كرامات الناس تجعل من الناس نسخة واحدة؟ أو أن الإسلام مساحة عبادة الله والاخلاص لله وعلاقات عافية بين الناس علاقات أحرار وليس علاقات عبيد وخول وأتباع.

---

(١) سور الإسراء، الآية: ٧٠.

أبداً الإمام الحسين لم يخرج طلباً للسلطة لماذا انتظر لو أنهم لم يضغطوا عليه في المدينة ليعطي البيعة ويكرس طبيعة هذا النظام الفاسد لبقي يعمل في توجيه الأمة خارج شكل السلطة، ولكنهم أرادوه أن يعطيهم التذكية أن يعطيهم الموافقة على نهج السلطة الظالم المنحرف، الخلاف كان على هذا.

سؤالنا الآن نحن في كربلاء؟ لماذا اختار الحسين واعياً بصيراً غير مكره أن يقف اليوم في عصر هذا اليوم الآن في صيف العراق على حر الرمل مع أطفال ونساء ويختار طوعاً الشهادة التي كان قادراً على أن يتخلص منها؟.

القضية المطروحة علينا الآن هي هذه. هذه القضية لم تبدأ بالحسين ولم تنتهي بالحسين. الحسين قمّتها العليا ولكنها كما حدثتكم قبل أيام هذه بدأت بين ابني آدم الذين قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأخيه قال له لأقتلنك قال أخوه له ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾[1] فسولت له نفسه قتل أخيه فقتله. القربان هل هو عبادة أم تجارة؟ الدين هل هو عبادة واخلاص وكرامة بشرية أم تجارة؟ الدين هل هو كرامة بشرية أم سلطة؟ هذا السؤال! هذا السؤال أجاب عليه الإمام الحسين أراد أن يعود الإسلام إلى صفاته ونقائه هو قال في كتابه إلى محمد ابن الحنفية أنه لم يخرج أشراً ولا ظفراً ولا ظالماً ولا مفسداً خرج يطلب الاصلاح في أمة جده فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليَّ هذا أصبر حتى يحكم الله، لم يقبل منه حتى أن يصبر أرادوا منه إما أن يوافقهم أو الموت.

الوطن في الإسلام الأمة في الإسلام، الإسلام ليس مجتمعاً نقياً ليس فيه إلا مسلمون المجتمع الإسلامي فيه غير المسلمين فيه اليهود وفيه النصارى وفيه المجوس وفيه أديان أخرى وكلها تندرج فيه **﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾** وكلها تندرج فيه « أو نظيراً لك في الخلق» التمايز الطبقي التمايز العنصري التمايز القبلي كل هذا ليس من الإسلام في شيء أبداً.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٨.

النظام السفياني لا يريد أن يلغي كل الأغيار يريد أن يحصر كل شيء في القبيلة في العشيرة في حزب بني أمية في حزب بني سفيان هذا المنطق بطبيعة الحال ثار عليه الحسين.

الآن نحن في لبنان والعالم العربي أو في العالم الإسلامي حينما نطرح مفهوماً للوطن يقوم على العيش الواحد يقوم على المشاركة الكاملة في السرّاء والضرّاء يقوم على تحمل المسؤوليات بصورة متساوية، ندعوا إلى نفس هذا المنطق الذي نهض من أجله الإمام الحسين على مدى التاريخ القريب حينما ناضلنا وجاهدنا وحاربنا وعملنا ضد نظام الامتيازات في لبنان ضد نظام السقوف المتفاوتة في لبنان وتوصلنا إلى صيغة سياسية تنظيمية للمجتمع وللدولة تقوم على المساواة، في اتفاق الطائف، الذي لا نزال نتمسك به وندعوا إلى الوفاء والالتزام لتطبيقه وندعوا إلى الوعي لتطبيقه ونعتبر أنه مكسب عظيم لا يزال مكسباً عظيماً من مكاسب الشعب اللبناني نحن ننطلق من هذه الظروف.

الإمام زين العابدين سلام الله عليه في أدعية الصحيفة يقول: «اللهم كما كرهت إليَّ أن أكون مظلوماً فكره إليَّ أن أكون ظالماً اللهم لا أُظلم وأنت وليي ولا أظلم وأنت آخذ بي». كما نكره أن نكون مظلومين يجب أن نكره أن نكون ظالمين.

النظام الذي ثار عليه الإمام الحسين هو لم يكن لا نظاماً شيوعياً ولا نظاماً ماركسياً ولا نظاماً علمانياً، هو نظام فيه مساجد وفيه حج وفيه زكاة وفيه مشايخ وفيه صحابة وفيه روايات سنة وفيه ناس يقرؤون القرآن، ولكن كان إسلامياً بأي معنى؟ أي إسلام يقتل حجر بن عدي، لماذا يقتل حجر بن عدي الكندي هو وجماعته لمجرد أن له رأي الحسن بن علي بن أبي طالب لماذا الاختلاف في الرأي السياسي يؤدي بالإنسان إلى أن يصير تحت الخطر. هذا النظام فيه شكل الإسلام لكن جوهره جوهر قيصري جوهر كسروي جوهر تسلطي.

الآن حينما نستعيد ذكرى كربلاء ماذا نستفيد؟

نستفيد هذه الفائدة أن نصحح أنفسنا أن نعرف أنه لا يكفي حفظ الشكل

الخارجي أنتم تعرفون صلاة المرائي مثل صلاة المخلص ربما تكون صلاة المرائي مرتبة أكثر من صلاة المخلص ولكن الله يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[1].

الإمام الحسين حُورب بالشكل الإسلامي وقال بعض سخفاء الفقهاء فقهاء السلطان: «قتل بسيف جده» فائدة الثورة الحسينية وتجديدها لنا هذا الخطاب الدائم تجاوزا الأشكال إلى المعنى أنا أقول لكم: علي بن أبي طالب أثمن رجل في التاريخ الإنساني بعد الرسول سلام الله عليه استشهد في صلاة الفجر بالتطبيق الشكلي «لا حكم إلا إليه» بالشعار القرآني قتل به علي شعار حق. ومعاوية ماذا فعل؟ رفع المصاحف وقال لعلي بني أبي طالب تعال نتحاكم إلى كتاب الله، دعاه دعوة صحيحة لكن كيف تطبق؟ من يطبقها؟ مرتزقة الصحابة الذين يأخذون رواتب المعممون الحزبيون علماء الدين رجال الدين الحزبيون الذين يأخذون رواتب لهم مخصصات الذين رووا أن آية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۝﴾[2] هذه نزلت في علي بن أبي طالب تعرفوا كم ثمنها هذه الرواية عرض ثمنها مائة ألف لم يقبل جناب الصحابة العظيم مائتين ألف لم يقبل ثلاثمائة ألف قبل رواه.

هذا الأمر ليس في ذلك العهد فقط هذا الأمر متجدد، الموضوع الديني موضوع خطر ليس موضوع آخرة فقط هو موضوع دنيا أيضاً، وتجار الدنيا كثيرون واقتناص الدنيا بالدين من أسهل الأشياء، أنتم يا أعزائي وأنتن يا عزيزاتي أنتم تبحثون عن دنياكم تعملون في حقولكم في دكاكينكم في معاملكم في دوائركم تحت الشمس في الغبار تحصلون على رزق حلال بسيط تعملون به. أما إذا استخدمتم الدين، لا. أنتم تجلسون والناس تأتي فتدفع لكم تحصيل الدنيا بالدين سهل ولذلك استعمال الدين لأجل الدنيا خطر.

الإمام الحسين كان يقول: قفوا هذا الدين لمصلحة الناس وليس لمصلحة

---

(١) سورة الماعون، الآية: ٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

السلطة، جاء الدين ليخلق مجتمعاً إنسانياً متآخياً عابداً لله باخلاص وليس فقط ليرضى السلطة ولو كانت السلطة هي الموازية للدين بحيث إذا لم توجد سلطة لا يوجد دين لكان علي بن أبي طالب تصرف تصرف آخر. الإمام الحسن كان تصرف تصرف آخر. وكذلك الإمام الحسين، ولم يكونوا وصلوا إلى كربلاء، ولم يستشهد أي إمام.

اليوم تاسوعاء اليوم صفوة الدنيا كلها في زمانها وفي كل زمان بعد الرسول سلام الله عليه وعلي والزهراء، على الرمضاء عطاشى جياع معزولين ليس لهم سبب ولا قاصر إلا مع الله لماذا؟ كان ممكن في خمسة كلمات أن ينتهي كل شيء ويذهبون إلى الشام مجللين معززين معظمين لكن كان المطلوب أن يباع صك رقّية الأمة. الدين بمعنى الصلاة والصوم كان سالماً الذي كان لا يسلم هو رقاب آباءكم وأمهاتكم وأجدادكم رقبة البشر الذي أعطى الحرية للأمة الإسلامية. الأمة الإسلامية الآن تناضل وتجاهد في سبيل الحرية الذي أعطاها الحرية والانعتاق الذي حرر الإسلام من سلطة السلطة هم مجموعة أهل البيت والذين معهم علي بن أبي طالب الحسن والنجم الأعظم الحسين هذا إنما هو موجود الآن يوم تاسوعاء هذه الليلة ليلة العبادة وليلة الدعاء ليلة العبادة وليلة الوداع.

هنا توجد نقطة مختصرة أنا أقولها: من يودع من؟ مسافر يودع أهله ليعود إليهم أحياء يودعون مريضهم ليموت ويبقوا معه. أما أن يودع القتيل القتيل. القتيل ودع القتيل والغريب ودع الغريب هذه العظمة هنا. يودعون بعضهم ويقولون لبعضهم بعضاً بعدك بساعة بعدك بنصف ساعة تصوروا القلوب الإنسانية كل قلب منها على قدر الدنيا، تصوروا قلب الحسين الأعظم كم كبر وكم تحمل تصوروا قلب زينب تصوروا قلب العباس تصوروا قلب الفاطميات يودع القتيل القتيل ويودع الشهيد الشهيد وترجمت كل الأشياء موقف بكرة بكرة موقف الظهر تقف السيدة زينب على الأجساد الطاهرة وتقول: اللهم تقبل منا هذا القربان على جسد أخيها والأجساد الطاهرة الأخرى لماذا؟ الحسين انتصر حقق هدفه حررنا، الآن المسلمون يتحدثون عن الحرية ويتحدثون عن أن الإسلام

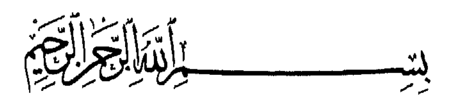
دين التحرير ليس فقط شكل الصلاة والصوم والمساجد وما إلى ذلك. المسجد الأعظم هو قلب بني هاشم هو جوهر الإنسان الذي حرره الحسين من سلطان أي متكبر ومتجبر وليس يزيد بن معاوية فقط. لقد حررنا الحسين من الظاهرة التاريخية في التاريخ ومن الظاهرة الفرعونية في التاريخ.

السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم مني سلام الله أبداً ما بقينا وبقي الليل والنهار.

عظم الله أجورنا جميعاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصية الإمام الحسين

١٠ محرم محرم ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا أبا عبدالله.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء نحن نتوجه الآن بقلوبنا وضمائرنا إلى ساحة كربلاء كما هي كانت في مثل هذه الساعات من ذلك اليوم الرهيب العظيم حيث شهدت أعظم مصارع الأحرار الأبرار وعلى رأسهم أبو عبدالله الحسين سلام الله عليه الذي سنتوجه إليه الآن بزيارتنا وتحيتنا في هذا اليوم المبارك اليوم الدامي الذي يحمل إلى البشرية كلها وإلى المسلمين خاصة أروع أمثلة الإيثار.

نحن في هذا اليوم نأخذ من خطاب الحسين صلوات الله وسلامه عليه وصيتين كبيرتين أولاهما أن نحب بعضنا بعضاً وأن نوحد كلمتنا وأن نجمع شملنا على التقوى وليس على غير التقوى.

الإمام الحسين سلام الله عليه كما أخبرتكم مراراً في هذه العاشوراء هو لم يخرج من أجل مغنم شخصي ولا من أجل مغنم عائلي ولا من أجل مغنم فئوي

وقد قال عن نفسه أنه لم يخرج أشراً ولا ظالماً ولا مفسداً إنما خرج من أجل انقاذ الأمة وانقاذ المجتمع من التسلط الفاجر باسم الدين ومن تغرير الناس باسم الدين، وخرج من أجل أن يلغي كل الصيغ وكل الأساليب التي تباعد بين الناس والناس والتي تفرز الناس وتقسمهم، خرج من أجل الحب من أجل أن يعيد إلى الناس حبهم لبعضهم ووحدتهم مع بعضهم وتآلفهم مع بعضهم وتعاونهم مع بعضهم.

ولقد بقي الحسين إلى ساعاته الأخير يبكي على من قتلوه ويرحم من ظلموه لأنه أراد لهم النجاة وأرادوا لأنفسهم الهلاك. هذه هي الوصية الأولى أيها الأعزاء الإخوة والأخوات التي نحملها في قلوبنا ذكرى من الحسين في هذه الساعات الأخيرة من ذروة حياته الشريفة في فداء الدين الذي هو فداء للإنسان وفي محبة الدين التي هي محبة للإنسان.

الرسالة الأولى هي رسالة الوحدة ورسالة التعاون على البر والتقوى ورسالة الخروج من النزاعات والخصومات للتوافق على كل ما يرضي الله وكل ما يصلح الناس.

الرسالة الثانية التي نحملها من هذه الدعوة هي رسالة أن نقاوم الباطل بأي شكلٍ كان وبأية صورة كانت وأظهر أمثلة الباطل في عصرنا هي إسرائيل الشر المطلق كما قال الإمام المغيب السيد موسى الصدر، الشر المطلق الذي تجسده اسرائيل والذي مارسته على أهلنا في لبنان وارتكبت جريمتها الكبرى في قانا وفي غير قانا من أنحاء الجنوب. هذه الرسالة نحملها لنظل معاً جميعاً رجالاً ونساءً شيباً وشباناً مسلمين ومسيحيين في جميع مواقع المجتمع وفي جميع مواقع الدولة نظل جميعاً صفاً واحداً متراصاً في مواجهة المشروع الصهيوني الذي يريد أن يستحوذ علينا ويريد أن يستتبعنا فنقول مع الحسين ما قاله للنظام الباغي: هيهات منا الذلة ونقول مع الحسين ما قاله للنظام الباغي «ألا وإن هؤلاء القوم قد ركزوا بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة» التحية والسلام إلى الأجساد الطاهرة التي نقول في تحيتها: السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت

وما بقي الليل والنهار.

السلام عليكم يا شهداءنا الأبرار في قانا وفي كل موقع من مواقع لبنان في الجنوب وفي البقاع الغربي وغيرهما السلام عليكم يا أسرانا في سجن الخيام وفي سائر السجون الإسرائيلية نتذكركم بعمق ونواليكم بعمق ونعاهدكم بعمق على أن نظل معاً في مواجهة هذا المشروع الشيطاني الذي نتعلم من الحسين ومن آل الحسين كيف نقاومه وكيف ننتصر عليه بإذن الله.

وأعود أيها الأعزاء أيها الاخوة والأخوات لأقول لكم إن أعظم تقوى الله هي وصية الإمام الحسين إن أعظم تقوى الله هو أن تحبوا بعضكم بعضاً وأن تتوحدوا مع بعضكم وأن تشكلوا معاً قلباً واحداً متسانداً متآخياً لا تفرق بينكم أية دعوة من الدعوات ولا أية مصلحة خاصة من المصالح.

أسأل الله تعالى أن يتقبل منا قرابيننا التي قدمناها في الجنوب وفي البقاع الغربي أن يتقبلها بأحسن قبوله أن يتغمد الأرواح الطاهرة ويحشرها مع الحسين وآله وأن يحفظ لبنان ويحفظ المسلمين ويحفظ العرب وينصرهم على عدوهم ويظهرهم لحقهم إنه هو السميع المجيب.

أحبوا بعضكم بعضاً هذه هي وصية الحسين وحافظوا على إيمانكم وعلى تقواكم هذه هي وصية الحسين. أسأل الله أن يعيد علينا جميعاً هذه الذكرى المجيدة وقد تحررنا من الاحتلال وقد استعدنا حقوقنا في بلادنا وقد نصرنا الله على عدونا. حفظكم الله ورعاكم.

والآن نتوجه بقلوبنا وضمائرنا إلى كربلاء إلى تلك الأجداث الطاهرة التي أقول لكم أيها الإخوة والأخوات الآن الآن تصوروا الآن استحضروا أن الحسين سلام الله عليه وأن الأجساد الطاهرة هي مسجات الآن تحت السماء على الرمضاء وأن الزينبيات كلهن وأن العلويات كلهن وأن الصحابيات كلهن واقفات على هذه الأجساد الطاهرة يقلن جميعاً بلسان الحوراء زينب اللهم تقبل منا هذا القربان وتخاطب جدها رسول الله وتخاطب أباها علياً وتخاطبكم أنتم وتخاطبكن أنتن من وراء الغيوم تقول ألا من ناصر ينصرنا ألا من ذابٍ يذب عنا

هذه الحرمة المهتوكة على مد التاريخ تحتاج دائماً إلى أنصار فكونوا جميعاً أيتها الإخوة والأخوات أنصار هذه الدعوة البارة والسارة أنصار هذه الدعوة المباركة التي بها حياة القلوب كما قال الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه نتوجه الآن بقلوب خاشعة إلى كربلاء الطاهرة إلى الأجساد الطاهرة نزور الحسين وآله في هذا اليوم.

رسالة الإمام الحسين
هي رسالة الانفتاح والوحدة

١ محرم ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م



الحمد رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه باحسان وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين والسلام عليكم حضرات العلماء الأجلاّء والإخوة والأخوات الكرام ورحمة الله وبركاته. ونستغفر الله ربنا ونتقرب إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ونستعينه سبحانه وتعالى على طاعته وعلى انتهاج رسوله الأكرم صلوات الله وسلامه عليه.

نحن في هذا اليوم الأول من شهر محرم الحرام وفي بداية السنة الهجرية المباركة سنة ١٤١٨ من الهجرة النبوية ندخل عاماً جديداً من عمر الإسلام المحمدي، الإسلام كما بلّغنا إياه وإلى سائر البشر محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم في مناسبة بداية هذه السنة الهجرية نتوجه بالتهنئة والتبريك للمسلمين في لبنان وفي جميع أنحاء العالم في بداية هذه السنة التي نسأل الله تعالى أن يجعلها مباركة ميمونة.

وقد دأب المسلمون منذ عصور طويلة على الاحتفال ببداية السنة الهجرية

بأشكال شتّى من الاحتفالات بالصلاة والعبادة وذكر الله سبحانه وتعالى وباستعادة مآثر الرسول الأكرم وسطوع نور الإسلام بالهجرة المباركة هو أمرٌ ليس له أساس في ما سبق «أساسٌ في الشرع» من حيث أمر الله به أي أن الاحتفال برأس السنة الهجرية هو ليس تقليداً قائماً على نصوص شرعية في الكتاب أو في السُنة ولكنه سُنةٌ حسنة يجري فيه ما ورد من التوجيه النبوي الشريف «من سنّ سُنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أجرهم شيء ومن سنّ سنة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من وزره شيء»[١].

إذن الاحتفال والتبريك والتهنئة برأس السنة الهجرية هو تقليد حسن وسُنّةٌ حسنة يستعيد بها المسلمون ذكرى انتصار رسول الله وانتصار المسلمين بهذه الهجرة التي لم تكن هروباً من كيد الكفّار، وإنما كانت انتصاراً عليهم كما أشارت إلى ذلك الآية المباركة ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾[٢] إلى آخر الآية التي يقول فيها ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[٣]. فعبّر الله عن الهجرة بأنها انتصار على قاعدة ما بيّنه الله تعالى في كتابه الكريم في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٤] فبيّن سبحانه وتعالى أن هجرة الرسول كانت انتصاراً للرسول وللمسلمين على الشرك وعلى نهج الشرك.

بهذه المناسبة كما قلت نتبرّك ببداية هذه السنة ونبارك للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بهذا اليوم الذي ينطبق عليه ما ينطبق على سائر أيام السنة التي ورد في الحديث القدسي عنها أنه «كلما طلع الفجر من يوم جديد هتف ملك من السماء يا ابن آدم أنا يومٌ جديد وأنا على عملك شهيد فاغتنمني فإني لا أعود إليك أبداً» نتذكر أن الإنسان في خُسْر وأن أعمارنا تتسرب منّا رغماً

(١) أخرجه مسلم في العلم حديث ١٥، والنسائي في الزكاة باب ٦٤، وابن ماجه في المقدمة باب ١٤، وأحمد في المسند ٣٥٧/٤، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

عنّا لا نستطيع أن نمسك منها ثانية ولا دقيقة ولا يوماً ولا شهراً ولا سنة، نتذكّر أننا أفراداً وشعوباً وأمماً قد ودّعنا سنة هجرية هي سنة ١٤١٧ سيحاسبنا الله على كل ما اقترفنا فيها فيجزي كل عامل بما عمل بعدْله أو برحمته. نسألة سبحانه وتعالى أن يعاملنا برحمته.

في بداية السنة الهجرية ومنذ أوائل الإسلام حدث تطوُّر كبير في تاريخ هذه الأمة تَمثَّلَ في نهضة الإمام الحسين (ع) تَمثَّل كما يعلم جميع العالم وجميع المسلمين خاصة بخروج الإمام الحسين في سبيل الإصلاح كما قال سلام الله عليه فاقترنت هجرة الرسول الأكرم التي أخرجَ بها الإسلام من حالة الحصار التي كانت في مكة إلى حالة الانطلاق التي تحققت بالهجرة اقترنت هذه الذكرى بذكرى هجرة الحسين التي أخرج بها الإسلام من حالة الحصار والاحتكار التي تشبثت بها الأسرة الحاكمة السفيانية الأموية بشخص يزيد بن معاوية وأركانه ليطرح مشكلة الأمة ومشكلة الإيمان ومشكلة الشريعة على مستوى الأمة كلها.

هجرتان، هجرة الرسول الأكرم، وهجرة سبطه الإمام الحسين تنطلقان من واقع واحد وتهدفان إلى أمل واحد ورجاء واحد إلى غاية واحدة. في هجرة الحسين حينما لم يعد هناك متسع لأي عذْر ولم يكن هناك مجال لأي سكوت ولم تبق أية مندوحة ـ لم تبق أية ذريعة للسكوت عما يجري لتحريف الإسلام وتهديد عقائده الأساسية ونهجه التشريعي المتحرِّك، نهض سبط الرسول الأمين على دين الله وهو الإمام الثالث من الأئمة المعصومين الحسين بن علي ولا يخفى وأُذكِّر هنا أن من الزيارات التي يُزارُ كلُ إمامٍ معصوم الزيارة الشهيرة المعروفة بزيارة أمين الله (السلام عليك يا أمين الله في أرضك) إذن الحسين في عصره هو الأمين على هذا الدين وهو الأمين على هذه الأمة.

خرج من أجل أن يحرِّر الإسلام من أن يتحول إلى مجرَّد دين سلطة. الإسلام أيها المؤمنون أيها المسلمون أيها الناس جميعاً تعرَّض لخطر أن يتحول إلى دين سلطة ـ إلى عقيدة سلطة ـ إلى إيديولوجية سلطة وتوجد إشارات كثيرة لا مجال لذكرها الآن عن شخصيَّات مرموقة كانت تُصرِّح فتقول إن الأمر الذي تنازعنا عليه قد أصبح لعبة بأيدي صبيان ـ موضوع الدين ـ حينما يتحول الدين

إلى مشروع تسلُّط ـ حينما تتحول الدعوة من صيغة تحرير الإنسان وصيغة كرامة الإنسان إلى صيغة استغلال للإنسان وللمجتمع يكون حينئذٍ على القيِّمين على الأمّة أن يتحركوا.

وهذا ما واجهه الإمام الحسين وصبر عليه وداراه طويلاً ولكنه لم يُفلح في أن يعالج الأمر عن طريق المحاورات الداخلية فأعاد طرح المشكلة على الأمة برمتّها هذه النهضة هي أشبه بإعادة الأمر إلى الرأي العام ـ ويُعرف وتسمعون من قُرّاء هذا المنبر أنّه طالب أن يعود الأمر شورى بين المسلمين.

الهجرتان ـ هجرة الرسول سلام الله عليه وهجرة الإمام الحسين (ع) تتصادفان على معنىً واحد ومن هنا إلحاحي الدائم في أن تكون مجالس عاشوراء مجالس غير مذهبية وغير طائفيّة وأن يُطوَّر خطابها ليكون خطاب الإسلام الذي ينظم جميع التيارات الفقهية وجميع الفرق الفقهيَّة بل أن يتجاوز ذلك ليكون خطاب الإسلام وانعتاق الإنسان وحريَّة الإنسان.

من الإساءة بمكان كبير ـ أن يُحصر هذا الإنسان العظيم وهذا المشروع العظيم في صيغة مذهب أو في صيغة طائفة أو في صيغة فئة أو في شعار فئوي وهو والله تحجيم وتقزيم لهذا العظيم ابن العظماء وأبو العظماء.

من هنا نجد في التاريخ ـ في تاريخ الفكر وفي تاريخ التشريع وفي تاريخ الأدب أن الخطاب الحسيني لم يكن خطاباً فئوياً ولم يكن خطاباً مذهبياً أو طائفياً بأي معنى من المعاني.

في مُستهلّ هذه الأيام وأنا أخاطب الآن الرأي العام في كل لبنان وخاصّة المسلمين آمل أن نجتاز هذه الذكرى بأيامها كلها في خطاب جامع يركِّز على ثوابت الوحدة الإسلامية ويركِّز على ثوابت الوفاق الوطني ويركّز على ثوابت كرامة الإنسان ويركّز على ثوابت احترام النظام واحترام القوانين ويركّز على ثوابت احترام الآخر سواءاً كان هذا الآخر مسيحياً أو غير مسيحي في دائرة الإسلام أو خارج دائرة الإسلام ـ فقط يستثنى من هذا الخطاب أعداء الله وأعداء رسوله الناصبون الحرب للمسلمين والعرب وفي مقدمتهم الحركة الصهيونية

سواءاً أكانت متمثلة في الكيان الصهيوني في فلسطين أو في كل موقع من مواقع الدنيا.

في الهجرة النبوية وفي الهجرة الحسينية أيها الأعزاء جميعاً يعاد طرح الإسلام علينا في كل سنة في نداء الهجرة وفي خطاب الهجرة يأتي خطاب كل واحد منّا ـ لكل رجل ولكل امرأة ـ ما هي علاقتنا بالإسلام؟ ما هي علاقتنا بعقيدة الإسلام؟ وما هي علاقتنا بشريعة الإسلام؟ وما هي علاقتنا بحضارة الإسلام؟ هل هي علاقة أشخاص؟ هل هي تقتصر على علاقتنا بالحبيب محمد بن عبدالله (ص)؟ هل هي علاقة شخصية بحبيبنا علي (ع)؟ أو بحبيبنا الحسن أو بحبيبنا الحسين (عليهما السلام)؟ هل هي علاقة شخصية بهؤلاء الأشخاص بصرف النظر عن النهج الذي كانوا عليه وعاشوا عليه وماتوا عليه؟ هل هي علاقة شخصية تتجاوز ما رُوي عن رسول الله (ص) في جوابه لمن استشفع عنده في حدٍّ من حدود الله ـ قال له: «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها؟».

هل هذه العلاقة، هي علاقة شخصيّة؟ يرد علينا هذا كتاب الله سبحانه وتعالى ـ إذ يقول الله فيه ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾[1] يردُّ عليه كل الشعارات وكل البيانات التي صدرت عن أمير المؤمنين وعن الأئمة المعصومين من بنيه التي كانت تُبيِّن من أن العلاقة معهم مع عظمتهم ومع كرامة الحبّ الشخصي والولاء الشخصي لهم هي علاقة أساساً على درجة علاقتنا بالإسلام بشريعته وآدابه بعد تمسكنا بعقيدته ومنهج آل البيت (ع).

نداء الهجرة إذاً هو نداء التمسك بالشرع والتمسك بالإسلام ـ نستذكر هنا الكلمة الشهيرة من وصية الإمام الحسين إلى أخيه محمد ابن الحنفيّة التي قال فيها مما قال: «إنما خرجت أريد الإصلاح في أمة جدي» يريد تصحيح المسار العقيدي وتصحيح المسار الشرعي وتصحيح نموذج الأخلاق والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، إذن نداء كربلاء ـ نداء الحسين ـ هجرة الحسين كما تعيد

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

إلينا مشكلة وقضية تمسكنا بالإسلام. تعيد إلينا المشكلة الأبدية بين البشر ـ علاقة المحكوم بالحاكم وعلاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة الدولة بالمجتمع ومسؤوليات الدولة والحكومة خصوصاً عن المجتمع. لأن الإمام الحسين لم يثر على جماعة المسلمين وإنما ثار على صيغة حكم محدّدة وعلى سياسة حكم محددّة ـ هذه الصيغة وهذه السياسية سبق أن بيَّنها أمير المؤمنين علي في أحد مواقفه حينما قال: «ألا ترون إلى هؤلاء القوم قد اتخذوا مال الله دولاً والصالحين حرباً والفاسقين حزباً».

المشروع الذي كان يواجهه الإمام الحسين هو مشروع من هذا القبيل ـ فهو يحوِّل العقيدة والشريعة والتقاليد والخطاب الديني إلى مؤسسة سلطة بكل معنى الكلمة ـ تستعبد الناس وتذلهم وتصادر حريتهم.

هذا الخطاب إلى جانب تمسكنا بالإسلام. والخطاب الثاني الذي نحمله ونفهمه من نهضة الحسين. هو خطاب المجتمع ـ الخطاب الأول هو خطاب التمسُّك والانتباه والخطاب الثاني هو خطاب العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

ما هي علاقة بعضنا ببعض ما هي علاقة كل جماعة في المجتمع بالجماعة الأخرى؟ ما هي علاقة القبائل في ذلك الحين مع بعضها البعض ـ والآن ما هي علاقة الجماعات مع بعضها ـ ما هي علاقة الطوائف ببعضها؟ ـ ما هي علاقة المواطنين ببعضهم البعض هل هي علاقات تنافر؟ أو هي علاقات تعاون؟ في مجتمعنا سواءاً كنا في لبنان أو في غير لبنان هذا الخطاب هو من أعظم الخطابات التي نحتاجها.

نحن نعيش في مجتمعات تتكون من جماعات، هذه الجماعات يجب أن يسود بينها تعاون وتآلف وتضامن وروح المواطنة والتعاون على البر والتقوى ومن دون هذا فإن خطاب التفرقة والفتنة الذي يحمله المشروع الصهيوني وسائر المشاريع الاستعمارية هو متربصٌ بنا يغري بين المسلمين على قواعد المذهبية والطائفية ويغري بين المواطنين على قواعد المسيحية والإسلام والمسيحيين والمسلمين.

ويغري بينهم على قواعد المعارضة التي ترفض النظام السياسي أو الموالاة التي تقبل النظام السياسي. من يرفض اتفاق الطائف ومن يقبل اتفاق الطائف إلى غير ذلك من الصيغ ومن الشعارات التي لا بدَّ من مواجهتها بروح الوحدة وبروح الأخوة وبروح المواطنة.

إذن خطاب كربلاء هو ليس خطاباً من التاريخ وإنما هو خطاب من الحاضر ـ خطاب من يومنا ومن غدنا وليس فقط من أمسنا ـ هو ليس شيئاً مضى بل هو شيء متجدد كما هو نداء هجرة الرسول الذي يدعونا إلى أن نتعمق ونعي حقيقة تمسكنا بالإسلام وتمسكنا بالإسلام أيها الأعزاء نواجه فيه مشكلة: هل الإسلام الذي نتمسك به هو جزيرة مقفلة تعزلنا عن الآخرين وعن الأقوام الآخرين ـ وعن الأديان الأخرى ـ وعن سائر الناس أو أنه مساحة مفتوحة للحوار وللقبول وللاندماج وللتعاون على البرِّ والتقوى؟

وفي نفس الوقت ومن منطلق ما يسمَّى شيعيّة هل التشيُّع هو جزيرة مقفلة؟.

هل التشيُّع هو مذهب مقفل؟ هل التشيُّع هو دعوة تعصبيَّة مقفلة في وجه الآخرين؟ هل التشيُّع هو جزيرة معزولة عن أمة الإسلام وعن دائرة الإسلام؟ ـ كلاّ ـ: نداء هجرة النبي ونداء هجرة سبطه هو نداء الانفتاح ونداء الاندماج.

للمسلمين نقول: إن هذا النداء يعني أن الإسلام يُطل على العالم لا من موقع التقوقع والانزواء والانغلاق والتباعد، بل من موقع الاندماج والانفتاح والتعاون على البرِّ والتقوى، على أساس الكرامة البشرية لكل إنسان وعلى أساس ما وفَّره الله من حقوق إنسانيّة لكل إنسان في دائرة الإسلام العزيز ـ الانفتاح على كل المسلمين ـ ويعلم الجميع ـ في الخارج وفي الداخل إني أقول إن المسلمين الشيعة حيث كانوا في لبنان وفي غير لبنان ليس لديهم مشروع خاص وأي فئة منهم تضع قناعاً على وجهها أو على خطابها أو على بيانها لتُعطي مشروعاً خاصاً فهي خارجة عن دائرة المسلمين الشيعة ولا تُمثِّل إلاّ نفسها فقط.

لا يوجد أي مشروع خاص للمسلمين الشيعة في لبنان أو في غير لبنان.

مشروعهم هو مشروع أوطانكم - هو مشروع مجتمعاتكم - هو مشروع أقوامكم - ولو كان هناك مشروعاً خاصاً لكان للمسلمين (ع) مشروعاً خاصاً.

الإمام الحسين أبداً لم ينهض بمشروع خاص - بل كان المشروع الخاص موجوداً وهو الذي رفضه وخرج عليه وانفتح على مشروع الأمة العام وكذلك أتباعه في كل زمان وفي كل مكان وعلى مستوى الإسلام فإن الأمر كذلك أيضاً فإننا نقول إن دعوتنا كمسلمين إلى المسيحية في هذا الشرق وإلى المسيحية في لبنان وإلى المسيحية في كل مكان من شرقنا ومن عالمنا وعلى مساحة العالم هي ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[1] إلى الكلمة السواء التي نتعاون فيها على بناء عالم خالٍ من الظلم ومن الحقد ومن الابتزاز - إلى عالم يحترم حقوق الإنسان وكرامة الإنسان انطلاقاً من أي مكان وارتكازاً إلى مبدأ الكرامة البشرية الذي نصَّ عليه الله تعالى في كتابه العزيز ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[2] هكذا ومن دون أي هويَّة ودون أي تمييز - فالكرامة البشرية هي الكرامة الثابتة للجميع.

هذا هو نداء الهجرة ومن هنا وفي أوَّل السنة الهجريَّة التي تضيف رقماً جديداً في التاريخ إلى انبثاق نور الإسلام على لسان رسول الله وفي أوَّل السنة الهجرية والتي تحمل دورة جديدة من ذكريات نهضة أهل البيت كما تمثَّلت في نهضة الإمام الحسين (ع) نقول إن قلوبنا مفتوحة وأيدينا ممدودة في لبنان لترسيخ مجتمع وطني متلاحم متعاون على البرِّ والتقوى يُنتج مجتمعاً يليق بما ينبغي أن يكون عليه لبنان ويحول مشروع المجتمع إلى مجتمع أهلي ومدني وسياسي بكل معنى الكلمة من التضامن والتلاحم وينشىء دولة واحدة موحَّدة متوازنة عادلة للجميع. وهو مشروع يشترك فيه الجميع ويعمل فيه الجميع على رفعة الإنسان وعلى كرامة الإنسان على قاعدة الإيمان.

إن هذا النداء ينسحب على كل موقع وعلى كل مكان ولكن أنا أنبِّه على

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٢) سورة الاسراء، الآية: ٧٠.

نقطة مركزيّة سأشير إليها دائماً أن هذا الإسلام بما يحمله من روح التحرُّر يواجه خطراً من داخله هو خطر التعصُّب وخطر الانغلاق وخطر المشاريع الخاصة وخطر عدم الانفتاح على الآخر في داخل الوطن وفي خارجه - وهو ما نسأل الله تعالى أن يُلهم القيمين ونحن معهم وفي خدمتهم على ترشيد الحركة الإسلامية العالمية والحركات الإسلامية الوطنية والإقليمية ليكفَّ بعض من تورط في سياسات العنف ضدَّ الآخر في أماكن كثيرة ذقنا بعض ثمارها المرَّة هنا في لبنان ونراقب الآن بألم كبير ما يجري في أمكنة أخرى هي عبارة عن انتحار ذاتي.

هذا هو الخطر الأول أما الخطر الثاني فهو خطر القوى الصهيونية التي تجعل من الاسلام عدوَّها فهي تتهمه بالإرهاب وتتهمه بالظلامية وبالرجعية وتحاول أن تُكتِّل الرأي العام العالمي ضد الإسلام وضد الأمة الإسلامية وضد الشعوب الإسلامية وضد الدولة الإسلامية. وفي منطقتنا تتسلَّح وترتكز على الكيان الصهيوني الذي يمتد مشروعه ليتجاوز لبنان أو سوريا أو مصر أو فلسطين أو سائر الدول العربية ليقف في مشروعه العدواني ضد نهضة الإسلام وضد وحدة المسلمين وانطلاقة المسلمين وحيوية المسلمين وبكل معنىً من المعاني.

هذا الخطر الذي تارة يسمونه بالأصولية الإسلامية وتارة يسمونه بالإرهاب الإسلامي فإنه خطر يجب أن يواجهه المسلمون بما ينبغي أن يواجهوه أولاً بالوعي وثانياً بالوحدة.

ومن هنا وعلى أساس دعوتنا إلى ترسيخ مبادىء التضامن العربي نقول إنه يجب أن تعطى الأولوية العظمى للتضامن الإسلامي في مواجهة الحركة الصهيونية وتشعباتها في منطقتنا وفي العالم. وانطلاقاً من معنى الهجرة ومن روح الهجرة فإننا في لبنان نواجه هذه الحركة الصهيونية بالمقاومة بشتى مظاهرها - في المقاومة السياسية ومقاومة الصامدين في الجنوب والمقاومة في العمليات الجهادية وكذلك في فلسطين.

والآن وفي هذا الوقت فإننا نفكر بكل قلوبنا وبكل عقولنا بالشعب الفلسطيني الذي يواجه الاحتلال الصهيوني في جبل أبو غنيم وفي القدس وفي كل موقع من مواقع فلسطين.

وأقول لكم جميعاً أيها الأعزاء إن القدس في هذا الوقت هي كربلاء الثانية ـ فإن المواجهة الكبرى تنفتح بين الكفر متمثلاً بالصهيونية وبين العرب مسلمين ومسيحيين وبين سائر المسلمين في كل مكان على ساحة القدس ومن أجل قضية القدس. من هنا نقول لكل من يعنيه الأمر ويعلم الله تعالى أن قلوبنا مفتوحة وعقولنا مفتوحة وأيدينا ممدودة على قاعدة ما أمرنا الله به سبحانه وتعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[1].

نقول: نحن أيدينا ممدودة وقلوبنا مفتوحة للعمل معاً على تنفيذ القرار (٤٢٥) وتحرير الجنوب والبقاع الغربي، أيدينا ممدودة وقلوبنا مفتوحة لإرساء مشروع الدولة والمجتمع في لبنان على قاعدة التعاون على البرِّ والتقوى من دون هيمنة أحد على أحد وكما أنه ليس للمسلمين الشيعة في لبنان أو غير لبنان مشروع خاص وأنا في وضع أتمكن أن أقول فيه أن المسلمين اللبنانيين ليس لديهم أيضاً مشروع خاص فالمسلمون اللبنانيون مشروعهم هو لبنان دولة عادلة متوازنة مزدهرة تُكرم جميع أبنائها ونحن نريد أن نتعاون على انجاح مشروع الدولة في لبنان على قاعدة الميثاق الوطني الذي توافقنا عليه وضحَّينا في سبيله جميعاً.

إن أيدينا ممدودة وقلوبنا مفتوحة لأجل التعاون على صيغة للقدس ولا يتوهم أحد أن اتفاقاً مع دولة من هنا أو هناك أو أن اتفاقاً مع جهة من هنا أو هناك يجعل المسلمين عامة أو العرب خاصة يفرطون في شأن القدس. إن هؤلاء الأبرار الذين يعتصمون ويرجمون بالحجارة ويتحملون كل ظلم وجور الصهاينة في فلسطين ليسوا وحدهم رجالاً ونساءاً فإن أيدينا على أيديهم ومع أيديهم تقف موقفهم ونحمل همهم ونشاركهم في قضيتهم ومن هنا فإن أي وفاق يجب أن ينطلق من رؤيا واحدة لهذه القضية التي تتجاوز العرب والمسلمين لتشمل المسلمين والمسيحيين في العالم.

---

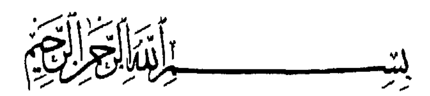
(١) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

القدس هي ليست قدسنا وحدنا ولكنها ليست هي قدس غيرنا وحدهم. لنا رأينا ولنا موقفنا وموقفنا يرتكز على الموقف من قضية القدس التي يجب أن تعود إلى أهلها العرب المسيحيين والمسلمين والتي أريد أن أرى ويعلم الله تعالى أني في موقف أريد أن يعود شعب القدس المسيحي الذي هجَّره الصهاينة إليها. ولا يكفي أن يكون في القدس تسعة آلاف مسيحي وكانوا يشكِّلون نصف سكان المدينة والآن هم أقلية والصهيونية العالمية تستنزفهم واحداً واحداً لأنها تريد أن تجعل معركتها في القدس مع المسلمين فقط، فهي تريد أن تقدم القدس للعالم وكأنها مدينة يسيطر عليها المسلمون ولكن نحن نقول ونطلب من كل الدول العربية والإسلامية أن تضع سياسة لعودة المواطنين المسيحيين المقدسيين إلى مدينتهم لأن المعركة في شأن القدس والقضية التي تنتظم القدس هي ليست قضية المسلمين وحدهم بل هي قضية الجميع.

نعود إلى ما بدأنا به فنصلِّي ونسلم على صاحب الهجرة الأولى والكبرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونستعيد في هذا اليوم من بداية هذه السنة وفي ذكرى عاشوراء المجيدة ـ ذكرى عاشوراء المسلمين جميعاً ـ نستعيد كل مثل الخير وكل مثل الحق وندعوا الله سبحانه وتعالى أن يعيد السنة الهجرية على المسلمين جميعاً وعلى العرب جميعاً وعلى الناس جميعاً بالخير والبركة والحمد لله رب العالمين.

انتصر الإمام الحسين باستشهاده

٢ محرم ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبيناً محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الذين اتّبعوه باحسان وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين ونخصُّ بالسلام الإمام الحسين وآله وأصحابه الذين نستعيد في هذه الأيام ذكرى نهضتهم وجهادهم واستشهادهم ونسأل هل كان لاستشهاد الإمام الحسين وآله لأنهم أُجبروا على الشهادة؟ لأنهم حُوصروا فاضطروا فكانت شهادتهم شهادة الاضطرار أو أنهم اختاروا الطريق التي أدّت بهم إلى الشهادة.

في بعض التقديمات والصيغ التي تُحكى بها الثورة الحسينية، يبدو وكأن الإمام الحسين وقع في مصيدة أو فخ ـ وكأن النظام الأموي نصب للحسين مصيدة فوقع فيها فلم يجد إلا المواجهة أمامه وكانت شهادته شهادة اضطرار وكانت الشهادة.

ولكنَّ الحقيقة هي غير ذلك، هي أن شهادة الإمام الحسين وشهادة آله وأصحابه كانت شهادة اختيار، وليست شهادة اضطرار. أما آله وأصحابه فمن المعلوم أنه عرض عليهم أكثر من مرة أن يتركوه وأن ينطلقوا وينسحبوا من المواجهة.

والعبارة الشهيرة التي قال لهم فيها: «إن هذا الليل قد أظلّكم فاتخذوه جَمَلا وليأخذ كلُ واحدٍ منكم بيد واحدٍ من أهل بيتي» هذه العبارة يعرفها الجميع ولكنهم جميعاً آثروا مختارين أن يبقوا.

تحدثنا سابقاً عن مبيت علي (ع) على الفراش في ليلة الهجرة وهي من حالات الاختيار فأمير المؤمنين علي (ع) لم يكن مجبراً على أن يبيت على فراش رسول الله (ص) بل اختار طريق الشهادة بل اختار تسليم نفسه لسيوف المشركين ويذود بذلك عن نجاح عملية الهجرة لرسول الله (ص).

شهداء أهل البيت في كربلاء وأصحاب الحسين رضوان الله عليهم اختاروا بأنفسهم وفي حالة اليأس حين عرض عليهم الإمام أن ينسحبوا، كان من الواضح تماماً أن الموقف يائس نهائياً وأن احتمالات الانتصار لا تساوي واحداً في الألف على الاطلاق وكان من المعروف أنه يعطيهم الحياة وهم يبتغون الموت.

إذاً هؤلاء بالضرورة وبالتأكيد لم يكونوا شهداء بغير اختيارهم فهم اختاروا أن يستشهدوا حينما وُضع أمامهم خيار الحياة وفقاً لشروط معيّنة وهي الشروط التي كانت سائدة في المجتمع وخيار الشهادة أيضاً على شروط معينة هي الصيغة التي أعلنها الإمام الحسين (ع) إذن هم اختاروا طريق الشهادة.

أما النساء سواء كنّ هاشميات أو غير هاشميات وهذه نقطة آمل أن تبحث بعمق ـ وهنا أتساءل كيف أن الحسين يقول لأصحابه: «انطلقوا في هذا الليل وليأخذ كل واحد منكم بيد واحد من أهل بيتي»، ولم ترد عندنا أية اشارة في هذا الموضوع لقضية النساء، والنساء لم يكن عددهن قليلاً سواء كنَّ هاشميات أو كنّ صحابيات ويُحكى أنه كان هناك أُسَر ورُضَّع وصبيان صغار. تُرى هل الإمام الحسين اقترح النجاة والخلاص لمن معه من الذكور سواء كانوا من آله أو من أصحابه وأهمل موضوع النساء؟.

هذه إحدى النقاط الغامضة في نظري في موضوع الثورة الحسينية التي يجب أن تُبحث بعمق وتُعرف أبعادها ولنا فيها رأي سنذكره في هذه الأيام إن

شاء الله. إذن استشهاد الهاشميين من العباس رضوان الله عليه وإلى الشبان الصغار الذين استُشهدوا في الساعات الأخيرة وقبل استشهاد الإمام الحسين (ع) ومعهم الأصحاب الذين اختاروا طائعين وهم على وعي تام أن يموتوا.

هذه نقطة يحسن ابرازها. فإن هؤلاء لم يكونوا ضحايا ومن هنا أنا أقول للمفكرين والباحثين إن الكثير من شعر الرثاء الحسيني سواء كان بالفصحى أو باللهجة العاميّة ـ عراقية أو غير العراقية ـ فإن كثيراً من هذا الشعر الذي نُظم في العصور المتأخرة ولاحظنا هذا في كتابنا عن (ثورة الحسين (ع) في الوجدان الشعبي) أن كثيراً من هذا الشعر لا يعكس الحقيقة، بل هو يقدِّم الحالة الحسينية وأهل بيت الحسين وأصحابه وكأنهم ضحايا أو أناس فقراء مستضعفين حُوصروا ولم تُتح لهم فرصة وقُتلوا.

هذه الصورة فيها خلل كبير. وأنا أقول هذا لأن الثورة الحسينية هي إحدى أعظم الروافد التربوية التي يجب أن تدخل في تكوين الإنسان المسلم والإنسان العربي في عصرنا هذا. وأعتبر هذا اقتراح أطرحه الآن أن على برامج التربية والتعليم في ما يتعلّق بالتاريخ الإسلامي أو بالتربية المدنية تستعين بقضية الحسين وما شابهها ويوجد في تاريخنا الكثير من أمثال هذه المآثر التي يأتي في قمّتها وفي مقدمتها ثورة الإمام الحسين (ع).

ولكن الإمام الحسين بنفسه هل كان ضحيّة يا تُرى؟ وهل كان شهيداً رُغم أنفه أم كان شهيداً لأنه لم يكن أمامه أي طريق آخر إلا طريق أن يُقتل؟.

هذه النقطة أيضاً تُقدَّم في بعض الحالات بصورة خاصة كما كان آله وكما كان أصحابه شهداء باختيارهم وبإرادتهم وتخلوا تخلياً طوعياً واختيارياً عن حياتهم وعن علاقاتهم والإمام الحسين (ع) كان هكذا أيضاً فقد عُرض عليه أن يستسلم فرفض.

والإمام بنفسه عرض أن يُترك ويعود إلى المدينة وعرض أن يُرجع الأمر شُورى وعرض أن يُترك لأن يختار مقراً آخر غير المدينة.

إن هذه العروض الثلاثة رُفضت وعُرض عليه أن يقبل بصيغة القبول

بالحكم القائم وهنا وبالاذن من خطباء المنبر الحسيني فإنها تُطرح صورة وهي أنه قيل للحسين (ع) «في رفض العروض والمفاوضات» أن تأتي مستسلماً إلى عبيد الله بن زياد.

أنا شخصياً أشك بهذه الصورة كثيراً، وأعتقد أن الكثير من التفاصيل التي تحكي أحداث الثورة الحسينية قد دخل فيها شيء من التحويل والزيادة من أجل إظهار بشاعة نظام الحكم القائم وإظهار مظلومية الإمام (ع) وآله وأشك في أنه كان الخيار بمجرد الاستسلام لعبيد الله بن زياد.

والذي يبدو أن الإمام الحسين (ع) وُضع أمام خيار أن يقبل بما رفضه في المدينة وهي صيغة الحكم القائم والتي ظلّت من دون أن يتخللها أية اهانات وحكاية قطع الرؤوس فإنها من النذالة التي قام بها عبيدالله بن زياد ومن كان معه ومن أعوانه وبعد أن انحسم الموقف نهائياً وسقطت كل صيغ الاتفاق.

إذن كما أن الهاشميين وكما أن أصحاب الحسين استشهدوا باختيارهم وأرادوا الشهادة باختيارهم ولم يكونوا مكرهين عليها بل كانت لديهم خيارات مقبولة أخرى كذلك الإمام الحسين (ع) كانت لديه خيارات مقبولة ولكنه رفضها.

وكما قلنا في الماضي وما نزال على رأينا وهو أن حركة الإمام الحسين هي حركة استشهادية ولم تكن حركة سياسية ساذجة لإنسان عنده مشروع سياسي «مشروع سلطة» وفشل ودفع ثمن فشله، ولكن الحسين (ع) دفع ثمن نجاحه ولم يدفع ثمن فشله، والكتاب الذي يُروى عنه والذي فيه أن من تخلّف عنّا لم يُدرك الفتح إنما هو يكشف عن بُعد من أبعاد هذا الموقف، فالحسين (ع) دفع بشهادته ثمن النجاح ولم يدفع ثمن الفشل.

هذه رؤية لهذه الثورة ولهذا الإمام العظيم، ولكن ما علاقة هذا بما نحن فيه أيها الأعزاء؟ نحن الآن نواجه هذا في منطقتنا سواء كان في لبنان أو في سوريا أو في العالم العربي كله فإننا نواجه فيما يتعلق في الحركة الصهيونية وبالكيان الصهيوني الإسرائيلي، نواجه حالة مشابهة بشكل أو بآخر. فإنه تُعرض

علينا خيارات (دولاً وشعوباً) وآخرها هو ما يُسمى (الأرض مقابل السلام) وصيغة مدريد وما إلى ذلك ، ويُعرض في مقابلها هذا الوضع القائم الذي يُكرِّس صهيونية ويهودية فلسطين وصهيونية ويهودية القدس ويُخرج الشعب الفلسطيني وخاصّة المسيحيين من القدس ويُحوِّل القدس إلى مدينة يهودية بالدرجة الأولى أمام قيادات العالم العربي والإسلامي وأمام القمة الإسلامية التي ستُعقد في آخر هذه السنة أو القمة العربية التي يُمكن أن تُعقد في أي وقت أو أمام أي تجمُّع عربي. توجد هذه الخيارات التي كان نظيرها مطروحاً في الماضي.

تُرى هل القبول بخيارات الإستسلام يُنجي؟ أو أن صيغة «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل» هي التي تُنجي؟. قلنا ولا نزال نُكرر حتى الآن أن الموقف السليم في نظرنا هو موقف رفض الاستسلام ورفض صيغ التوافق والآن فإن الحكومة الإسرائيلية القائمة والتي تُنكِّل باللبنانيين وبالفلسطينيين وبالسوريين وبالعرب وبالمسلمين والمسيحيين أجمعين فإنها تجد حياتها وقوتها في من يتعامل معها. يُجتمع معها ويُتباحث معها. فالأميركيون بين الوقت والآخر يُرسلون مندوبين.

تُرى هل الذي يُؤصِّل الموقف والذي يُثبِّت الموقف هل هو صيغة الاستسلام؟ أم هو هذه الصيغة الكربلائية التي تمارس الآن في جبل أبو غنيم أو في بيت لحم أو في غيرهما من مواقع المواجهة الفلسطينية على أيدي الصبيان والفتيات والرجال والنساء بالحجارة أو بغير الحجارة؟ هل هي صيغة مدِّ الأيدي على شاكلة اتفاق أوسلو الذي رأينا كيف انتهى أو غير اتفاق أوسلو أو هي على طريقة مواجهة الإسرائيليين بصيغة المقاومة ومنطق المقاومة. ولا أعني فقط مقاومة الجماعات المجاهدة في جنوب لبنان والبقاع الغربي وفي فلسطين أو في أي مكان آخر وأعني حتى مقاومة الدول. فحين نلاحظ الموقف السوري اللبناني كدولتين فإننا نلاحظ أنه موقف مقاوم فالمقاومة ليست فقط أن تطلق قنبلة أو رصاصة، بل هي أيضاً أن تقول لا حينما تكون لا في موضعها.

فالموقف هو هذا والموقف الذي نستفيده هو هل نكون شهداء بصيغة

ضحايا؟ أو نكون شهداء مختارين. والشهادة لا تعني أبداً الموت.

أمّا الموت فإن الناس يموتون أبداً وأمّا القتل فإن الناس يُقتلون دائماً والسؤال هو هل أن هذا المشروع سينجح أم لا؟.

نحن نلاحظ من سنة ١٩٣٦ إلى الآن، مضى ستون سنة على هذه المواجهة وبدأ المشروع الصهيوني من كونه مشروعاً صغيراً إلى أن أصبح الآن دولة عُظمى بكل معنى الكلمة وذلك نتيجة لروح المساومة وروح المداورة وروح حساب المستقبل الغلط، والنتيجة كانت هي أننا الآن نطلب ما لم نكن نرضى به في الماضي والآن يأتي المبعوث الأمريكي أو الأوروبي كما كان يأتي وُسطاءٌ بين الحسين (ع) وبين يزيد بن معاوية. ولكن ماذا ربحنا؟ فالشهداء ما يزالون يتساقطون والضحايا لا يزالون يتساقطون والأرض لا تزال تُنهب والكرامة لا تزال تُستباح من دون أن يكون هناك أي منطق وأي مكسب بوجه من الوجوه. وأنا حين أقول وأُكرِّر أن الثورة الحسينية هي ثورة معاصرة دائماً تستطيع أن نرى فيها الكثير من أحوالنا الحاضرة ومن مواجهاتنا الحاضرة أعني أمثال هذا التنظير الذي ذكرته لكم الآن فالإمام الحسين ليس شهيداً مضطراً أو مجبراً على الشهادة، بل اختار لنفسه هذا المصير وكان قادراً على أن يختار مصيراً أفضل، والهاشميون ليسوا شهداء مضطرين ولم يقعوا في فخ أو ضحية خديعة أبداً، بل كانت الطريق أمامهم واضحة واختاروا أحسن الطريقين وكذلك أصحاب الإمام الحسين (ع).

حينما نواجه بين الاختيارات السهلة وبين الاختيارات الصعبة يجب أن نُميِّز بين حالتين.

فتارة واحدنا يقع في مشكل فردي، أنا أو أنت عندنا مشكلة ففي هذه الحالة نعم، فلا يجب على الإنسان أن يُلقي بنفسه في أصعب المواقف، فإذا وجد مخرجاً فإنه يختار هذا المخرج ولا يختار الطريق التي تُؤدي به إلى الهلاك. هذا على قضايا الأفراد فحين يواجه عدواً فإما أن يقتله وإما أن يساومه فالأفضل أن يساومه ويُنجي نفسه من القتل كمثل القول الوارد في القرآن

الكريم ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾[1] عن العفو والصفح في القضايا الفردية، يعني إذا أساء أحدنا إلى الآخر فيمكن للإنسان أن يقتص ويأخذ بالعدالة ولكن من الأفضل له أن يعفو وأن يصفح.

أمّا في القضايا العامّة فإنه لا يجب أن يُحسب حساب النجاة الشخصي فالإمام الحسين (ع) لو أنه خرج من أجل مشروع شخصي لكان يجب عليه أن يساوم من أجل أن يُنقذ نفسه ومن أجل أن يُنقذ مشروعه الشخصي ولكنه وكما قلنا أنه خرج من أجل مشروع عام وكما قال (ع) «إنما خرجت من أجل إصلاح أمة جدي»، حين ذلك لا العفو ولا الصفح الشخصي ولا المساومة الشخصية تنفع وإنما تكون على حساب المشروع العام.

والآن وفي حياتنا الوطنية في لبنان سياسية كانت أو اقتصادية أو نقابية قد تحدث أزمة تتعلّق بالمصير العام وبالوضع السياسي العام أو الاقتصادي العام أو الثقافي العام فمثلاً هناك أزمات دائمة في الجامعة اللبنانية أو التعليم الرسمي أو الخاص فإن هذه الأزمة تتّصل بالشأن العام وأريد هنا أن أبيّن أنه لماذا يقع الفساد في حياتنا العامة. والأزمات التي تتعلّق بالشأن العام كثيرة كقضايا العمال والأجور وقضايا المواد الغذائية في المحلات والمتاجر وهنا أروي لكم حديثاً دار بيني وبين أحد المفتشين أو الموظفين في ما يُسمّى بمصلحة حماية المستهلك الرسميّة حول طريقة عمله وصلاحياته في ردع المخالفات الموجودة أكانت عن طريق بيع مواد غذائية فاسدة أو أدوية غير مرخّص بها أو فاسدة فإنه يتم مصادرة هذه المواد الفاسدة وتوقيف صاحب العلاقة على مخالفته القوانين المعمول بها في هذا الشأن ولكنّه أحياناً يتم اتصال أو تدخُّل من أحد النافذين أو المسؤولين للتستُّر عن هذه المخالفة أو لإخلاء سبيل المخالف، وهذا ما يحصل مع الأسف وبالتالي فإن عملنا لا يبلغ المطلوب أكان على مستوى الأمانة أو الوظيفة في العمل.

ذكرت لكم هذا لأبيّن أنه ما معنى أنه يكون بدل الأدوية الشافية أدوية مضرّة أو مميتة وبدل المواد الغذائية للكبار وللصغار مواداً فاسدة وما معنى أن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

يتعطَّل دور المكلفين لحماية المواطن لحماية الإنسان في العابثين بأمنه الغذائي والحياتي.

هذا شأن عام يتصل بصحة كل إنسان، صحة الطفل والرجل والمرأة والمرضعة والرضيع. فكيف يجوز للمسؤول الكبير كائناً من كان أن يُعطي توصية بإعفاء هذا التاجر أو هذا المستورد من الخضوع للقانون. والشأن العام عندما تدخله مصلحة خاصة فإن المجتمع يتعرض للانهيار، . وأنا أعلم أن هناك مستوردين يذهبون إلى بلاد قريبة، قبرص أو غيرها ويشترون بضاعة فاقدة الصلاحية والشعب اللبناني العزيز الشريف يستهلك هذه البضائع.

هذا كان في الماضي أما الآن فإني أطلب من على هذا المنبر من كل الجهات ذات الصلاحية من وزارة اقتصاد ووزارة التجارة ووزارة الشؤون الاجتماعية أن تدقق في هذه الأمور، فمثلاً أن يربح تاجر على حساب صحة عشرات الألوف من المواطنين فإنها جريمة كبرى وهذا مثال بسيط لما يمكن أن ينشأ من جرائم وكوارث من تدخُّل الشأن الخاص بالشأن العام، من تدخُّل المشروع الخاص بالمشروع العام.

فالإمام الحسين (ع) طُلب منه هذا أي أن يكتب بطاقة بأن هذا التاجر اتركوه، وأضرب لكم مثلاً آخر من السيرة النبوية، كلُّكم أو جلُّكم يعرف القصة المشهورة عن أبرهة وغزوة مكة وحين جاء أبرهة الحبشي وحاول أن يهدم الكعبة لأنه بنى كعبة في صنعاء، وهذا مثل كيف نبني رموزاً ونهدم رموزاً أخرى، أي كيف يُستخدم الدين في ذلك ولنا في مجال آخر كلام عنه لاحقاً.

فأبرهة صادر الإبل التي كانت تخصُّ عبد المطلب، وأهل مكة كانوا قد هربوا من طريقه لأن لا قبل لهم في مواجهته وصعدوا إلى الجبال وكاد أبرهة أن يدخل مكة، فذهب عبد المطلب لملاقاة أبرهة وتحدث معه في الإبل بعد أن كان قد استقبله استقبالاً عظيماً وهو بما يمثِّل من زعامة عربية ورئيساً للكعبة، وتخيَّل أنه قد جاء يفاوضه في الشأن العام، شأن مكة والبيت الحرام والشعب والأمة، ولكنه تحدَّث معه في الإبل، وقال له إن جيشك قد أخذوا إبلي، وأطالبك أن تردها لي، فأجابه أبرهة أنه كان يتوقَّع منه أن يسمع مفاوضات حول

انقاذ البيت، الكعبة، وكان واضحاً أنه رجل شريف ومبدئي، فقال له إبلي أنا ربُّها وللبيت ربٌّ يحميه، ولم يُدخل الشأن الخاص بالشأن العام، ولو أن عبد المطلب كان سياسياً، وهو الفرق بين السياسي ورجل الدولة، بين السياسي وصاحب المبدأ، لطرح قضية الكعبة وقضية الحرم ويساوم عليها ويبيعها بالإبل، وهذا شأن السياسيين المرتزقة، طبعاً يوجد عندنا سياسيون على مستوى عالٍ ونحن نقدِّرهم ونحترمهم ونحن نتحدث عن الحالة العامة وعن الشأن العام، وكيف نحافظ عليه ونفاوض عليه فإذا تبينت السلعة الأطروحة ينفتح «بازاراً» ما هو الثمن.

والآن في حياتنا الدينية والسياسية في الصلاة حتى الأحكام يوضع المشروع العام في السوق ويقال ماذا تدفعون، ماذا تعطيني لأجل أن أقدم لك التقليد، وحين ذلك يوضع المشروع العام في خدمة المشروع الخاص ونأتي هنا إلى مثالنا الذي ذكرناه فنقول لا يجوز لنا أبداً في حياتنا السياسية والاقتصادية والثقافية والنقابية وأي حقل كان أن نخلط بين الخاص والعام، فالإنسان إن كانت له حاجة خاصة فهذا عادي وكما قال عبد المطلب: (إبلي أنا ربها وللبيت رب يحميه) فالإمام الحسين (ع) ومشروعه الخاص كان قد تركه أي لم يكن له مشروع خاص بالأصل. ولو فرضنا أنه كان عنده مشروعاً خاصاً فإنه كان قد تركه، وحين حصلت المواجهة جاءت هذه المساومة أنه يجب أن تبيع المشروع العام، وهو مشروع الأمة، مشروع النهضة، مشروع حماية الشريعة في الاستغلال والتزوير، وكان جواب الحسين (ع) أنه لا يبيع، ولا حتى نظام يزيد بن معاوية يصلح لأن يشتري، ومن هنا فإنه اختار ولم يكن مضطراً بل كان قادراً على أن يحمل أكبر منزلة في المجتمع الإسلامي، على مستوى مشروعه الخاص، فعظمة الحسين (ع) وعظمة أهل البيت دائماً من رسول الله وعلي إلى أهل البيت فمثلاً اذكر لكم وللإضاءة أيضاً، وهي قضية مشهورة، حينما جاءت قريش وعرضت الامتيازات العظمى على رسول الله وكانوا يقولون لأبي طالب: إن أراد ابن أخيك ملكاً ملّكناه علينا أو أراد ثروة جمعنا له من أموالنا ليكون أكثرنا مالاً، وجاء أبو طالب رحمه الله ينقل هذه العروض فكان جواب رسول الله «يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا

الأمر أو أهلك دونه ما تركته» وهذا حين كان الرسول محاصراً، مطارداً، أو كان يعلم الغيب بأن الإسلام سينتصر وسيملأ الخافقين، ولكنه كان لا يزال مشروعاً في ضمير الغيب.

قريش عرضت المشروع الخاص، والامتيازات الخاصة، ولكن الرسول يملك المشروع العام، وكذلك الحسين (ع) فنحن في زماننا وفي ظروفنا فإن لكل منّا حالته الخاصة وحياته الشخصية أو العائلية، وخاصة الناس الذين لهم شأن في المجتمع، ويوجد المشروع العام، المشروع الخاص شأنك أن تعمل به بوسائلك الخاصة ولكن إيّاك أن تُدخل المشروع العام في مشروعك الخاص، إياك أن تُخدع عن دينك تحت أي شعار، إياك أن تخدع عن التزاماتك الأخلاقية تحت أي شعار، وهذه الكلمة التي تُردد دائماً (يا ليتنا كنّا معكم لنفوز فوزاً عظيماً) فإني أعتبر أن هذه الصياغة فيها شيء من عدم الدقة فنحن الآن وفي كل وقت قادرون على أن نكون معكم أو لا نكون معكم، فطريقة اختيار حياتنا، وطريقة مواجهتنا لالتزاماتنا، وطريقة وفائنا لعهودنا مع الله ومع الناس هي التي تجعلنا معهم أو لا تجعلنا معهم. لأن هذا المشروع وهذه الأطروحة هي ليست مشروعاً موقتاً في سنة ستين للهجرة والآن نعمل ذكرى أربعين للحسين. لا، إنما هو مشروع متجدد، والقضايا العامة هي قضايا دائمة التجدد، هي لا تكون عتيقة فالحسين (ع) الآن جديد، والآن الحسين عطشان، وأطفاله عطاشا وهم أيضاً خائفين، والآن زينب لها مواقفها وذلك لأنه مشروع عام ومشروع متجدد.

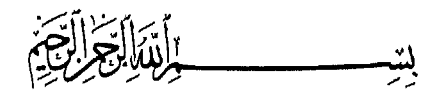
أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الوعي والبصيرة ونكون ممن قال الله فيهم ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[1] رعاكم الله وحفظكم والسلام عليكم جميعاً رجالاً ونساءاً ورحمة الله وبركاته.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٨.

ثورة الحسين هي ثورة الشباب

٣ محرم سنة ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الذين اتَّبعوه باحسان وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين، ونخصُّ بالسلام الإمام الحسين (ع) وآله وصحبه فنقول، السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلَّت بفنائك وأناخت برحلك ، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار.

هذا السلام، هذه التحية المقرونة بطول العمر، طول البقاء والمقرونة باستمرار الزمان، هي ليست تحية مقطوعة أو محددة بل هي دائمة، وهذا أحد بلوغ حقيقة أن الثورة الحسينية هي ثورة حيَّة ودائمة، السلام والتحية لكل القضايا الحيَّة، للقضايا المتحركة، ولأن قضيَّة الحسين (ع) قضيَّة حيَّة ومتحركة يكون السلام عليه وتحيَّته تحيَّة دائمة.

من وجوه هذه القضيَّة التي تتصل بحياتنا في لبنان وفي غير لبنان قضيَّة جيل الشبَّان والشابَّات نلاحظ بروز عنصر الشبَّان في كربلاء. فقد كانوا من أصحاب الحسين (ع) وفي أهل البيت عنصراً بارزاً مثل أشخاص من نوع مسلم بن عوسجة أبناء السبعين والثمانين ونجد أشخاصاً من أبناء الخمسين

والستين، ونجد أشخاصاً من أبناء الثلاثين والأربعين ولكننا نجد أشخاصاً شباناً وصبايا من جيل الخمسة عشر والعشرين والخمس وعشرين سنة. نفهم أن الشيوخ كبار السن الذين يستقبلون نهاية أعمارهم أنهم يفكرون في آخرتهم أو أنهم على وعي كامل بقضيَّة الحساب وقضيَّة الأمة، ولكن هؤلاء الشبان والشابات الذين كانوا مع الحسين (ع) والذين عُرض عليهم أن يذهبوا كما حدَّثتكم عنه وعُرض عليهم أن ينجوا بأنفسهم وأن يخرجوا من المعركة، وعُرض عليهم هذا بكل رضى من الحسين أي ليسوا فارّين ومتخاذلين بل يكونون ممن شملهم العفو أو الإعفاء من الخدمة، ويكون حالهم مرْضياً ويُعفون من مواجهة المصير المحتوم من تجرُّع الكأس المرَّة، كأس الموت، بهذا الشكل الفجيع.

ولكننا نجد أنهم جميعاً ومن الغريب أن التاريخ لم يحدِّثنا عن أي رجل أو أي شاب أو أية امرأة أو أية صبيَّة استفادوا من هذا الاذن ومن هذه الرخصة التي أعطاهم إياها الإمام الحسين (ع) بل كلهم أصرُّوا على أن يثبتوا إلى النهاية.

ويُنقل إليكم من قرّاء المنبر أن بعضهم يقول والله لو قُتلت ثم بُعثت ثم قُتلت ثم بُعثت يُفعل بي ذلك مئة مرة فأنا لا أتركك يا أبا عبدالله.

هذا التصميم في جيل الشبان يكشف عن شيء هام. فالحياة نعرف أنها عزيزة، وهي ليست شيئاً هيِّناً هي اللَّذة العظمى، والتنازل عنها والتفريط بها بهذا التصميم يكشف عن أن هؤلاء الشبان كانوا كآبائهم الأكبر سناً منهم وأعين للقضيَّة ويمكن أن نقول مثلاً أن علي الأكبر ابن الحسين (ع) ولا يعقل أن الابن يترك أباه، ويمكن أن نقول أن القاسم ابن أخ الحسين (ع) لا يعقل أن يترك عمه، ولكن يوجد في كربلاء شبان وشابات لا تجمعهم مع الحسين أية قرابة بل يوجد فقط صحبة وعلاقة معنوية وعلاقة عقائدية والعلاقة المبدئية.

هؤلاء الشبان والشابات لا نفهم من بقائهم ومسيرهم مع الحسين (ع) واستمرارهم معه وثباتهم في صفوف المجاهدين إلى أن قُتلوا جميعاً، إلى أن استُشهدوا جميعاً فإننا لا نفهم إلا شيئاً واحداً وهو أن هؤلاء كان وعيهم العميق والصافي للقضيَّة وعياً كبيراً وعلاقتهم كانت بالمبدأ علاقة كاملة وعلاقة صافية

جعلتهم يثبتون مع الحسين (ع) في مواجهة المشروع الأموي المشروع السفياني، والذي مثَّله جيش ابن زياد.

هذه الظاهرة تطرح علينا في زماننا الآن قضيَّة نعيشها، ماذا عن جيل شباننا وشاباتنا.

نحن نعلم أن القوى الأجنبيَّة وفي مقدمتها الحركة الصهيونية، وهي تنصب الشباك والأفخاخ لا لهزيمة جيوشنا ولا لهزيمة القوى السياسية فينا وإنما لأجل الاستيلاء على عقول شبابنا وشاباتنا وأكاد أقول أنهم لا يهتمون لأبناء الأربعين وأبناء الخمسين، بل يهتمون بالطلاب في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات، لأجل السيطرة على عقولهم وقلوبهم ومن أجل رسم اهتمامات ومبادىء وغايات تختلف عن اهتمامات ومبادىء وغايات الأمَّة.

وتحت شعارات كثيرة، منها شعار الحضارة وشعار المدنيَّة وشعار الثقافة وشعار حقوق الإنسان والإنسانية وشعار أن الحياة لذَّة، فلماذا تجعل عمرك يمضي من دون أن تغتنمه.

تأتي هذه الثقافة التي تشاهدها في التلفزيون وفي بعض المجلات والصحف وفي بعض الأغاني والأفلام السينمائية لتدمِّر كل شيء، تدمِّر عنصر العقيدة وعنصر الأخلاق وعنصر العائلة وعنصر الولاء للوطن وعنصر الولاء للأمة، وعنصر الولاء للمجتمع، تجعل من هذا الشاب بلا هوية، فإذا كان جندياً فسوف يكون بلا ولاء وإذا كان مثقفاً أو أستاذ أو تاجر أو عامل فسوف يكون إنساناً بلا قضيَّة. إنساناً همُّه أن يكسب مالاً وأن يعيش حياة رغيدة كيفما اتفق. هذا الخطر يواجه شباب العرب والمسلمين في هذه الأيام وأقول هذا أمامكم لا لمجرَّد المخاوف وإنما نتيجة لدراسات ونتيجة لأبحاث وتوجهات الاعلام والثقافة الموجهة إلى العالم العربي والعالم النامي. وقد سمعتم من عدة شهور بما سمِّي عَبَدَة الشيطان في مصر، وأخبركم أن هذه حقيقة وهذه الجماعات بدأت توجد في عدة مناطق من العالم العربي والعالم الإسلامي وهي آفة حقيقة تبدأ بهذه البداية البسيطة، أي بمجموعة من الصبيان والصبايا وتنتهي لتصبح آفة كبرى من آفات المجتمع.

هؤلاء الذين يجدون ملاذهم في التحلُّل من كل القيم وفي المخدرات، لا أنهم يكونون مجرد أعضاء معطَّلين في المجتمع بل يكونون قنابل موقوتة داخل المجتمع.

وهنا أرجع إلى الثورة الحسينية وأقتبس منها مثالاً واحداً، يمكن أن يُمثِّل لكم كيف أن نقطة فاسدة أو عضواً مريضاً يمكن أن يخلق حالة دمار شامل.

سمعتم وتسمعون قصة مسلم بن عقيل، وكيف عمل وكيف آل أمره لأسباب متنوعة، ولكن كيف آل أمره في النهاية في البيت الذي لجأ إليه وفي البيت الذي لاذ فيه واستأمنه، وكيف إن هذا الشاب الذي لجأ مسلم إليه وهو ضيفه وفي حماه، كيف أن بكل لؤم وبكل نذالة يذهب فيشي بضيف أمه بل بضيفه الشخصي وذلك لأن هناك جائزة لمن يكشف سرَّ مسلم بن عقيل ويضعه في يد السلطة. وهكذا ترون أن شخصاً واحداً يمكن أن يكون سبباً لفشل مشروع بكامله.

نحن لا ندري والله أعلم أنه لو لم تحدث هذه الخيانة ولو أن مسلم استطاع أن يتسلل من الكوفة وأن يخرج من دائرة الحصار وكان ذلك ممكن جداً، ويخرج من الكوفة لا نعلم ماذا سيحدث بالنسبة لكل مجرى الأحداث إذن خيانة واحدة قلبت المعادلات برمتها.

وحين نلاحظ أن هناك سياسة مرسومة ضدّ المجتمع العربي بشكل خاص وضد الأمة الإسلامية بشكل عام ولكن التركيز المطلق والهائل فإنه يتناول العرب لأنهم يسكنون نفس المنطقة التي يتكالب عليها العالم.

ونتذكر هنا قول الرسول (ص) لأصحابه في يوم من الأيام «كيف بكم إذا تداعت عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»[1] فالناس يتعازمون بعضهم ليقولوا «تفضَّل» ويمدُّون أيديهم ليأكلوا، ويقول رسول الله لأصحابه أي المسلمين جميعاً أنكم ستكونون مثل قصعة الطعام، كل قوة أجنبية تُضيف دولة

(١) الحديث: «الأمم أنْ تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» أخرجه أبو داود في الملاحم باب ١٥، وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٨.

ثانية، تفضلوا كلوا، يأكلون ماذا؟ يأكلون نفطاً، يأكلون زراعة، يأكلون صناعة يأكلون مياه، فكيف يمكن هذا؟. ويسأله الصحابة (أمن قلَّة يا رسول الله)، أي قليلين وضعفاء، فيقول لهم أنتم يومئذٍ كثير ولكن كثرة كغثاء السيل، وغثاء السيل هو العشب الخفيف الذي ينبت في الربيع الذي إذا يبس وجذوره بسيطة في الأرض تجرفه السيول بسهولة إنما الأشجار القوية لا تجرفها السيول.

يقول أنكم كثيرون ولكن ضعفاء.

بماذا ضعفاء؟.

ضعفاء بالمال وهو كثير. ضعفاء بالسلاح وهو كثير ضعفاء بالعلم وهو كثير.

الآن الأمة العربية أو الإسلامية فيه عدد كبير من العلماء من جميع الاختصاصات، من علوم الذرَّة إلى أبسط العلوم، إنما العلة موجودة في القلب. إذن ما هي القضيَّة الأولى أو الهم الأول. أهي شخصية أم قضية الحياة الخاصة، قضيَّة اللذة الشخصية، أم يوجد إيمان عام أو قضية عامة.

إن الخطر في تربية الجيل، إذ ليست له قضية عامة أبداً فكل قضاياه قضايا شخصية، فالذي ليست له قضية عامة يمكن أن يبيع كل القضايا بدراهم. مثل ابن طوعة الذي باع كل شيء بدراهم معدودات، وهي جائزة ابن زياد.

أما الآن ومن فترة شهرين تقريباً حين اعترضنا على قرار مجلس الوزراء فيما يتعلَّق بالتعليم الديني، والذي جعل مسألة التعليم الديني في المدارس تعليماً طوعياً، اختيارياً وخصَّص أيام الأحد والجمعة للمسيحيين والمسلمين، أي أنهم يتعلمون مبادىء دينهم خارج صفوف الدرس أي يوم العطلة الاسبوعية ونحن سجّلنا اعتراضنا على هذا القرار الخاطىء وأنا الآن أكرر هذا الاعتراض وأقول بأننا نطالب باعادة موضوع التعليم الديني ليكونوا جزءاً من برنامج التعليم وجعله مادة إلزامية في التعليم الرسمي والخاص وأكثر من هذا فإننا نريد أن تكون علامة درس الدين علامة ملزمة أي لها تأثير في نجاح أو عدم نجاح الطالب. ولا أقول هذا الكلام بالنسبة للمسلمين فقط بل أقول حتى بالنسبة

للمسيحيين لأنه يهمني أن يكون أيضاً جيل مسيحي متدين لأن الإيمان بالدين والإيمان بالروحانية، والإيمان بالعزة الإلّهية هو أساس للأخلاق ويجب أن نميِّز تمييزاً كاملاً بين التربية الدينية التي تقوم على التعصُّب والانغلاق عن الآخر وعن رفض الآخر فإن هذا ليس من الدين في شيء فإن هذا تعصُباً والتعصُّب مخالف لجوهر الإسلام كما أنه مخالف لجوهر المسيحية. حينما أقول تريد أن يكون هناك أجيالاً مسيحية متديِّنة يعني متديِّنة بالكتاب بنحو تقبل فيه المواطن المسلم والشريك المسلم وكذلك المسلم.

ونحن عندما نطالب الدولة أن تُعيد الاعتبار إلى التعليم الديني، وهنا من الأهمية عندي أن يكون الناس أتقياء وأن يرزقهم الله الخلاص في الآخرة ولكن أيضاً أريد أن تكون حياتهم مبنيَّة على الأخلاق وعلى القيم وأن تكون عندهم قضية، في مقابل الهجمة المرعبة التي يوجهها الأجانب باتجاه الإسلام من أجل غسل أدمغة الشبان والشابات، الجيل الجديد، من المسلمين بشكل خاص وربما من غير المسلمين لكي يصبحوا لا يبالون بشيء، فالإنسان الذي لا مبدأ له لا يهمّه أن يكون الجنوب محتلّاً أو غير محتل. ماذا يهمه أن يكون هناك مشروعاً صهيونياً أو لا يكون، ماذا يهمه أن تكون القدس عربية أو أن لا تكون عربية، ماذا يهمه أن تكون فلسطين لأهلها أو أن تتحوَّل إلى دولة يهودية، إنه لا يهمه شيء وهذا ما يريدونه بالذات وهم يعرفون أن جيل المستقبل هو جيل الشبان ومن هنا التركيز على إفساد عقول وقلوب وأخلاق وقيم هذا الجيل، وهنا نأتي إلى مسؤولية العائلة، تُرى حينما نطالب بجعل تعليم الدين إلزامياً فهل تُعفى العائلة من المسؤولية فالأم والأب، الاخوة الكبارة والأخوات الكبيرات بالنسبة للأصغر سناً، فالقدوة الحسنة هي الأساس.

يا أعزائي، إن العائلة التي يرى أطفالها آباهم وأمهم عندهم شيئاً من التمسك بالقيم وبالأخلاق سينشؤون على هذا، وأن الذين لا يرون في بيتهم وما حولهم وفي تعاملهم أي معنى من معاني القيم سينشؤون مجردين من القدوة الحسنة.

إن هذا الموضوع هو أحد الموضوعات المهمة في حياتنا الحاضرة وأنا لا

أريد أن أخيف أحداً ولكن حينما تصل الدعايات الأجنبية والثقافة الفاسدة إلى حدّ أن تنشأ في صميم مجتمعاتنا ما يسمّى عَبَدَةُ الشيطان، فإنه إنذار كبير وخطير جداً، وعلينا أن نعي هذا الخطر قبل وقوعه حتى لا نقع فيه، لأن تفادي الخطر قبل وقوعه هو شأن ذوي البصائر الذين يدركون المستقبل ويتجنبون مخاطره.

نعود إلى أمثولة الشبان والشابات من أصحاب الحسين (ع) الذين رافقوه وثبتوا معه إلى النهاية لنجد أن هذه السيرة وأن هذه الصورة كانت موجودة في عهد رسول الله (ص) مثلها الأكبر من هو؟ إنه علي بن أبي طالب (ع) الذي حمل لقب الفتى (لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار) نموذج جيل الشبان المستنيرين الملتزمين يتمثّل في أمير المؤمنين علي (ع) ويتمثّل في علي الصبي الذي كان يرافق النبي في أوائل ظهور الإسلام في مكة ويواجه المشركين الذين كانوا في تلك الحقبة.

ويتمثّل في علي الشاب الذي قدّم نفسه طائعاً مختاراً في ليلة الهجرة ونام في فراش النبي معرضاً نفسه لحوالى عشرين سيفاً من سيوف المشركين المتآمرين من بطون قريش، في سبيل هدف واحد وهو سلامة النبي بما هو مبيَّن في الإسلام العزيز، وعلي الشاب والزوج صاحب الأسرة الصغيرة الذي كان يخرج في معارك رسول الله، وهي معارك الإسلام، ويعود جريحاً مُدمَّى إلى الشابة الأخرى التي تُمثّل جيل نساء المسلمين المستنيرات ألا وهي الزهراء سلام الله عليها، وهي تارة تُضمِّد جراح أبيها وتارة تُضمِّد جراح زوجها، ونستذكر هنا، لا ينبغي أن تنطفىء شعلتها ولا أن ينطفىء بهاؤها.

سلام الله عليكم جميعاً نتواصى كما أمرنا الله سبحانه وتعالى فنقول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[1] نتواصى بالحق ونتواصى بالصبر على تحمُّل تكاليف حياتنا والتزاماتنا وإيماننا في أسرتنا وفي مجتمعنا ونقبل التعاون والانفتاح مع جميع القوى ومع جميع الفئات لأجل صيانة هذه البلاد وصيانة هذا المجتمع والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

(١) سورة العصر، الآية: ١ ـ ٣.

شعار الحسين، شعار الحق

٤ محرم ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الذين اتَّبعوه باحسان وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين، ونجدد التحية والسلام إلى سيدنا أبي عبدالله الحسين (ع) فنقول السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلَّت بفنائك وأناخت برحلك يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً.

تحدثنا بالأمس عن جيل الشبان والشابات وعن دور هذا الجيل في نهضة المجتمع والأمة وعن الأخطار الكبيرة التي تتهدد شباننا ذكوراً وإناثاً في أرواحهم وفي عقولهم وفي أخلاقهم ورأينا قبساً من النهج القويم الذي يجب أن نسير عليه في هذه القضيَّة، ورأينا قبساً من الشبان الذين شاركوا إلى النهاية في نهضة الحسين (ع) في كربلاء والذين حملوا هذا المشروع المقدَّس، مشروع النهضة الحسينية إلى أن استُشهدوا في سبيله.

وكنت قد حدَّثتكم قبل يومين عن المشاريع العامة والمشاريع الخاصّة، وحدَّثتكم عن أبرهة الحبشي والكعبة الشريفة وعن موقف عبد المطلب الذي

طالب بإبله وحينما أبدى أبرهة دهشته في أن سيِّد الحرم لا يتحدث معه عن الحرم بل يتحدث معه عن إبله التي صادرها جيش أبرهة وقال عبد المطلب كلمته المعروفة (إبلي أنا ربها وللبيت رب يحميه) هذه الأطروحة التي تُميِّز بين الخاص والعام وعلاقة جيل الشبان بها كله في عهد رسول الله وفي ما قبله وفي ما بعده إلى زماننا هذا.

نلاحظ أن كل المشتغلين في القضايا العامة، وكل القيمين على القضايا العامة يُعنونون أعمالهم بعناوين عامة، من قضايا الحرية وقضايا العقد الاجتماعي وقضايا حقوق الإنسان وقضايا حقوق العمال والطبقة العاملة وما إلى ذلك ويحاولون تسخير المجتمع وتسخير قوى المجتمع وإمكانات المجتمع لأجل الشعارات التي يرفعونها، ولكن الكثيرين منهم في واقع الحال يحملون قضايا خاصة ومشاريع خاصة يكون لأحدهم شخصاً كان أو مجموعة من المجموعات مشروعاً خاصاً، مشروعاً سياسياً أو اجتماعياً أو شخصي يريد أن يحافظ على موقعه فيه أو ليصل لموقع من المواقع فهو لا يسمِّي الأشياء بأسمائها بل يطرح قضيَّة عامة ويهادن خصومه في هذه القضية العامة، فهذا هو الشيء العلني.

أما الشيء السري وتحت الستار فيذهب الوسطاء ويبحثون في القضايا الحقيقية ويُقال فلان يريد كذا أو الحزب الفلاني أو الجهة الفلانية تريد كذا، ويقال بصراحة ارضوهم، أو أعطوهم تسير الأمور على ما يرام، وتُورِّط الناس في مآزق قد تصل إلى القتل، وتصل إلى خلق مواجهات بين مجموعات المجتمع، بين القوى السياسية والاجتماعية قد تصل إلى إثارة الفتنة وواقع الحال أن القضية العامة هي ليست المقصودة على الإطلاق، إنما المقصود في الواقع هو القضية الخاصة أو المشروع الخاص، هذه الظاهرة هي من ظواهر الاجتماع السياسي في غالب عهود البشر وقد نوه بها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في آية من آيات اللوم والعتاب حينما قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾[1] فإن تعدُّد الوجوه

(١) سورة الصف الآية: ٢ ـ ٣.

وتعدُّد الألسنة من قبيل الكلمة الشهيرة التي تسمعونها من خطباء المنبر الحسيني المنسوبة إلى الفرزدق الشاعر حينما سأله الحسين (ع) عن حال الناس فقال له (قلوب الناس معك وسيوفهم عليك) هذا التلوُّن ـ فالمشاريع الخاصة حين تدخل في المشاريع العامة، ومن هنا قول الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1] القول السديد هو القول الصادق الموافق لمقتضى حال المرحلة، الموافق للمشكلة الذي ليس فيه نفاق وليس فيه تعدد الوجوه وتعدد الطروحات وخداع الشعارات.

عبد المطلب حينما قال لأبرهة بكل وضوح وصراحة (إبلي أنا ربها وللبيت رب يحميه) حينما لاحظ عبد المطلب أنه هو وقوته عاجزون عن حماية البيت ولا يستطيع أن يخدع الناس ويزج بهم في معركة غير متكافئة حينئذٍ ترك الأمور لله سبحانه وتعالى وتحدث عن الأمر الذي يخصه، فعبد المطلب لم يذهب إلى أبرهة ليفاوضه على الكعبة ويبيعه الكعبة فمثلاً كما جرى ويجري بالنسبة لقضية فلسطين أن قيادات عربية كثيرة وبدون ذكر أسماء كانت تطرح قضية فلسطين والشعب الفلسطيني والقضية العربية حتى تقلصت هذه الأمور وأصبحت قضايا خاصة جداً وانتهى الأمر بفلسطين إلى أن بقيت كما نراها الآن تُنتهك في كل يوم وتُستوطن ويشرَّد شعبها والقضية العامة انسحبت لتصل القضايا الخاصة.

الذين حاربوا الحسين (ع) والجيش الكبير الذي استطاع عبيدالله بن زياد أن يحشده والواقع أنه أمر مثير للدهشة، أن ابن زياد وأكثر الجيش كان مؤلفاً من مناطق كثيرة ولكن أكثريتها كانت عراقية ومن بلاد الشام أيضاً.

هؤلاء الذين عايشوا علياً (ع) وعايشوا الإمام الحسن (ع) ورأوا مرارة الحكم الأموي وإذلال الحكم الأموي، استطاع عبيدالله بن زياد مع علمهم أصله وفصله أن يجنِّد منهم على الأقل ثلاثين ألف مقاتل. تحت شعار محاربة الخارجين عن الإسلام. وتبيَّن أن الذي يُدعى خارجي هو الإمام الحسين الذي يعرفونه ويعرفون أباه وجده وفي صلاتهم يصلّون على جده، ومع ذلك وبكل

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٧٠ ـ ٧١.

بساطة فإن أكثرهم استمروا في المعركة إلى نهايتها.

ما الذي حصل، هل كان هؤلاء-الناس في عقائدهم كفرة؟ الجواب لا لم يكونوا كفرة، وفي أحكامهم الشرعية هل كانوا مرتدِّين، هل كانوا تاركين للصلاة أو للصوم، أو للحج، والجواب لا. بل كانوا يؤدون عباداتهم بشكل عادي. إذن ما الذي حصل؟.

الذي حصل هو ما نسميه (غسل الأدمغة) الذي حصل هو أنهم غُلبوا على آخرتهم بدنياهم وتعرفون كيف كان ابن زياد يدفع الدراهم فمثلاً كانت الراتب مئة درهم فيدفع ابن زياد مئة ثانية بدل الحرب أو القتال، وكما قال زيدوا رواتب الناس مئة مئة، أي كل شخص يزيد راتبه مئة، وجُنِّدوا وارتكبوا أبشع جريمة في التاريخ من منظورنا نحن وربما توجد جرائم في التاريخ قُتل فيها أكثر ولكن مقتلة الحسين هي الأبشع.

وارتكبها هؤلاء والذين قسم كبير منهم كانوا يُصلّون جماعة وراء علي بن أبي طالب (ع) وكانوا يُصلُّون وراء الحسن (ع) ومنهم من صلّى وراء مسلم بن عقيل، مئة درهم جعلتهم يتجندون ويرتكبون جريمة. الذين جروا بخيولهم على صدر الحسين وظهره هم أشخاص من هؤلاء، والذين في الواقع قد خضعوا لعدة عوامل منها عامل الخوف وعامل الطبع وعامل الخديعة.

والآن وحين نتكلم عن جيل الشبان الذي يتعرَّض لكل هذه العوامل، الخوف والخديعة وتزيين الباطل كما نجد ذلك في كثير من أفلام التلفزيون وبعض المجلات والكثير من الأفلام السينمائية والكثير من التمثيليات والكثير من الأغاني، وكما حدَّثتكم عن عباد الشيطان في مصر الذين يمكن أن تكون بذورهم موجودة في كل مكان هؤلاء هم الزرع الخبيث الذي يمكن أن ينتج كربلاء ثانية وثالثة وعاشرة، فالمطلوب أن لا يكون في العرب ولا في المسلمين شبان وشابات يرجمون الصهاينة بالحجارة، المطلوب أن لا يبقى فيهم أناس يقاومون المطلوب أن لا يبقى فيهم أحد يقول لا، المطلوب إذا أُبرمت اتفاقيات ظالمة ومجحفة أن يقبلها الناس ويسكتون عليها، تماماً كما حدث في ذلك الزمان، كما حدث في كربلاء بين هذا الجيش المسكين، هو جيش ملعون،

ولكنه أيضاً جيش مسكين، لأنه بالمئة درهم وبالخديعة وقع في جريمة لا ينفع بعدها الندم ولا ينفع بعدها البكاء، وكثيرون منهم ندموا وبكوا ولكن بعد أن وقعوا في هذه الجريمة.

هذا الأمر هو الذي نرى بين المشروع والمشروع الخاص ونحن نقول للناس:

أيها الناس، حين تواجهون شعاراً من الشعارات أطروحة من الأطروحات باسم الوطنية أو باسم الدين والإسلام وتطبيق الشريعة والقانون أو باسم القومية أو بأي شعار وقبل أن تندفعوا ابحثوا عن صاحب الشعار أولاً وابحثوا عن حقيقة الشعار ثانياً وإلاّ في التاريخ وإلى يومنا هذا ما أكثر الشعارات التي حرَّكت الناس وأخرجتهم من بيوتهم ووضعتهم مقابل بعضهم وقتلت بعضهم ببعض ويعد ذلك تصالح أصحاب العلاقة والناس ذهبت ضحية. أناس حفرت قبورها وهدمت بيوتها والذين حرَّضوهم على بعضهم وأغروا بينهم بالعداوة والبغضاء تصالحوا وأصبحوا شركاء في مصالحهم الخاصة التي استعملوا للتوصل إليها الشعارات العامة.

إن من أخطر الأشياء التي تواجه المجتمعات الحديثة أو القديمة هو هذا الخطر. أي الخلط بين المشروع العام وبين المشروع الخاص.

أما بالنسبة لعبد المطلب فلا أريد أن أقول أنه أصاب أو أخطأ، ولربما لو فحصنا الموقف لكان الأولى به أن يُجيِّش من يمكن أن يُجيِّشهم وأن يقاوم أبرهة وأن يعمل مثل الحسين (ع) ولكني أُقيِّم عمل عبد المطلب وعمل كل إنسان شريف في التاريخ أنه لم يتاجر في الناس وأنه لم يجعل من قومه ومن عقيدته ومن إيمانه سلعة، وقد قالها بكل صراحة أنا لا أقدر وللبيت رب يحميه وقد حماه الله سبحانه وتعالى ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝﴾[1].

فالحسين كان ضحية من عدة عوامل هذا جانب من هذه العوامل إذ أنه كان ضحيَّة المشاريع الخاصة التي استُعمل في الترويج لها المشروع العام.

---

(١) سورة الفيل، الآيات: ٣ ـ ٥.

وتسمعون عن ابن سعد وغيره ولكن ابن سعد نموذج تعارض فيه المشروع الخاص بالمشروع العام، ولو أن عامة الجيش عرفوا أن ابن سعد ساوموه على مُلْك الري لربما الناس قد تركت وهذه المساومة على ملك الري كانت تحت الستار، أما الذي فوق الستار والذي كان يُروِّج فهو حفظ الجماعة والشعار الذي طُرح هو حفظ الوحدة أو حفظ الدولة في مقابل من؟ في مقابل الحسين. وعندي كلمة أقولها أن وحدة المسلمين ووحدة المجتمع هو أمر مُقدَّس. ولكن عندما تكون هذه الوحدة على حساب المبادىء والقيم لربما الناس العاديّون أن يحاسبوا عليه ولكن القياديين الكبار الذين يمثلون الأئمة (ع) لا يحاسبون عليه وأذكر لكم مثلاً: أمير المؤمنين علي (ع) كان قد سكت عن كل الأخطاء التي ارتُكبت بعد وفاة رسول الله وجلس في بيته أكثر من عشرين سنة وعاش مع الناس يُصلح ويعمل بقدر ما يستطيع وهو جليس بيته وصرَّح بأني إنما أسكت لأني أريد أن أحافظ على وحدة الأمة وعلى وحدة المجتمع وعلى سلامة الوضع العام.

لكن عندما واجه حالة معاوية، وحين واجه حالة الناكثين أو الخوارج لم يسكت أبداً، لماذا؟، لأن التضحية بوحدة الأمة لحساب هذه الحالة هو المطلوب فلا توجد وحدة مع الباطل ولا توجد وحدة مع الخديعة ولا توجد وحدة مع الاختلال المبدئي.

هذا الشعار من الشعارات التي يمكن أن تستعمل بالقديم. وهناك مثال ثاني وهو رفع المصاحف في صفِّين، القرآن كتاب الله والقرآن إمامنا والقرآن مرجعنا ومن يجادل في ذلك، لا أحد يجادل في ذلك ولكن حين رفع معاوية شعار القرآن والاحتكام إلى كتاب الله رفض أمير المؤمنين وقال للناس إنه يخدعكم وأن هذا الشعار هو كاذب لأن الشعار هو شعار عام، شعار بيت الله ولكن الذي تحت الشعار العام هو الشعار الخاص أو الهدف الخاص. هو لا وحدة الأمة ولا سلامة الأمة ولا سلامة المجتمع ولا احقاق الحق.

في المواجهة بين الحسين (ع) وبين النظام الذي كان سائداً أو بين أية حالة مشابهة وبين حالة ظالمة يمكن أن يتكرر هذا.

هذا ما يجب أن نتحصَّن دونه، ومن دونه، ومن دون الدخول في أية تفاصيل، في بلادنا وفي غير بلادنا، الناس بُسطاء ويقعون ضحية الشعارات التي هي كلمة حق يُراد بها باطل، والتي هي شعارات عامة ولكن يُراد التوصل بها إلى مآرب خاصة.

من هنا ضرورة الوعي لاكتشاف حقيقة الشعار وحقيقة أصحاب الشعار لكي لا يقع الإنسان ضحية فيبيع دينه ودنياه ويخرج مفلساً من الأمرين لحساب فلان أو فلان في رئاسة أو زعامة أو مال أو وجاهة أو ما إلى ذلك.

الضمانة، وكما قلت وأعود أقول هي للمستقبل، هم جيل الشبان ومن هنا التركيز على أن التوعية والثقافة الإيمانية والوعي الديني المستنير يجب أن يوجه إلى هؤلاء الشبان الذين يحملون رجاء المستقبل ومشروع المستقبل، هؤلاء هم الذين سيرثون الأرض وما على الأرض، هؤلاء هم الذين سيحملون كل الآمال الفاشلة في هذا الوقت.

والآن نواجه حالة، نواجه ظاهرة شبان متدينين موجودين في المساجد وفي المعابد، سواء كانوا عند المسلمين أو المسيحيين، وتوجد ظاهرة شبان آخرين موجودين في الملاهي، شبان يُصلّون وشبان يستعملون المخدرات شبان أُمناء وشبان يشكلون مشاريع اصابات هذه الظاهرة خطرة في المجتمع ويجب أن يتنبَّه المجتمع إليها، فنحن مررنا في دور الشباب، وكانت توجد ظاهرة انحراف في جيل الشباب ولكن كانت ظاهرة انحراف محدودة جداً. أما الآن فنجد أنه وضع شديد الخطورة، وكما أرى أمامي الآن الأخوات أو الاخوة من أبنائنا الأعزاء أو في مجالس أخرى أو في صلاة الجماعة شباب وشابات أخر ونشكر الله على ذلك ولكن في نفس الوقت حين نتقصّى الساحات الأخرى سنجد أن النسبة إما موازية أو أكثر.

السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلَّت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار.

والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

ثورة الحسين،
ثورة على التشويه الثقافي

٥ محرم ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م



الحمد رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الذين اتّبعوه بإحسان والسلام عليكم اخواني العلماء الأجلّاء وسائر المؤمنين والمؤمنات الكرام ونتوجه إلى سيدنا أبي عبدالله الحسين (ع) فنقول: السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

في مثل هذا اليوم تتصاعد وتيرة النهضة الحسينية وقد قارب الركب الحسيني من الوصول إلى محط رحاله في كربلاء أو أنه وصل إليها بالفعل، أتصور الآن أن الحسين وأهل بيته وأصحابه إمّا في المرحلة الأخيرة من حالة الحصار التي أحاطهم بها الجيش الأموي ومنعهم من التحرك إلا باتجاه واحد ألا وهو اتجاه الكوفة وهم يعيشون حالات القلق والحيرة أو أنهم وصلوا إلى الأرض الموعودة في علم الله سبحانه وتعالى إلى أرض كربلاء وهم يحطّون رحالهم وينصبون خيامهم ويتدبرون أمرهم.

في هذه الساعات وفي هذا اليوم الخامس من محرَّم نستعيد ذكرى الركب النبوي الإلَهي المبارك والسؤال البسيط الذي يطرح نفسه لماذا حدث كل ذلك؟ لماذا آلت الأمور إلى ما آلت إليه، رجل قيادي كبير في نظر أكثر المسلمين وإمام مطاع في نظر كبير من المسلمين يرفع شعاراً بسيطاً، وهو شعار الإصلاح في الأمَّة، (أريد الإصلاح في أمة جدي) فيواجه بالتهديد بالقتل ويواجه بالإجبار والإكراه على البيعة، ويواجه بالحصار، فتنشأ فوراً في المجتمع الإسلامي كله حالة من الإرهاب الكامل إرهاب تقوده الدولة الحاكمة باسم الدين ويجب أن لا ننسى أن النظام الحاكم هو نظام ديني، وهو نظام خلافي، وأن النظام يحكم باسم الدين، وهذا الإرهاب الناشيء باسم الدين يحاصر هذا الرجل العظيم في نظر جميع المسلمين وتضيِّق عليه الآفاق وتدفع عليه السُبُل لمجرد أمر بسيط أنه قال، أنا لا أبايع في الظروف الحاضرة، هذا الرجل يزيد يتَّصف بصفاة سيئة لا تتناسب مع المنصب الخلافي (ومثلي لا يبايع مثله) لاحظوا الكلمة هنا. (مثلي لا يبابيع مثله) هو لم يمنع بيعة الآخرين، آحاد الناس أو بسطاء الناس، فهو لم يطرح قضية البيعة من حيث المبدأ بل طرح بيعة مثله، وهو يُمثِّل قيادة المسلمين أو قيادة الأمة، وهذه القيادة لا يمكن أن تبايع شخصاً من هذا القبيل على الإطلاق.

ونحن نلاحظ أن أمير المؤمنين علي(ع) عاش في ظل حكم كان يرى أنه هو صاحب الحق فيه ولكنه عاش في ظله وتعامل معه تعاملاً شريفاً، فالحسين يقول (مثلي لا يبايع مثله) أي أنه رجل لا يريد أن يُقيِّد نفسه بالبيعة، وهذه هي النقطة الأولى أما النقطة الثانية فهي أنه يرفع شعار الإصلاح، في الرسالة الشهيرة، ومن أجل هذا يُهدَّد بالقتل ويُحاصر ويُطارد، ومعروفة تلك الرواية التي تُحكى عنه حينما سُئل لماذا يخرج من مكة فقال أنهم سيقتلوه ولو وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة وأنه يريد أن يُنزِّه الحرم الشريف ـ حرم الله تعالى ـ عن أن يكون مجالاً للقتل والقتال، وبعد ذلك يُمنع عن جميع الخيارات المعقولة ويُحاصر في كربلاء، في أرض صحراوية ويُمنع من أبسط الحقوق التي تُعطى للحيوانات، كحق شرب الماء، بل لا يُمنع هو فقط بل أصحابه من رجال ونساء

بل الأطفال أيضاً، طفل رضيع يعطش فيُمنع من الماء، طفل رضيع يقتات على حليب أمه العطشى والتي لا يعود عندها حليب بسبب العطش وهذه عملية قتل واضحة.

لماذا كل هذا مع العلم أن الحكم حكم ديني، وهو خلافة إسلامية أي دولة دينية وتقوم بهذه الممارسة، إن هذا يكشف وكما حدثتكم بالأمس عن أن الشعارات شيء والأسماء شيء والواقع شيء آخر. فلا يجوز أن نُخدع. في الماضي لم يكن من الجائز أن يُخدع الناس وفي الحاضر لا يجوز أن نُخدع نحن، فالشعارات والعناوين لا يجوز أن تكفي في استسلام الناس للدعوات التي تُوجَّه إليهم. بالأمس ذكرنا مثالاً في رفع المصاحف في «صفين»، وأن هؤلاء أو حكومة معاوية دعت إلى الاحتكام إلى كتاب الله، ومثال آخر أن الخوارج دعوا إلى شعار الحكم لله وهو شعار صحيح ومن الآيات المحكمات في القرآن الكريم والله سبحانه وتعالى يقول ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1] لا حكم إلاّ بالله أيضاً رُفع ولكن أمير المؤمنين وكما تعلمون أيها الأعزاء قال بصراحة (كلمة حق يُراد بها باطل).

إذن يُمكن أن يكون الشعار حقيقياً ويكون المقصود منه باطلاً وظلماً أي على خلاف الشعار، ومن أكبر مظاهر بطلان الشعار أن رفع المصاحف إلى ماذا أدّى، والتحكيم، أدّى إلى أن يُخلع علي بن أبي طالب لأنه لا يصلح للخلافة وأن يثبّت معاوية لأنه يصلح للخلافة. إن هذا الوضع أدّى إلى أنه يُقتل المسلمون من كل جنب وطرف تحت شعار لا حكم إلاّ لله، واليهود يتمتعون بالحماية تحت شعار ذمة نبينا، ومن القصص المتداولة أن مجموعات الطوائف كانت إذا لقيت مسلماً تقتله وإذا لقيت يهودياً تحميه، ومن مفارقات هذا الوضع أنّ (لا حكم إلاّ لله) أنتج قتل علي بن أبي طالب (ع). هذا الواقع يكشف عن أن المجتمع وكل فرد من أفراد المجتمع يجب أن يبحث أي شعار يجده.

في تلك الدولة الإسلامية التي كان يحكمها يزيد ومن قبله أبوه ومن بعده

---

(١) سورة الانعام، الآية: ٥٧.

من حكمها من حكام بني أمية، كانت الدولة ترفع هذا الشعار ولكنها تمارس في الواقع هذه الممارسات، من قتل الحسين إلى استباحة مكة والمدينة وظلم الناس ومصادرة أموالهم وإذلالهم.

تُرى أليس في الإسلام ضمانات ضدَّ هذا؟. نقول نعم، إن الإسلام ضمن للأفراد حقوقها وللجماعات حقوقها ولكن من الذي يُنفِّذ هذه الضمانات، حينما يموت المجتمع وتموت معه كل القوى، وتُصبح كلمة الحق عزيزة، حينئذٍ يتكرر وضع الحسين بشكل مستمر، فلا يعود هناك حسين تاريخي بل حسين متكرر في جميع العصور.

آفة الإسلام قديماً وحديثاً في كثير في التطبيقات وفي كثير من الشعارات هو هذا، أن يُرفع شعار وأن يُسوَّق هذا الشعار على الناس، أن يُحكم الناس به وأن تُؤخذ طاعتهم وتُشل إرادتهم وتُجبى أموالهم وأن تُزوَّر أصواتهم، لأنه ليس هناك من يقول لا ويسلم لأن الذي يقول لا يُحاصر ويُشتم ويُشهَّر به ويُمكن أن يُقتل أيضاً كما حصل لعلي (ع) حيث انتهى أمره بالقتل، وقبله بدأ أمره بخلعه من الخلافة لأنه لا يصلح لها وكما كان أعداؤه يقولون عنه أنه كان يسكر أو يشرب الخمر وهو الذي نزلت فيه الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾[1] وبكل أسف هذا ما كان يقال عنه أو يقال أيضاً أنه نزلت فيه قوله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ ﴾[2] هكذا وببساطة وحين تُستباح المعايير كلها وتسقط القسم يصبح الكذب هو الحقيقة وهو المعيار.

من هنا دعوتي الدائمة ومن هنا تركيزي الدائم على أن لا تُؤخذ الناس في الشعارات، ومن هنا تركيزنا الدائم على نهج أي عالم دين أو أي طالب دين من أن يكون حزبياً لأنه بمجرد أن يكون كذلك فإنه ينتهي كل شيء. فالحزبية من الأهواء ويصبح الدين ملكاً لأصحاب الأهواء ومن هنا يجب الوعي الكامل أمام أي دعوة أو أي أطروحة تصدر من أي جهة ذات هوى، عند ذلك تصبح كل

(١) سورة النساء، الآية: ٤٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

الشعارات ملغومة، وإلاّ لو أن الذين جلسوا في التحكيم بعد رفع المصاحف لم يكونوا مُتحزِّبين ولم يكونوا أصحاب أهواء أكان يؤدي هذا الأمر إلى خلع علي (ع). لأنه لا يصلح للخلافة ومعاوية يصلح للخلافة! وأن علياً (ع) كافر ويجب أن يُقتل!! وعبد الرحمن بن ملجم يقال أنه نزلت فيه آية ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[1].

هكذا وآية ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝﴾[2] هذه الآية قال بعض المنافقين أنه سمعها عن النبي وأنها نزلت في علي (ع). فكم هو ثمن هذا الحديث ثلاث مئة ألف، والرواية تقول أنه عُرض على ابن جندب مئة ألف فلم يقبل ومائة ألف فلم يقبل ثم ثلاث مئة ألف فقبل عند ذلك ولفّق رواية عن رسول الله وأن هذه الآية نزلت في علي (ع).

هذا الشعار شاع بين الناس في المساجد وفي الاجتماعات وفي القبائل وأوعزوا أن شيعوا بين الناس أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب (ع) ومن نزلت فيه آية كهذه هل من المعقول أن يبايعه أحد، لقد سُلبت منه الشرعية، وهذا النوع من الظلم الثقافي أعظم من الظلم المادي بل أعظم من القتل، وحتى الآن هناك كتب مُدوَّن فيها أن هذه الآية نزلت في علي (ع) وعند بعض الشيعة أيضاً ويقال أيضاً أن آية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾[3] نزلت في علي (ع) وإنسان في هذه الصفاة هل هو صالح للبيعة أو للإمامة؟

في هذا الجو العام يتساءل الناس عن الإمام الحسين ابن الزهراء ابن النبي محمد (ص) والذي لم يؤذي نملة في حياته والذي كانت حياته وحياة أهله وأمه وأبيه ملكاً للناس والذين نزلت فيهم سورة الدهر ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤ ـ ٢٠٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٣.

﴿وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⁽٨⁾﴾[1] إلى آخر الآيات، الذين أعطوا قوت أجسادهم للناس.

نعم هذا ما حدث لأنه التشويه الثقافي في ذلك العصر فتشوبه الشعارات يجعل الإنسان مجرداً من الصلاحية وينتج عن هذا أنه يوجد حوالي ثلاثين ألف يُكفِّرونه.

إذا فكَّرنا في هذا الواقع نفهم كثيراً من وجوه الانحراف الذي حصل في تاريخ الإسلام وفي حاضر الإسلام.

هذه الأمثولة وهذه الصورة لو طبّقناها في زماننا، الآن الولايات المتحدة الأميركية ومؤسسات أخرى في العالم تطرح شعار حقوق الإنسان ويحاربوننا بحقوق الإنسان، يحاربون هذه الدولة أو هذه المجموعة ويُتَّهم الإسلام بأنه دين الإرهاب ويُتَّهم المسلمون بأنهم يروجون الإرهاب وتُتَّهم الدول الإسلامية والعربية بأنها مخالفة لحقوق الإنسان وأنها لا تحترم حقوق الإنسان، ويُشيَّع في هذا عبر الصحف والمجلات ووسائل الإعلام ومن على منبر الأمم المتحدة تنهال الشتائم على الرؤساء ودولهم وشعوبهم الإسلامية والعربية وأنهم ضد حقوق الإنسان وتتم معاقبتهم حتى لحاجة شراء القمح والطحين فإنهم يمنعونهم من شرائها بحجة الدفاع عن حقوق الإنسان، نعم أيها الأعزاء إنه الغرب الذي يعاقب الدول والشعوب هكذا، أميركا، أوروبا وبعض الدول الأخرى.

ومن جهة ثانية لو بحثنا سلوك هذه الدول والشعوب المُعاقبة أي سلوككم أنتم، والسؤال هو أين احترامكم أنتم لحقوق الإنسان، وماذا فعل الاستعمار بهذا العالم، من حرب الأفيون في الصين إلى جميع الانتهاكات التي حدثت في التاريخ.

يقال هذا مقياس ويوجد مقياس آخر، فإذا قلنا الآن اسرائيل والحركة الصهيونية التي دمَّرت شعباً بكامله وبالملايين ـ في فلسطين ـ ودمَّرت الشعوب العربية بكاملها واحتلت أراضيها وتتسلح بأكبر قوة ذرية في المنطقة وتهدِّد بها ولا يُسمح لأي دولة بامتلاك حتى سلاح عادي للدفاع عن نفسها، فمخيمات

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٨.

اللاجئين تملأ الآفاق والمعاقون والمشوهون بالسلاح الإسرائيلي يملؤون المستشفيات والمصحات، ويومياً الاعتداءات مستمرة في لبنان وفي فلسطين والأراضي العربية مُنتهكة في سوريا وفي فلسطين وفي لبنان وفي غيرهم، ولكن يقال غير ذلك، يقال أن لإسرائيل اعتبار آخر إذن معيار حقوق الإنسان وكما شاهدنا كيف تُطبّق حقوق المسلمين في ذلك الزمان بحيث أن المجرمين يُحترمون والحسين بن علي (ع) يُحاصر، الكلاب تشرب الماء والحسين بن علي ورفاقه يعطشون، تحت شعار أن هؤلاء خوارج أو أن هؤلاء ضدّ الإسلام وضدّ المسلمين أي أنهم ضد المنطق الحاكم، والقضية ليست أن بني أمية حكموا، أو بني سفيان أو بني مروان حكموا، إن هذا، ليس إلا مظهر والجوهر هو كيف يُستعمل الشعار الديني، كيف يُستعمل الشعار الإنساني، كيف يُستعمل الشعار السياسي.

مثلاً في حكومة أمير المؤمنين علي (ع) وهي حكومة مثل حكومة النبي (ص) عادلة نقيّة، حدثت فيها انتهاكات لأحكام الشرع ولحقوق الإنسان من بعض الأشخاص الذين كانوا متولين لبعض السلطات، فماذا حصل، حصل أن أمير المؤمنين علي (ع) وأركان حكومته كانوا سيفاً مسلطاً على المذنبين ووقفوا بجانب الناس وكانوا يلاحقون أي مذنب ويعاقبونه أشد العقاب ويجردونه من جميع الإمكانات، فمسألة المخالفات تحدث حتى أن بعض الصحابة قد ارتكبوا مخالفات كبيرة وذلك في زمان الرسول ولكن المدار أنه في السياسية العليا الحاكمة ماذا كان موقفها؟، كان موقفها الإدانة وتصحيح الأخطاء. إذن حين نواجه الآن شعار حقوق الإنسان فمثلاً أنه في البلد العربي الفلاني يُسجن إنسان ظلماً، فنحن ندين الظلم أينما وقع ولكن في نفس الوقت أقول لكم وخاصة للشبان، جيل المستقبل، لا تنخدعوا بهذه الشعارات الصحيحة ولكن التي يُراد بها باطل.

حينما تصدر اللائحة السنوية الأميركية أو الأوروبية فتسمي هذه الدولة أو تلك، وتضعها على لائحة الارهاب أو على قائمة انتهاك حقوق الإنسان نقول نعم، إنها كلمة حق يراد بها باطل، لأنه لو كانوا صادقين لكان أول إدانة يجب

أن توجَّه إلى اسرائيل، يجب أن توجَّه إلى أعظم دولة في العالم وأقوى دولة في العالم والتي لم تُبقي حرمة لا لدين ولا لمذهب ولا لقيمة ولا لأخلاق ولشيء قائم على الظلم، وقائم على الجور.

من هنا موقفنا من إسرائيل ليس هو موقف من اليهودية فاليهود أهل كتاب ـ مثل المسيحيين ـ الصحيحين منهم والمستقيمين منهم الذين لم يحاربونا ولم يخرجونا من ديارنا فإننا نتعامل معهم على حقيقة الإيمان الإبراهيمي وعلى صعيد الإنسانية، والله سبحانه وتعالى يقول في سورة الممتحنة ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾[1] فاليهود يمكن أن نتعامل معهم ولكن الحالة القائمة في فلسطين الآن هي ليست اليهودية بل الصهيونية والصهيونية هي انتهاك لحقوق الإنسان. فقبل أن نُحاسب على انتهاكنا لحقوق الإنسان المزعوم يجب على الأمم المتحدة وعلى كل الغرب أن يشهروا بالصهاينة في انتهاكاتهم لحقوق الإنسان ولذلك فشرعية مقاومة الاحتلال الإسرائيلي هي تنبع من هذا الواقع، أي أننا مُعتدى علينا، والمسألة في أن نتغلّب عليهم أو ننهزم ففي هذا تأتي الأمثولة الحسينية من جديد، حينما واجه الإمام الحسين (ع) الجيش الأموي لم تكن لديه حسابات الانتصار واردة عنده على الاطلاق، والذي كان وارداً هو الاجتماع على صيغة استعمال الدين، ولو أن أية مساومة حصلت لكانت صيغة الحكم التي تستغل الدين وتحوله من روحانية وإنسانية إلى سلطة وإلى تحكُّم لكانت نجحت ـ ولكن موقف الإمام الحسين (ع) أبطل كل شيء ولذلك فهو قد انتصر في المدى الاستراتيجي فقد أسقط المشروع السلطوي الذي كان يريد أن يُحوِّل الدين إلى سلطة غير مسؤولة، فلا يوجد إطلاقاً في خلق الله من آدم إلى يوم القيامة سلطة غير مسؤولة إنما يوجد سلطتان فقط:

الأولى هي سلطة النبي المعصوم وهي سلطة غير مسؤولة أمام البشر.

والثانية هي سلطة الإمام المعصوم أي الواحد من الأئمة الاثني عشر من علي بن أبي طالب إلى الإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر، فإنها سلطة

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

غير مسؤولة وما عدا هذا من أول الخلق إلى آخر الخلق فلا توجد سلطة غير مسؤولة من البشر، سلطة غير مسؤولة من المحكومين أبداً حتى لو تسمّت باسم الدين أو باسم الدنيا أو باسم الديموقراطية أو باسم الشريعة، فالخوارج جاؤوا بالقرآن وقالوا لا حكم إلا لله ومعاوية جاء بالقرآن وقال لا حكم إلا لله، وعمر بن سعد وعبيدالله بن زياد ويزيد بن معاوية حاربوا الحسين (ع) بالقرآن.

هذا الأمر الذي أشدد على أن تضعوه ويضعه الناس جميعاً نصب أعينهم، ولا أحد يُهوِّل عليكم بل افحصوا جيداً من أجل دنياكم ومن أجل آخرتكم إن مقارنة درس الحسين (ع) سواءاً في حياتنا الداخلية كمسلمين على مستوى الأمة أو على مستوى المجتمعات أو في حياتنا الوطنية في مقابل الدعاوى الغربية، أميركية كانت أو أوروبية أو أمماً متحدة أو جمعيات حقوق الإنسان.

تُرى أليس للمسلمين في الشيشان حقوق لإنسانيتهم في تصدّيهم للعدوان الروسي وللاستعمار الروسي، في البوسنة والهرسك والذي شهد هذا العصر أبشع جريمة في تاريخ الدنيا فيها وللأسف فإن في بعض الحالات ارتكبت المجازر باسم الدين وارتكبت باسم المسيحية في بعض الحالات الأخرى، هؤلاء أليس لهم حقوق للإنسان.

لماذا لم تتحرك الأمم المتحدة ولماذا إذاً قُتل مسلمون عرباً أو مسيحيون عرباً بفعل اسرائيل لماذا لا يخرج أي موقف تنديد أو احتجاج من أمير ولا من الأمم المتحدة ولا من أوروبا وإذا قُتل معتدي صهيوني من أصل روسي أو أثيوبي أو بولندي ، جاء من أقاصي الدنيا ليحتل أرضاً ليست له وبيتاً ليس له تمتلىء الدنيا بالاحتجاج ويُقال أن هذا عدوان وأن هذا ارهاب ويجب التصدي له.

إن هذا أسلوب من أساليب استخدام الشعار من أجل التضليل.

إن إحدى الأمور التي ثار من أجلها الحسين هي هذه وقد بيَّنت مراراً وتكراراً ومن حوالي ثلاثين سنة في كتابي الأول عن ثورة الحسين (ع) أن من جملة الأمور التي ثار عليها الحسين (ع) هو ما سمَّيته «الدجل الديني»

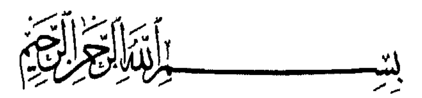
والدجّالون الدينيون وتحويل الدين إلى دجل، وتحويل الدين إلى مجرد آلة للسلطة وليس آلة للحرية وليس آله للكرامة.

والآن في هذا العصر الحديث فإن القيم السياسية العليا مثل حقوق الإنسان فهي أيضاً تُترجم في هذا الأسلوب وتُستخدم لأجل السيطرة ولأجل تبرير ظلم الظالمين.

السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

المرأة والثورة، المرأة والمجتمع

٦ محرم ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م



الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الذين اتّبعوه بإحسان وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين.

إخواني حضرات العلماء الأجلّاء والأساتذة الكرام واخواني وأخواتي جميع المؤمنين والمؤمنات في هذا المجلس المبارك السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونتوجه جميعاً بقلوبنا وضمائرنا في زيارة موجزة للإمام الحسين سلام الله عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

هذه الزيارة نجددها لكل من تشرف بصحبة الإمام الحسين من الرجال ومن النساء الذين شاركوه نهضته وشاركوه مسيرته ومصيره إلى أن استُشهدوا جميعاً في سبيل قضية الإنسانية وقضية الإسلام على مدى الدهور إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد رأينا في ضمن هذه النهضة مع هدفها العام والأساس والذي هو صون الإسلام عقيدة وشريعة من التحريف وصون الإسلام من أن يكون لعبة في أيدي الاتجاهات الفئوية والحزبية التي تحوله إلى مؤسسة لاستغلال الناس بكل وجه

من الوجوه وهو خطر كان موجوداً في صدر الإسلام وبقي موجوداً على مدى عصور الإسلام وهو موجود في زماننا هذا وسيبقى موجود أبداً باستمرار وهو تحويل الدين من خلال الروح الحزبية والرؤية الحزبية إلى مؤسسة سلطة ومؤسسة استحواذ على الناس وعلى أموالهم وعلى قرارهم وتوجهاتهم.

هذا الخطر كان موجوداً وهو قائم فعلاً وسنتصدى له كما تصدينا دائماً بإذن الله في جميع صيغه ومنها الصيغة الشريرة التي تتخلّق في هذه الأيام تحت هذا الستار أو تحت ذاك الستار.

هذه هي القضية المركزية في ثورة الحسين (ع) وكما قلنا ونكرر ليست مشروعاً سياسياً وليست مشروع سلطة فالإمام الحسين (ع) لم يكن أبداً هو أو أخوه أو أبوهما أو أمهما الزهراء المظلومة دائماً، لم يكونوا أصحاب مشروع سياسي بمعنى أنه لديهم حزب أو عندهم حوزة معينة ويريدون أن يسيطروا على الناس بهذا الأسلوب أو بغيره. ولكن الحقيقة أنهم كانوا أصحاب رسالة وهي باقية إلى أن يظهر الإمام القائم المنتظر وإلى أن يُحق الله الحق بكلماته في آخر الزمان.

هذه الرسالة التي عبّر عنها رسول الله في حديث الثقلين «إنّي مُخلّف فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[1].

هذه المسألة الرسالية، والمسألة الجوهرية التي حرَّكت رسول الله وقال قولته الشهيرة: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما فعلت»، وهي التي حركت حياة أمير المؤمنين علي (ع) وقال فيها أقواله ومنها «اللهم إنه لم يكن الذي كان منّا منازعة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الطعام ولكن لنقيم المعالم من دينك» إلى آخر كلامه الشريف، هي التي حرَّكت حياة الإمام الحسن (ع) منذ بدأ

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب باب ٣١، وأحمد في المسند ٣/ ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، ٥/ ١٨٢.

وإلى أن انتهى وهي التي حرَّكت حياة الحسين (ع) وهي التي حرَّكت كل حياة لهؤلاء الأبرار صلوات الله وسلامه عليهم، إذن هذه هي القضية المركزية.

وفي هذه القضية المركزية توجد قضايا مُتضمَّنة أو قضايا فرعية، لا بمعنى أنها غير أساسية ولكن متفرعة عن القضية المركزية وهي بالتالي أساسية فتارة حزبية وتارة عن علاقة الإنسان بالسلطة وتارة عن واجبات السلطة تجاه الإنسان وتارة عن دور الشبان وعن دور المرأة وأحب الآن أن أتكلم عن دور المرأة.

هذه من القضايا المركزية المتفرعة عن القضية الأساسية في مسيرة الإسلام وفي النهضة الحسينية.

وأريد أولاً أن ألاحظ أمرين.

سمعت وتسمعون في حركة مسلم بن عقيل رحمه الله في الكوفة أنه حينما وقعت حالة المواجهة بينه وبين الإدارة التي أُنشئت في الكوفة (إدارة عبيدالله بن زياد) وحينما أحاط بمن معه لقصر الإمارة أنه كانت تأتي المرأة فتقول لابنها أو زوجها أو أخيها، ما لك وللناس أو ما لنا وما للشر، فالناس يكفونك، يعني أنك غير مجبور، وأخذت هذه النسوة يسحبن رجالهن وساهمن مساهمة كبيرة في هدم المشروع الذي كان يسير فيه مسلم بن عقيل يعني إذا فرضنا أنه يوجد ألف امرأة بين زوج وأخ وابن والناس تفرَّقت يصبح هاجساً لديهم والناس تتفرَّق بكل صورة.

فدور المرأة في حركة مسلم بن عقيل كان دوراً سلبياً، فالنساء الكوفيات نساء طاهرات سليمات مباركات مسلمات ولكنهن قمن بهذا الدور السلبي الذي ساهم إلى حدٍ كبير في إفشال حركة مسلم بن عقيل وسبَّب هذه الثغرة الكبرى.

إذن كانت هذه النسوة وكما قلت من حيث كل واحدة منهن غالباً كنَّ نساءاً مسلمات صالحات ولا نطعن فيهنَّ أبداً ولكن دورهنَّ كان دوراً سلبياً مدمراً للمشروع وساهمن مساهمة كبيرة في فشل حركة مسلم وفي النهاية التي آل إليها أمره، هذا نموذج.

وفي المقابل نسمع قصصاً عن دور للنساء والأمهات والأخوات

ولزوجات، يعني أم وابنها، أخت وأخوها، زوجة وزوجها، نسمع أدواراً في واقعة كربلاء لأمهات وزوجات وأخوات مختلفة اختلافاً تاماً، نسمع مواقف دعم وتأييد وتشجيع ومساهمة من الزوجة مع زوجها، تشجعه على أن ينخرط في المعركة وعلى أن يُستشهد، ونسمع مواقف لأمهات مع أبنائهن يدفعنهم إلى أن يجاهدوا وأن يُستشهدوا، أو لزوجات مع أزواجهن وهذا موقف مختلف تماماً.

نساء غالباً من نفس الطينة ومن نفس المجتمع ومن نفس المستوى الاجتماعي وفي دراستي لأنصار الحسين (ع) كانوا من مستوى إجتماعي واحد غالباً، وليس فيهم طبقات ولكن كان هناك موقفان، موقف السلبية والجبن والتخذيل والحرص على الاستقرار بأي ثمن والحرص على الحياة الشخصية الخاصة. وفي ماذا؟ إنه في مجتمع آمن فالكوفة مجتمع آمن وفيه مناخ مناصر ومؤيّد، وهذه نقطة مهمة يجب التنبه لها، فالنساء اللاتي جئن يخذِّلن عن مسلم كنَّ يعشن في مجتمع مستقر وقوي ويحمل شعاراً سياسياً واحداً، والنساء اللاتي شجَّعن أزواجهنّ وأبناءهنّ على الانخراط في المعركة كن في حالة وحدة وانقطاع وحصار، وهي حالة كربلاء، ومع ذلك فإن هذا السلوك اختلف، وكيف كان هذا الاختلاف. هل النساء اللاتي كنَّ في الكوفة كافرات مجرمات، أقول لكم لا، بل كن نساءاً مثل النساء اللاتي كنَّ في كربلاء ومن نفس الطينة ومن نفس المناخ ولكن الفرق كان هو الفرق الثقافي، وهو أيضاً فرق رؤية، وفرق التزام ووعي للقضية التي من أجلها حصلت هذه الحركة. فالالتزام من المرأة الكربلائية سواءاً كانت هاشمية أو لم تكن هاشمية، سواء كانت زينب التي استُشهد لها إخوة وأبناء أو من سائر العرب الذين كانوا مرافقين ومصاحبين للإمام الحسين (ع).

إذن الفرق هو في الوعي، فالمستوى الاجتماعي كان واحداً والمستوى المعيشي كان أيضاً واحداً، والمناخ العشائري كان واحداً ولكن كما قلت فإن الاختلاف كان في الوعي الثقافي. هذا الأمر علينا أن نتبصر به في حالنا الحاضر، ومن إحدى الثغرات الكبرى التي تهدِّد وجود المجتمع سواء كنا في

لبنان أو في أي دولة عربية أو إسلامية وسواء كنا في العالم العربي أو في العالم الإسلامي فإن إحدى الثغرات الكبرى التي تُهدِّد سلامة المجتمع وقضية المجتمع ومستقبل الأمة وقيم الأمة هي موضوع المرأة. وكما قلنا بالنسبة إلى موضوع الشبان في اليومين الماضيين فالآن نقول أن الموضوع هو المرأة وهنا لا أريد أن يكون النموذج هو السيدة زينب، فالسيدة زينب تُعتبر فلتة من الفلتات التي لا يمكن أن تُجعل معياراً لسائر النساء. فالسيدة زينب هي مثل السيدة الزهراء مثل أعلى.

هي إذن ليست معياراً، والمعيار هو ما يستطيع معظم الناس أن يسيروا عليه، أما المثل الأعلى فهو شيء عال نسعى إليه، فالسيدة زينب أو الزهراء هي مثل أعلى.

ولا أجعل المقياس للنساء هو السيدة زينب بل أجعل المقياس هو إحدى النساء اللاتي كنَّ في كربلاء بهذا الشكل أو بغيره وكنَّ يُشجّعن أزواجهن أو أبناءهن وسائر أرحامهنَّ على الانخراط في المعركة وقلت قبل أيام ولفت نظر الباحثين أن يولوها الأهمية الكاملة وهو أن الإمام الحسين (ع) حينما أذن لآله وأصحابه أن ينسحبوا من المعركة وقال لأصحابه أنتم في حلٍّ مني وليس عليكم مني ذمام أو ما يشبه هذا القول، قال لهم «وليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي، واذهبوا باتجاه القرى والبساتين» وقلت حين ذاك أنه لم يذكر النساء، ولم يرد ذكر أنه خذوا نساءكم أيضاً، هذا المعنى مُتضمن في الأمر الذي نقوله أنه لم يكن هناك حالة ضعف واحدة، ولم يكن هناك رجال أقوى نفوساً من النساء وكما أنه لم تكن نساء أقوى نفوساً من الرجال، بل كانت توجد حالة روحية واحدة وحالة ثقافية واحدة جعلت الكل واحداً، يعني كأنه قال للنساء أيضاً اذهبن مع أزواجكن أو مع أولادكن، والثغرة التي نواجهها الآن هي ثغرة النساء.

فالعالم الأجنبي أو العالم الغربي والله يعلم أني لست عدائياً للعالم الغربي، وفيهم طيبين كثيرين وإنما نتحدث عن دعوتهم وعن مفاهيمهم وعن رؤيتهم التي تقودها قوى معادية ومؤذية للعرب من فلسطين إلى أبعد نقطة

والجهات المعادية للإسلام والمسلمين وإحدى الثغرات الكبرى التي تعمل عليها هي قضية المرأة.

يريدون أن يعيدوا صياغة المرأة العربية والمرأة المسلمة بنحوٍ تتوافق بشكل أو بآخر مع نمط المرأة الموجودة في العالم الغربي، لا لتكون مثل المرأة الموجودة في العالم الغربي، فالمرأة في العالم الغربي موجودة في الجيوش التي تقاتل وتقود طائرات وتدير مدفعية، وتقود سيارات ولكن يريدونها أن تكون مثل المرأة الموجودة في ملاهيهم وفي مراقصهم، وكما أن المرأة موجودة في المعمل وموجودة في الجامعة وموجودة في سوق العمل أي موجودة في كل قطاعات العمل والانتاج، والمطلوب عندنا ليس هذه المرأة بل المرأة الموجودة في الملهى والمطلوب المرأة التي تُنفق ثلث أو أي جزء من ثروة المجتمع على أدوات الزينة، والمطلوب المرأة التي تقول إني أريد حريتي الشخصية في كل شيء والمطلوب هو المرأة التي تُشكل عضلة رخوة في بنية المجتمع.

إنهم لا يريدون منّا أن تتحوّل المرأة العربية أو المرأة المسلمة إلى نموذج للمرأة الغربية بشكل كامل وشامل بحيث تحمل السلاح وتدخل في الجيش، أو تُدير مصنعاً أو تدير مكتباً أو تدرِّس في الجامعة، وإلى ما هناك من مجالات العمل والانتاج إنما يريدون أن تتحول المرأة إلى عضلة رخوة بحيث تأتي إلى أبيها أو إلى أخيها أو زوجها وتقول له ما لك وللشر، الناس يكفونك، يعني انسحب من قضايا المجتمع ومن مسؤوليات المجتمع وينحصر همها في حياتها الشخصية وبالمعنى الذي يدور حول اللذة والشهوة وحول المتع الصغيرة. من سباحة في البحر أو لهو في المراقص وما إلى ذلك.

هذه الثغرة هي ثغرة خطرة، ومع تقديري الكبير لكل مظاهر الوعي الموجودة الآن في أوساط المسلمين والعرب والمسلمات والعربيات وطبعاً في حدود خبرتنا، وفي حدود اطِّلاعنا، ولكن هذه الإيجابيات لا تكفي لأن الثغرة الموجودة وكما نشاهدها في أوساط أخرى هي ثغرة كبيرة وعظيمة الخطورة ويُخشى اتساعها بكل وجه من الوجوه.

وقد ظهر هذا في السنتين الماضيتين ظهوراً كبيراً في مؤتمر القاهرة وفي

مؤتمر بكين، تحت شعار حرية المرأة وحقوق الإنسان بالنسبة إلى المرأة التي تهدف إلى تهديم الأسرة المسلمة والأسرة العربية، فالإنسان والمجتمع والتربية كما قلت في المرة الماضية ليست المدرسة هي ضمانتها مع تركيزنا على المدرسة وعلى التعليم الديني في المدرسة وإنما ركيزتها الأساسية أيضاً في البيت.

والمرأة حينما تنسلخ من مسؤولياتها فإن الأسرة حين ذلك تصبح خطرة وإذا قلنا حرية المرأة أي هذا الشعار حرية المرأة في ضمن الأسرة أو خارج الأسرة حرية المرأة في ضمن الشرع أو خارج الشرع، حرية المرأة في ضمن نظام الأخلاق والقيم الذي يحكم حياتنا أو خارج هذا النظام.

ما يُراد لنا هو الخروج عن كل الأطر وعن كل الأنظمة إن المرأة خارج نطاق أسرتها وخارج نطاق تقاليد المجتمع وأخلاقيات المجتمع وخارج نطاق الشريعة، فإن هذه لا تكون حرية بل هذا يكون تهديماً بكل معاني التهديم.

والهدف الذي تهدف إليه بعض الدعوات وبعض الاتجاهات هو هذا التوجه. هو نزع المرأة من مسؤولياتها الاجتماعية والأسرية، عند ذلك تصبح حياتها الخاصة هي القيمة العليا ولا يعود للمجتمع ولا للأمة ولا للأخلاق ولا للقيم أي دور في حياتها، ومن إحدى الرسائل التي نستفيدها من هذه الظواهر في مجرى الثورة الحسينية، هذه الظاهرة التي علينا أن نعيها والمسؤولية الأولى فيها تقع على النساء أنفسهم وأنا لا أريد أن تكون المرأة في المجتمع لها دور من يتلقى وهي بالتالي لا تفهم وتريد من يفهمها دورها وعملها ولكن في الواقع إن المرأة تفهم مثل الرجل والمرأة تعي مثل الرجل وفي بعض الحالات أحسن بكثير من الرجل، إن المرأة تعي بنفسها ماذا يُراد بها.

إن خطاب الحرية الذي يأتي من بعض الأوساط الغربية أو المتغربة في بلادنا هل هو خطاب نظيف، هل يريدون من المرأة أن تستكمل إنسانيتها التي انتقصها الإسلام منها.

إنهم بالفعل يريدون أن يشوهوا هذه الإنسانية ويحولوها إلى مجرَّد أداة للاستمتاع الجنسي وللهو فقط .

فالمرأة هي التي يجب أن تعي كرامة نفسها وتعي دورها العظيم في بناء الأمة وفي حصانة الأمة، ولو سألنا الآن سؤالاً، لو لم يكن في الكوفة نساءاً قمن بالدور المدمِّر والسلبي الذي قُمن به لتغير وجه ومجرى النهضة الحسينية، ولو لم يكن في كربلاء نساء ثبتن وحملن السلاح في بعض الحالات وشاركن بأنفسهن واستُشهد بعضهن لكان مجرى الثورة الحسينية أيضاً غير هذا المجرى الذي عرفناه.

هذا الموقف الشريف والعظيم والنبيل للمرأة في كربلاء في مقابل موقفها السلبي في الكوفة هو إحدى الدلائل وإحدى الإرشادات التي نستفيدها من هذه الثورة ومن هذه النهضة المباركة، والحمد لله رب العالمين.

عندي بيانان أبينهما.

أولاً مجلس عاشوراء سيستمر إلى يوم الجمعة الذي هو اليوم العاشر من محرَّم، والمصرع سيتلى كالعادة في صباح اليوم العاشر من محرم الذي هو يوم الجمعة القادم إن شاء الله، ولكن قررنا بعون الله سبحانه وتعالى أن هذا المجلس وابتداءاً من هذه السنة سيُمدد ثلاثة أيام، يوم السبت والأحد والاثنين بنفس هذا الوقت الذي نحن فيه الآن أي من الساعة الخامسة والنصف وما بعدها.

هذه الثلاثة أيام هي أيام عزيزة على أئمة أهل البيت وعلى قلب الإمام المنتظر عجَّل الله فرجه وهذه الثلاثة أيام هي الأيام التي أتته بعد السبي أي بعد خروج السبايا ومجيء بني أسد ومصير الجثث الطاهرة والدفن، ويوم الدفن هو يوم الثالث عشر ويستمر هذا المجلس إلى هذا اليوم. نسأل الله بركة الحسين (ع) وأهل بيته الطاهرين.

أما النقطة الثانية وبقلب جريح ومكلوم أريد أن أتحدث معكم ومن خلالكم مع كل مجالس عاشوراء في لبنان وإن شاء الله هذا الكلام سيُعمم: إن اخواننا الآن في ايران يتعرضون إلى نكبة هي نكبة الزلزال الفاجع الذي دمَّر قطعة

واسعة جداً من هذه البلاد العزيزة، والقتلى كما سمعنا وسمعتم تجاوزوا الألفين والجرحى بعشرات الألوف في هذا المجلس وباسم كل مجالس عاشوراء أتوجه بالتعزية والمواساة إلى الشعب الإيراني العزيز ولقيادة الجمهورية الإسلامية ممثلة بآية الله المعظم السيد الخامنئي وفخامة الرئيس آية الله الشيخ رفسنجاني وإلى كل قيادات إيران وإلى قم وحوزتها وحوزة مشهد وحوزة أصفهان وإلى كل اخواننا علماء الدين وطلاب العلوم الدينية في إيران سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يتغمد هؤلاء القتلى الذين هم واقعاً في حكم الشهداء رضوان الله عليهم بالرحمة وأن يمن على الجرحى بالشفاء وأن يعاون شعب ايران وحكومة ايران على تحمُّل هذه النكبة الكبرى وتعلمون أنها تكررت هذه السنة وإن شاء الله فإن ما تضمَّنه هذا البلاء من بركات سوف يظهر.

والآن نريد في هذا المجلس أن نجعله مجلس دعاء بأن يفرج الله سبحانه وتعالى عن الشعب الإيراني ويعاونه على تحمُّل هذه النكبة وآمل أن كل مجالس العزاء يصير فيها مجلس دعاء عشر مرات وأرجو من الجميع التوجه إلى الله سبحانه وتعالى عشر مرات على نية معاونة ايران على التغلُّب على صعوبتها، أمَّن يُجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، متوسلين بآل البيت وبالحسين سلام الله عليه في مصيبته وفي نكبته أن يعاون هذا الشعب العزيز وهذه الأمة العزيزة على تحمُّل هذه المصيبة ونتوجه الآن:

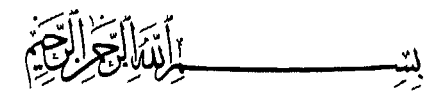
أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ـ عشر مرات ـ.

نسألك يا الله أن تكشف السوء وأن تجيب دعوة المضطرين وأن تعين شعب ايران المؤمن المسلم المجاهد على التغلُّب على هذه الصعوبة وآمل من كل مجالس العزاء في لبنان وآمل من اخواننا القرَّاء ومن علماء الدين أن يُعمِّموا هذا الدعاء في هذه الأيام لأجل هذا الفرج إن شاء الله.

حفظكم الله جميعاً والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

حركة الحسين هي حركة الأمة الإسلامية

٧ محرم ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م



السلام عليكم أيها الإخوة والأخوات الكرام ورحمة الله وبركاته واسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه الذين وصفهم بأنهم أولوا الألباب، فما أكثر ما يسمع الناس ولكنهم لا ينتفعون بما سمعوا وفيهم من قال الله عنهم أن لهم قلوباً لا يعقلون بها ولهم أذان لا يسمعون بها، نشكر الله تعالى على جميع نعمه ومن أجلها نعمة الاجتماع على التدارس والتباسط في الشأن العام الذي يهم المسلمين في شتى مجالاتهم ومن جملة ذلك هذا الاجتماع المبارك في هذا الحفل الكريم الذي ينعقد في هذا المكان المبارك في بيت من بيوت العلم ينعقد في ذكرى أبي عبدالله الحسين ونهضته وثورته.

في هذه المناسبة وأنا أتشرف بهذا الموقف بين يدي هذه الذكرى أمامكم أيها الاخوة والأخوات الأعزاء، أطرح جملة من الأسئلة والقضايا التي تقتضيها هذه الذكرى، نحن نحتفل الآن بذكرى مضى عليها حوالي ١٤ قرناً، هذه الواقعة حدثت كما نعلم جميعاً في سنة ٦٠ للهجرة ونحن الآن في سنة ١٤١٨ هـ إذن مضت عليها قرون وقرون ونحن نستعيدها الآن هذه واحدة.

القضية الأخرى هي أننا نتحدث عن شخص مركزي شخص رئيسي هو الحسين ونتحدث عن جملة قليلة من الأشخاص وهم أصحابه أو البارزون منهم من الهاشميين وغيرهم، ونتحدث عن بعض النساء أبرزهن السيدة زينب،

نتحدث في هذه المجالس وعلى مدى هذه القرون المتطاولة عن هؤلاء الأشخاص القليلين. وعن مساحة معينة من حياتهم، ربما تمتد عشرة أيام أو أسبوعاً أو أسبوعين منذ بدأت هذه الأحداث تظهر، ربما أشهر. هذه قضية ثانية.

وهذه القضية الثالثة وهي معنى ما حدث، والذي في شكله المادي أن أناساً اختلفوا على شيء ما ولا يمكن أن يلتقوا على قاسم مشترك واقتتلوا وغُلب فريق وانتصر فريق وطويت المسألة هل ما حدث هو هذا؟ أم هناك شيء وراءه؟ هذه بعض الأسئلة الكبيرة التي نعيد طرحها باستمرار، ونحتاج إلى أجوبة متجددة، الحادث الوحيد في التاريخ البشري حتى الآن الذي يستعاد بمنهجية وحرارة وذوبان هو حادث الحسين عليه السلام في داخل الإسلام وعلى المستوى العالمي يقارن باستعادة تاريخ ميلاد المسيح في عصور متأخرة جداً لعله قرنين أو ثلاثة قرون أو أربعة قرون، تستعاد ذكرى ميلاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما حادثة الحسين عليه السلام تستعاد بصورة فريدة وعلى مستوى عالمي، أنا لا أعرف أن هناك حدث في تاريخ البشرية يستعاد كما يستعاد هذا الحدث، هذه الأمور تحتاج لبيان.

أولاً: نحن الآن في هذا المكان المبارك نستعيد حادثة تاريخية.

علاقة التاريخ بنا وعلاقتنا مع التاريخ ترى، ما هي هذه العلاقة هل هي مجرد أن هذا الحفل هو حفل تكريمي للحسين؟ هل العلاقة بيننا وبينه هي علاقة شخصية خالية من أي مضمون مبدئي أو من أي قضية كما فُهم الكثير مما ورد عن الرسول وأهل بيته الكرام، في آية ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1] أو الكثير من نصوص السنة. التي تحث على الحب، حب أهل البيت أو حب الحسين وكأن العلاقة هي علاقة خاصة وشخصية خالية من أي مضمون نحن نعرف أن آية المودة التي هي جزء من إيماننا، مودة أهل البيت مودة ذوي القربى

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

هي جزء من إيمان المسلمين توجد في مقابلها أيضاً آية ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾[1] العلاقة هي علاقة غير شخصية، العلاقة هي علاقة بمبدأ، بقضية.

هنا نأتي إلى السؤال الثاني ما هو تفسير ما حدث؟ القضايا التي تحرك البشر هي أنواع، توجد قضايا شخصية، قضية مطلب شخصي بين شخصين أو قضية عائلية، توجد قضايا فئوية قضايا أحزاب وعشائر وجماعات، أيضاً تحرك الناس وتوجد قضايا أكبر من ذلك قضايا. أمة، أو قضايا إنسانية، قضية الحسين إلى أي فصيل تنتمي؟ البعض وحتى الآن وحتى مفكرين وباحثين يرون فيها قضية تتصل بنزاع شخصي بين بيتين، بين هاشم وأمية، بين بيت علي أو بيت أبي طالب وبيت أبي سفيان بين بيت علي وبيت معاوية، بين يزيد والحسين ويرى أن المسألة مسألة صراع عائلي على الموقع ويرى أن الإمام الحسين خاض تجربة من هذا الموقع.

هناك من يرى أن المسألة مسألة صراع حزبي، يوجد تيار حزبي في المجتمع الإسلامي موالي للهاشميين وتيار آخر موالي للأمويين أو السفيانيين، وتصارعا وموضوع الصراع في الحالة الأولى وفي الحالة الثانية هو مشروع سلطة، يعني توجد دولة لها رأس ويوجد معارضة ذات مشروع عائلي أو مشروع حزبي وحدث صراع، يقال لمصلحة الإسلام ولكن الصراع كان على حكم، يعني أن الإمام الحسين خرج بمشروع حكم، هل الأمر هكذا؟ نحن نلاحظ في هذا المجال أن القضايا التي تحرك الناس هي هذه القضايا، هل مشروع الحسين كان مشروع حكم؟ وهل مشروع الحسن أخوه كان مشروع حكم؟ وهل مشروع أمير المؤمنين علي مشروع حكم؟ أم كان مشروع أمة؟.

دائماً في كل مراحل التاريخ، يوجد نوعان من المشاريع على المستوى العالمي. توجد مشاريع خاصة مشروع وضع اليد على السلطة مشروع الاستحواذ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

على السلطة، وتوجد مشاريع عامة تتجاوز السلطة والحكم تتصل بالأمة، نجد هذا في عدة محطات من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبرزها أذكرها لأنها مثال شائع بين الناس، حينما عرض عليه ما عرض ونقل إليه عمه أبو طالب رضوان الله عليه نقل إليه عروض قريش أجاب الجواب الشهير «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته» عرض عليه مشروع سلطة، إن أراد ملكاً ملكناه علينا، ورفضه الناس احتاروا هذا ماذا يريد؟ المشروع كان أكبر من مشروع سلطة وأشرف من مشروع سلطة.

نحن قلنا في أبحاثنا الفقهية أن مسألة السلطة في الإسلام هي مسألة ثانوية جداً، المسألة الأساسية هي قضية الأمة، هي قضية تكوين الأمة وقضية دور الأمة ومشروع الأمة الرسول أُرسل ليخرج الناس من الظلمات إلى النور[1] وهذه الأمة ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2] وهذه الأمة هي الأمة الوسط الشاهدة على الناس.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[3] يعني على العالم، ليس أن تعملوا إن الغاية القصوى أن نكّون دولة صغيرة أو كبيرة نتهارش ونتصارع على من يحكمها، من يحكم الناس؟ المشروع هو أكبر من هذا، كما هذ الطريقة طبعت حياة أمير المؤمنين عليه السلام، أيضاً هناك حينما تعارض مشروع الدولة مشروع السلطة مشروع الحكم مع مشروع الأمة من دون أي تردد وبكل طيب نفس أمير المؤمنين تخلى عن مشروع السلطة لمصلحة مشروع الأمة وكذلك الإمام الحسن عليه السلام، الذي يساء فهم صلحه أو اتفاقه مع معاوية وكذلك موضوع الإمام الحسين عليه السلام القول بأنه خرج ليصارع على حكم.

هو كان سيخرج سواءً جاءته كتب العراقيين أم لا، بالمناسبة هناك محللون

---

(١) الآيتان ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم: ١] و﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم: ٥].

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

كثيرون يجعلون هذه النهضة جزء من الصراع التاريخي الموجود بين العراق وبين الشام، بين بلاد ما بين النهرين وبين الشام، يوجد صراع قبل الإسلام وبعد الإسلام، هكذا ليدخل في مشاريع الحكم والسلطة كلمة كان المشروع هو مشروعها هذا التفسير هو الذي يجعل هذه القضية دائمة لأن مشروع الأمة هو مشروع مفتوح هو مشروع دائم، موضوع هاشميين وأمويين، انطوى هذا الموضوع ولم يعد له وجود، موضوع ونزاع اقليمي ودور اقليمي بين الكوفة أو دمشق أو البصرة أو دمشق أو العراق أو الشام هذا انطوى أيضاً المشروع المفتوح والمتجدد دائماً هو مشروع الأمة، هو المشروع القرآني الذي ورد فيه ما ورد من جملته ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

هذا المشروع هو الذي حمله الإمام الحسين إنه لم يكن عنده إطلاقاً في الحسبان نية حكم. الأطروحة كانت إعادة الأمر شورى بين المسلمين يعني إعادة المشروع إلى الأمة بطبيعة الحال الإمام الحسين هو أحد الأئمة الاثني عشر المعصومين الذين كتبت لهم الإمامة والولاية بمقتضى النص، والذي هو أمير وحاكم وولي بصرف النظر عن أية شكليات أخرى، لكن نتكلم الآن في عالم المواجهة التاريخية التي حصلت على الأرض في كربلاء بين هاتين القوتين، بين مشروع الأمة وقائده أو عنوانه الحسين وبين المشروع السلطوي الآخر الذي كان عنوانه يزيد بن معاوية، الإسلام هو الذي كان موجود في المكانين القوة التي كانت تواجه الحسين كانت تصلي الفجر تؤذن كان يطلع آذان واحد هنا وهناك ويصلون ويستقبلون نفس القبلة والظهر والعصر والمغرب والعشاء كانوا يؤدوا نفس العبادة، الإسلام العبادي، إسلام الأشخاص كان موجوداً في هذا المعسكر وفي ذاك المعسكر لم تكن ملة أخرى أو أمة أخرى موجودة، لكن وهنا نأتي إلى إحدى القضايا الكبرى الموجودة حية الآن أي إسلام؟ إسلام الشكل والمظهر، الإسلام الذي يراد له أن يتحول إلى مؤسسة سلطة أن نرتب أمورنا ننشىء إدارة ننشىء قوة مسلحة ونجعلها قناع إسلام ونحكم الناس فيها، الإسلام الذي يتحول إلى مجرد مشروع سلطة من دون أي أهداف أخرى من دون أي دور للأمة أو الإسلام الذي هو في ذاته مشروع الذي يجعل هذه الأمة أمة رائدة أمة شاهدة.

الإسلام الذي كان موجوداً عند النظام كما قلت أنا في كتبي إسلام يعتمد التخدير الديني يعني السلطة يستخدم الدين وسيلة للتسلط وللتخدير، تجعل الدين حقيقة مادة تخديرية، الإسلام الثاني الذي كان موجود عند الحسين إسلام تحرير، إسلام دور، إسلام يحرك الأمة ويعطيها دورها يحولها لشاهدة، من إسلام يجعل الأمة أمة محكومة. يخطر في بالي الآن أبيات من الشعر أحفظ منهم بيتين وربما بعضكم يحفظ الباقي أحد الشعراء في ذلك الحين عبر بمرارة هذه تلخص كل الفكرة الذي أريد أن أوصلها لكم في قضية بيعة وولاية إلخ يقول:

فإن تأتوا برملة أو بهند ... نبايعها أميرة مؤمنينا
إذا ما مات كسرى قام كسرى ... نعد ثلاثة متتابعينا

رملة وهند بنات معاوية أخوات يزيد يقول: المسألة تحولت إلى هكذا كسرى كسروية يوجد مصطلح في الفكر الإسلامي وفي الفقه الإسلامي «الملك العضوض» الإسلام مساحة إنسانية إذا تحول إلى ملك الملك يصير وحشاً يعض، هذا المشروع كان موجوداً عند ابن زياد وعند ابن سعد المجموعة التي كانت مقاتلة في المقابل الآخر كان موجود مشروع.

«خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي» لم يقل خرجت أطلب حكم. بمجرد أن تم الخروج بدأت المساومة، كل فئة عندها عقل عندها مذهب معين في حياتها تفهم الأمور كلها من هذه الزاوية، فُهم أنه يوجد قضية قابلة للمساومة لذلك بدأت المساومة على نفس المشروع، الحسين ساوم، النبي كما ذكرت لكم ساوموه أنت تقول أنا عندي رسالة من الله ودين جديد أخرج الناس من الظلمات إلى النور وآلهتكم أصنام وأوثان فلنتفاوض ونجعل تسوية، نجعلك ملك جعل هذا المشروع موضوع مساومة، نفس المنطق نفس الروحية مع الحسين جعل الموضوع موضوع مساومة.

هنا تأتي إشكالية من الاشكاليات التي نعيشها الآن يومياً هل قضايا الأمة قابلة للمساومة؟ يمكن قضية عائلية أن تكون مشروع مساومة يمكن قضية حزبية

تكون موضوع مساومة. أما قضية أمة قضية مصير لا يتناول جيل حاضر يتناول كل الأجيال المقبلة هل يمكن أن يكون مشروع مساومة، في المنطق السلطوي كل شيء قابل للبحث لأن الإنسان سلعة، في المنطق الرسالي الإنسان قيمة، في المنطق الرسالي ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1] لاحظوا كرمنا بني آدم.

الإنسان في المنطق الرسالي قيمة، في المنطق السلطوي سلعة، القيمة غير قابلة للمساومة، لا يمكن أن نساوم الآن أن الصدق يمكن أن نرتبه ونبيعه أو العفة أو النبل أو الأمانة أو الشجاعة أو التضحية، في المنطق السلطوي الإنسان أو جماعات الناس سلعة في القرآن الكريم آيات كريمة كثيرة عن الروح الفرعونية التي تقول نقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم أو ما أريكم إلا ما أرى، سلعة المنطق الذي واجه به الإمام الحسين نفس منطق الرسول، الرسول قال: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري» الإمام الحسين في مقابل منطق المساومة قال «لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد» عبر بضمير المتكلم لكن هو يتكلم بما هو متمثل لهذا المشروع لم يقبل المساومة.

إحدى القضايا التي تجعل قضية الحسين قضية معاصرة كأننا الآن نجتمع هنا لقضية حدثت صباح هذا اليوم هي هذه أن القضية تتناول مشروع الأمة الذي أريد له أن يكون مشروع مساومة وأن يحول من مشروع رسالي إلى مشروع سلطة وحكم، ويمكن أن تحل المسألة بأن نشاركك نشترك من قبيل تملكك علينا، كان الجواب رفض، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، وأنه كما يعني بعض الباحثين يقول أنه عرض علينا أن يأسروه ويسلموه لعبيد الله بن زياد، أنا شخصياً أستبعد هذا لأنه حتى أبسط من الحسين بكثير كان سيرفض لأنه يوجد أناس كثيرون في التاريخ فضلوا أن يقتلوا على أن يحيوا حياة مذلة من هذا القبيل، لا بحسب فهمي العروض التي عرضت عليه أكبر بكثير، عروض مشاركة بشكل من الأشكال، رفضها «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد»

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

تحويل المشروع العام إلى مشروع خاص إلى مشروع نزاع شخصي أو عائلي أو حزبي.

من هنا توجد ملاحظة لا أريد أن تفوتني قد لاحظت في أبحاثي أن شعر الرثاء. رثاء الحسين ورثاء أهل البيت سواءً كان بالفصحى أو بالعامة العاميات هذا الشعر في العصور الأخيرة تحول إلى نواح. نوح يعني يتضمن عنصر النياحة يتضمن عنصر الحزن المنكسر الحزن المهزوم، كيف إنسان انفجع في مشروع انكسر انهزم شعر الرثاء من هذا القبيل، هذا الشعر غلط كله غلط الذي نظم في رثاء الحسين في القرن الأول والقرن الثاني والثالث شعر حزن، الحزن موجود لأن قضية الحسين تمثل إحدى أفجع حوادث التاريخ البشري حقيقةً ولكن حزن فيه غضب فيه كرامة فيه روح مواجهة، شعر الرثاء في العصور الأخيرة شعر إنسان حزين.

يوكل الأمور إلى صاحب الزمان عجل الله فرجه يقول يا صاحب الزمان تعالى خلصنا، هذا يدل على أنه كيف حصل انكسار في نفوس المسلمين، بحيث تخلوا عن حمل المهمة نحن شغلنا ننتظر صاحب الزمان ونستعد ونتحمل مسؤولياتنا كل جيل يتحمل مسؤوليات عصره، أما أنا أتخلى عن مسؤولياتي وألقيها على الغير، هذه إحدى الأخطاء التي في اعتقادي تدخل في معاملة وفهم هذه الثورة الحسينية، بحيث في كثير من الحالات وعند جماهير الناس أصبحت تُحيا باعتبارها طقساً وليس باعتبارها شيء معاصراً.

نرجع إلى الأطروحة الأساسية. إذن قضايا الأمة غير قابلة للمساومة الآن حينما نريد أن نُنظِّر لثورة الحسين في وضعنا الحاضر تصبح ثورة الحسين ثورة معاصرة، ثورة معاصرة بكل معنى الكلمة، ثورة تصلح لأن تكون طاقة روحية توجه الجيل الحاضر في العالم العربي، في العالم الإسلامي عموماً لمواجهة قضايا بهذا الحجم، الآن مشكلتنا مع الإسرائيليين تُرى هل هي مشكلة مجموعة معينة، هل هي مشكلة دولة معينة من الدول العربية، أو هي مشكلة دولة إسلامية دون غيرها، نتكلم عن العالم العربي. هل هي مشكلة دولة عربية أو شعب من شعوب الأمة العربية دون غيرها أو هي قضية أمة، هذه القضية وفقاً

لروح الإسلام وفقاً للمنهج المحمدي وفقاً لمنهج علي وآله وفقاً لمنهج الحسين، هي قضية غير قابلة للمساومة، قضية يجاب عليها بنفس جواب «لو وضعوا الشمس بيميني والقمر بيساري» يجاب عليها بنفس جواب «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل» حينما تحولت هذه القضية في مساحة كبيرة من العالم العربي إلى قضية مساومة بكل أسف ما عدا سوريا، ما عدا الرئيس الأسد. والآن سوريا مسار واحد مع لبنان هذا كلام نسمعه دائماً، سوريا ومجموعات على الأرض مجموعات من الأمة مجموعة من الناس، القضية تحولت وهي مشروع أمة، الشعب الفلسطيني ساكن هذه الأرض، لكن مثل الشعب السوري أو اللبناني أو العراقي أو المصري أو المغربي الساكن على أرضه هو أرضه لا تخصه، هذه أرض تنتسب إلى المشروع العام إلى مشروع الأمة، حينما جعل مشروع الأمة موضوع مساومة انتهى كل شيء. بمجرد أن جعل هذا المشروع موضوع مساومة وقُسِّم فجُعل شيء يخص السوريين وشيء يخص المصريين وشيء يخص العراقيين وشيء يخص الجهة الفلانية والشعب الفلاني، الفلسطيني وغير الفلسطيني. تحولت من قضية عامة إلى قضية صغيرة، القضية الصغيرة تنتهي مع الصغار.

وها نحن نرى بأم أعيننا كيف انتهت، منهج أهل البيت والمسلمين المستنيرين في قضايا الأمة بقي هو منهج أهل البيت، حينما دخل عنصر المساومة في التاريخ على قضايا الأمة انتهى كل شيء.

عصرية ثورة الإمام الحسين عليه السلام تنبع من هذا المنظور من منظور أنها قضية أمة، لذلك العلاقة مع الحسين والعلاقة مع أهل البيت ومع القربى كما ورد في الكتاب الكريم، هي أكثر من كونها علاقة أشخاص الحب لا بد أن تكون له مبررات أخلاقية لأنه من الثابت عندنا الحب في الله يقابله البغض في الله، العلاقة بين أهل الإيمان هي علاقة مبنية على وشائج عاطفية ولكن قاعدتها قاعدة إيمانية، وإلا مثال ابن نوح مثال واضح.

هذه العلاقة حب أهل البيت وحب الحسين هو حب ينطلق من حيث هؤلاء يمثلون الكمالات العليا ويجسدون هذا المشروع ويضحون في سبيله، من

الأمور البينة أن الإمام الحسين لو أراد أن يسوي المسألة تسوية خاصة كان قادراً إلى آخر لحظة. عظمة الذين كانوا معه من رجال ونساء كل واحد منهم كان قادراً أن ينجز مشروعاً خاصاً ويسلم، لم يستسلموا ولم يسلموا بأية مشاريع خاصة الآن كل واحد منا يسأل نفسه لماذا هو موجود في هذه الجلسة؟ البعض يفكر أنه موجود ليقدم تكريم خاص للحسين لأنه سمع أنه يكسب ثواب ويزيد رصيده من الثواب، لكن الثواب لمن من أين يأتي؟ الثواب له مبررات، المبرر الوحيد لهذا الثواب هو أننا حينما نحضر نثبت ونعبر أننا ملتزمون بهذا المنهج.

الآن لا يوجد يزيد بن معاوية، لا يوجد حكم سفياني. لكن توجد صهيونية توجد إسرائيل في مناطق أخرى توجد اضطهادات توجد شيشان توجد بوسنة، يوجد انقسامات حادة وشنيعة يوجد المشروع الذي يطرح في العالم الغربي أن الخصم هو الإسلام، أن المواجهة هي مع الإسلام بعد سقوط الشيوعية والماركسية وانحلال الاتحاد السوفياتي يحتاجون إلى عدو، توجد حضارات ومدنيات وثقافات تعيش من ذاتها مثل الحضارة والثقافة الإسلامية وكل حضارات الإيمان عندها مقومات ذاتية، أما الحضارات المنحرفة تعيش من خلال مواجهة عدو، الغرب اخترع الحروب الصليبية بعد الحروب الصليبية، الغرب كان مجموعة جهلة ظلاميين رجعيين بكل المعاني، حينما استفاد قبس من الحضارة الإسلامية ومن احتكاكها مع العرب في اسبانيا بدأ يستعمل الطاقة التي حصلها في محاربة اليد والفكر الذي علمه اخترع الحروب الصليبية، انتهينا من الحروب الصليبية بدأ عصر الاستعمار.

انتهى عصر الاستعمار المباشر، بدأ عصر الاستعمار الجديد وتمظهر أخيراً في هذه المنطقة في الحركة الصهيونية، يراد دائماً اختراع عدو. في هذه القضية توجد ثغرات فينا على مستوى الأنظمة العربية بكل أسف نتحدث عن تضامن ولكن نجد أن الكثير من هذه الأنظمة تتسابق لتعقد صلح وتفاهم وتنشأ علاقات داخلية مع هذا الخصم مع هذا العدو جعل مشروع الأمة موضع مساومة، أنا حينما أشاهد وتشاهدون الشبان والصبايا والرجال والنساء الفلسطينيين يرجمون الجيش الإسرائيلي المحتل وحدهم هؤلاء يقومون بهذه المواجهة وحدهم لا

توجد لهم أمة من ورائهم، حينما المقاومون يواجهون الاحتلال الاسرائيلي في الجنوب والبقاع الغربي، حينما تقوم مظاهرة أو مواجهة في الجولان أو في مدينة مجدل شمس أو غيرها مثلاً حينما تصدر أي كلمة احتجاج أي برقية أي خطبة في كل موقع في العالم في مسجد في كل نادٍ تُرى أقول هؤلاء وحدهم هؤلاء ليست لهم أمة من ورائهم.

حينما الجندي الإسرائيلي الروسي الآتي من وراء جبال الأوراس من سنتين أو ثلاث سنوات، حينما الزنجي الآتي من أثيوبيا يحمل بندقيته ويطلق النار ويزعم أن هذه الأرض له هذا ما يشعر، يشعر أن الشعب اليهودي في العالم معه، إنه هو يحمل مشروع أمة حقيقة أقول لكم إن هذا الفلسطيني هنا أو هناك أو هذا السوري أو هذا اللبناني أو هذا أياً كان الذي يحمل هذا المشروع ويدافع عنه بالكلمة أو بالموقف وبالحجر هل يشعر أنه يحمل مشروع أمة، التصرف الذي يجري هو يجعله لا يشعر أنه يحمل مشروع أمة، يشعر أنه يدافع عن بيته الخاص وليس عن مشروع الأمة.

هذا علة العلل التي واجهت الحسين، حينما وقفوا، تُرى هل كانوا هم يحملون مشروع أمة ولكن الذين قال عنهم الفرزدق الشاعر، قلوب الناس معك وسيوفهم عليك، هل كانوا يحملون مشروع أمة أو أن المنطق كان أقل من منطق اليهود مع موسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾[1] التصرف الذي حصل هو أنه تجزأ المشروع أصبح كل قوم لهم قضيتهم الخاصة في الماضي النظام السلطوي المتستر بالإسلام، الملك العضوض حوَّل القضية الكبرى إلى قضايا صغيرة للناس، قضية هذه العشيرة أو تلك، هكذا الآن توجد قضايا وطنية أو اقليمية أو فئوية، ذاك الوقت كان قضايا عشائرية، حولها قضايا عشائر. الآن في ذلك الحين تجزأت القضية وقدم هذا المشروع مشروع الأمة على أنه قضية نزاع خاص وصراع عائلي وسلبت عنه كل قداسته وحدثت النهاية المتوقعة للحسين وآل الحسين.

الآن في مواجهتنا هل يكون الأمر هكذا كما قلت كما قيل أنا لا أحب

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

الرثاء لا أحب الحزن الذليل ولكن الآن هل نعتبر أن ما يجري أن يأتي هذا المبعوث الأميركي أو هذه المرأة التي أصبحت وزيرة خارجية وترتب الأمور، وتنتهي القضية نهائياً، أنا أقول لا هذه الأمة تحمل مشروعها، استفاقت الأمة بعد الحسين وإحدى الآثار الاستشهادية للحسين أنها أوجدت الصدمة الصاعقة وايقظت الأمة من سباتها، مشروع الأمة يجب أن يبقى وهذا المشروع يتغذى من هذا المنهل من هذا الطريق من هذا الماء، مشروع الإسلام هو مشروع الأمة، هذا الإسلام الآن غير فلسطين هو مستهدف.

من هنا أنا أقول، جيل الشبان الموجودين الآن في الثانويات وفي الجامعات جيل الأطفال والصبيان في المدارس الابتدائية والاعدادية هو جيل المستقبل الذي يجب أن يحمل هذه الأمانة ويتابعها، بهذه الروحية، روحية أن الحسين لم يكن رئيس حزب ولا شيخ عشيرة ولا صاحب مشروع سلطة بل مشروع أمة، وهذا المشروع بتمظهراته المستمرة هو لا يزال حياً ولا يزال موجوداً، يمكن أن تحدث نكسات في تاريخ الأمم ولكن في النهاية الله غالب على أمره إن شاء الله، هذه الإضاءات هو ما نستفيده من هذه الذكرى، وحينما نلتصق فيها عاطفياً، حينما نجلس ونحزن ونبكي وتخفق قلوبنا حباً وحزناً لا نكون منكسرين. عادة أذكر نموذجين حدثا، أقول تُرى حينما مسلم بن عقيل تحرك في الكوفة وأحاط بالمقر مقر الإدارة الذي كان فيه عبيدالله بن زياد يحكي التاريخ. أن النساء الكوفيات جئن فكانت تقول الواحدة لابنها أو لزوجها أو لأخيها ما لك وللشر انصرف الناس يكفونك أن هذا سواد وجه وخطر، هذه ليست قضيتك، والناس يعملون اللازم، إحدى العوامل التي أفشلت مشروع مسلم هو هذا الأمر هناك عوامل أخرى ولكن هذه أهمها أن النساء الكوفيات قمن بهذا العمل السيىء في المقابل النساء اللاتي كن مع الحسين في كربلاء قمن بدور مخالف تماماً كانت الأم والزوجة والأخت تشجع زوجها وابنها وأخوها على أن ينخرط بالمعركة ويستشهد ما الفرق بين هذه المجموعة من النساء وتلك وكلاهما ينتميان إلى طبقة وحدة وإلى مستوى ثقافي واحد وإلى إيمان واحد، الكوفيات كل نساء مسلمات جليلات صالحات تقيات.

أنا أقول أن الاختلاف كان هو هذا الأمر البسيط مستوى الوعي مستوى وعي الموقع ووعي اللحظة ووعي المهمة ووعي القضية في الكوفة فُهم أن هذا قضية خاصة ومشكلة بين مجموعتين ونحن لا يخصنا، لم يفهم الأمر وكأنه المشروع العام وهو أهل الكوفة الذين كتبوا للحسين أن هذا الحكم أذل رجالنا وأذل كرامنا واستنزف كراماتنا، ولكن هذا الكلام الذي كتبوه لم يكن حالة وعي عند الكثيرين من المجتمع، كان عند النخبة فقط. النساء الكربلائيات كان الوعي عندهم واضح أن القضية هي ليست قضية حالة شخصية مع الحسين بل هي قضية عامة وأنها أيضاً تجارة مع الله والمطلوب جنة لكن الكوفيات أيضاً كن يطلبن الجنة الكوفيات لا يطلبن النار، لكن الوعي مختلف ما نحن بحاجة إليه الآن هو درجة الوعي.

إن المأزق الذي يواجه الأمة العربية، المأزق الذي يواجه المسلمين في جميع أنحاء العالم، ولكن حقيقة ومن منظور فقهي وحضاري أن الموضوع هو هنا، الانطلاق والانبعاث والحيوية تنطلق من هنا أو الانكسار يكون هنا داخل العالم العربي درجة الوعي ما هي؟ هل توجد مشكلات صغيرة وكل مجموعة منا تسوي مشكلتها أو توجد مشكلة كبرى واحدة في واقع الحال كما كان الحسين يواجه توجد مشكلة واحدة إما أن نواجهها بروح واحدة أو تكون النتيجة الأسوأ أو يكون التحذير الإلهي، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[1].

الحمد لله رب العالمين نسأل الله تعالى أن يبارك في هذه المجالس وأن يرزقنا الوعي والبصيرة للاستفادة منها.

أستعيد هنا الحديث النبوي الشريف الذي شبه أهل البيت المعصومين بأنهم نجوم توجد عدة تشبيهات لأهل البيت أنهم سفينة النجاة ويوجد تشبيه للرسول أنهم نجوم يهتدي بهم أهل الأرض كما يهتدي الناس بالنجوم. كونهم نجوم. النجوم دائمة يعني هذه الحياة ليست حياة تاريخية نحن الآن في هذا

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣٨.

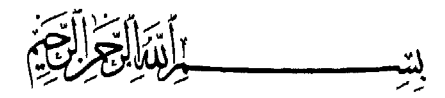
المجلس لا ننتقل إلى سنة ٦٠ للهجرة هي سنة تتجدد هنا ساحاتنا كلها هي ساحة مواجهة كربلائية كان لها عنوان الآن لها عناوين أخرى الفلاح في أن نعمق وعينا وأن نتحمل مسؤوليتنا اتجاه أجيالنا الشابة المستهدفة بالافساد بالثقافة الحسية البصرية الشهوانية التي أصبحت تدخل إلى كل بيوتنا والتي تهدد قيمنا الأخلاقية التي هي ملاك وجودنا بها نستطيع أن نواجه وأن نعيد حمل مشروع الأمة.

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً فنتبعه وأن يجعلنا من العاملين في هذا السبيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثورة الحسين ووحدة الجماعة

٨ محرم ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م



الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا أبا عبدالله، السلام عليك يا سيدي ومولاي وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

والسلام عليكم أيها الاخوة العلماء الأجلّاء والمؤمنون والمؤمنات الكرام ورحمة الله وبركاته وعظّم الله أجورنا جميعاً بمصاب الحسين (ع) والذي من جملة ما يُزار به قولنا السلام عليك يا صاحب الدمعة الساكبة السلام عليك يا صاحب المصيبة الراكبة.

هو صاحب الدمعة الساكبة وكيف يكون هذا؟.

عندي في كلامي هذا اليوم عدة أمور عامّة وحسينية أريد أن أبيّنها ولكن أريد أن أشرح أولاً هاتين الفقرتين اللتين يتلوهما الزائرون دائماً ولعلّ بعضهم لا يدرك معناهما ونتشارك في فهم نظرة أهل البيت سلام الله عليهم إلى نهضة الحسين (ع).

كيف يكون الحسين صاحب الدمعة الساكبة أمّا هو وقد استُشهد هل كانت دمعته ساكبة وهو صاحبها، كثير من المؤمنين وخاصة من أمثاله من الأوصياء والمعصومين الكبار والأنبياء وغيرهم هم أصحاب الدمعة الساكبة والمؤمن الواعي يبكي من خشية الله فهو صاحب دمعة ساكبة.

هناك فهم يختلف عن هذا وهو أن الحسين (ع) يملك دموعنا نحن المحبين له ولآله أي أنه صاحب دموعنا نحن الساكبة وكأن هذا البكاء عليه هو حقه وهو يملكه.

كما أنه صاحب المصيبة الراكبة التي لا تبلى والتي تتجدَّد، وعادة وعند جميع البشر فإن المصائب تصغر وتضمر وتذوي وتُنسى، وغاية ما يحتفظ الناس من ذويهم إذا طالت السنون أن يفتقدوهم بين الوقت والآخر بتلاوة الفاتحة.

أما الحسين (ع) وآله فمصيبته راكبة أي هي تتجدَّد في كل يوم أو في كل مرحلة من مراحل الزمن وفي نفس الوقت هو صاحب الدمعة الساكبة أي يملك دموعنا وكأنه شريك لنا في هذه الدموع وفي العواطف العميقة وفي الولاء العميق الذي يخرِّج هذه الدموع من هنا نفهم نظرة المعصومين سلام الله عليهم أئمة أهل البيت إلى عمق العلاقة بين المؤمن وبين الدعوة الحسينية أو النهضة الحسينية، وكأنها حالة شراكة لا تنفصل وحالة وحدة في القلب وفي الروح وفي المشاعر ومن هنا نفهم أعمق الأسرار الغيبيّة نفهم قصة القارورة، قارورة السيدة أم سلمة رضوان الله عليها والتي آمل من كل القرّاء أن يركِّزوا عليها ليعي الناس الأبعاد العميقة والأبعاد الكونية لقضية الحسين (ع).

إن قضية الحسين (ع) وفي كثير من جوانبها هي قضية تاريخ هي قضية أسباب ومسببات حدثت في التاريخ.

ولكن في بعض أبعادها هي قضية خارج التاريخ، بل هي قضية تتصل بالتدبيرات الإلهية لمسيرة هذا الكون ومسيرة هذه الدعوة النبوية المحمدية في حياة البشر.

السلام عليك يا صاحب الدمعة الساكبة والسلام عليك يا صاحب المصيبة

الراكبة وفي نص آخر ولعلي غداً أوفَّق للحديث عنه وفي كل مرة أتحدَّث عنه ببعد جديد وبنظرة جديدة يُظهر علاقة الحسين بالحركة النبوية منذ وُجدت الدعوة النبوية على الأرض في زيارة وارث التي يقول المعصوم سلام الله عليه فيها والظاهر أن الزيارة في بعض أسانيدها معتبرة، السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله.

ويتسلسل نسب الوراثة إلى أن يصل إلى الإمام الحسين (ع) مروراً بكل النبوات وكل أوصياء الأنبياء، وهذا يكشف عن عمق هذه الحركة النبوية التي تجلَّت في نهضة الإمام الحسين وما أصغر الصغار وما أضيق فهم بعض الكبار الذين يرون أن في هذه الثورة وفي هذه النهضة مجرَّد صراع بسيط على السلطة، أو مجرد معركة بين بيت علي (ع) وبين بيت معاوية أو بين الحسين (ع) وبين يزيد أو بين بني هاشم وبين بني أمية وأنها مجرد معركة كصراع الأحزاب حول السلطة وبالتالي فإن الحسين (ع) وكأن همه من هذه الدنيا أن يمتلك القصر ويصبح خليفة على الناس.

الواقع أن الحسين عليه السلام هو غير هذا كله، إنه وارث آدم ووارث نوح ووارث موسى ووارث إبراهيم ووارث عيسى ووارث محمد ووارث علي والحسن عليهم جميعهم سلام الله وبركاته.

ومن الأمور الثانية التي أريد أن أطرحها هو أن الثورة الحسينية كانت إحدى الشعارات الكبيرة في صدر الإسلام عن اختلال وضع المجتمع وعن اختلال وعي المجتمع وما نسمّيه الآن وحدة وطنية. أو تضامن وطني أو وحدة قومية وهذا ما أعنيه.

إن ثورة الحسين (ع) كشفت عن خلل عميق في هذه الوحدة وعلى أن السكون الظاهري الذي كان موجوداً في المجتمع هو سكون تحته العواصف والبراكين.

وفي ظل هذا السكون الظاهر كانت الناس ساكتة ومسلِّمة بحسب الظاهر وربما يخدع بعضهم نفسه فيقول إن الناس راضون بما هم عليه ولكن جاءت

ثورة الحسين (ع) لتكشف أن هذه الوحدة التي أرادها الله تعالى وأرادها رسول الله (ص) وعمل لها جميع السلف الصالح من المسلمين كانت مجرَّد وهم وأن الانشقاق العميق والتصدُّع العميق في المجتمع وفي الأمة كان قد بلغ مداه الأقصى، بحيث اقتضى الأمر أن إنساناً في حجم الحسين (ع) وهو أكبر حجم في عصره على الإطلاق، لم يرى بدأً من أن يفجِّر هذا الموقف في حركة استشهادية بدأت ولم تتوقف إلى أن بلغت نهايتها في اليوم العاشر محرّم وبكل ما فيه من دماء ودموع.

إذن هذه الوحدة الوطنية كانت ظاهرية وكان يُعبَّر عنها في لغة السياسة القديمة بـ ـ جماعة المسلمين ـ وأن الذي يشقّ وحدة الجماعة يجب أن يعاقب ولكن تبيَّن أنه لم تكن هناك جماعة للمسلمين بل كان هناك قسم مركَّب من حالة عشائرية ومن رشوة ومن معادلات قوة وقمع، وكان الناس خائفون ومُستسلمة والخطر هنا يكمن في أن الناس خائفة ومستسلمون ولو تحرَّك الناس لكان المجتمع صحيحاً والحركة والاعتراض هو دليل صحة وعافية.

أما في حالة الخوف والاستسلام فتكون الحالة الروحية والنفسية داخل المجتمع حالة مريضة وتكون العقيدة قد تعطلَّت والإيمان غير موجود.

فالذي حصل هو هذه الحالة ولم تكن هناك وحدة على الاطلاق والكلمة الشائعة التي يسمعها الناس في هذه المجالس هي كلمة الفرزدق للحسين (ع) (قلوب الناس معك وسيوفهم عليك).

فالإنسان صار مشطوراً إلى نصفين، قناعته في مكان وموقفه السياسي في مكان آخر، يعني أن كل واحد أصبح يلعن نفسه، حامل السيف ينتحر به ويأتمر بالسلطة التي لا يؤمن بها، وهكذا كان قلوبهم معك، أي أنهم يعرفون أحقية دعوتك وسيوفهم عليك أي أن مصالحهم وأهواءهم تغلّبت على قلوبهم وروحانيتهم وإيمانهم.

إن الوحدة الوطنية أو جماعة المسلمين هي إحدى القيم الأساسية في كل مجتمع، وهي إحدى الأمور والتي نعتبر أن الأمثولة الحسينية هي دليل فيها.

ومما يتّصل في حياتنا الحاضرة سواء في لبنان أو في غير لبنان فإننا نتحدث عن لبنان باعتباره حالة حارّة وحالة حساسة وفي السنوات الأخيرة بالتحديد وفي هذه السنة بوجه خاص وفي الأشهر القليلة الماضية بالتحديد ظهر كلام كثير من أوساط مسيحية لبنانية وغير لبنانية أوساط كنسية وأوساط علمانية تتحدث عن مشكلة حقيقية وأساسية في الاجتماع اللبناني وليس فقط في المجتمع اللبناني بل في الاجتماع اللبناني أي في الفكر وفي الفلسفة الذي يقوم عليه مشروع الوطن والكيان برمّته وهو القول أن المسيحيين في خطر في لبنان وتارة أن المسيحية والمسيحيين في الشرق في خطر.

ورُوِّج لهذه الدعوة ترويج كبير بحيث أصبحت تُثرثر وبلغ الأمر ببعض الجهات الدينية أو الجهات العلمانية أو في مواقع مدنية أن تكتب وأن تُفلسف هذه الدعوة. وبلغ الأمر أيضاً أنهم وضعوا زيارة جناب البابا إلى لبنان في هذه الصيغ وأنه هو يأتي ليثبِّت المسيحية في لبنان أو المسيحية في الشرق.

نحن كنا نقول دائماً وقلنا في حينه مراراً وأغتنم هذه الفرصة ومن هذا الموقع المقدس لأقول:

لم يكن في يوم من الأيام ولم يوجد في يوم من الأيام أي خطر على المسيحية في الشرق العربي ولا في العالم الإسلامي. ولا في لبنان بوجه خاص. بل كانت المسيحية في لبنان وفي العالم العربي وفي العالم الإسلامي مُصانة ومحميّة ومُحصَّنة حتى في أشد حالات انحطاط الحكم السياسي ودكتاتورية الحكم السياسي بحيث أن المسلمين عرباً وغير عرب وبصورة مطلقة أو بصورة انتقائية، هذه الجماعة أو تلك، هذا المذهب أو ذاك المذهب كانوا يخضعون من الحكومات بتمييز أو لملاحقة أو لاضطهاد ما أو بشكل آخر والمسيحية كانت مُصانة ومحصَّنة بنفس الاعتبارات التي يقوم عليها الإسلام. وهنا أقدم شاهداً على هذا وهو أنه طيلة هذه القرون وما تقلَّب على هذه البلاد من عهود ومن تيارات ومع ذلك بقيت المسيحية ليست وجوداً عبادياً وإنما وجوداً ثقافياً أيضاً ووجوداً حضارياً فاعلاً ومحتفظة بذاتها ومتفاعلة فيما حولها. هذا مع العلم أنه أُشيع في هذه الفترة عن خطة في مصر أو خطة في لبنان لأسلمة

لبنان أو لتفريغ مصر من المسيحيين، وما إلى ذلك.

إن هذه الأوهام إنما تنشأ. إمّا من عدم الخبرة أو بكل صراحة من سوء النية، ولست من موقع أستبعد فيه سوء النية، وأريد أن أؤكد أنه لم توجد في يوم من الأيام عند جماعة المسلمين وهذا هو تعبيري وأعيده عليكم «عند جماعة المسلمين» وعند القيّمين عليهم أية نية من هذا القبيل. بل كان جلُّ همهم وأعظم مقاصدهم هو المحافظة على ما نسميه الوحدة الوطنية ووحدة الجماعة. لأنه يوجد جماعة المسلمين ويوجد وحدة الجماعة وهو بما تشتمل عليه من كل التنوعات الموجودة في المجتمع. ونحن حينما ارتضينا منذ أُسِّس هذا الكيان في لبنان على أن يقوم مجتمع سياسي متوازن وأن تقوم على أساسه دولة متوازنة وعادلة ومتكافئة وعلى هذا بقينا ولم يغيِّر أحد منَّا رأيه.

إن وجود أصحاب أهواء وهو ما نُسمِّيهم في علم الكلام (أصحاب الأهواء) في هذا الوقت أو في وقت آخر أو وجود أحد ما يطلق دعوة من الدعوات فإن هذا هو أمر مألوف في جميع الأزمان، وإذا أردنا أن نُنظِّر لذلك بما هو موجود في المجتمعات الغربية فيطول بنا الحديث بما يُعمل فيه ضدَّ المسلمين وضدّ العرب وضدّ سائر الأديان الأخرى أيضاً.

إن وجود هؤلاء لا يعني أن هناك توجهاً من هذا القبيل، ومن هذا الموقع أريد أن أؤكِّد مرة ثانية أن أقدس ما نحرص عليه في حياتنا الوطنية في لبنان وعلى المستوى القومي في كل العالم العربي هو سلامة المسيحية وسلامة كنائسها وحيويتها وازدهارها على قاعدة المشاركة في حياة وطنية واحدة متكافئة تضمن الاخلاص النقي للمجتمعات الوطنية وللتوجهات العامة التي تحكم العرب مسلمين وغير مسلمين. إن إحدى العلل الكبرى هي هذه العلة. وآمل أن نكون قد انتهينا من الدعوات القلقة التي تظهر بين وقت وآخر في هذا المجال.

الواقع أني رأيت أنه من المناسب الحديث عن هذه النقطة والإشارة لها وذلك لإنهاء الحديث حولها.

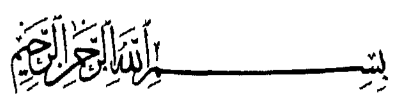
وأما النقطة الثانية والتي تتصل بذلك هو أن المسؤولين عن الوحدة

الوطنية وعن الاستقرار الاجتماعي ليس هم القيِّمون على المجتمع فقط وبالدرجة الأولى القيِّمون على الحكم، وليست ضوابط المجتمع من القيِّمين عليه في المجال الديني أو الثقافي هم المسؤولون عن الحرص عن الوحدة الوطنية وعن الاستقرار الاجتماعي. من هنا مسؤولية قيادات الدولة وأجهزة الدولة وخاصة القيادات والأجهزة التي تملك القدرة على تحريك الرأي العام والتأثير عليه عبر الأجهزة والوسائل المتاحة لها في ذلك.

والحمد لله رب العالمين.

عاشوراء يوم اللقاء لا الفراق

٩ محرم ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيّبين الطاهرين وعلى صحبه الذين اتّبعوه باحسان إلى يوم الدين.

السلام عليك يا سيدي ويا مولاي يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

اخواني العلماء الأجلّاء والمؤمنون والمؤمنات الكرام السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

نحن في الساعات الأخيرة من اليوم التاسع من شهر محرَّم نقترب نحو ليل العاشر من المحرَّم وتفصلنا هذه الليلة عن صباح عاشوراء.

إن لهذا اليوم ولِلَيْلته أيضاً أي الليلة الفائتة معنىً ونكهة في قلوب الواعين للنهضة الحسينية ولمقام الحسين (ع) وأهل بيته في اليومين الأخيرين من هذه الأيام انقطعت جميع الآمال في أن يرعوي الظالمون الضالّون إلى رشدهم وتقطعت جميع الوشائج التي كانت تصل بين الحسين وآله وبينهم وتبيَّن المصير وتبينت النهاية، وهو أن المعركة لا مفرَّ منها وهي معركة ستكون نتيجتها الشهادة والتي شرَّفت العالم وشرَّفت الإنسانية ودخلت في تكوين الإسلام.

في هذه الساعات نستحضر صحراء كربلاء إلينا أو نرحل بقلوبنا وأفئدتنا وذاكرتنا إليها، نستحضر الآن خيماً تعجُّ بالنساء والأطفال تحت شمس محرقة، أطفال جياع وعطاشى ونساء ورجال كذلك لا يواجهون في حياتهم وفي ساعاتهم الأخيرة أي أمل أو رجاء في أن يُفرج عنهم إلاّ إذا خضعوا وضعفوا واستسلموا هؤلاء كلهم يتعلقون برجاء واحد وبمصير واحد هو مصيرهم إلى الله سبحانه وتعالى.

تقطعت صلتهم بكل شيء إلا صلتهم فيما بينهم وصلتهم بمبدئهم ورسالتهم وصلتهم مع الله تعالى.

نستذكر لنفهم مشاعر هذه الليلة وما رُوي عن السيدة زينب وما قالته ظهيرة يوم العاشر حين وقفت على الجسد الطاهر لأخيها وتوجهت بكلامها إلى الله قائلة (اللهم تقبَّل منَّا هذا القربان) هذا القربان الذي هو الحسين (ع) وهو القربان الأكبر. والواقع أن هذا الكلام يلخِّص كل شيء، وفي هذه الليلة في عصر التاسع وليلة العاشر كان الناس بين مفهومين بين مفهوم الفراق وبين مفهوم اللقاء.

هل يتهيأ الناس ليفارقوا الحسين (ع) غداً أو يتهيؤون ليلاقوه غداً، هل كانت رحلة الأيام الماضية هي رحلة تنتهي بالفراق، فنكون قد أنجزنا ما علينا من تقديم مراسم العزاء عن ميِّت عزيز ونُنهي كل شأن لنا معه، أو أن هذه الساعات هي ساعات اللقاء. أننا نلتقي الآن مع الحسين ولن نفارقه.

في المفهوم العام أن هذه الساعات هي ساعات الفراق وأتحدث عادة عن كلمة تتداولها الألسن في اللهجة العاميَّة هنا عن يوم عاشوراء الذين يُسمونه يوم الفلَّة اليوم الذي يُنهي الناس فيه احياء وقائع ما حصل للحسين ولآله ولصحبه في موقعة كربلا.

إن هذا التعبير الساذج يكشف عن أن هذه العلاقة هي علاقة موسميَّة تبدأ في أوَّل محرَّم وتنتهي في اليوم العاشر منه والذي فيه تنقضي الالتزامات

والمراسيم نحوه ويعود الناس إلى حيث هم وينسحب الحسين من حياتنا ونذهب.

في الواقع وكما أراد أئمة أهل البيت سلام الله عليهم منذ الإمام زين العابدين (ع) وإلى إمام الوقت والزمان محمد بن الحسن الإمام المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه في زيارة الناحية الشهيرة، منذ ذلك الوقت وإلى هذا الوقت، هذه الأيام هي أيام اللقاء. كُنَّا مفارقين والتقينا، كنا بعيدين واقتربنا بأرواحنا وعواطفنا ووعينا، نزداد تعلقاً بالحسين وآله باعتبارهم أشخاصاً كراماً مُقدَّسين وباعتبارهم ضحّوا من أجلنا.

نحن الآن ننعم بنعمة الله في إيماننا النقي الصافي لأن الحسين استُشهد من أجل هذا الإيمان. ونحن ندرك مفاهيم الحق والعدالة ونتحسسها ونطالب بها ونعمل في سبيلها لأن الحسين استُشهد من أجل ذلك ونحن نفتخر ونكبر كمسلمين على سائر الأمم والحضارات بأن فينا منارات كبيرة وأن فينا مقامات روحية عظمى وأن فينا تاريخاً عظيماً للشهادة والشهداء وذلك لأن الحسين سلام الله عليه استُشهد.

هذا الإرث وهذه الثروة الروحية هي ما نلاقيه وما نحتفظ به من الحسين سلام الله عليه.

في كل واحد منا أو في كل إنسان يسكن الحسين باعتباره جزءاً من أفئدتنا ومن قلوبنا وكما قلنا أمس أنه قرين الدمعة الساكبة وصاحب الدمعة الساكبة. هذه الروحية موجودة الحسين (ع) فيها، وإذا تتبعنا موقف أهل بيت النبوة منذ رسول الله وكما قلت أن ثورة الحسين ونهضته وشهادته تدخل في تصميم الحالة الكونية، وحينما نتذكر قصة القارورة لأم سلمة منذ عهد رسول الله ندرك أن الظاهرة الحسينية هي ليست ظاهرة عادية في تاريخ البشر والإنسانية بل هي ظاهرة عميقة في تكوين الروح الإنسانية والإيمان الإنساني، وتوق الإنسان إلى الانعتاق من كل الماديات ليتحوَّل بذاته إلى قربان وكما قالت زينب سلام الله عليها (اللهم تقبّل منّا هذا القربان) وهو لسان حالها وحال آلها جميعاً. في هذه الساعات نزداد لقاءاً مع المعنى الحسيني الذي تجاوز الزمان وتجاوز المكان

ليصبح ظاهرة حضارية وظاهرة روحية.

أيها الأعزاء والعزيزات. نلتقي مع الحسين في صلاتنا ونلتقي مع الحسين في كل عمل من البرِّ والتقوى الذي نقوم به، لأنه كما حدثتكم مراراً أنه لم يحمل مشروعاً سياسياً صغيراً ومحدوداً بل حمل مشروع الأمة بكل ما فيه ومشروع الإنسانية بكل ما فيه، وفي أعمق أعماقه تقوى الله سبحانه وتعالى.

نداء الحسين يردنا إلى أن نكون مسلمين مُخلصين إلى أن نكون مُخلصين لله في العبادة ومخلصين لله في التقوى إلى أن نكون على صلة معه لا باعتباره معنى سياسياً بل باعتباره معنىً روحياً وأن نعتبر أن الذي حرَّكَ الحسين (ع) هو غيرته الدينية وهو روحه الإيمانية قبل أن يكون الذي حرَّكه معنىً من معاني السياسية أو معنىً من معاني السلطة.

في هذه الساعات نتهيأ للقاء مع هذا الإمام العظيم ومع هذا الشهيد العظيم ونستحضره الآن، والواقع أني استحضر الآن في خيالي هذه الساحة التي طهرت بالحسين وآله وأصحابه في كربلاء فأرى مجموعات من النساء والأطفال والشبان والشابات والرجال والنساء المصمِّمين أمام إرادة المولى وأمام قدر الموت على أن يموتوا كراماً في سبيل الله سبحانه وتعالى وعلى أن يُسلِّموا أنفسهم وأمَّتهم وتاريخهم وإيمانهم لمعنىً ظالم أو لسلطة ظالمة باغية تتستَّر من الدين وهي منه بعيدة وهو منها بريء.

السلام على الحسين وعلى آل الحسين، السلام عليهم سلام لقاء لا سلام فراق، والسلام عليكم جميعاً أيها الأعزاء والعزيزات ورحمة الله وبركاته.

خطاب عاشوراء هو خطاب الوحدة

١٠ محرَّم ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م



الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الذين اتَّبعوه بإحسان إلى يوم الدين.

السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلَّت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

في ذكرى عاشوراء، نستعيد هذه الذكرى مع بدء السنة الهجرية ولا أريد أن أُطيل في معاني الذكرى وقد قيل الكثير من الكلام في هذا الشأن ولكني أريد التركيز على العلاقة بين الهجرة النبوية وهجرات الأنبياء السابقين وبين الهجرة في الداخل التي يسير عليها أهل الإيمان في كل عصر وزمان والتي لن تتوقف إلى أن يُحقق الله تعالى في هذه الأرض أهداف الإيمان وأهداف هذه الأمة.

فمنذ هبوط آدم (ع) إلى هذه الدار الدنيا بكل ما فيها والتي قال الله تعالى فيها ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[1] وكانت هي الهجرة الأولى في تاريخ البشرية وفي

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

تاريخ النبوات والذي هو تاريخ الهجرات من عالم الله إلى عالم المعاناة وعالم تحمُّل الإنسان لمسؤولية عمله.

بعد ذلك تأتي هجرة نوح (ع) من عالم الجاهلية إلى عالم الإيمان في السفينة وفي الطوفان.

وجاءت هجرة إبراهيم (ع) من ما بين النهرين إلى حيث نشر الإيمان في هذه المنطقة. وبعدها جاءت هجرة موسى وقومه من جاهلية مصر وفرعونية مصر إلى عالم الإيمان. وجاءت هجرة عيسى (ع) من فساد اليهود ومن جاهلية اليهود إلى رحاب الإيمان.

وجاءت بعد ذلك هجرة محمد صلَّى الله عليه وآله وسلم من شرك مكة ومن جاهلية مكة إلى رحاب الإيمان وإلى انطلاقة الإسلام.

وبقيت الهجرة بهذا المعنى مفتوحة لكل إنسان وكانت أكبر محطاتها في تاريخ المسلمين هي هجرة الحسين (ع) من المدينة إلى مكة إلى كربلاء إلى الثورة إلى الشهادة تحت شعار واحد هو الشعار الذي ابتدأ فيه آدم (ع) ولم ينتهي ولن ينتهي بالحسين (ع) إلى المقاومين الآن في الجنوب والبقاع الغربي من لبنان وفي فلسطين ضدَّ الكيان الإسرائيلي وإلى المقاومين الآن في داخل فلسطين وإلى كل مقاوم للشر في العالم كل هؤلاء مهاجرون على هذا الطريق وإلى آخر الدهر، فالهجرة والتي كان تعبيرها الأول في قصة ابني آدم (ع) إذ قال أحدهما لأخيه ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾[1] وإلى كل الهجرات التي تبعتها وبعد هجرة رسول الله (ص) كان أعمق هذه الهجرات أثراً هي هجرة الإمام الحسين (ع) تحت شعار قرآني والذي عبَّر عنه بقوله (أريد أن آمر بالمعروف وأنه عن المنكر. إنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي) وذلك تأكيداً لقول الله تعالى ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[2] هذه الآية تُعبِّر عن المناخ الحقيقي لاستقامة هذه الأمة ومناعتها

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا أعني بالمعروف والمنكر المتعلقين بالشؤون الفردية فقط وهو أمر واجب ولكني أعني أنه في الشأن العام أيضاً.

بهذه الرؤية ندخل إلى ذكرى الحسين (ع) ومن البديهي أن المعروف الخاص هو واجبنا جميعاً، هو أن نتوب إلى الله وأن نجدد حياتنا ونجدد قلوبنا ونجدد عقولنا وأما المعروف العام وهو المعروف الأعظم فإن هناك قضية نواجهها في لبنان قضية اهتمامنا بمشروعنا في بناء المجتمع وبناء مشروع الدولة وهو أن نكون موحَّدين على مشروعنا المتعلق ببناء الدولة.

(. . والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد).

هذا الكلام لم يقله الحسين (ع) عن نفسه من حيث هو بل جسَّد فيه إرادة الأمة في عصره وجسَّد فيه إرادة الأمة في كل العصور. ونحن الآن في مقابل المشروع الصهيوني في لبنان وفي العالمين العربي والإسلامي وفي ما يُسمَّى بقضية الشرق الأوسط وقد قلنا مراراً وتكراراً أننا لا نعترف بما يُسمّى بالشرق الأوسط كقضية إنما يوجد عالم عربي وعالم إسلامي يوجد في هذه المنطقة أكثريات قومية ودينية، أكثرية قومية فيها مسلمين وغير مسلمين وأكثرية دينية أيضاً فالمسيحيون الأعزاء في لبنان أو في مصر أو في العراق ليسوا أقلية وكذلك الأكراد ليسوا أقلية.

يوجد أكثريتان، أكثرية قومية فيها مسلمون وغير مسلمين، وأكثرية دينية فيها عرب وغير عرب. قضيتنا الأولى هي محاربة فكرة الأقليات ومفهوم الأقلية. بهذا نؤمن وبهذا ما نزال نعمل.

القضية الأخرى هي قضية مقاومة التطبيع الإسرائيلي، يريدون تدجيننا، يريدون وضع قوانين وشرائع للسيطرة على أرضنا ومياهنا واقتصادنا وثقافتنا.

الاختبار الأول الذي يتعرَّض له المسلمون والعرب الآن هو التطبيع، يجب أن نقاوم التطبيع، مع أطفالنا ومع رجالنا ومع نسائنا، في قلوبنا وفي شرائعنا وفي علاقاتنا وفي كل سلعة نشتريها، وفي كل كتاب نقرأه فإنهم يبثّون السموم في الفكر وفي الثقافة، وفي العقيدة وفي الكيان هذا التطبيع يجب أن

يُقاوم ويجب أن تنهض جميع كفاءات الأمة مسلمين ومسيحيين، كل كيانات المجتمع الأهلي، كل الهيئات في الدولة، يجب أن تتساند جميعاً لمقاومة مشروع التطبيع، لأن التطبيع هو الطريق إلى الانتحار الدائم. . .

ثورة الحسين أيها الأعزاء أقول هذا الكلام وسأظل أقوله وقد قلته في السنين الماضية من أنه ليس للشيعة في لبنان أو في العالم العربي مشروع خاص بهم، الشيعة في لبنان والعالم العربي هم جزء من المشروع الوطني العام في بلدانهم وفي أمتهم، مشروع الدولة والمجتمع واحد وليس لديهم أي وهم في مشروع خاص بهم كما أنهم لا يتحمّلون مسؤولية أي مشروع خاص. هذا هو المعنى الأولى لثورة الإمام الحسين الإسلامية والإنسانية.

الإمام الحسين تحرَّك من أجل مشروع الدولة للجميع لا تقوم على الفئوية أو المذهبية أو الطبقية. ولا على الغلبة والاستقواء، هذا المنظور الإسلامي هو حلم البشر الدائم في مجتمعاتهم فالبشر يبحثون دائماً عن المساواة والعدالة، والبشر يبحثون دائماً عن اعتراف الآخرين بهم، عن المساواة والكرامة والعدالة، وهذه تعني الاعتراف المتبادل والعيش الواحد وذلك في مقابل الدعوات إلى الافتراق والغلبة والاستقواء، وبهذا المعنى فإن خطاب عاشوراء هو خطاب الوحدة خارج الحزبية وفوق الحزبية، وحدة لبنان بجميع فئات شعبه مسلمين ومسيحيين في جميع مناطقه، خطاب المشروع الوطني. خطاب عاشوراء والحسين عليه السلام هو خطاب العيش المشترك في لبنان. والعيش الواحد الذي يقوم على ثوابت الدولة والمجتمع في لبنان، العيش الواحد الذي يعترف بالآخرين، بكرامتهم وحريتهم وكياناتهم الداخلية.

إن خطاب عاشوراء هو أيضاً خطاب الممانعة ووقوفه في وجه العدوان، لقد حقَّق الإسرائيليون في مشروعهم في المنطقة وحين نجحوا في تجزئة المشكلة وتفرقة الأمم. فبدل من أن تكون أمة عربية أو أمة إسلامية موحدة نرى دولاً وكيانات وبدلاً من أن تُطرح على أساس أنها قضية واحدة طُرحت بأشكال جزئية وفي كل قطر عربي، واستُغلت كل عوامل الضعف والخوف في كل قطر، ولم يصمد حتى الآن في وجه هذا الأسلوب إلا سوريا ولبنان وذلك برؤية

متكاملة نتيجة التنسيق والتكافل بينهما والقيادة الشجاعة للرئيس حافظ الأسد وهذا مما شكّل مصدراً للقوة والمناعة في مواجهة المشروع الإسرائيلي للاستقواء.

إن من شروط مشروع المواجهة في هذا الشأن هو مقاومة محاولات التطبيع والغزو الثقافي.

إن الغزو الإسرائيلي والاستعماري في هذه المرحلة يتمثّل في فرض اندماج اسرائيل في المنطقة بما يمكّنها من الاستقواء علينا واستلاب دور لبنان والشعب اللبناني مسلمين ومسيحيين، دور لبنان الحضاري والموقع الذي يحتله بين أشقائه العرب ناهيك عن دور لبنان في المنطقة وفي العالم. ومن هنا فإن المطلوب من كل وسائل الإعلام من المسؤولين على كل المستويات ابتداءاً من المقامات الدينية والسياسية تثبيت القيم في نفوس الشعب والجيل الجديد بشكل خاص لتكوين مجتمع مقاوم فيه المناعة القوية ضد كل هذه الغزوات علينا.

إن وحدة الداخل وبناء الصمود الفكري والثقافي هو الكفيل دائماً لنهوض مشروع المقاومة والمواجهة.

إن من ثوابت المشروع الذي نقترحه هو التوافق العربي واللبناني على أمور ومسلّمات دائمة.

أولاً: لا يمكن أن توجد سلطة في العالم تقدر أن تهوّد فلسطين وخاصة القدس الشريف. أو الأراضي العربية الإسلامية وتنزع عنها هويتها لتُحوّلها إلى اسرائيلية وصهيونية...؟؟.

ثانياً: إن قضية القدس هي أكبر وأهم الثوابت في مشروع المواجهة الهادف إلى الاحتفاظ بهويتها العربية السياسية والحضارية ومن دون أن يعني ذلك حرمان أحد من حقوقه فيها.

ثالثاً: تطوّر العلاقات العربية باتجاه إنشاء سوق عربية مشتركة تُعبّر عن التكامل الاقتصادي والسياسي بين الدول العربية للحيلولة دون سيطرة المشروع الصهيوني على اقتصاديات المنطقة والدول العربية.

أيها الإخوة والأخوات. إننا إذ نعود إلى فحص وضعنا اللبناني الداخلي ونُراجع مسيرتنا خلال عام مضى، نجد أننا حققنا تقدماً ملحوظاً في مجال الإنماء والإعمار، على مستوى مشاريع الدولة وأننا حافظنا على تماسكنا في مواجهة العدوان الإسرائيلي وعلى مناعة روح المقاومة ضد المشروع الإسرائيلي على مستوى الشعب ومستوى الدولة في الحكم والحكومة والمجلس النيابي. وفي ظل تلازم المسارين السوري واللبناني في وجه المؤامرات والأفخاخ الإسرائيلية والتي أمكن التغلُّب عليها بحكمة وشجاعة وأن لبنان استعاد جانباً كبيراً من دوره وأهميته في المجال الدولي كما وأنه استعاد دوره وحضوره في المجال العربي. وأن الدولة قد نجحت في نشر الأمن وتثبيته بكفاءة عالية دفع ببعض الجهات الدولية والتي تتخذ موقفاً غير موضوعي وغير عادل في هذا الشأن من أن تعلن موقفاً إيجابياً منه.

إن هذا الإنجاز المهم يدعونا إلى التنويه بالجيش اللبناني وسائر القوى الأمنية ومساندة الجيش السوري في تحقيق هذا الانجاز الكبير. ويدعونا أيضاً إلى التنويه بالقيادة السياسية التي عملت على تحقيق الظروف المناسبة لتحقيق هذا الإنجاز.

ولكننا في المقابل نلاحظ أننا لا نزال نعاني في مجالات أخرى حيوية في مشروع نهوض الوطن على مستوى بناء المجتمع، إن الأزمة الاجتماعية الاقتصادية لا تزال ضاغطة على جانب كبير من الشعب اللبناني وخاصة في الأماكن الأشد حرماناً.

وكذلك قضية المهجرين لا تزال على حالها ولم يتحقق أي تقدم على مستوى عودة المهجرين ولسنا هنا في مجال إدانة أحد بعينه ولكننا نشير إلى أن قضية المهجرين هي إحدى أعظم وأهم قضايا اعادة تكوين المجتمع والدولة في لبنان. واستعادة العافية إلى هذا الكيان وتثبيت الوحدة الوطنية فيه.

إن شعب لبنان قد حقق تقدماً كبيراً في مجال استعادة وحدته الوطنية ولكن لا يجوز لنا أن نكتفي بما حققناه في هذا الشأن فعلينا أن نتابع العمل

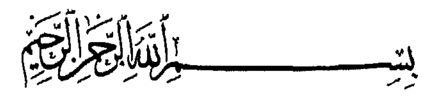
المثمر الواعي إلى تعميق وحدتنا الوطنية وتحصينها من مؤامرات ومحاولات اسرائيل ومن سوء الفهم واختلاف الرؤية عند بعض اللبنانيين في الداخل والخارج. وفي هذا الشأن ندعو الجميع إلى استعادة الحصانة والتي عبَّر عنها الشعب اللبناني في وحدة الموقف السياسي والأخلاقي والإنساني والذي تجسَّد في قول الله تعالى في هذا الجسد اللبناني الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر.

أيها الإخوة والأخوات، إننا من على منبر الحسين (ع) العابق بروح الشهادة والتضحية نوجه التحية إلى المسلمين في أقطار الأرض كلها وندعوهم إلى التزام الحق والعدل وإلى الوحدة والتضامن وإلى التواصل والتسامح. ونوجه التحية إلى اللبنانيين جميعاً وندعوهم إلى المحبة والتعاون وإلى التضامن والمشاركة في إنماء مجتمعهم وتطوير صيغتهم في العيش وتثبيت حياتهم السياسية...

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به وأعفو عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، صدق الله العظيم والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

المعنى العبادي في النهضة الحسينية

١١ محرَّم ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م



الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم منّا جميعاً سلام الله أبداً ما بقينا وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته. والسلام عليكم أيها الإخوة العلماء الأجلّاء والاخوة والأخوات الأعزاء الكرام ورحمة الله وبركاته.

نحن الآن في عصر اليوم الحادي عشر من شهر محرَّم، كان قد مضى يوم كامل على بقية أهل البيت في صحراء كربلاء بعد ارتكاب الجريمة العظمى بالحسين وآله وأصحابه.

منذ قطع الرؤوس بدأت مرحلة جديدة من المعاناة والعذاب لأهل البيت وكما تعلمون كُلُّهنَّ نساء ما عدا زين العابدين (ع) وبعض الصبيان الصغار وأما العبء الأعظم فيقع على عاتق السيدة زينب سلام الله عليها. هذه الأيام الثلاثة، من ليلة الحادي عشر وهذا اليوم. واليوم الثالث عشر والذي تمَّ فيه دفن الجثث الطاهرة، هي أيام حافلة بالمغازي وبالمعاني. لم تكتمل المأساة والجريمة

بمقتل الحسين (ع) وإنما كانت لها ذيول كثيرة، منها قطع الرؤوس رض الأجسام إحراق الخيم، سلب النساء والأطفال، سلب كل المواد الثمينة من ثياب وحلى، بث حالة الرعب والجعجعة، ولا أعرف كيف قدَّموا لهنَّ الماء بعد أن قطعوا الماء عن الجميع طيلة يومين أو ثلاثة أيام، لذلك رأينا أن يمتدَّ مجلس عاشوراء هذه الأيام الثلاثة لأجل أن يستكمل المؤمنون أبعاد هذه الصورة العميقة ويزداد عمقاً ومعرفة بمصائب أهل البيت وبمغزى هذه المصائب.

هذه نقطة أولى ولذلك نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه السنة سنة حسنة وبلغني أن بعض الجهات الأخرى أيضاً قد اعتمدت مبدأ الثلاثة أيام بعد العاشر، فنشكر الله سبحانه وتعالى على تأسيس هذه السنة.

الأمر الثاني الذي أريد أن أبيِّنه هو أن الناس في أثناء عاشوراء تهتم بأمرين.

الأمر الأول هو عناصر المصيبة العاطفية وهو الجانب العاطفي للحادث من خروج الحسين (ع) ومظلومية أهل البيت والعطش والغربة والجوع والخوف ومحاولات الإذلال وكل هذه الجوانب العاطفية والمأساوية وهي التي يبكي الناس من أجلها.

والجانب الثاني الذي يهتمون له هو الجانب السياسي، وهي قراءة الدلالات السياسية والاجتماعية. للنهضة الحسينية. وهناك جانب آخر قلَّ ما عرض له أحد وأنا قد عرضت له باشارات بسيطة أثناء أيام عاشوراء وأريد أن أركِّز عليه في هذا اليوم وهو أن نهضة الحسين (ع) هي أيضاً هدفت في ما هدفت له إلى تعزيز وتعميق المعنى العبادي في النهضة الحسينية وليس فقط المعنى السياسي، وكما لاحظتم وقلت لكم مراراً في أمر الصلاة أن الذين كانوا في كربلاء كانوا جميعاً يُصلُّون، إذ إن المعسكر الأموي كان يُصلِّي الخمس صلوات، وكان الإمام الحسين وأصحابه أيضاً يُصلّون الخمس صلوات، إذن فشكل الصلاة كان أمراً مشتركاً. ولكن ما هو معنى الصلاة وحقيقة الصلاة تذكرون أنه في اليوم العاشر حينما نبَّه أحد الصحابة الأجلاء إلى أن وقت الصلاة قرب وقال للحسين (ع): إن الشمس زالت ونُريد أن نُصلّي باستبشار الإمام

الحسين قال نعم، نُصلّيها جعلك الله من المصلّين الذاكرين، وتذكرون أنه في ليلة العاشر حينما هجم جيش بني أمية على معسكر الإمام الحسين طلب منهم الحسين بواسطة الرسل (أمهلونا هذه الليلة نُصلّي لربنا).

فالصلاة تعني العبادة عموماً، أو تلاوة القرآن، أو دعاء أو تسبيح، أو حتى تأمُّل وتفكُّر في خلق الله تعالى هذه أيضاً من مقاصد نهضة الحسين سلام الله عليه. أي أننا لا نرى فيها مجرّد العنصر المعنوي السياسي بل نرى فيها أيضاً إرشاداً وتعميقاً لمعنى العبادة بحيث أن عبادتنا لله سبحانه وتعالى تكون عبادة عن اخلاص. فالذين كانوا يُصلّون في معسكر الأمويين ما هي درجة اخلاصهم لله في عبادتهم وكيف يمكن أن نتصوّر أن هؤلاء يستجيبون لنداء المؤذّن بالصلاة حيّا على الصلاة، حيّا على الفلاح، ويقومون فيتوجهون إلى القبلة ويقولون في أذانهم وفي تشهدهم أشهد أن محمداً رسول الله، وفي نفس الوقت هم في معسكر يريد أن يُذلّ أو يُخضع أو يقتل الحسين بن علي ابن بنت رسول الله عليهم السلام. أو غير الحسين بن علي، أي إنسان عادي بسيط. فكيف يمكن الجمع بين هذه الصلاة وبين هذا العمل.

نتعلم من ثورة الحسين سلام الله عليه ومن نهضة الحسين (ع) معنى الصلاة وأنها ليست هي مجرّد شكل خارجي وأن تلاوة القرآن والتسبيح وأن الدعاء هي ليست مجرد شكل خارجي بل هي روح وهي اخلاص وكما قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1].

فشكل العبادة يمكن أن يكون موجوداً ولكن من غير اخلاص يكون شكلاً بلا روح. لذلك نُعلِّم أنفسنا عن طريق الحسين وآله أنه حين نتوجه إلى عبادة الله وذلك بقدر ما نستطيع أن نستحضر النية الخالصة لله سبحانه وتعالى في عبادتنا وفي صلاتنا. وبمقدار ما يكون قلبنا حاضراً وفكرنا حاضراً في تلاوتنا وفي ركوعنا وفي سجودنا نكون قد اقتربنا من معنى العبادة لله سبحانه وتعالى.

وهذا أمر يستطيعه الإنسان المؤمن رجلاً كان أو امرأة بالمران والتدريب.

---

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

فالصلاة العادية هي صلاة صحيحة وحافظوا عليها ولكن بمقدار ما تستطيعون اجعلوا صلاتكم قريبة من الله سبحانه و تعالى. واجعلوا الله حاضراً في قلوبكم وفي ضمائركم واستحضروا معنى العبودية لله.

في الآثار الواردة عن الرسول (ص) أن الإنسان الصالح هو الذي يُصلّي صلاته وكأنها آخر صلاة يُصلّيها.

أي إذا علم الإنسان أنها آخر صلاة يُصلّيها وأنه بعدها سيموت، سيجعل كل وعيه وكل روحه وكل إخلاصه في هذه الصلاة. فليعلم الإنسان أنه لا يضمن أنه سيعيش بعدها ولتكن كل صلاة وكأنها آخر صلاة له. من هذا المنطلق أريد أن أحدثكم باختصار عن سورة من القرآن تتّصل بمعنى العبادة وبمعنى العمل هي صورة العصر. وتتصل أيضاً بمعنى نهضة الحسين سلام الله عليه. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[1].

والعصر، هذا قسم، أقسم الله سبحانه وتعالى بالعصر.

والعصر يُمكن أن يكون وقت العصر، أي نهاية اليوم ويمكن أن يكون العصر هو الزمن كما نقول عصر النبي أو عصر فلان، أو العصر الحديث أو العصر القديم. ولكن على الظاهر والله أعلم أن المراد من العصر هو الوقت وليس مطلق الزمن، أي العصر هو نهاية النهار، نهاية النور، نهاية وقت اليقظة والحركة والعمل، والقسم بالعصر لأن الإنسان يجب أن يعي أنه غير دائم أنه يمكن أن يكون كل يوم من أيامه هو العصر، أي آخر النهار ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ الله يؤلّد بالقسم وبكلمة إنّ وإن في اللغة العربية للتأكيد، يعني مدلولها مئة بالمئة، إن الإنسان لفي خُسر، هذه فيها تأكيدين، أولاً كلمة إن وثانياً اللام في «لفي» يعني أن الإنسان مئة في المئة لفي خُسر.

أولاً قال الإنسان، ولم يقل الكفّار، فالإنسان يشمل عليه كل من ينطبق عليه هذا اللقب، من الأنبياء إلى أحطّ المجرمين، يعني أن الأنبياء في خُسر،

(١) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٣.

وأحط المجرمين في خُسر، أي كل إنسان، فلم يقل الكافرين أو المجرمين أو غير المسلمين أو غير الشيعة مثلاً باعتبارهم يميزون أنفسهم ـ هداهم الله ـ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾.

من المؤكّد أن الإنسان يعيش في الخسر بل فيه خُسر، وكلمة في أي أنه يعيش في الخسر. يُولد في الخُسر ويحيا في الخسر، ويُصبح في الخسر ويُمسي في الخسر، وينام في الخسر ويستيقظ في الخسر، أي يعيش حياته في الخسر.

والسؤال ماذا يخسر الإنسان، وكيف يعيش الإنسان في الخسر.

الله أعلم بأسرار كلامه الشريف، ولكن نحن نرى أن الإنسان يعيش في الخُسر أي يعيش في الزمن والإنسان حينما يولد وفي الدقيقة التي ينفصل فيها المولود عن أمه ويكون عمره دقيقة، فإن الناس يقول إن شاء الله مئة سنة، ولكن وهو في الدقيقة التي يُولد فيها يبدأ بالنقص، فإذا عمره مئة سنة يصبح عمره مئة سنة إلاّ دقيقة، إذا انقضى يوم يقولون أنه كبر يوماً وكم عمر هذا الطفل، يقال عمره يوم، أي صار كبيراً يوم، وهو في الحقيقة صغر يوماً. أي أنه له رصيداً مئة سنة وصارت المئة سنة مئة سنة إلا يوم، أي نقصوا يوماً، فإذا مضى عليه شهر يقول الناس أن عمر الطفل شهر أي كبر شهراً ولكنه صغر شهراً وخسر شهراً، أي مئة سنة إلا شهراً، كل الناس في خسر، أي كل لحظة، كل نفس، فهو في خُسر، فالنبي يخسر وأحط المجرمين يخسر.

وهكذا نرى أنه بهذا المستوى هو دائماً من خسران. فالنبي في خسران ويزيد بن معاوية في خسران، أي كلاهما يخسر عمره، يعني يخسر نفسه، يعني ينقص ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾.

قبل إحدى عشر يوماً بدأنا بالسنة الهجرية الجديدة عملنا تشريفات وتبريكات من جهة رأس السنة وبدأنا بعاشوراء، فالسنة الهجرية أي سنة ١٤١٨ بدأت عند غروب يوم الثلاثاء، واليوم الحادي عشر أي نقص إحدى عشر يوماً، دخلنا في هذه السنة الجديدة في اليوم الحادي عشر أي خسرنا إحدى عشر يوماً.

بدأت بالكلام معكم في الساعة السادسة والربع والساعة أصبحت الآن السادسة وخمس وثلاثون دقيقة أي مضى عشرون دقيقة أي خسرنا من أعمارنا عشرين دقيقة، أي اقتربنا من قبورنا عشرين دقيقة.

وأنا هنا الآن في مقام الموعظة. ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ لا الإنسان العجوز ولا الشاب أو الشابة يقول أنه لا يهم ربع ساعة أو مدة من الوقت فإن ربع الساعة مع عدد مثلها تصبح يوماً وسنين. هذه حقائق القرآن العظيمة، فالناس ترى شيئاً وحقائق الأمور شيء آخر، الناس تحتفل برأس السنة بينما الناس يجب أن تبكي لأنه خسرت سنة الناس تعمل حفلة مولد للأطفال وللكبار وهو عمل لا بأس به إذا كان خالياً من المعصية ولكنه شيء لا يدعو إلى الفرح بل هو شيء يدعو إلى التبصُّر وإلى التأمُّل، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾.

وأذكر لكم شيئاً سمعتموه بالأمس، حينما علي الأكبر سلام الله على روحه الطاهرة رجع من الحملة الأولى وهو عطشان وجاف ولكن غالياً قال أنه عطشان وأن الحسين عليه السلام أمصَّه لسانه، فوجده مثل الخشب لأنه عطشان على عطشان، ماذا قال له؟ قال: اذهب يا بني بعد ساعة ستلقى جدك رسول الله فيسقيك من كأسه شربة لا تظمأ بعدها أبداً، إذن الساعة لها دور. ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾.

إذن كيف يمكن أن نُقيِّد الزمن؟ كل شيء في الدنيا يُمكن أن يُقبض عليه ويُستعاد أو أن يسترجعه الإنسان إلا شيء واحد مع أن كل الأشياء مخلوقة حتى الزمن أيضاً وعمر الإنسان مخلوق. إلا شيء واحد وهو الزمن أو العمر فإنه لا يمكن أن يُستعاد أبداً. إلا بطريقة واحدة وهي واردة في الآية الكريمة ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1] هذا هو الشيء الوحيد الذي يُعوِّض الخسارة وهي أربعة أمور، أي أن هذه المعادلة تتكوّن من أربعة أمور.

أولاً الإيمان، إيمان القلب، وإيمان الضمير، أي عندما نقول الصلاة التي

---

(١) سورة العصر، الآيتان: ١ ـ ٢.

فيها روحانية وفيها حضور عند الله تعالى. فإن كل الناس يخسرون إلا هؤلاء فإنهم لا يخسرون.

ومع الإيمان العمل الصالح، فالناس كلهم مؤمنون وأنا أستبعد عدم وجود مؤمن، وغاية الأمر هو الإيمان فقد يكون مُستتراً ولكن بين هذا الإنسان وبين قد يكون مترجماً بشكل عمل خير أو عمل صالح، والعمل الصالح يبدأ من العبادة البسيطة ولا ينتهي عند خدمة الناس وبرِّ الناس والاحسان إلى الناس. وكفّ الأذى عن الناس، وبالإجمال فإن الإيمان يجب أن يُترجم عملاً، إلا الذين آمنوا، وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق، فهذه ثلاثة أشياء.

آمنوا إيمانهم الخاص وهذا حاصل بالفعل، وعملوا الصالحات أي عملهم الخاص وعملهم العام. من الإحسان إلى الناس وأن لا يظلموا الناس، أي أن لا تعمل العاطل فهذا بحدِّ ذاته عمل صالح.

ـ وتواصوا بالحق ـ وهذا في العمل العام، أي في المجتمع أي حين تتخاصم الناس فيما بعضها مثلاً، يجب أن يُكثروا الحق وأن يتعاملوا فيما بينهم بالحق ويوصي بعضهم البعض بالحق ـ وتواصوا ـ أي واحد يوصي الثاني، لا أن يوصيني أحدهم وهو لا يعمل، إنما يوصيني وأوصيه. وتواصوا بالصبر، هذه الخصلة الرابعة، أي أنه حين يأتي البلاء أو حين يواجه الإنسان صعوبة ما، في حياته الخاصة أو في حياته العامة فإنه لا يجزع، فإنه لا يخالف التكاليف الشرعية ويخالف الآداب الأخلاقية لأجل الوصول إلى غرضه، بل يصبر، والصبر في المفهوم الإسلامي في المعتقد الديني هو من أعظم الفضائل الكبرى، والله تعالى بيَّن أن الصابرين أجرهم بغير حساب.

هذا الإنسان الذي يؤمن ويعمل صالحاً، ويتواصى بالحق ويتواصى بالصبر، فإنه لا يكون خاسراً.

لو قلنا إنهم يستعيدون عمرهم فالجواب لا لأن عمرهم ذاهب مثل كل أعمار غيرهم، فالخسارة هي أن تدفع ولا تقبض أي أن تدفع شيئاً ولا تأخذ

مقابلاً له، أما إذا أخذت مقابلاً فإنك تكون قد استثمرت عملك أو مالك أو حياتك استثماراً صحيحاً.

هؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات ويتواصون بالحق ويتواصون بالصبر يتحلون بهذه الفضائل الأربعة هم ليسوا في خسر بل هم في ربح لأنهم استطاعوا أن يستغلّوا أعمارهم استغلالاً حسناً.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[1].

على سيرة الحسين وعلى نهضة الحسين (ع) فإن الحسين وآله من هؤلاء، من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، إذن هم ربحوا.

ومقابل هؤلاء الذين ربحوا أي الذين عاشوا في خُسر وماتوا في خُسر، وهنا نأتي إلى مفهوم آخر.

تارة الإنسان يُضيع عمره في أمور لا هي ضارة ولا هي نافعة، أي لا هو يعمل صالحاً ولا هو يعمل فساداً، فإن هذا خاسر وأما الإنسان الذي ينفق عمره في الفساد فهذا سمّاه الله سبحانه وتعالى الخسران المبين فهناك خُسران وهناك خُسران مُبين، أن إنساناً يُضيع عمره في ما لا نفع فيه أو في ما لا طاعة فيه ولا معصية فيه، في ما لا خير فيه ولا شرَّ فيه، فهذا خسران.

أما إذا أضاع عمره في الشر فهذا هو الخسران المبين. وسماه الله في القرآن بالخسران المبين، والمبين يعني الظاهر والواضح، كما أنه يوجد خُسران مُستتر أو مُخبأ مثلاً إذا شاهد الناس إنساناً يعيش حياته مثلهم وهم لا يعرفون أنه يُضيع حياته في الفساد فهذا خسران ولكن خُسرانه غير ظاهر أي خُسرانه غير مؤكّد، والمشكلة العظمى والمصيبة العظمى هي في الخسران المبين أي في من استعمل عمره في الشر وفي السوء، يعني ممكن لإنسان أن يُضيع ماله ويبذره على أمور تافهة وليس لها أهمية ولكن ليس فيها معصية فيكون بهذا

---

(١) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٣.

خسراناً. أما إذا أنفق ماله على الشر وعلى إيذاء الناس وقتلهم وهتك أعراضهم وعلى نشر الفساد. أي أن هذه الطاقة التي أنعم الله بها عليه قد استخدمها ضدّ الله.

إن جيش بني أمية من كبار ضباطهم إلى أصغر جندي فيهم والذين سلبوا حلى ومصاغ العلويات، قد خسروا خسراناً مبيناً هؤلاء استعملوا أعمارهم في الشر. ولذلك فإن الإنسان الذي يكون خُسرانه مُبيناً فإن إمكانياته إلى الخلاص تكون ضعيفة جداً. إلا أن يدرك نفسه في اللحظة الأخيرة.

توجد نماذج معظمة من الذين أدركوا أنفسهم في اللحظة الأخيرة مثل الحر رضوان الله عليه. فإنه أمضى حياته في هذه الدولة أو السلطنة وختمها بأنه حاصر الإمام الحسين وآله ومنعهم وقيّد حريتهم، ولكنه أدرك نفسه في الساعة الأخيرة أو مثل أحد الصحابة في موقعة أحد وكان مشركاً عابداً للصنم وأسلم وبمجرّد أن أسلم دخل في المعركة ولم يُصلِّ صلاة واحدة ولكنه شارك في الجهاد واستُشهد فبذلك ختم أمره على خير، هؤلاء الذين يتداركون أنفسهم في اللحظة الأخيرة يكونون قد دخلوا في هذا المجال أي الذين عملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

بالأمس وبعد صلاة الظهر بساعة انتهى كل شيء، قُطع رأس الحسين الشريف والرؤوس الأخرى ورفعت على أسنّة الرماح، الاحتفال انتهى، عطشهم انتهى ومن الحسين (ع) إلى الطفل الرضيع وهؤلاء المجرمون مهمتهم انتهت أيضاً، والهيجان والتكبُّر والتجبُّر. انتهى أيضاً ولكن الذي لم ينتهي هو آثار العمل. آثار هذا الموقف الإيماني والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر لم ينتهي ولن ينتهي إلى يوم القيامة. وفي المقابل فإن جريمة هؤلاء أيضاً لم تنتهي.

فالمشكلة هي أن الجريمة لا تنتهي بمجرّد انتهاء جسمها المادي، وهذه الناحية أو النقطة سوف أحدثكم عنها غداً إن شاء الله.

فالجريمة لا تنتهي بانتهاء جسمها المادي، والطاعة أيضاً غالباً لا تنتهي

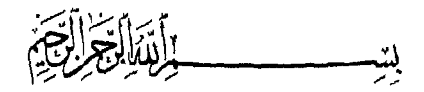
بانتهاء جسمها المادي إلا بوسيلة واحدة كفيلة بانهاء مفاعيل جسمها المادي وهذا ما سوف نتحدث عنه إن شاء الله في مرّة قادمة.

السلام على الحسين وعلى آل الحسين وعلى أصحاب الحسين وهم الآن جثث ما تزال منشورة تحت الشمس وتحت الرمل، ولا تزال السيدة زينب ونساء زينب جالسات ينظرن إلى هذه الأجساد المقطعة الرؤوس، تصوروا الآن هذا المشهد في كربلاء.

أسألكم الدعاء وأنتم أيتها الأخوات والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جريمة كربلاء تتوالد دائماً

١٢ محرم ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م



تحدثنا بالأمس عن تفاعلات الجريمة وعن تفاعلات الطاعة وهذا الأمر من الحقائق الدينية الكبرى والعظمى قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾(١) من الحقائق الدينية إن الإنسان مرصود في ما يعمل كل عمل من أعماله مرصود تسجل عليه أعماله ليجازى به، كل شيء يكتب وكل شيء يبقى، كل عمل من الأعمال يكتب وكل عمل من الأعمال يبقى، الكذبة تبقى، الحسنة تبقى والسيئة تبقى على ما هو صحيح إن شاء الله في مسألة تجسد الأعمال، عملنا هذا جلوسنا في هذا المجلس حديثنا مع بعض هذه حقائق تبقى موجودة لا تنتهي بانقضائنا عنها.

أكثر من هذا دل الكتاب العزيز صريح القرآن على أن هذه الأعمال التي يزاولها الإنسان يبقى لها نحو ارتباط بالأعضاء التي ارتكبتها في القرآن الكريم نصوص عن شهادة أعضاء الإنسان على الإنسان شهادة الأيدي والأعين والأرجل والبشرة، شهادة على النفس شهدوا على أنفسهم، الأعمال تبقى في الآية المباركة يقول الله سبحانه وتعالى إنه يحيي الموتى وهو أعظم الأعمال

(١) سورة يس، الآية: ١٢.

الإعجازية مثل خلق الإنسان وإضافة إلى ذلك ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ كل عمل يعملونه نكتبه، ونكتب شيئاً آخر وآثارهم ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ الإنسان يعمل عمل يكذب كذبة هذه الكذبة تتفاعل في المجتمع فتؤثر آثار شريرة، هذه الآثار الشريرة تسجل عليه كيف في البنوك توضع الأموال فتسجل فوائد، هذه الكذبة هذا العمل كل من يعمل به وينتج أثر، الأثر أيضاً يسجل على صاحب العمل فهناك أعمال مباشرة للإنسان تسجل عليه وهناك أعمال غير مباشرة أيضاً تسجل عليه أعمال لم يعملها، ولكنها نتجت عن عمله ربما يكون قد مضت عليه ألف سنة ميتاً وعمله يتفاعل في الناس وفي الحياة وفي المجتمع دائماً يسجل عليه أثر هذا العمل ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)﴾ العمل وأثر العمل.

في السنّة الشريفة في السيرة النبوية أن قوماً من الأعراب جاؤوا إلى رسول الله وكان الفقر والبؤس بائناً عليهم ناس فقراء بائسين جياع فرق لهم رسول الله فجاؤوا مهاجرين جاؤوا لحاجة من حاجات الدين من حاجات الدنيا فوفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأى فيهم وعليهم أثراً من الفقر والجوع والبؤس، فرغَّب أصحابه بالصدقة، ندب إلى الصدقة مرة وثانية فتثاقل أصحابه حتى رؤي ذلك في وجه رسول الله، أنه هو طلب منهم ولم يلبوا طلبه ثم أحد الصحابة جاء في مقدار من الماء وتصدق به على هؤلاء ثم تتابع الناس وتصدقوا بهذه المناسبة يروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أو كما قال لأني ربما أني أنقل بعض الألفاظ بالمعنى «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيئاً ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من وزره شيء»[1].

من هنا الإنسان سواء كان في الشأن الخاص أو في الشأن العام في الأمور البسيطة أو في الأمور الكبيرة عليه أن يفكر قبل أن يقدم على عمل من الأعمال

(١) أخرجه مسلم في الزكاة حديث ٦٩، والعلم حديث ١٥، والنسائي في الزكاة باب ٦٤، وابن ماجه في المقدمة باب ١٤، ١٥، والدارمي في المقدمة باب ٤٤، وأحمد في المسند ٤/٣٥٧، ٣٥٩ ٣٦١، ٣٦٢.

عن أثر علمه الذي سيستمر بعده، ويحسب حساب للأوزار التي يمكن أن تنشأ نتيجةً لذلك العمل.

الآن نحن في ذكرى عاشوراء في ذكرى هذه المصيبة العظمى والكارثة العظمى على الإسلام وعلى الإنسانية بظلم غير المسبوق الذي وقع على الحسين وعلى أهل بيته وأصحابه، هذا العمل تُرى هل انتهى قتل الحسين أو قتل علي الأصغر الرضيع وما بينهما من الأصحاب والآل هل انتهت الجريمة بإنجازها؟ هل انتهت جريمة قتل الحسين؟ بمجرد الإجهاز عليه وقتله وإزهاق روحه هل انتهت جريمة الطفل الرضيع؟ بمجرد أن مات هذا الطفل.

الحقائق الدينية العميقة تقول لا هذه الجريمة لم تنته هذه تتوالى، هذه أشبه بحبلى دائمة تلد دائماً، حَبَل دائم وولادة دائمة. دائماً تتكرر جريمة قتل الحسين، قلت سابقاً إن هناك وسيلة وحداة لمنع التفاعلات، تفاعلات الجريمة مستمرة منذ قتل أحد ابني آدم لأخيه ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾[1] الموضع الشاهد قال ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝٢٨﴾[2] فسولت له نفسه قتل أخيه فقتله. هذا القتل الأول الذي حدث في تاريخ البشرية في أعماق الدهور من مئات ألوف السنين أو من ملايين السنين سيستمر، ما لم يلحقه العمل الذي يوقفه عن التوالد، كل الذين كذبوا وظلموا وقتلوا واعتدوا على الأنبياء وعلى الأوصياء وعلى الصالحين جرائمهم لم تتوقف بتوقفها ولا بموتهم. يعني الذين خططوا ونفذوا جريمة كربلاء إلى الآن هذه الجريمة تتوارث وتتجدد ويكتب الله عليهم أوزارهم ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ يوجد شيء واحد هو الذي يوقف تفاعلات الجريمة، وهو التوبة، التوبة هي العمل الذي إذا أقدم عليه الإنسان يوقف تفاعلات الجريمة، من دون التوبة الجرائم قسمين، قسم لله هذه شأنها شأن الله، أو الجرائم المتعلقة بالبشر هذه الجرائم لا تتوقف إلا بالتوبة العملية، التوبة التي

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٨.

ترد الحقوق إلى أهلها، وإلا تبقى الجريمة تتوالد.

ذكرنا عدة مرات مثال الحُر الرياحي رضوان الله عليه وذكرنا مثال الصحابي الذي أسلم ولم يدرك صلاة واحدة واستشهد، الحُر الرياحي لو أنه لم يغير موقفه لكان حكمه حكم شمر بن ذي الجوشن وأمثاله الذين ماتوا على الخطيئة، جريمتهم تتوالد إلى يوم القيامة، الحر الرياحي مثال للرجاء وللأمل الذي وضعه الله سبحانه وتعالى لمن يسقطون في المعصية، بأن من تاب تاب الله عليه، في العبارة المروية قال له يا سيدي هل تراني في التوب قال له نعم إن تبت تاب الله عليك.

انقلاب موقف الحر لم يغير من نتيجة المعركة شيئاً، معركة كان مقرراً لها أن تنتهي بالشكل الذي انتهت إليه وقد انتهت بنفس الشكل، ولكن انقلاب الحر بيَّن برهان على هذه العقيدة الحقيقة الدينية. وهو أن الإنسان في كل وقت مهيىء له أن ينقذ نفسه ومهيىء له أن يهلك نفسه، يهلك نفسه إذا بقي مصراً على المعصية ولم يخرج منها بالتوبة ولم يوقف تفاعلاتها عن التوالد المستمر.

الآن نحن هنا في هذا اليوم وملائكة الله يكتبون يكررون الجريمة على كل من شارك في كربلاء، الآن نحن في سنة ١٤١٨ للهجرة بعد أكثر من ١٣٥٠ سنة من الجريمة؟ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ لأن قتل الحسين مثل غيره من الجرائم الكبرى قتل الحسين أوجد ثغرة في مسيرة الإسلام ومسيرة الإنسانية مستمرة إلى الآن إذن الجريمة تتوالد إلى الآن، أي واحد منا يجب أن يضع أمامه هذه الحقيقة، حقيقة، أنه إذا أراد أن يعصي الله أن يعلم أن معصيته لن تتوقف عن حد ولذلك التوبة هي ليست مثل صلاة النافلة، إن الإنسان واجب عليه أن يصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ويستحب أن يصلي صلاة الليل، لا التوبة من الواجبات، الإنسان يجب عليه أن يتوب، إذا ارتكب ذنباً يجب عليه أن يتوب، لا يكفي أن ينتج الذنب ولا يعيده مرة ثانية، يجب أن ينشىء حالة قانونية حالة حقوقية بينه وبين الله تبرىء ذمته من العلاقة بهذه المعصية، التوبة من الواجبات الشرعية كل إنسان يجب عليه أن يجدد التوبة إلى الله سبحانه وتعالى من كل ذنب.

المؤمن الصالح يجدد التوبة في كل يوم ويعاهد الله سبحانه وتعالى على أن لا يعود إلى معصيته بالطاعات «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أجره شيء»، العمل الخيري العام الذي يسري في الناس ويشيع في الناس الذي يكون قدوة حسنة، الذي يكون معياراً ومنبراً يستهدي به الناس ويتربون به ويتعلمون منه كما ورد في السنة الشريفة روي «أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلى من ثلاث ولدٌ صالح يستغفر له» وهذا يكشف عن عظمة وخطورة التربية أن ننجب أولاد نعلمهم ونكسوهم ونغذيهم ولا بد أيضاً نربيهم، لأنه قد يكون أحدهم لعنة على أهله بدل أن يكون رحمة لأهله، «ولدٌ صالح يستغفر له أو كتاب علم ينتفع به أو صدقة جارية»[1]، الصدقة الجارية ليست بالضرورة أن تكون وقفية قد تكون، عادة حسنة، كلمة حسنة منهج إصلاحي سيرة حسنة يقال سيرة فلان كانت حسنة أن تكون حياته هي تربية للآخرين أن يكون سبباً لاستجلاب الرحمة لنفسه.

إذن أيها الأعزاء نحن الآن موجودون في سياق زمن يتجدد فيه قتل الحسين وعطش الحسين وخوف الأطفال وجوع الأطفال وحيرة النساء وبكاء الأمهات في كربلاء هذه تتجدد ويتجدد الأجر العظيم لمن يتابع هذه المسيرة، وتتجدد اللعنة العظيمة لمن ارتكب هذه الجريمة إلى يوم الدين.

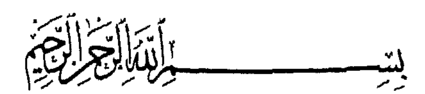
السلام على أبي عبدالله وعلى آله وصحبه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) أخرجه مسلم في الوصية حديث ١٤، وأبو داود في الوصايا باب ١٤، والترمذي في الأحكام باب ٣٦، والنسائي في الوصايا باب ٨، وأحمد في المسند ٢/٣١٦، ٣٥٠، ٣٧٢.

اسرائيل امتداد لدولة يزيد

١٣ محرم ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م



السلام عليكم أيها الاخوة العلماء الأجلاء والاخوة والأخوات الكرام في هذا اليوم الثالث عشر من شهر محرم وهو اليوم الذي نزحت فيه أخر آثار السبايا عن كربلاء وهو اليوم الذي تعارف أن الأجساد الطاهرة دفنت فيه، أجساد الشهداء دفنت فيه وهو ليس إسدال الستار على هذه المصيبة العظيمة بل هو محطة من محطاتها التي يقف عندها المؤمنون الواعون، للاستذكار والاستفادة في هذا اليوم وإذا نشاهد الآن في كربلاء وفي الطريق الممتدة من كربلاء إلى الكوفة التي انتشرت عليها قوافل السبايا نشاهد مجموعات من قوافل السبايا على الجمال يسحبهن حراس من الجيش الأموي وتتخلل هذه المحامل رؤوس. رؤوس الشهداء وفي مقدمتها رأس الحسين.

الآن وفي آخر هذا النهار والشمس تميل للمغيب وتنعكس الظلال تسير هذه القوافل والرؤوس فيما بينها كما تقول الروايات، أن حاملي الرؤوس كانوا يسيرون مع الركب كل السبايا من زينب سلام الله عليها وإلى أبسط امرأة من أصحاب الحسين عليهم السلام كانت تشاهد أمامها رأس أبيها أو زوجها أو ابنها أو أخيها هذه الرؤوس قطعت من قبل مجموعات من القبائل لأسباب أن كل مجموعة في الجيش الأموي تريد أن تبرهن أنها شاركت مشاركة مادية في

المعركة وأنها تقدم الدليل المادي على مشاركتها، كلهم كانوا ينتظرون الجوائز وكل قبيلة وكل مجموعة.

الرؤوس قطعت من قِبَل مجموعات وليس من قبل أشخاص ربما رأس الحسين بالخصوص قطع بقرار رسمي، الرؤوس الأخرى قطعت من قبل مجموعات تريد كل مجموعة أن تبرهن للسلطة على أنها شاركت إلى النهاية وتقدم دليل مشاركتها، هذه الرؤوس إذن كانت تمثل من جهة حالة سياسية ومن جهة ثانية حالة أخلاقية هؤلاء ارتكبوا جريمتهم وعادةً الذي يرتكب جريمة يتستر فيها، خاصة إذا كانت الجريمة قبيحة جداً وخاصة إذا كانت الجريمة مقدسة جداً يعني على أشياء وأشخاص مقدسين، هؤلاء قدموا دليلاً مادياً على ارتكاب الجريمة أما عنصر المأساة عنصر الحزن في هذا المشهد فهو واضح.

أن ثاكلات وأرامل يشهدن رؤوس قتلاهن ليلاً ونهاراً تغرب الشمس على هذه الرؤوس وتشرق الشمس على هذه الرؤوس أيضاً وكانوا يمرون في قرى في مزارع يخرج الناس للفرجة حتى روي أن السيدة زينب عليها السلام طلبت من حاملي الرؤوس أن يخرجوا الناس من بين المحامل لئلا يتعرضن للفرجة الناس يتفرجوا على الرؤوس لا يكون التفرج على الرؤوس هو التفرج على السبايا، في الرواية لقد خزينا من النظر إلينا.

هذا المشهد كما قلت يدعوا إلى الحزن ويدعوا إلى الغضب ويدعوا إلى العبرة أيضاً، نحن نشاهد الآن هذا المشهد الآن لم يعد هناك عطشى، الأطفال شربوا ماءً ولعلهم أكلوا طعاماً وإن كانت الرواية التي تقول أنه حينما وصل السبايا ركب السبايا إلى الكوفة وتجمعوا أهل الكوفة وأخذوا يقدمون الخبز والتمر للأطفال أن الأطفال أخذوا الخبز والتمر وأن السيدة أمرتهم بأن ينفضوا ما أكلوه وأن يردوا ما أخذوه يحمل على الظن أن هؤلاء الأطفال إلى ذلك الوقت كانوا لا يزالون جياعاً، الطفل الشبعان غالباً لا يأخذ طعاماً ربما يأخذ لعبة ربما يأخذ طعام نادر غريب أما خبز وتمر فهو الغذاء الشائع يغلب على الظن أن هؤلاء الأطفال كانوا لا يزالون يعانون من الجوع ولكن ليس جوع اليومين الأخيرين من عاشوراء وبطبيعة الحال ليس عطش اليومين الأخيرين من

عاشوراء ولكن ما كان أسوأ وأقرح للقلب هو هذه العملية الاستعراضية، استعراض الأسرى والسبايا والرؤوس أمام المشاهدين في كل الطريق الذي سُلك من كربلاء إلى الكوفة إلى المناطق السورية مروراً بحلب إلى بعلبك وإلى دمشق هذا المشهد نستعيده لأنه جزء من آثار عمل النظام الأموي ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾[1] هذا المشهد هو من آثار الجريمة التي ارتكبت.

هنا نصل إلى المغزى الفلسفي والفكري والروحي هذا المشهد هذا الإذلال ليس نتيجة لمجزرة يوم عاشوراء هذا المشهد نتيجة لطلب البيعة من الحسين وهذا المشهد نتيجة لتولية يزيد وهذا المشهد نتيجة للانحراف عن خط الحق لو لم يكن يزيد لو لم تكن الطريقة التي فُرض بما يزيد على الناس لما كانت عاشوراء لما كانت كربلاء ولما كانت كل الجرائم التي ارتكبت ولكن أسلوب المال والارهاب الذي فرضه يزيد على رقاب المسلمين هو الذي أنتج هذه الجرائم كل نظام يتحمل كل آثاره النظام السفياني الذي أنتج يزيد بن معاوية وهو الذي أنتج السبايا وهو الذي أنتج كل تفصيل من التفاصيل التي حدثت على الحسين وعلى آل الحسين.

من هنا حينما ننظر نحن إلى أحوالنا في لبنان أو إلى أحوال العرب أو إلى أحوال المسلمين أو ننظر إلى أحوالنا الشخصية. الخاصة في عائلاتنا وفي مجامعنا نفكر على هذا الضوء حينما نقدم على عمل ما هي آثاره وما هي أبعاده في حياة البشر قد يقدم الإنسان على عمل من الأعمال وتكون آثاره على نفسه وعلى محيطه آثار خيرة فتكون السُنة سُنة حسنة وقد تكون آثار مدمرة فتكون السُنة سُنة سيئة.

منذ يومين مر علينا ذكرى بهتت كانت في السنوات الماضية يثور حولها ضجيج بهتت ذكرى السابع عشر من أيار يعني اتفاق السابع عشر من أيار مع الإسرائيليين الذي تم والجهود المباركة السياسية والجهادية التي بذلت لإسقاط السابع عشر من أيار اتفاق السابع عشر من أيار كان اتفاق الإذعان واتفاق

---

(١) سورة يس، الآية: ١٢.

الإذلال «إن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة».

اتفاق السابع عشر من أيار بالنسبة إلى لبنان مع إسرائيل كان اتفاق الذلة اتفاق الاستسلام في حينه بعض اللبنانيين الذين تورطوا في هذا الاتفاق كبُرَ عليهم أنه كيف يسقط وكيف يقاوم، الآن نعرف نحن بركات وخيرات مقاومة هذا الاتفاق وإسقاطه لأن النتائج التي كانت ستحصل منه هو ليس فقط جنوب ذليل هو لبنان ذليل بكل معاني الذلة، هو لبنان ذليل ولبنان أسير كان هذا الاتفاق يشبه في عصره وفي زمانه الاتفاق الذي أريد من الحسين بن علي اتفاق ذلة يقيد الحرية ويصادر الكرامة ويلغي السيادة ويجعل من لبنان مجرد تابع للكيان الصهيوني كما أريد من الحسين عليه السلام أن يرتب شؤونه الخاصة ويصبح تابعاً وإن كان تابعاً بارزاً من اتباع النظام السفياني ورفض الحسين وكان رفض لبنان ومقاومة لبنان هي مظهر مبارك من مظاهر الكرامة الإنسانية.

الآن حينما نلاحظ المآل والنهاية التي آلى إليها الكيان الصهيوني في عدوانه في فلسطين وفي القدس وفي الخليل وفي بيت لحم وفي كل مكان كما نلاحظ طغيانه وعدوانه في لبنان كله وليس فقط في الجنوب وفي البقاع الغربي نلاحظ كم أن الموقف الكريه والبعيد النظر هو الموقف الذي يناسب المصالح.

بهذه المناسبة أنا أهنىء جميع قوى المقاومة المباركة بكل العمليات التي تجري ضد العدو الصهيوني اليومين اليوم أو البارحة بالليل، العمليات التي حدثت وتسببت انشاء الله كما قيل في إسقاط طائرة اسرائيلية وفي اعدام وقتل كثير من المعتدين، العملية الاستشهادية المباركة التي حدثت في البحر ضد الزورق الإسرائيلي رحمة الله على بطلها وشهيدها هذا مظهر من المظاهر نحن نبارك كل القوى المقاومة وأعود إلى ذكر أمر سنشرع فيه قريباً إن شاء الله وهو أن هذه المقاومة نأمل من كل القوى السياسية الوطنية في لبنان أن تستعيد تاريخها القديم وتاريخها الحديث وأن تستعيد حاضرها وأن تنخرط بأية طريقة مناسبة في أعمال المقاومة هذا الوضع الذي نشاهده الآن يمثل أعلى درجات

النضج والوعي التي تستعيد كرامة الأمة وقوة هذه الأمة في مواجهة العدوان والاحتلال الإسرائيلي.

وكما قلنا مراراً للمسؤولين العرب الكبار في أحاديثنا معهم وكما نقول مراراً للرأي العام العربي والإسلامي نلاحظ أن الاتفاق مع إسرائيل هو سبب للمشاكل وأن رفض اسرائيل هو سبب للراحة، ما الذي ينتج من الاتفاق مع الإسرائيلين اتفق ناس مع الإسرائيليين آخر الاتفاقات اتفاق أوسلو الذي نرى كيف آلى أمره، ما الذي نتج مزيد من الذل ومزيد من مصادرة الأراضي ومزيد من التجويع ومزيد من الحصار ومزيد من انتهاك المقدسات كانوا يقولون اتفقوا مع اسرائيل تنزل عليكم المن والسلوى تبين الاتفاق مع اسرائيل فيه الجوع والعري والذل والفقر والموت.

اسرائيل تحتاج إلى حصار نحن نرى أن اسرائيل يجب أن تحاصر أن تحاصر سياسياً واقتصادياً ودبلوماسياً وثقافياً أن تحاصر بكل شيء ألاّ يكون هناك أية نافذة يدخل منها إلى العالم العربي ومن هنا نأمل أن الجهود الخيرة التي تبذل الآن على المستوى العربي لعدم عقد المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط أن تنجح هذه الجهود لأن هذا المؤتمر هو لا يعقد لمصلحة دول هذه المنطقة وإنما يعقد فقط وفقط لمصلحة الإسرائيليين هذا الموقف هو الموقف الصحيح.

أمثل لكم حديثاً شريفاً عن الإمام عليه السلام يتصل بالحسين من جهة ويتصل بوضعنا مع الإسرائيليين الآن من جهة أخرى الأمراء الكبار أحد الولاة يعني أحد المحافظين الكبار في العصر الأموي تقاعد خدم النظام الأموي مدة طويلة وتقاعد ترك الخدمة كوّن ثروة كبيرة الله سبحانه وتعالى كشف عن بصيرته حاسب نفسه راجع نفسه جاء مع أحد الصحابة إلى الإمام الصادق عليه السلام جاء يعرض أمره ويعرض ثروته «هذه الرواية واردة عن الكليني ويرويها الحر العاملي في الوسائل في كتاب الجهاد».

يعرض أمره يريد أن يعالج وضع أمواله يقول له ما معناه، أنا أنقل الرواية بالمعنى، يا مولاي إني كسبت أموالاً كثيرة من هؤلاء، يعني من العمل للنظام الأموي، الإمام الصادق بيّن له أن التعاون مع الأمويين مع السفيانيين التعاون مع

هذا النظام الظالم هو الذي جعل هذا النظام قادراً على الظلم ولولا المعاونة لما كان قادراً، يقول له ما معناه: لو لم يجدوا من يقاتل عنهم، ومن يكتب لهم ومن يجبي لهم لما كان منهم إلا بمقدار قدرتهم الخاصة هم قدرتهم المحدودة كانوا يستعملوها ولكن لما حصلوا على الأعوان لما انفتحت لهم المغاليق والمساحات وأصبحوا يتعاملون على مساحة الأمة استطاعوا أن يظلموا الأمة وأن يرتكبوا في حقها الجرائم الكبيرة من جريمة كربلاء إلى سائر الجرائم الأخرى.

بالنسبة إلى الأنظمة الظالمة في ذلك الحين كان نظام العزل والمقاطعة لا تعمل معهم إلا في ضرورات بيناها في أبحاثنا الفقهية في الفقه السياسي.

الآن بالنسبة إلى النظام الإسرائيلي الجيوش لا تفيد معه السياسة أيضاً لا تفيد معه الآن الدول الكبرى كلها مؤيدة لإسرائيل من أمريكا إلى روسيا إلى أوروبا القوى الكبرى في العالم معهم. كلهم مؤيدون لإسرائيل العرب يتلقون كلمات الشفقة العرب يسمعون كلمات المجاملة والشفقة، أما الدعم الحقيقي لإسرائيل، على مستوى السلاح والقوة، فإسرائيل متفوقة على كل نظام عربي بمفردها العرب إذا اجتمعوا ربما يشكلون قوة ولكن أين اجتماعهم؟ على المستوى السياسي إسرائيل مدعومة.

أوضح مثل أنا رأيته بكلمة الفرزدق للحسين «قلوب الناس معك وسيوفهم عليك» في مجلس الأمن والأمم المتحدة قبل بضعة أشهر حينما حدثت جرائم الإسرائيليين في جبل أبي غنيم وغيره دعيت الأمم المتحدة للاجتماع التصويت كان ٩٩ أو ٩٨٪ مع العرب ومع الفلسطينيين، امتنعت بعض دول قليلة أميركا وإسرائيل ولا أعرف من غيرهم. وفرضت أميركا في النهاية، رأيها عبر الڤيتو.

القوة والسياسة إذن ماذا نملك؟ نملك سلاح المقاومة من هنا ركّزت على رفض التطبيع ألاَّ تنشأ علاقات طبيعية مع الكيان الصهيوني وأن تستمر أعمال المقاومة داخل فلسطين تستمر أعمال المقاومة الآن الأبرار من رجال ونساء وصبيان وشابات وشباب الذين يرجمون الجيش الإسرائيلي بالحجارة داخل فلسطين هؤلاء يمثلون جوهر وحقيقة الأمة هذا هو المغزى العميق لما نحن فيه الآن حينما نقول استعيدوا روح كربلاء نعني هذا لا نعني استعيدوا روح كربلاء

قد تستعمل روح كربلاء لأجل الهراش والنزاع داخل الأمة داخل المجتمعات أن حزباً يقاتل حزباً وطائفة تقاتل طائفة والكل رافعين راية كربلاء أو أن دولة تقاتل دولة على المستوى العربي أو على المستوى الإسلامي أيضاً شعار كربلاء روح كربلاء تستعاد بين الأمة من جهة وبين أعدائها من جهة أخرى أعداء الأمة الآن بالدرجة الأولى هم الصهيونية وإسرائيل إذن أكرر التنويه بعمليات المقاومة خصوصاً ما حدث في هذين اليومين في مواجهة جيش الاحتلال الإسرائيلي والعملية الاستشهادية التي حصلت اليوم في صور في الزوارق البحرية.

نسأل الله أن يتغمد برحمته هذا الإنسان المبارك الذي قام فيها ويبارك في جميع اخوانه المقاومين حيث كانوا في لبنان وفي فلسطين وفي كل مكان في كل مكان يعلن فيه صوت الحق هذا جانب، جانب آخر من جملة الوجوه التي كانت في صميم وفي أساس ثورة الحسين، ليس فقط الجانب السياسي أو الروحي كان الجانب الاقتصادي والجانب المعيشي كلمة «ألا ترون إلى هؤلاء القوم الذين اتخذوا مال الله دولاً» مال الله هو المال العام هذا المصطلح في الإسلام، مال الله، الله له كل شيء مالك الملك لا يملك المال فقط يملك الأكوان كلها مال الله يعني ليس المال الشخصي يعني المال العقلي يعني المال الذي يجب أن ينفق على الشؤون العامة، على مصالح الناس وعلى شؤون الله هذا المال في الأنظمة الأموية وأمثالها كان يؤخذ وتختص به فئة منتفعة ويحرم بها الناس تنشأ أزمات اجتماعية ينشأ جوع وفقر وتشرد وبطالة هذه المشكلة هي مشكلة مزمنة مشكلة أبدية مشكلة عالمية تاريخية في كل العهود.

الآن حينما نلاحظ نحن كما بينا في خطبة عاشوراء أننا حتى الآن في لبنان فشلنا يعني الدولة فشلت والحكومة فشلت في تنمية الحاجات الاجتماعية سواءً أكان إلى فرص العمل أو إلى مستوى المعيشة أو إلى التحكم بالأسعار أو إلى وضع اليد على المستغلين والمستثمرين كما بينت في أحد أيام عاشوراء هؤلاء الذين يتاجرون بالناس ويفرضون أسعار تتجاوز ١٠٠٪ بأرباحها من دون رقيب ولا حسيب، أنا مراراً قلت للحكومة لماذا لا تسعرون، أنا أفتيهم بجواز التسعير لأنه عدم التسعير حينما يكون السوق متوازن أما إذا صار السوق فلتان وأصبحت

مجموعات تجار ومحتكرين ومستوردين عندهم امتيازات حالة احتكارية. الحالة الاحتكارية نحن نفتي بجواز التسعير فيها.

قبل أيام أنا كنت أتحدث مع مجموعة من الاخوان من بعض المؤمنين حول بعض القضايا المتصلة بالوضع المعيشي فقيل لي ما يلي، أنا أسمي الأشياء بأسمائها أنه استوردت كمية من بذور البطاطا المؤصلة بسعر كذا على أساس تباع للمزارعين بسعر كذا المحتكرون احتكروها وباعوها الفئة خاصة وبسعر تقريباً مضاعف فأنا قلت خلينا نقول لكم واحد من أصحاب الثروات يروحوا يستوردوا ويبيعوا بالسعر المعقول، قالوا غير ممكن لأن هذا احتكار لا يجوز استيراد هذه البضاعة إلا لفلان وفلان هذا احتكار.

هذا الاحتكار يحتاج إلى كسر ولذلك أنا أقول للحكومة ولكل الدوائر فيها اكسروا الاحتكارات لا يجوز أن تكون معيشة الناس في أيدي قليلة تتحكم في السوق لا يجوز أبداً هذا الأمر نستفيده ونستوحيه من معاني ثورة الحسين عليه السلام لا نريد أن يكون مال الله دولاً نريد أن يكون مال الله لعباد الله، المال العام ينفق على الناس على مشاريعهم على مصالحهم على مؤسساتهم ويحرر السوق من المحتكرين الآن دائماً نرى أن مجموعة من الاقتصاديين رأساً حتى من المعارضين وأنا أقول بصراحة وأفاجأ، رأساً حينما نقترب من المسألة الاقتصادية والمعيشية حتى بعض المعارضين يأتي يجلس ويفلسف كيف أن الأمور هكذا جيدة؟ لا الأمور ليست جيدة، لاحظت أن في ميزانية ١٩٩٧ استجابت الحكومة للقضية الاجتماعية ولحظت الجانب الاجتماعي في هذه الميزانية في أبواب أو في نفقات الآن هذا شهر ٤ انتهى.

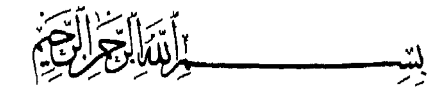
دخلنا بشهر ٥ حتى الآن انعكاس خاصة في بعض المناطق انعكاس للسياسة الاجتماعية لم يظهر، أطلب من الحكومة ومن الدوائر ذات العلاقة أن تعجل في تفعيل الأنشطة والمناهج والأساليب والخطط للتصدي للمسألة الاجتماعية هذا الأمر تقتضيه ضرورة البناء الوطني تقتضيه ضرورة مواجهة اسرائيل التي سنواجهها طويلاً لأن آفاق سلام كما يدعى وكان يؤمل غير موجود ها نحن نرى كيف أن هذا الوحش الإسرائيلي يتبختر وأنه يجد المساندة الدولية

أو اللامبالاة لذلك بناؤنا الداخلي بناؤنا الاجتماعي يجب أن يكون محكم وإحكامه يتوقف على أمور في مقدمتها المسألة الاجتماعية.

السلام على أبي عبدالله الذي هو درس دائم ومدرسة دائمة السلام على أشباح وخيالات السبايا في هذا اليوم لا أدري أين كانوا، ولكن في الصحراء الممتدة بين كربلاء وبين الكوفة كان هذا الركب الطاهر المبارك والمظلوم وهذه الرؤوس الشريفة تلمع تحت الشمس. نستعيد ذكراهم ونعاهد الله تعالى على أن نكون كما أرادوا مستقيمين على الحق دعاةً إليه مخلصين لله في عبادتنا وفي ولايتنا والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مواجهة العدو بصيغة الأمة ـ المقاومة لا بصيغة الجيوش

٢٨/٤/١٩٩٨ م
٢/١/١٤١٩ هـ



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين.

السلام عليك يا أبا عبدالله الحسين وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم منا سلام الله أبداً ما بقينا وبقيت السموات والأرض والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء ورحمة الله وبركاته.

السلام الذي وجهناه إلى الإمام الحسين وإلى صحبه وآله هو جزء من إحدى الزيارات التي يزار بها. السلام عليك أبداً ما بقيت وبقيت السموات والأرض إذن هذه الواقعة ـ القضية باقية ما بقيت السموات والأرض وهذا يعني الخلود. وفي زيارات أخرى ترد هذه الفكرة ثابتة فيها حيث فكرة الثبات والديمومة والخلود ثابتة مما يعني أن واقعة الإمام الحسين هي ليست واقعة تاريخية بسيطة وعادية مهما كبرت وإنما تتصل بعمر الدنيا. ففي زيارات أخرى

مثلاً يقال السلام عليك يا ثأر الله والوتر الموتور وهذه الزيارة يزار بها الإمام الحسين دائماً فهو ثأر الله وليس ثأر آل علي وليس ثأر بني هاشم وليس ثأر قريش أو العرب وإنما هو ثأر الله وحينما يكون هناك إنسان بمقام ثأر الله يكون إنساناً عاماً جداً ـ كونه إنساناً عالمياً وهذه حقيقة هي موضع تأمل وتفكير.

وإنسان بهذه الأهمية كيف كان موقف الأمة منه؟ والآن نتساءل هل الأمة الإسلامية التي كانت في ذلك الحين في أوج صعودها في سنة ٦٠ للهجرة وهي في أوج الصعود وكانت تندفع نحو الخارج وتضم أراض جديدة وأقوام جديدة وتتوسع رقعتها ويزداد أتباعها والسؤال ما هو موقف الأمة الإسلامية وخصوصاً العرب من قضية الإمام الحسين وكيف كان؟.

لقد كانت أطروحة الإمام الحسين أطروحة الأمة ووصيته السياسية كانت أطلب الاصلاح في أمة جدي: إذ كانت أمة محمد هي الموضوع والعناية وحينما فرضت البيعة على المسلمين في المدينة حينما جاء معاوية وحاول أن يأخذ موافقات كبار المسلمين في المدينة وجمع الناس وفرض عليهم بيعة يزيد، ثم في دمشق حينما جمع الناس وقام من يقول إن هذا أمير المؤمنين ويشير إلى معاوية فإن مات فهذا ويشير إلى يزيد فإن أبى فهذا ويشهر السيف.

هذا الأسلوب الذي فرضت فيه سلطة يزيد على الأمة كيف كان موقف الأمة منه؟ وبعد ذلك عندما طلب من الحسين أن ينفذ ويبايع ورفض البيعة وخرج من المدينة وأقام في مكة شهوراً طويلة وهو رافض وحصل التحسس الشعبي وخرج إلى العراق واجتمع عليه الناس في الطريق وفشلت حركة مسلم بن عقيل في الكوفة وعرف الناس بفشل حركة مسلم بن عقيل ووصل الإمام الحسين إلى كربلاء وحوصر ماذا كان موقف الأمة؟ لقد كانت الأمة عدداً بملايين الناس ولكن هذه الملايين عادة ما ينتظمون في أطر لهم زعماء ورؤساء وسياسيين وثقافيين وعلماء دين في أيامنا توجد نقابات وجمعيات سياسية.

نلاحظ في كل أزمة من الأزمات والآن في أزمتنا مع الاسرائيليين أو مع الأزمة المعيشية أو أي أزمة داخلية توجد ثلاثة مواقف. والناس تتخذ موقفاً من ثلاثة مواقف.

الموقف الأول: هو الاستسلام أي أن يقال لا نستطيع أن نغير شيئاً وعلينا الاستسلام وبعض الناس الآن يفكرون على هذا الأساس مع الاسرائيليين وهذا التفكير إما يكون نتيجة للهزيمة أو ينتج الهزيمة وأعتقد أن جل بلائنا وكثير من مصائبنا مع الاسرائيليين ناتجة من مثل هذا الموقف أي أن يقال لا حول لنا ولا قوة فهناك دول عظمى وقرارات عظمى وماذا نفعل في مقابل ذلك. ولذلك مثل في القرآن هو مثل بني إسرائيل في التيه أو مثل طالوت وجالوت الذين قالوا لا قبل لنا اليوم بجالوت وجنوده وعلينا الاستسلام.

الموقف الثاني: هو التخلي والانكفاء والقاء المسؤولية على القيادة ـ التخلي ومثال ذلك القرآني ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[1] الأمة غير مبالية والمجتمع غير مبال يريد خدمات وانجازات وانتصارات من دون تحمل أي مسؤولية.

الموقف الثالث هو موقف المواجهة ـ موقف الصفوة الذين استقرت عليهم المسؤولية الذين صفت نفوسهم وخلصت نواياهم.

أمام نهضة الإمام الحسين ماذا كان موقف الأمة الإسلامية في ذلك الحين؟ نلاحظ أنه حينما رفض الإمام الحسين تعاطف الناس معه نظرياً وكانوا موافقين لموقف الرفض ولكن موقفهم كان نظرياً إذ لم يتحرك أحد في المدينة على الاطلاق وحينما خرج الحسين لم يصدر أي رد فعل لخروجه. في مكة أيضاً كان الناس يتحسسون وكان الموسم موسم الحج وجاء الناس من أقطار الناس البعيدة والقريبة وتفاعلوا مع الموقف ولكن حينما خرج الإمام الحسين جاءت بعض النصائح العجيبة إذ نصح من شخصيات إسلامية كبرى منهم من يقول له يا ابن رسول الله إذا خرجت قتلوك وإذا قتلوك لن تكون لأحد حرمة بعدك فالأفضل أن تجلس وتستسلم.

وهناك نصيحة أخرى حيث كان يدعى إلى التفاهم بالمفاوضات والمسايرات.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

وهناك ثالث دعاه إلى الخروج من الحجاز إلى بلاد أخرى.

كل النصائح كانت نصائح سلبية وكان موقف الأمة في ما يتعلق بالنهضة موقفاً سلبياً وكان الجميع يرفضون الحكم السفياني ولم يكن هناك أحد راض بهذا الحكم إلا المنتفعين منه فالجميع كانوا لا يرون شرعية بهذا الحكم على الاطلاق مما يذكر أنه حينما بويع يزيد لخص أحد الشعراء موقف الرأي العام فقال:

فـإن تـأتـوا بـرملـة أو بهنـد ... نبـايعهـا أميـرة مـؤمنينـا
إذا مـا مـات كسـرى قـام كسـرى ... نعـد ثـلاثـة متعـاقبينـا

وهذا يعني أن الأمور وصلت إلى حد أن امرة المؤمنين وخلافة المسلمين تعطى لأي كان وكانت رؤية الأمة وموقفها النظري هو الرفض ولكن من دون أي حركة على الاطلاق إما بمنطق لا طاقة اليوم بجالوت وجنوده أو بمنطق ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[1].

اذن كان موقف الأمة في ذلك واقفة في قلوبها مع الحسين أما في موقفها العملي الميداني فكانت على الحياد بين اللامبالاة والحياد في كل موقف من المواقف منذ آدم إلى يوم الساعة يكون المجتمع فيه قضاياه الكبيرة أو الصغيرة غير مبال أو مساعد تقع الكارثة المبدأ الكبير التشريعي والحضاري الذي لخصه الله وركزه في قوله عز من قائل ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[2] يتناول هذه الحقيقة. هل الأمة محايدة في مشاكلها؟ هل الأمة سلبية ومهزومة وغير مبالية أمام مشاكلها؟ إذن الأمة موضوع للبلاء وليست موضوع للنعمة؟ وفي أدعية كثيرة وخصوصاً دعاء كميل «اللهم اغفر لي الذنوب التي تمنع الدعاء واللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء» ما هي هذه الذنوب؟ يوجد ذنوب شخصية تمنع الدعاء الشخصي وتوجد ذنوب عامة تمنع الدعاء العام.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

الأمة تذهب إلى المساجد وتبكي وتدعو وتسأل الله العافية والله ينزل بها البلاء بعد البلاء لأنه لا يستجيب دعاءها لأنها أخلت بشرط أساسي من شروط الدعاء وهو أن تتحرك. فمثلاً إذا كنت مريضاً وتريد الشفاء فتتناول الدواء وتدعو فالله يشفيك أما أن تدعو بلا دواء فإنك تقول لله اعمل لي معجزة والله لا يعمل معجزات للأفراد وإنما للأنبياء فقط ومعجزة الأنبياء ليست خدمة لهم بل خدمة للحركة التاريخية أو الرسالة والأمة التي تقف من قضاياها الكبرى موقف اللامبالاة أو السلبية والانكفاء هي الأمة التي ينزل عليها البلاء وتقع فيها المصيبة.

والحسين كان يحمل مشروعاً عاماً. ومن أعظم الاهانات التي يمكن أن توجه لمقام أهل البيت المعصومين وخصوصاً الحسين القول إنه كان لديه حزب لنفسه ويطلب خلافة ومنصباً سياسياً وحاول فشل. الحسين من أول الأمر لم يطلب منصباً سياسياً وإنما طلب تغييراً كاملاً وتغيير أمة برمتها وتغيير نظام برمته وتغيير فهم ونهج برمته ولذلك ثورته من أول الأمر لأن موقف الأمة هكذا كانت ثورة استشهادية ولو أن الأمة أحاطته وانخرطت معه لم تكن ثورته استشهادية وإنما كانت ثورة تغييرية لأجل ايجاد وضع جديد أما حينما تخلت عنه الأمة وخذلته ولم يبق معه إلا العدد القليل الذي نعرفه وهم أصحاب الحسين وهم لا يمثلون الأمة الإسلامية التي كانت في جانب آخر سواء كان الخط الموالي لأهل البيت أو الخط غير الموالي لأهل البيت ذلك إن خط أهل البيت كان أكثر من ٧٠ رجلاً ولم يكن هناك تشيع وتسنن ومذاهب وإنما كان هناك خط عام وكله كان موال لأهل البيت. إذن فالأمة وقفت موقف اللامبالاة أو في انتظار أن يأتي الإمام الحسين إلى هؤلاء بالحرية والنعمة.

وهناك عبارة موحية في الكوفة إذ حينما تحرك مسلم بن عقيل كانت المرأة تأتي أباها أو أخاها أو زوجها أو ابنها فتقول له ما لك وللشر الناس يكفونك هناك من يكفو عنك أو تقول غداً يأتي جيش الشام اذهبوا إلى بيوتكم فقد وقفت الأمة على الحياد وتركت الإمام الحسين وحيداً وحينما نتمثل الإمام الحسين يمشي في الصحراء أو على ما يقال إنه في اليوم الثاني وصل إلى كربلاء وبعدة

قليلة كان هناك ثلاث جبهات الأولى الإمام الحسين ومن معه وفي الثانية النظام بكل ما يملكه من قوة. وفي مكان ثالث الأمة المستسلمة وغير المبالية.

ومن هنا عظمة الشهادة التي وقفها الإمام الحسين في ادراكه أنه سيكون وحيداً وفي الروايات التي تروى هناك جملة ترد أنه في تلك الصحراء في اليوم العاشر من محرم لا يوجد أحد والحسين يصرخ: «ألا هل من ناصر ينصرنا هل من ذاب يذب عن بنات رسول الله» قد يقول قائل بأي عقلية يقول الإمام الحسين هذا الكلام وهنا نقول إن هذا الكلام لم يكن للحاضر وإنما كان للمستقبل وهذا الكلام لنا ولمن بعدنا ولبيان أن الأمة خذلت الإمام الحسين وهذه الأمة التي خذلته حينما انتهى أمر الثورة ديست بأحذية الأمويين هؤلاء الذين خافوا على مالهم وجاههم واستقرارهم دمروا لأن غطاءهم الشرعي وعصمتهم المرجعية دمرت ولم يعد لهم شيء على الاطلاق وهذه جهة من جهات الإمام الحسين حيث الأمة كانت في مقام الخذلان والنكران لإمامها ولذلك كانت ثورة الإمام الحسين ثورة استشهادية ولو كانت الأمة معه لتغير وجه التاريخ قطعاً ولما كنا كما نحن عليه الآن.

ونقول وقد يبدو ذلك عجيباً ومدهشاً نحن الآن نواجه الكيان الاسرائيلي والمشروع الصهيوني ثقوا لو أن الأمة وقفت مع الإمام الحسين في ذلك اليوم لما وجدت اسرائيل وذلك بعد ١٣٥٠ عاماً إحدى تفاعلات خذلان المسلمين للحسين أن توجد اسرائيل لو أن الأمة وقفت مع علي في صفين قبل الإمام الحسين ولم تخذله لما وجدت اسرائيل أن قضايا الأمة والتاريخ والتحولات لا تقاس بـ ١٠ سنوات أو ١٠٠ سنة الأمة الخاذلة هي مخذولة يوجد موقف مؤثر جداً في يوم ما حين وصول السبايا إلى الكوفة جاء بعض الكوفيين والكوفيات يحملون خبزاً وتمراً وهم ارتكبوا جريمة الخذلان التي أدت إلى أن يقطع رأس الإمام الحسين من قفاه وتدوسه الخيل بحوافرها لسبب إن كل واحد يريد أن يبقى على بيته وترتيباته وليجد طعامه صباحاً ومساء موجوداً وفراشه وثير حدثت هذه الجريمة.

الكوفيون والكوفيات يأتون ليتصدقوا على أهل بيت محمد بالتمر والخبز

وتأتي السيدة زينب وتأخذ الخبز والتمر من أفواه الصبيان والبنات وترميه في وجوه هؤلاء المتصدقين وتقول لهم «تبت وجوهكم» وتدعو بالدعاء الشهير الذي كان وسيبقى يتفاعل إلى يوم القيامة ليس هو الذي خلق حالة الخذلان فهي كانت موجودة لأن الله خير الأمة بين أن تنهض وتنصر الحق فتكون حرة كريمة سيدة وبين أن تجلس وتخذل الحق فتكون مخذولة ومهزومة. هذا الموقف بكل تفاصيله وخصوصياته ينطبق على كل مرحلة تاريخية وعلى كل حالة يواجهها مجتمع أو تواجهها أمة وفي مواجهتنا لمشكلاتنا الداخلية الآن.

في كل أزمة من الأزمات لكل أمة ومجتمع زعماء ورؤساء وقادة يفترض أن يتحركوا من أجل هذه الأمة ولكن الناس البسطاء والعاديين ما هو موقفهم؟ هل يقولون إننا غير معنيين وإننا سلمنا أمورنا إلى فلان وفلان؟ إن نتيجة ذلك أنه ستنتكب الأمة وهي تستحق ذلك تستحق التحكم والتجبر وسلب الحريات والاذلال وارتهان رغيف الخبز برضا فلان وفلان أما إذا كانت حاضرة يتغير الوضع وفي الوقت نفسه في الأمة قادة وتجار هناك مصلحون ومنافقون يمكن لأحد القادة أن ينادي بشعارات الأمة ولكنه يساوم عليها يسيّس قضاياها لمصلحته وعلى الناس أن يكونوا في حال الوعي والعلم في كل التفاصيل التي تتناول مصالحه على الأمة أن تكون حاضرة في قضاياها وإلا ستقع في الخذلان وحينما نلاحظ حضور الأمة في مواجهة المشروع الصهيوني نحن من الجيل الذي كان حينما أسست دولة اسرائيل وفي ذلك الوقت تصدت الجيوش العربية والحكام العرب والدول العربية وهزموا بشعار «ليس هناك أوامر».

كانت الأمة غائبة عن الساحة وتتالت المواجهة مع المشروع الصهيوني وكان في كل مرة المشروع العربي أولاً والمشروع الإسلامي ثانياً ينهزم وينمو المشروع الصهيوني إلى الآن الحكومة الاسرائيلية الحالية لأن الأمة كانت غائبة فإسرائيل كانت تحارب بجيوش وبحكومات وكانت الأمة غائبة وهذا أدى إلى أن يدخل الاسرائيليون إلى البيوت وإلى غرف النوم وأدى إلى هزيمة الأنظمة وسقوط الأمة وانتصار العدو تماماً كما حدث في عهد الإمام الحسين والنظام السفياني مع قياس الفارق.

وهناك نقطة وحيدة تبين أنه إذا نزلت الأمة إلى الساحة تغير المعادلة وحينما دخلت الأمة في صيغة المواجهة بصيغة المقاومة تغير الوضع لقد كنا جميعنا أنظمة ومجتمعات وأحزاب وكل الناس رهائن في يد الاسرائيليين وتحولت المعادلة حينما قالت الأمة لا وعندي أسلوبي في المحاولة وهذه صيغة دعونا إليها منذ ما قبل تشكل حركة فتح الفلسطينية فضلاً عن تشكيلات أخرى أيضاً وهناك نصوص معلنة علنية في لبنان والعراق ترجع إلى الستينات كنا ندعو فيها إلى تشكيل جبهة المقاومة حتى تواجه الأمة يمكن لجيش أن يغلب جيشاً في معادلة القوة ولكن لا يمكن لجيش أن يغلب أمة فالأمة دائماً قوية.

وحينما انخرط الاجتماع كله في هذه الصيغة من الموجودين من الناس في الجنوب والبقاع الغربي بصمودهم في بيوتهم ولو لم يحملوا السلاح وأصروا على البقاء وحينما كانت استشهاد طفل أو امرأة أو رجل لا يقلب الدنيا وحينما تطور الأمر وذلك بالتزام كل لبنان بالمشروع وكذلك الدولة ونزلت المقاومة على الأرض بدأ الاسرائيليون ومن ورائهم يفكرون بطريقة أخرى والآن آل الأمر إلى أن تصير اسرائيل رهينة في يد لبنان وصرنا نمثل الرقم الأقوى والأصعب ومن هنا نصيحتنا للمسؤولين في الدولة اللبنانية والدول العربية الأخرى والجامعة العربية أنه لا داعي للإسراع في البحث عما يسمى صيغ السلام فصيغة السلام الموجود وواضحة انسحبوا من دون شروط في لبنان وسوريا من الجنوب اللبناني والبقاع الغربي والجولان من دون شروط.

لا تفكوا قبضتكم عن عنق الكيان الصهيوني في فلسطين لتكن الأمة حاضرة في الساحة لا تتركوا الحسين وحيداً لا تساوموا النظام الصهيوني إن جوهر المسألة الآن حينما نريد أن نترجم الأمور نجد أن الأمور تأخذ هذه الصورة وهذا المسار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نساء كربلاء، ونساء الكوفة

٢٩/٤/١٩٩٨ م
٣/١/١٤١٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين.

ونخص بالسلام الإمام الحسين وآله وصحبه الذين حملوا المشروع منذ ذلك التاريخ وإلى يوم القيامة السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله الحسين وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم منا سلام الله أبداً ما بقينا وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء جميعاً وعلى اخواننا علماء الدين الأجلاء ورحمة الله وبركاته.

تحدثنا عن دور الأمة في نهضة الإمام الحسين وعن دلالات هذا الدور في زماننا عن دور الأمة في اتجاه مشاكلها وقضاياها وحينما تتخلى الأمة عن دورها لا تسلم وإنما تقع في شر ما فرت منه وحينما تدخل الأمة وتأخذ دورها تصون نفسها ومصالحها وكرامتها وحينما تتخلى عن دورها إيثاراً بالسلامة تفقد كل امكانية على الاطلاق.

لقد فاتني أن أذكر لكم أمس إحدى الاشارات المهمة في نهضة الإمام

الحسين في هذه النقطة حينما لقي الشاعر الفرزدق في بعض الطريق وسأله الإمام الحسين عن حال الناس فقال له كلمته الشهيرة المعروفة: «يا ابن رسول الله قلوب الناس معك وسيوفهم عليك» وهذه الكلمة تلخص موقف الأمة من نهضة الإمام الحسين هذا الموقف الذي أدى إلى شر النتائج بكل صورة ممكنة فقلوب الناس معه يريدون التحرر من النظام الأموي، ويريدون السلامة في المواقف، والكرامة في كل شيء ولكنهم لا يريدون أن يتحملوا أي مسؤولية ولا أن يخسروا أي شيء من المكاسب والمناصب على الاطلاق وكانت النتيجة بعد أن وقعت الواقعة أن هؤلاء الذين أثروا دنياهم العاجلة على دنياهم الأجلة كانت النتيجة أنه سفكوا بسياط وأسلحة النظام الأموي ولم يسلم لهم شيء خسروا الحسين ولم يربحوا شيئاً بعد الإمام الحسين هذه الظاهرة بقيت موجودة طيلة الأزمنة وإلى زماننا هذا.

أمام كل نكبات الاستعمار وأكبرها مع المشروع الصهيوني حينما كانت الأمة محايدة أو غير مبالية كانت النتيجة أنهم جميعاً الآن يبحثون عن أبسط الحلول فلا يحصلون على أي حل هذا الموقف ينبغي أن يكون درساً لنا في كل شؤوننا العامة ومن هنا الكلمة الشهيرة في الحديث المأثور والصحيح في المعنى والمتواتر في المعنى «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم» هذا يعالج دور الأمة في القضايا العامة فإذا اهتم كل إنسان من المسلمين بالقضايا العامة يكون المسلمون في خير وإذا لم يهتم أحد بالأمور العامة ضعفت الأمة وبقيت على قليل من الأشخاص الذين ليس عليهم أي رقابة وليس لهم أي ضابط أو أي حد يقفون عنده ويحدث حينئذٍ ما قاله أمير المؤمنين سلام الله عليه في أحد مواقفه: «إلا وأن هؤلاء القوم قد اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً والصالحين حرباً والفاسقين حزباً».

مال الله هو المال العام ـ مال الخزينة ـ مال بيت المال وحينما لا يكون هناك موقف من الأمة والمجتمع يكون مال الله والمجتمع والأمة هو عبارة عن ادارة خاصة بالمتنفذين وأهل الحظوة والسطوة أما عامة الناس فلا ينالهم منه شيء وعباد الله يكونون خولاً ـ خدماً وعبيداً وليس بالضرورة أن يكونوا عبيداً في

سوق النخاسة يباعون ويشرون ولكنهم يعاملون معاملة العبيد ويساسون سياسة العبيد ويكون الصالحون حرباً أي العناصر الصالحة في الأمة تكون محاربة وتكون مقصية والذي ينجح هم أهل الزلفى بعبارتنا المتعارفة في هذا اليوم مساحي الجوخ الذين يقبلون أن يشاركوا اللصوص الكبار في اللصوصيات الصغيرة.

المسلمون في آخر زمان الإمام علي تخلوا عن مسؤوليتهم ثم تعاظم هذا التخلي في زمان الإمام الحسن ثم وقعت الواقعة والاختيار الكبير والأليم مع الإمام الحسين هذا موقف الأمة عموماً لذلك فإن القول إن المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية كانت تأخذ الموقف والنظام الأموي قمعها واعتدى عليها فهذا كلام غير صحيح وهذه براءة لغير الأبرياء ولم يكن في ذلك الزمان مصطلحات سنة وشيعة ومذاهب وإنما كانت الأمة واحدة ولها خطوط سياسية مختلفة ولكن كان هناك جوامع مشتركة بين الكل لم يكن هناك تمذهب وإنما كان هناك تسييساً وفي هذا الموقف كانت الأمة في موقف الخذلان ولذلك فإن ظلم الأمويين الذي تسمعون به ومثاله الكبير ظلم الحجاج وهو ظلم لمن يستحقونه وليس لمن لا يستحقونه.

متى يبدأ الظلم؟ هل يأتي الظالم ويفرض نفسه أو تهيأ للظالم الظروف والمناسبات والملابسات لأجل أن يتحكم؟ من الذي جعل الناس يقفون على الحياد بين علي وخصومه؟ وكذلك بين الحسن وخصومه؟ وبين الإمام الحسين وخصومه أيضاً؟ هل أجبر أحد الناس على هذه المواقف؟ لا، لقد اختار الناس هذا الموقف وهم يدفعون ثمن ذلك؟.

في مجتمعاتنا الآن مع إسرائيل وغيرها أن الموقف الذي يختاره الناس هو الذي يتبلور وهو الموقف الذي يفرض نفسه.

نأتي الآن إلى عنوان آخر ومفهوم آخر هو دور المرأة المسلمة في موقفها في كربلاء، أنا شخصياً فعلت ذلك وتوجد لي نصوص مكتوبة في هذا الشأن، ولكن هذا خطأ فالمرأة المسلمة وهي جزء من هذه الأمة المسلمة تخلت عن دورها اطلاقاً بل كان دور المرأة المسلمة كان أقبح الأدوار وكون السيدة زينب

موجودة والهاشميات وبعض نساء أصحاب الحسين كن موجودات فهذا لا يعني أن المرأة المسلمة كانت موجودة في الساحة فالمرأة المسلمة كانت غائبة عن الساحة بل هي مارست دوراً سلبياً وأبرزه في قضية مسلم بن عقيل حيث نقلت الروايات التاريخية أن المرأة كانت تأتي أباها وأخاها وزوجها وابنها فتقول لها ما لك وللشر الناس يكفونك اتركهم. في الكوفة لعبت المرأة دوراً سلبياً مدمراً وإذا بحثنا عن ادارة النظام الأموي في الكوفة وعن موقف الشعب النسوي في الكوفة يبدو أن أساس الهزيمة كان في جانب كبير من موقف النساء اللواتي نشرن حال الذعر والتخاذل بحيث وقع أثرها خلال ساعات وبحسب ما يروي قراء المنبر أن الذين بايعوا مسلم كانوا ١٨ ألف رجل وخلال ساعات وعند حلول الغروب لم يبق معه إلا آحاد من الناس وبعد صلاة العشاء لم يبق معه أحد من الناس وهذه الظاهرة من ناحية الأمة أو المرأة عجيبة ونادرة الحدوث بحيث إن الكوفة هي التي رحبت بالإمام الحسين وكانت مظهراً كبيراً واحد مراكز الوعي السياسي في ذلك الزمان وهم الذين حرضوا ودعوا ورحبوا وتكونت مجموعة ملتزمة سياسياً وقتالية يقال إنها بلغت ١٨ ألفاً ولكن هؤلاء لم يثبتوا يوماً واحداً على الأقل وتغير حالهم منذ الصباح وحتى صلاة العشاء وهذه ظاهرة غير مألوفة في عصرنا ولا في أي من العصور والسبب في ذلك ليس الذعر وحده وإنما هناك عدم الشعور بالمسؤولية تارة بمنطق لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وتارة بمنطق الناس يكفونك ما لك وللشر فبيعة مسلم والإمام الحسين كانت بداية نهضة وجهاد وانقلبت برأيهم شراً.

هناك موقف ثاني للمرأة تذكره الروايات عن النساء اللواتي استقبلن السبايا وبيدهن الخبز والتمر وأخذن يتصدقن على أيتام آل محمد هذا الموقف لا نستطيع أن نصفه إلا بالدناءة والحقارة والذل وهو موقف نسوي وهو عندهم بمثابة كفارة الخذلان بالصدقة وحفنة تمر ولقمة خبز وهذا يدل على أن المرأة لم تكن واعية.

وهنا مقارنة بين هذا الموقف وبين موقف قديم وموقف حديث والموقف القديم كان في المدينة وكانت تتزعمه السيدة الزهراء سلام الله عليها في زمانها

وكان جمهوره نساء المهاجرين والأنصار وخصوصاً نساء الأنصار وكانت في المواجهات التي تحدث بين المؤمنين القليلين بقيادة رسول الله وبين العالم المتمثل في قريش وحلفائها وفي ذلك الوقت في أول الهجرة وفي ما بعد أول الهجرة في بدر وأحد في شكل خاص وما بعد أحد فالقوة الروحية العظمى التي بثتها المرأة في ذلك الحين في قلوب الرجال كانت قوة عظيمة فالنساء كن يساهمن مساهمة مباشرة في الجهاد وكن يضغطن على قلوبهن في مواجهة الكفر وهن يفقدن الآباء والأبناء والأزواج والإخوة والزهراء سلام الله عليها في مكة حينما كانت وهي فتاة تواجه كل الاجرام الأسود لقريش على رسول الله وترافقه إلى المسجد الحرام وبعد ذلك تابعت هذه المسيرة مع زوجها علي وأبيها محمد وحينما رأى المسلمون الزهراء ابنة نبيهم تقوم بهذا العمل زاد الانخراط في شكل كبير وفي أحد وكانت أعظم نكبة أصابت المسلمين قتلا وجرحا وكان الثكالى والأيامى واليتامى من النساء بالمئات لم يظهر ذرة واحدة من الضعف والوهن والتخاذل على قطاع النساء في المجتمع الإسلامي بل كلهن كن قلباً واحداً في مساندة رسول الله وجهاده.

وهناك موقف معاصر من نسائنا في هذا الزمان في الجنوب والبقاع الغربي وكل لبنان واذكر موقف النساء في داخل فلسطين ونحيي هذا الموقف ولو أنه في كل بيت توجد مناحة بحيث تبكي الأم والأخت والبنت كما حصل في الكوفة مع مسلم بن عقيل ماذا يبقى من معنويات عند المجاهدين؟ إن موقف النساء هو جزء من أشرف أجزاء موقفنا العام في مواجهة الاحتلال والمشروع الصهيوني وكذلك موقف النساء الفلسطينيات داخل فلسطين وحينما نتحدث عن فلسطين بكل شرفها وتألقها فإننا نتحدث عن داخل فلسطين.

هؤلاء النسوة الشريفات والجليلات هن جزء من مشروع المواجهة وهذا النموذج للأدوار هو نموذج يجب أن نتعظ به وأن نعرف أن نساء الكوفة اللاتي حرصن على أزواجهن وأبنائهن وأبائهن آل أمرهن إلى اليتم والتشرد لأن هؤلاء الأباء والأزواج قتلوا بعد أن زالت ضمانتهم السياسية والروحية والأخلاقية بالحسين ومشروع الإمام الحسين لم ينفعهن شيء على الاطلاق بل فقدن كل ما

يردن المحافظة عليه عن طريق التخاذل والاستسلام.

أيها الأعزاء يبقى الكلام عن نفس النسوة الكربلائيات وحينما نتحدث عن النسوة الكربلائيات نتحدث عن نموذج خالد هذا النموذج يتمثل في السيدة زينب وسائر الهاشميات أو في أم علي الأكبر وسائر النساء الأخريات ونقول إن هؤلاء لم يمثلن المرأة في ذلك الحين بل كانوا شذوذاً عن المرأة في ذلك الحين ولكنهن يمثلن المرأة المسلمة الصافية والنموذج الذي يحتذى لنا فحينما نجد السيدة زينب ونسمع من القراء كلمة واحدة مثيرة للحيرة ولكن حينما نتعمق فيها نفهم أن معناها عظيم جداً لا يذكر الرواة أي رواية عن أن امرأة من النساء طالبت بالانسحاب من المعركة وهذه الناحية مؤثرة جداً فلنستعد إلى أذهاننا الآن أنه يوجد مجموعة من الرجال فيهم الأب والأخ والابن والزوج وأن مصير هؤلاء الرجال عرف وهو القتل ولا يوجد أي فرصة للنجاة إلا بالاستسلام وهم رفضوا الاستسلام وأن الإمام الحسين سلام الله عليه عرض عليهم الانسحاب ورفضوه حينما قال: «إلا وأن هذا الليل قد أضلكم فاتخذوه جملاً» وأصروا على البقاء لم يبلغنا أبداً لا برواية قوية ولا برواية ضعيفة أن امرأة من هؤلاء النسوة طلبت الانسحاب والخروج من المواجهة أو أنها طلبت من أب أو أخ أو زوج أو ابن أن ينسحب من المعركة وأغلب هؤلاء النساء لا نعرفهن وهن نساء عاديات مؤمنات بسيطات لسن مثل زينب أو سكينة أو أم علي الأكبر التزمن بهذا الخط وثبتن عليه ولنتصور أنه في كل خيمة كانت الأم والزوجة والبنت تبكي وتنشج وتطلب من أبيها أو أخيها أو زوجها أن يخرجها وأن ينسحب معها كم كانت صورة كربلاء هذه قبيحة إن بطولة هؤلاء النسوة لا تقل أبدا عن بطولات الرجال لأنهن وهن يرون وحش الموت يزحف ببطء ولكن بثبات يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة نحو عنق الزوج والأب والابن ومع ذلك بقين ثابتات وصامدات في كل امرأة منهن تتمثل بطولة أرقى الابطال في هذا الثبات. بل نجد أكثر من ذلك حيث كان بعضهن يشجعن زوجهن أو ابنهن على أن يستشهد ويشاركن وبعضهن مشاركة فعلية في القتال.

أن نجد نموذج المرأة المسلمة، هل في من اتصلن بالرجال وقلن لهم في

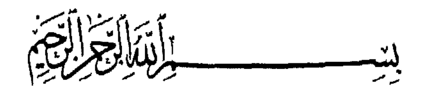
يوم مسلم الناس يكفونكم انسحبوا أو نجده في هؤلاء النسوة؟ بطبيعة الحال نجده في هؤلاء النسوة. ترى هل نجد نموذج المرأة اللبنانية والعربية والمسلمة النموذج الراقي والنقي والحضاري والذي تتقدم به الأمة وتنهض به الأمة في النساء اللاتي يمثلن الصبر والمصابرة في الجنوب والبقاع الغربي وفي امتدادات الجنوب والبقاع الغربي في كل لبنان ولا أتكلم عن المسلمات فقط وإنما أتكلم حتى عن المسيحيات حيث كان يوجد قبل أيام مهرجان كبير لسناء محيدلي وهي تستحقه وكذلك كل فتاة وسيدة مشابهة له.

المرأة البطلة والحضارية التي يقوم عليها المجتمع أين نجدها؟ نجدها في المجاهدات الصابرات حتى بالسكوت في كل أم وأخت وزوجة وابنة ملتزمة كانت مسيحية أو مسلمة كانت في الجبل أو السهل أو الساحل أو الداخل أو نجده في الصالونات وفي التهالك على ما يسمى أنشطة المجتمع وفي صرف الأموال الهائلة على المباذل التي لا طعم لها. أين نجد المرأة التي تصنع مجد لبنان ومستقبله؟.

هذه المرأة قد تكون عالمة كبيرة ولكنها قد لا تكون تساوي شيئاً أمام امرأة فلاحة بسيطة عندها زوج وولد وأخ صابرون في الجنوب أو البقاع الغربي أو في قلب بعلبك أو الهرمل أو طرابلس أو أي موقع من المواقع التي يمكن أن تنالها أيدي الاسرائيليين وهي تقول نعم نحن ملتزمون ضد الاحتلال الاسرائيلي. النساء الكربلائيات موجودات الآن والنساء اللاتي عاصرن رسول الله موجودات الآن وهذا أحد أسرار قوتنا ويتمثل في التزام المرأة بقضايا الأمة ومثالنا الأعلى هو السيدة الزهراء والسيدة زينب وصاحبات الزهراء وصاحبات زينب سلام الله عليهن في الأولين والآخرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شبان عاشوراء

٣٠/٤/ ١٩٩٨ م
٤/١/١٤١٩ هـ



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين.

السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء جميعاً وعلى اخواننا علماء الدين الأجلاء ورحمة الله وبركاته.

على أساس ما أعلنته لكم في بداية هذا الأيام المباركة قلنا إننا سنعالج فيها علاقة ذكرى عاشوراء وعلاقة نهضة الإمام الحسين ببعض المفاهيم العامة في حياتنا العامة وفي اجتماعنا العام تحدثنا عن بعض العناوين وكان آخر الأمر الحديث عن دور الأمة والمرأة في عاشوراء.

في هذا اليوم نتحدث عن دور الشبان ذكوراً وأناثاً جيل الشبان وما هي علاقته بعاشوراء وبنهضة الإمام الحسين؟ وما هي مشاركته في نهضة الإمام الحسين؟ وما دلالة ذلك في زماننا بالنسبة إلى قضايانا من أكبرها شأناً مثل

قضيتنا مع المشروع الصهيوني إلى أبسطها شأناً من نوع قضيتنا في مشكلة في شارع من الشوارع أو في بلدية من البلديات.

اليوم نتكلم عن دور الشبان في عاشوراء، ولعلي غدا أتكلم عن القبيلة وعاشوراء، والروح القبائلية والعشائرية والحزبية وتحزيب الحسين وجعل الحسين رئيس حزب وراعي ميليشيا ومسؤول منطقة وعلاقة ذلك بما كانت عليه الحال في أسوأ أيام الإمام علي بن أبي طالب في الكوفة وامتداداً واستطراداً في كل البلاد الإسلامية في آخر أيامه حينما ألقى خطبته الشهيرة (الخطبة القاصعة).

اليوم نتحدث عن موضوع الشبان في الإسلام وموضوع الشبان مع رسول الله وموضوع الشبان مع علي بن أبي طالب وفي كربلاء مع الإمام الحسين.

حتى لا نطيل تحضرني الآن صورة لشاب عمره يقل عن خمس وعشرين عاماً هو علي بن أبي طالب الذي دعاه رسول الله ليبيت في فراشه ليلة الهجرة واستجاب له حيث طلب رسول الله من الإمام علي بن أبي طالب أن يبيت في فراشه وأن يكون الشخص البديل في تلك الليلة في بيت رسول الله تحت سيوف مؤامرة بالاغتيال تبلغ أربعين سيفاً في يد أربعين رجلاً أو عشرة سيوف في أيدي عشرة رجال على أن لا يكشف شخصيتهم.

إذن طلب من علي أن يقدم نفسه للذبح بصمت كامل بحيث إن تضحية علي أكبر من تضحية إسماعيل التي كانت تلك تضحية في نور الشمس وحينما قال له أبوه إبراهيم: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾[1] قال يا أبتي افعل ما تؤمر ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ كانت تضحية مضيئة وفي نور الشمس أما التضحية التي قدم الإمام علي بن أبي طالب نفسه لها كانت تضحية سرية بكل معنى الكلمة حيث كان سيكتشف أن الضحية ستكون علياً بعد أن يقتل.

لقد قدم الإمام علي بن أبي طالب نفسه طواعية وبفرح كبير إلى الذبح بسيوف المؤامرة القرشية التي أشار إليها الله سبحانه وتعالى في قوله عز من

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

قائل: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[1] كانت المؤامرة هي القتل ـ عنوان علي هي دور الشبان في الرسالة الإسلامية فقد كان يوجد شيوخ ولكن كان يوجد بصورة أكثر وأكبر شبان فعمار بن ياسر الشهير كان شاباً يافعاً وأمثاله كانوا كثيرين، استطراداً في كربلاء كان العنصر الشبابي بارزاً، في أنصار الإمام الحسين عليه السلام، على عنصر الشيوخ ولهؤلاء أمثال في كل الأمة الإسلامية أنذاك الذين بلغتهم دعوة الإمام الحسين واستجارة الإمام الحسين ورسالة الإمام الحسين ولم يستجب له إلا العدد القليل من الشبان الذين أثبت التاريخ أسماءهم والذين نزورهم مع نزورهم من أصحاب الحسين في الزيارات الشهيرة التي نزورهم بها.

ما هي دلالة هذا وعلاقته بزماننا؟ عادة أن عنصر القوة في كل أمة هو عنصر الشبان وعنصر الضعف في كل أمة أيضاً هو عنصر الشبان وحينما يكون الشبان على وعي بمهمتهم ورسالتهم ومسؤوليتهم وحينما يأخذون قضيتهم بأيديهم ويكافحون في سبيلها يكونون عنصر قوة لأنهم الجيل الذي يحمل الرسالة وينقلها إلى جيل آخر.

أما أن يكونوا عنصر ضعف فذلك حينما يتيهون وحينما يضيعون وحينما تخلق لهم قضايا جانبية تتصل إما بسياستهم أو باجتماعهم أو بحياتهم الخاصة وحينما تخلق لهم اهتمامات يومية ثانوية يتخلون فيها عن اهتمامهم الرئيسي فيصبحون عنصراً خطراً في الأمة لأن عملية التحول من مرحلة إلى مرحلة ومن مستوى إلى مستوى وعملية المواجهة للأعداء الخارجيين والفساد الداخلي تكون من دون قوة على الاطلاق حيث يتولاها رجال ونساء كبار السن مستهلكين ليست لهم قدرة على الثبات والمقاومة والاقتحام فتحدث الكوارث.

لا نريد أن نتحدث كثيراً عما حدث في كربلاء ولكن نجد نماذج من شبان أهل البيت الهاشميين من أمثال العباس وعلي الأكبر ومن أصحاب الإمام الحسين الذين ثبتوا إلى النهاية واستشهدوا لم يثبت التاريخ لنا أن واحداً تخلى عن معركته بل استمروا ثابتين مقاتلين مجاهدين إلى أن استشهدوا.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

إذن دور الشبان في كل عملية مواجهة هو دور أساسي وأكثر ما نخافه في عصرنا ومرحلتنا التاريخية سواء في لبنان أو العالم العربي والإسلامي هو رأس المال الثمين والخطر وهو الشبان والذي يتهدد هذا العنصر في مجتمعاتنا. ففي لبنان رجالاً ونساء سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين وكذلك في العالم العربي والإسلامي وهؤلاء مهددون بمؤامرة كبيرة متشعبة تريد أن تخرجهم من دائرة مهمتهم ومسؤوليتهم وتقذف بهم في دوائر أخرى بعيدة عن حاجات أمتهم ومجتمعاتهم وذلك بخلق اهتمامات ومشاغل وحاجات وطموحات بعيدة كل البعد عن حاجات المجتمع والأمة من مستوى محلات التسلية والألعاب البسيطة إلى مستوى خلق أجواء ثقافية نشاهدها في التلفزيون والاعلانات وبعض الأنشطة التي يقال إنها فنية لأجل خلق اهتمامات عند الشبان تصرفهم عن المسائل الحيوية والمشاكل الحقيقية في اجتماعنا اللبناني والعربي والإسلامي.

إن الثقافة التخاذلية والانهزامية والتواكلية التي جعلت الأمهات والزوجات ينصحن أبناءهن وأزواجهن بالتخلي عن مسلم بن عقيل هي ثقافة يمكن أن تتكرر في أي مجتمع من المجتمعات التي يراد هدمه من الداخل. ماذا نواجه الآن نحن؟ نحن نواجه خطراً سياسياً تنظيمياً عقائدياً كبيراً هو الخطر الصهيوني وهناك خطر ثاني نواجهه هو خطر تركيب الأسرة والعائلة من قضايا الأمومة والبنوة والأبوة وعلاقة الأسرة ببعضها ومسؤوليات الأسرة عن نفسها وما يتصل بذلك من قضايا العفة الجنسية بكل معنى الكلمة وقضايا الاختلاط، هذه الأمور نشعر أن شبان لبنان والعرب والمسلمين معرضون لأخطارها وتستهدف اجتماعنا وثقافتنا في نظام عالمي جديد يريد أن يهدم كل شيء ليرث كل شيء من مستوى عقد مؤتمر في بكين أو القاهرة عن المرأة وحقوقها ويقدم صيغاً ومشاريع قوانين تريد أن تخلق ثقافة جديدة تصل إلى حد اباحة الشذوذ الجنسي والخروج عن بنية العائلة وتركيبها والعائلة هي في صميم الاجتماع البشري إذ إن مجتمعاً من دون عائلة هو خارج الحضارة والتقدم.

قبل مدة روج أحد المراكز الاعلامية في لبنان فكرة ثقافية ضد استعمال العنف وهي فكرة صحيحة إذ إن تربية الأطفال على المسالمة والمعايشة وقبول

كل طرف للطرف الآخر هي ثقافة موجودة في صميم فكرنا الإسلامي وحياتنا الدينية من مستوى ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1] إلى مستوى ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[2] هذه الفكرة جيدة وهي فكرة اللاعنف ولكن هذه الفكرة حينما تلقن في مجتمع محتل من الاسرائيليين ومجتمع تقوم كرامته ومصالحه وحياته السياسية والثقافية على الممانعة والمقاومة هذه الفكرة مثيرة.

والسؤال هل في داخل اسرائيل يعلمون أطفالهم على اللاعنف وهذه مسألة محور سؤال ونطلب الافادة فيها.

اللاعنف في جيل الأطفال والشبان له سياقان ومجالان اللاعنف في العلاقات الفردية نعم وحينما تكون علاقاتنا فيما بيننا داخل الأسرة والحي والبلدة تحصل مشاكل فردية بين الناس أو تحصل مشاكل عائلية في هذه الحالة نعم تأتي ثقافة اللاعنف ودفع السيئة بالحسنة والعفو والصفح وهي ثقافة موجودة في صميم فكرنا وفقهنا وثقافتنا العامة واجتماعنا المدني أما أن يبشر باللاعنف ويبشر بالمسالمة في وقت أن العدو يضرب ونريد أن نسأل المسالمة مع من ومن هو الآخر الذي علينا قبوله.

هذه نقطة تتسلل إلى فكرنا وثقافتنا من دون أية رقابة وموازين وحينما نعلم أولادنا أن يكونوا مسالمين لرفاقهم وجيرانهم وأبناء الحي الذي يلعبون معهم علينا أن نربيهم أن لا يكونوا رفاقاً لعدوهم الديني والسياسي والحضاري والثقافي لا أستطيع أن أقول علموا أولادكم على اللاعنف بالنسبة للاسرائيليين أو بالنسبة لمن انتهكوا حرمات الإنسانية كلها في البوسنة والهرسك أو الشيشان أو كشمير أو أي مكان فالله يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[3] هناك ثقافتان الأولى تربي على المناعة والقوة وتمايز الشخصيات وثانية تربي على الخنوع والاستسلام وعدم المبالاة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٣.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٤.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

هذه النقطة الجوهرية نستفيدها من هذه المناسبة وما هو دور الشبان في مجتمعاتنا وما هي مسؤولية الاعلام والمدرسة والجامعة وعلماء الدين وما هي مسؤولية كل موقع من مواقع التوجيه العام وتربية الرأي العام في المجتمع.

نحن نشعر على أساس تجريبي إننا نواجه خطراً كبيراً جداً فيما يتعلق بجيلنا الشاب والتزامات هذا الجيل على مستوى حياتنا الوطنية العامة وحياتنا العامة على مستوى الأمة في ظل نظام عالمي يريد أن يلتهم كل شيء بتغيير القناعات والثقافات والمعتقدات ونحن نشعر أن شبابنا الذكور والاناث يستلبون من مجتمعاتهم شيئاً فشيئاً وتخلق لهم اهتمامات بعيدة عن هذا المجتمع والمناخ الذي يدعو إلى الالتزام بكل شيء هذه الروح لا نرى أن القوى الصهيونية بعيدة عنها وهي التي تحاول أن تؤثر ثقافياً بعدما عجزت عن التأثير العسكري والأمني وبالخوف تحاول التأثير بتغيير المفاهيم الثقافية.

ترى ماذا نفعل حينما تغرس في الاذهان مفاهيم من قبيل ماذا فعل لنا الاسرائيليون هم في بلادهم ونحن في بلادنا لماذا لا نسالمهم؟.

لقد تربى الاسرائيليون جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن على عقائد خرافية باطلة بحيث تخرج دولة عدوانية نووية كالتي نراها ونحن نعمل على تربية أولادنا على اللاعنف وبكل أسف أن الذي نخشاه أن نربي أولادنا على اللاعنف تجاه أعدائهم وأن نربي فيهم أشد وأسوأ قيم العنف والحقد ضد بعضهم بعضاً بحيث يتقاتلون في الأزقة والشوارع.

هذه نقطة يجب أن توضع برامج تربوية صحيحة تربي على اللاعنف تجاه العائلة والمجتمع ولكن تربي أيضاً على عنصر وقيمة الممانعة التي تحفظ شخصيتنا الخاصة فخلق الممانعة والعنف مغروس في صميم الشخصية الإسلامية فالله يقول في كتابه المبين والكريم ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] فمسألة الدفع الحضاري والاجتماعي هي ممن يقوم عليه توازن البشر أما حينما

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠.

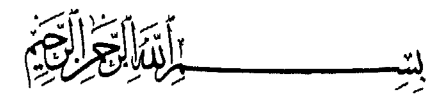
يربى جيل من الناس على المسالمة وقبول كل ما يأتي إليه يندثر.

أمامنا قضايا كبرى تتعلق بوجودنا السياسي وكياننا الوطني أو القومي أو العالمي ويجب أن يقوم على تربية واسعة بالممانعة وفي الوقت نفسه توجد قضايا تتعلق بثقافتنا وبسلوكنا وعائلتنا وبلدتنا وجيراننا وهذه يجب أن نربى فيها على روح التعاون والمسالمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثورة الحسين، ثورة ضد القبائلية والعشائرية والحزبية الضيقة

٥/١/١٤١٩ هـ



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين.

السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات الكرام العلماء الأجلاء والإخوة والأخوات الأفاضل الأعزاء ورحمة الله وبركاته.

نتابع مسيرتنا مع الإمام الحسين وآله في هذه الأيام فنقتبس منها من معانيها ما يضيء حياتنا ويصحح مسيرتنا في شأننا الخاص، في شأن كل أسرة منا وكل جماعة، وفي شأننا الوطني العام.

ننتقل الآن إلى تطورات السنة الأخيرة من حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أو الأشهر الأخيرة من حياته في العراق وفي الكوفة بوجه خاص وبعد ذلك نعود إلى الإمام الحسين.

في تلك الأشهر أو السنة الأخيرة من حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب انحط الاجتماع الإسلامي وانحل انحلالاً كبيراً وعادت الروح العشائرية والقبلية والعائلية تسيطر على المجتمع في شكل كامل وشامل حتى في عاصمة الخلافة في الكوفة تفاقم الأمر بحيث إن كل حي من أحياء الكوفة أصبح يغلق على نفسه في الليل ويحرس نفسه في مواجهة الاحياء الأخرى وكانت الأحياء عبارة عن قبائل وعشائر فكانوا إذا التقوا في النهار أو الليل يتقاتلون أو يتحاجزون.

وإذا راجعنا تلك المرحلة فيمكن تشبيهها بما كانت عليه بيروت ولبنان.

وكان ذلك الوقت أمير المؤمنين ومرجعهم وسيدهم هو علي بن أبي طالب ولا نتوهم أبداً أن هناك خللاً في الحكم إذ كان الخلل في الاجتماع. ونسأل من أين جاء هذا الواقع والخلل؟.

كان هذا الواقع انعكاس لمرحلة النظام الأموي بعد صفين حين أجج العصبيات العائلية والعشائرية والقبلية داخل العشيرة من خلال انشاء عصبيات داخل العوائل وداخل القبيلة بإنشاء عصبيات عشائر وداخل المجتمع بإنشاء عصبيات قبائل.

لقد كانت القبائل في ذلك الحين هي التحزبات وكان هناك خطوط سياسية وكانت تستخدم الوسائل ذاتها كالإغراء بالمال والمناصب بحيث إن الاجتماع الإسلامي في كل دولة الخلافة وخصوصاً في عاصمة الخلافة في الكوفة انحط إلى أدنى مستوى بسبب الانقسامات العائلية والعشائرية والقبائلية.

في هذا الجو كان الجهد الأكبر لأمير المؤمنين عليه السلام أن يعيد توحيد المجتمع والأمة ومن جملة جهوده في ذلك أن ألقى خطباً عدة مهمة منها خطبة مشهورة لها اسم مثبت وهي قد تكون من أطول خطب نهج البلاغة فالشريف الرضي رحمة الله عليه وهو الذي جمع خطب الإمام علي في نهج البلاغة أو من قبل الشريف الرضي اختار لها اسم الخطبة القاصعة وهي من القصع يعني الضرب ـ القاصعة للشيطان ـ وقد عالج أمير المؤمنين في هذه الخطبة هذه

الظاهرة واعتبرها ظاهرة من ظواهر تسلط الشيطان على المجتمع والأفراد والجماعات والمجتمع ككل وضرب فيها أمثالاً كثيرة من قبل الإسلام ـ من الحياة الجاهلية ومن بعد الإسلام وبين فيها نهج الإسلام وكيف أن الانقسامات التي هي من هذا القبيل لا تفيد أصحابها بل تعود عليهم بالوبال الشديد والخسران المبين وإن الذين يدفعون ثمن الانقسامات هم الناس البسطاء والعاديون الذين يتعصبون لهذا الزعيم أو ذاك لهذا الحزب أو ذاك الحزب لهذه الفئة أو لتلك لهذه القبيلة أو العشيرة أو لهذه القبيلة أو العشيرة وفي النهاية الكل يذهبون هباء ويبقى أصحاب المصالح وحدهم وهذه تحدث دائماً في كل حالة من حالات الفتنة حيث يهلك الناس البسطاء ويبقى أصحاب المصالح وهم الذين يقطفون المغانم وهم الذين يتفقون فيما بعد أو لا يتفقون ولكن الذين يخسرون هم عامة الناس.

وانصح كل إخواننا وأخواتنا أن يراجعوا هذه الخطبة هذه الأيام في نهج البلاغة وأطلب من اخواننا علماء الدين وخطباء المنبر في عاشوراء وغير عاشوراء أن يثقفوا الناس بها.

إن نهضة الإمام الحسين سلام الله عليه كانت في سنة ٦٠ للهجرة ولم يكن يوجد يومها مذاهب فلم يكن هناك مذهباً للشيعة أو مذهبا للسنة وحتى أشاعرة ومعتزلة وما إلى ذلك لم يكونوا موجودين أنذاك إذ كان هناك أمة إسلام واسعة وكبيرة خارج المذاهب وما كان موجوداً هو خط أهل البيت عليهم السلام.

ترى هل انحصر خط أهل البيت في أصحاب الحسين الذين هم معروفون محصورون ٧٤ أو ٧٥ رجلاً مائة أو مائتي رجل هل كل الأمة الإسلامية كانت مخالفة للإمام الحسين ومبتعدة عن الإمام الحسين وعن خطه والمخلصين كانوا من كان معه فقط؟.

هذا الأمر مستحيل ولا نصدق أبداً أن الأمة الإسلامية كانت مخالفة لخط الإمام الحسين أو أنها كانت معادية للإمام الحسين والذي حصل هو هذا وهو أن الأمة في ذلك الحين كانت منقسمة في داخلها إلى شيع وأحزاب وتكتلات وكان كل فريق مرهون بالفريق الآخر ونحن نعجب ونتساءل الآن هل من المعقول أن

الإمام الحسين الذي خرج من المدينة ولم يكن خروجه سرياً، وعلى رغم نصائح طلبت منه سلوك طريق جانبي وأن يخرج في الليل ويمر في طرق فرعية فرفض وخرج في النهار وقال: «الزم الطريق الأعظم»، هذا الخروج واقامة أشهر طويلة في مكة والخروج العلني في أيام الحج من مكة وقضاء أسابيع في الطريق من اليوم الثامن من ذي الحجة إلى اليوم الثاني من محرم أي حوالى ثلاثة أسابيع وكان يمر على القبائل والقرى والمزارع ويراه الناس ولا يتبعه أحد هذه الظاهرة تستوقف. ترى هل كان كل هذا المجتمع معادياً؟ لقد كانوا يعلمون فلماذا لم يتبعوهويناصروه؟ لنفترض أن الإمام الحسين تحرك بمسيرة وتظاهرة ترى لماذا لم تكبر هذه التظاهرة بل على العكس فقد صغرت التظاهرة إذ خرج معه من المدينة الآلاف من الناس وتجمع عليه في الطريق المئات أو الآلاف من الناس ولكن كان كلما اقترب من كربلاء كان ينخفض العدد إلى أن انحصر في المجموعة المعروفة.

لماذا؟ حينما قام مسلم بن عقيل بحركته المشهورة في الكوفة وبدأ بعشرات الألوف وانتهى بمئات الأشخاص ثم بعشرات الأشخاص ومن ثم بأحاد الأشخاص ومن بعدها لم يصل معه أحد وبعد صلاة العشاء لم يكن معه أحد بحيث إنه صار يدور في أزقة الكوفة ودروبها يطلب شربة ماء إلى أن حصل ما حصل.

هذه الظاهرة مدهشة للعقول؟ هل كانت الأمة معادية؟ لا، فقد كانت موالية، والدموع التي بكوا فيها بعد عاشوراء كانت دموعاً صادقة ولم تكن دموعاً كاذبة والذي حصل هو أن هذه الأمة كانت مشلولة بالانقسامات والنزاعات وكل فريق ومجموعة عائلات أمسكوا زمام أمورهم إلى شخص وكل عشيرة لها شيخ وزعيم وقائد ومتنفذ وكل قبيلة ومجموعة عشائر كانوا كذلك وهكذا انقسم المجتمع على نفسه لم يعد هناك حساب للمجموع العام وتحكمت الحسابات الخاصة بالموقف برمته.

والآن نحن نخاطب العمال والعاملات في عيدهم تعرفون أن من أساليب أرباب العمل في تحطيم الاضرابات العمالية هو أن يأتي رب العمل بفريق من العمال ويغريهم ببعض العلاوات ليعودوا عن الاضراب ويبثوا الدعايات داخل

المعمل بأن ممثلي النقابات اتفقوا مع أصحاب العمل وذلك بهدف خلق فتنة داخل مجتمع العمال فيتعطل الاضراب.

الأسلوب ذاته اتبع لمواجهة نهضة الإمام الحسين، الذي أسقط حركة الإمام الحسين وأفشلها وحول مشروعه إلى مشروع استشهاد هو ليس فقط السلاح الأموي وإنما الخلاف الداخلي وتحكم الروح العشائرية والقبلية والحزبية في المجتمع إذ حينما نواجه المجتمع يقال إن ابن زياد حاصر الكوفة كلها وكان عددها أنذاك ملايين الأشخاص ومنع الناس إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام يخرج من الكوفة ٥٠ ألف جندي ولا تتأثر أسواقها ومساجدها ونحن نرى أن لا صحة للرأي القائل أن الجيش حاصر الكوفة ومنع الناس من اتباع الحسين فالناس كانوا محاصرين بمعادلاتهم الحزبية الصغيرة وإذا كان صحيحاً أن الكوفة حوصرت هل صحيح أن كل الأمة الإسلامية كلها حوصرت من اليمن إلى العراق كان شيطان فرقة الكلمة والتفسخ هو الحاكم.

اليوم بكل أسف هو الذكرى الخمسين لاغتصاب فلسطين واسرائيل تحتفل بالذكرى الخمسين لتأسيسها ونحن نسأل من الذي جعل هذا الكيان يعيش ٥٠ سنة قبل السلاح الاسرائيلي والغربي والتأييد السياسي هو تفرق كلمة العرب والمسلمين من الذي أفشل المشروع القومي العربي والمشروع الإسلامي وسمح للكيان الاستيطاني الاجرامي الصهيوني أن يحكم في فلسطين.

إن سبب الفشل هو خلافات العرب دولاً وشعوباً وقبائل وعشائر وهو الأسلوب ذاته الذي هدم المشروع الإسلامي الذي قام به الإمام علي بن أبي طالب والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام أمام هذا الواقع ليس الكلام في أن الإمام الحسين يرفض بيعة يزيد هذا تفصيل الوضع الذي مكن يزيد أن يصير أمير مؤمنين ومفتي وحاكم شرع هو الذي جعل الإمام الحسين يتحرك ولذلك نقول إن فضل الإمام الحسين هو على عنق جميع المسلمين ولولا نهضة الإمام الحسين لكان الإسلام في عهدة اليزيدية إلى الآن بصرف النظر عن الشيعية أو السنية.

نأتي الآن إلى قصدنا ونقول إنه إذا كان هدف الثورة الحسينية هو هذا

فالإمام الحسين هو نقطة تقاطع يلتقي عليها الجميع الأحزاب كلها تختلف ولكن يجب أن تلتقي عند الإمام الحسين والعائلات والاتجاهات السياسية والزعامات والمشيخات كل هذه يجب أن تلتقي في نقطة التقاطع الكبرى عند الإمام الحسن وحينما نقول إن ثورة الإمام الحسين هي ثورة الإسلام ونهضته هي نهضة الإسلام وأنه حركة توحيدية داخل المسلمين وأنه احتجاج على الانقسام والتخلف والعشائرية والقبلية والعائلية هل يصلح أن يؤخذ هذا الجسد المقدس والذكر المقدس والكيان المقدس ليكون فيما بين أهله مورد نزاع وأن تدخل الخصومة والعداوة والقطيعة في داخل الأحياء والقرى والمزارع والمدن حول مآتم الحسين وأن يتحول الإمام الحسين هنا أو هناك إلى شخصية حزبية هذا الحزب يريد أن يحتله وهذا الحزب الآخر يريد أن يحتله وهذه الجماعة أو تلك يريدون أن يتاجروا بمنبره ويحدث مستوى اطلاق النار والرصاص وإيجاد العداوة والبغضاء بين المؤمنين والمسلمين في سبيل مجلسنا ومجلسكم وأن يقع في هذا الفخ قراء العزاء ويدخلون في هذه المعمعة.

لم يكن هناك عداء للإمام الحسين في عصره فالذي شل المجتمع وحطمه هو تحويل الوحدة إلى حزبية وعشائرية وقبائلية كأني أعيش الآن في حال أمير المؤمنين عليه السلام حينما خاطب أهل الكوفة بالخطبة القاصعة وهم أحزاب وشيع وكل مجموعة تريد أن تملك القطيع الذي ترعاه وتأتي له بمن يخطب عليه بلغتها الخاصة ولا يسمع اللغة الأخرى، لغة الإمام الحسين عليه السلام هي لغة القرآن وسنة الرسول (ص) هي اللغة المفتوحة تستوعب الناس جميعاً وتوحد قلوبهم، الناس الذين يتعادون في الخارج يجب أن يجدوا أنفسهم في الداخل في حضن الإمام الحسين وزينب أما أن يكون القتال داخل حضن الإمام الحسين فهذه رماح وخناجر توجه إلى قلب الإمام الحسين وظهر الإمام الحسين وقلب الزهراء وزينب بحيث يكون الإمام الحسين عند بعض الناس تجارة ومنبره سلعة ويكون من يقرأ العزاء فوق منبره داعية لهذا الحزب أو ذاك الحزب أو لهذه الفئة أو تلك هذا خروج عن كربلاء برمتها ماذا نقول للآخرين حينما نقول لهم إن خطاب الإمام الحسين هو خطاب الوحدة وهل يمكن أن يكون هو خطاب الوحدة للخارج وخطاب النزاع والخصومة للداخل هذا عيب.

اليوم تحدثنا من دون أن نسمي أي اسم وقد أبلغت إلى وفد من احدى البلدات أن أقيموا مجالس العزاء في منازلكم واتركوا الأماكن العامة ولتقم مجالس العزاء كما كانت تقام أيام العثمانيين في السر ومن وراء الأبواب المغلقة لأني لا أريد أبداً أن يتحول الإمام الحسين إلى مساحة للتجارة وإلى مساحة للمنافسة بأي وجه من الوجوه.

نستعيد في هذه الأيام النداء الذي تكرر مراراً كثيرة في ساحات كربلاء من الإمام الحسين وغيره ومن السيدة زينب ومن غير السيدة زينب «ألا هل من ناصر ينصرني ألا هل من ذاب يذب عنا» وكان الإمام الحسين وغيره وزينب وغيرها واثقون من أنه لا يوجد ناصر ولكن هذا الخطاب كان موجهاً للأجيال الآتية والحجة على هؤلاء الذين يؤمنون بالخط وبالمسيرة وبالمبدأ ولكنهم يختلفون فيما بينهم فيضيعون الحق ويضيعون أنفسهم.

نحن نقترب يوماً بعد يوم من ذروة المصيبة والمأساة حيث في كل يوم من الأيام التي تمضي تضيق الدائرة والخناق على الإمام الحسين وآله في الحصار والعزلة والمواجهة والتخيير بين السلة والذلة كما تخيرنا الآن اسرائيل بين السلة والذلة ونحن على مبدأ الإمام الحسين «هيهات منا الذلة» ولا نختار إلا ما يتناسب مع عزة الإسلام وكرامة لبنان وهو المقاومة ونقول إنه ليس هناك أي خيار آخر نستحضر الآن أمامنا أشلاء قانا المقدسة المدماة والتي تمثل نظيراً لشهداء كربلاء الذين نزورهم ونقول نحن على هذه الطريق ونقول اللهم أيد وانصر من يقوم بهذه المهمة المقدسة ومن يؤيد هذه المهمة المقدسة بكل وجه من الوجوه وبكل صورة من الصور.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثورة الحسين، ثورة دائمة

١٤١٩/١/٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته والسلام عليكم اخواني العلماء الأجلاء والأساتذة الكرام والإخوة والأخوات جميعاً ورحمة الله وبركاته.

نتابع بحثنا في المخزون والمكنون من أسرار الثورة الحسينية وأبعادها في الزمان وفي الأمة على مدى تاريخ البشرية ويبدو لي أن هذه الثورة بما اشتملت عليه من أشخاص وأحداث ونتائج هي إحدى أبرز ظواهر تاريخ هذه الأمة على الأقل إذا لم نقل تاريخ البشر فهي أحد أبرز تواريخ هذه الأمة.

حين نراجع سجل هذه الثورة في الشعر والنثر والخطابة نجد دائماً جديداً في ما يقال وينشر لأنها دائماً تتفتق عن معانٍ جديدة ولا عجب حيث إن قائد هذه النهضة وشهيدها الأول هو إمام معصوم وهو من نخبة المعصومين الذين هم أصحاب الكساء وهؤلاء لهم خصوصية خاصة في سلسلة وسجل المعصومين عليهم السلام وإذا كان قد ورد أن القرآن هو كتاب الله الصامت وفيه

تبيان كل شيء كما قال الله سبحانه وتعالى فإن المعصوم الذي هو كتاب الله الناطق والذي هو الوجه الآخر للقرآن الكريم هو يكتنز ويحتوي من الأسرار والأبعاد في كل ما يفعل وما يقول وما يثبت عنه ما يتجدد دائماً في حياة الناس.

وحينما ورد عن المعصومين في اسناد صحيحة إن شاء الله أن القرآن الكريم يجري في حياة الناس كما يجري الشمس والقمر وقد بين الأئمة سلام الله عليهم ولعل هذا الأثر وارد عن النبي أن وجود القرآن في البشرية هو ليس وجوداً تاريخياً منقطعاً وله زمن يقف عنده كما يجري الشمس والبشر في حياة الناس كما يشرقان في كل يوم وكما يتداول النور الذي يضيء حياة الناس ويغذي عمل الناس في كل يوم كذلك يجري القرآن في حياة الناس وكما أن هذا القرآن الكريم بكل ما يحويه من أسرار الكون والوجود والحياة والاجتماع الإنساني يحتاج إلى تفسير وبيان، فإن قائد البيان، والقرآن وضع لمعرفة الناس ولفهم الناس ولكن كل فهم يحتاج إلى قيادة وكل معرفة تحتاج إلى مرجعية والمعرفة بدون قيادة ومرجعية تؤدي إلى الضلال في كثير من الحالات ومرجعية القرآن وقيادة فهم القرآن هي كما نص رسول الله صلى الله عليه وآله محصورة ومبينة في الثقل الآخر الذي هو العترة فهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

وحينما نرى الإمام الحسين جديداً في كل يوم وموسم فليست أعين الحب وحدها وليست أعين الولاء والإخلاص وحدها هي التي تجعله جديداً فهو جديد بالفعل ومتجدد لأنه عبر بحركته وثورته عن حقيقة القرآن والإسلام التي هي حقيقة متجددة في كل حين وحينما نحيي ذكرى عاشوراء بفكرنا وقلبنا وحينما نستشعر الحزن فنحزن ونستشعر الأسى فنأسى لا نتصنع وإنما نمتزج بهذه الحقيقة القرآنية التي هي الحسين سلام الله عليه.

بهذا المعنى ماذا لو لم يثر الإمام الحسين ولو لم توجد كربلاء؟.

يوجد في علم التاريخ بحث يسمى تاريخ ما لم يقع وما لم يحدث ولو أن الإمام الحسين لم يثر وبايع يزيد بن معاوية وسمح للأمور بأن تتطور كما شاء لها اليزيديون أن تتطور واستمر المسلمون على ما بدأوا به في عهد يزيد بن معاوية ترى هل كان في يومنا هذا أو قبل يومنا هذا إسلام كالذي هو موجود الآن وهل

كانت أمة مسلمة كما التي هي موجودة الآن وهذا بغض النظر عن التسنن والتشيع والمذاهب والتيارات الفقهية ففي ذلك الحين لم يكن هناك تشيع وتسنن بل كان هناك إسلام واحد عريض فيه خطوط أكبرها هو خط أهل البيت عليهم السلام.

ترى هل كان الإسلام الذي نعرفه الآن والذي ندين به ونحيا عليه ونموت إن شاء الله عليه هل كان موجوداً الآن هل كان هناك إسلام يشكل أكبر رقم وأصعب رقم في مواجهة المادية والشر والانحراف أم لا.

في الحقيقة إن الكلمات التي يحتويها نهج البلاغة والتي يحتويها الخطاب الحسيني وخطاب الأئمة المعصومين بعد الإمام الحسين والتي نجد أصولها في القرآن الكريم هذا الخطاب بكل تعابيره يكشف عن أن لولا حركة الحسين ونهضته لما كان هناك إسلام بالشكل والصورة والفاعلية والقوة التي نراها الآن ونعيشها الآن ربما كان هناك أسماء وأشكال المظاهر والممارسات ينسجم مع السلوك اليومي والعام الذي كان يقطع قصر الخلافة في ذلك الحين، مكان للهو، ومكان للعبث وكان هناك خوف صارخ من السيف والارهاب الذي يكم الأفواه وكان هناك اختفاء تدريجي وانكفاء تدريجي للقرآن والسنة ولحاملي القرآن والسنة وكان الإسلام يتحول إلى مؤسسة من المؤسسات التابعة للسلطة بكل معنى من المعاني.

لقد قضت ثورة الإمام الحسين على هذا نهائياً وأعظم انجاز هو أنها حسمت إلى الأبد أن يكون مركز السلطة والقوة هو مركز التشريع إلى صدر الإسلام وإلى حين استشهاد الإمام الحسن في عهد علي وعهده كان هناك تطابق بين السلطة والتشريع وكان الإمام والخليفة وأمير المؤمنين هو الذي يشرع ولا يخفى أن الإمام علياً قام بهذا الدور طيلة العشرين عاماً الأولى بعد رسول الله قبل أن يتولى الخلافة تولياً فعلياً وكان يتدخل تدخلاً دائماً في حركة الاستنباط والتشريع وكان يوجه فكر الاجتهاد وحركة الاجتهاد والتشريع في نخبة الصحابة الذين كانوا يتابعون هذه القضية.

حينما، بكل أسف، في صفين سقط المشروع الكبير، مشروع التطابق بين

الأمة والدولة وبين العقيدة والدولة وأصبح هناك مساران نتيجة للتحكيم حاول الإمام الحسن سلام الله عليه أن ينقذ هذا الوضع في الستة أشهر الأليمة والعاصفة والمدمرة في حياته التي فشل فيها أيضاً واضطر أن يعالج الأمور بالطريقة المعروفة وأصبح الخطر ماحق جداً وهو أن يتولى التشريع يزيد بن معاوية فليست المشكلة أن يتولى الحكم يزيد بن معاوية فبعد يزيد جاء أشخاص من جنسه إذ إن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أيضاً من هذا النوع من الرجال الملاكين العابثين الجهلة الظلمة والمشكلة أن يزيد بن معاوية يتولى حكم سياسي يعين رؤساء وولاة وكتبة وعمال وجباة ويجبي مال وينفق المال كانت هذه المشكلة ثانوية جداً.

إن الرعب الأعظم والخطر الأكبر كان في أن يقوم يزيد بن معاوية بالتشريع وإصدار أحكام شرعية تتمتع بالوثوق والصدقية وأن يكون مثل الإمام علي بن أبي طالب والإمام الحسين وكبار الصحابة المنتجبين والتابعين بإحسان أن يكون مترجماً عن الله ورسول الله هذا هو الخطر الأكبر وأحب أن أصحح فهم إخواني وأخواتي في النظر إلى طبيعة هذه الثورة وأتعجب كثيراً وأستنكر من بعض الأفهام التي تقول إن عند الإمام الحسين مشروعاً سياسياً وفي الاختبار تبين أن ليس عنده أعوان وكان يتخيل أن الأمة تقف معه وتبين أن عنده سبعين أو ثمانين شخصاً وقتل من أجل مشروع سياسي.

لا أعرف شتيمة للإمام الحسين ولخط أهل البيت أقبح وأقذر من هذه الشتيمة والآن يأتي بعض الناس يجمع الألوف حوله ونقول هذا رئيس ميليشيا لا يمثل شيئاً وإنما يمثل قوة ما يملك من مال وما يستعمل من سلاح ويقال عن هذا القديس الأكبر وهذا اللاهوتي العظيم الإمام الحسين أنه جمع حوله بعض الناس وراح يبحث عن مشروع سياسي بكل أسف ولكن الأفهام الصحيحة دائمة والقلوب المستضيئة بنور الله تصحح فهم ومقام أهل التقوى وأهل الدين والزعامة الدينية.

لم تكن مشكلة الإمام الحسين هي هذه المشكلة فالإمام الحسين رفض البيعة لا باعتبارها تسليماً للسلطة السياسية فقد بويع يزيد في حياة أبيه وجددت

له البيعة بعد أبيه وانتهى الموضوع وما يتعلق بفرض الأمر الواقع تحقق والشرعية الشكلية لأنها حتى على المباني التي لا نوافق عليها مباني الأشاعرة وولاية العهد أصلاً سخرية من سخريات الفكر الإسلامي إذ لا يوجد ولاية عهد في الإسلام لكن مع ذلك بويع يزيد.

فكلام الإمام الحسين عليه السلام «مثلي لا يبايع مثله» وهو لم يقل أنا لا أبايعه وإنما قال مثلي لا يبايع مثله ومثلي هنا ليس في أني شخص لي شخصية واعتبار ومقام سياسي ولكن مثلي باعتباره يقوم مرجعية الشريعة وفهم القرآن وتصويب السنة وبلورة الشريعة الإسلامية وفقاً لكل عصر وزمان والمشكلة كانت هي هذه المشكلة وهي من يمثل مرجعية التشريع؟ والآن حتى اليزيديون ومن يرون أن الضرورات تقضي بأن يقولوا إن امارة يزيد كانت امارة مقبولة لأنها تحفظ المجتمع هم لا يقولون إن هذا الرجل يصلح لأن يمثل مرجعية في فهم القرآن والسنة ومقاصد الله في الشريعة الإسلامية وموقف الإمام الحسين لم يتسم بحالة تاريخية بحيث يريد أن يكون طيلة حياته يجب أن يكون هو الحاكم السياسي. كلا بل كان يتسم موقف الإمام الحسين بموقف زمني إلى المستقبل وإلى الآن في هذا اليوم من محرم ومن شهر أيار فإن دور الحسين وفاعليته مثل فاعلية النبي والأنبياء والوصي والأوصياء هو دور فاعل ومستمر إلى الآن ونحن الآن نحيي ذكرى جديدة ونحن نكرس ونثبت أن أهل البيت وأن الثقل الذي عبر عن رسول الله في قوله إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيت فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

هذا الواقع وهذه الحقيقة الإيمانية التشريعية الكبرى هي التي تمثل المعنى الذي تقوم عليه حركة وثورة سيدنا الإمام الحسين.

من هذا المنطلق ترون أن الإمام الحسين على الأقل هو قائد إسلامي وإمام إسلامي وإمام الأمة الإسلامية لأنه تجاوز صفاء الإسلام وحقيقته ونقاوته وهي ليست فقط للمسلمين وحدهم فحتى غير المسلمين هم يستفيدون من الإسلام النقي والصحيح أما الإسلام المزور والمشوه والذي يحول كيفما اتفق والإسلام الذي يمكن إن يقول إن إسرائيل شر مطلق وبعد يومين يقول إنها مقبولة

والإسلام الذي يدين مجزرة قانا وبعد يومين ينسى مجزرة قانا والإسلام الذي يقول إن لا تنازل عن القدس وبعد يومين ينسى القدس هذا الإسلام ليس فيه مصلحة حتى لغير المسلمين فالإسلام الصحيح وكما مثله نهج أهل البيت وكما مثلته خطابات أهل البيت هو إسلام فيه كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] بوصف الرسول الأكرم وهو لم يخص ذلك المسلمين فقط بل خصهم مع غيرهم لأن شمس الإسلام المشرقة تارة تضيء الباطن والقلوب والعقول والبصائر والضمائر فهذا خيرها وبركتها على المسلمين وتارة تضيء الحياة ودروبها وعلاقات البشر ومباني العدالة والانصاف في كل البشر تضيء عالم الشهادة والظاهر وهذا خير لكل البشر.

إن أمر الإمام الحسين يتردد بين أن يكون قيادة عالمية كما كان أبوه وجده وبمعنى من المعاني أمه الزهراء عليها السلام أيضاً وبين أن يكون قيادة إسلامية ومن هنا فإن خطاب عاشوراء يجب أن يكون خطاب وحدة المسلمين وإخوتهم ترى هل يحيي خط أهل البيت هذه الذكرى ويعيشها في هذه الأيام من أول كل سنة هجرية بهذا الأسلوب الذي تعارف الناس عليه وتطور منذ سنة ٦٠ للهجرة من أول مآتم حسينية أقيمت في المدينة المنورة والشام في الخيمة قرب بيت أبي سفيان وقرب بيت الأخضر الخضراء أو حتى أقيمت في كربلاء وبين أن يقام إحياء هذه الذكرى بأساليب أخرى بالمقالة والقصيدة الشرعية والحفلة الخطابية.

إن المهم أن هذا الخطاب هو ليس خطاباً مذهبياً وفي لبنان وأمثال لبنان هو ليس خطاباً طائفياً لا أخفي أني أشعر بالحرج والانكسار حينما يقال إن الطائفة الشيعية تحيي ذكرى عاشوراء وكأن ذكرى عاشوراء وعاشوراء وبطل عاشوراء هو شخصية شيعية فالإمام الحسين ليس شخصية شيعية وخطاب عاشوراء هو خطاب الأمة ومن هنا فإن مسؤوليتنا الكبرى هي اعادة المعنى الحقيقة والبعد الواسع النطاق لهذه الذكرى بأن تكون عاشوراء خطاب وحدة ثقوا لا أعتقد أن هناك أصدقاء ليزيد بن معاوية وكل من يعرف سيرة هذا الشخص يكرهه تلقائياً وله أمثال كثيرة في أيامنا والمهم أن نتعمق في هذا العمق

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

في أن الإمام الحسين ليس زعيم شيعة وزعيم طائفة كسائر الأئمة بحيث يقال إن أمير المؤمنين هو إمام شيعي ونحن نسأل أين قيادته وأين علمه وفضله ومكارمه وعظمته التي تجاوزت المسلمين جميعاً أو يقال عن الأئمة المعصومين أنهم أئمة شيعة فالإمام الحسين هو إمام المسلمين جميعاً وفاجعته المجيدة وثورته العظيمة ونهضته البالغة هي نهضة المسلمين جميعاً وكل المسلمين في مساجدهم ومعاهدهم ودروسهم وحوزاتهم وجامعاتهم وعلاقاتهم الآن وأصالتهم وموقفهم في العالم كلهم يقومون على موقف لهذه الثورة والحركة يد فاضلة فيه.

يحاول بعض الناس لا أقول على مستوى الشيعة على مستوى هذه الفئة أو تلك هذا المتزعم أو ذاك من مدعي علم الدين أو من غير مدعي علم الدين من المتحزبين وأهل الأحزاب والجهات السياسية أن يأخذ الحسين لنفسه في حي أو بلدة أو قرية ويمنع الآخرين من أن يقيموا مأتمهم ويمنع البلدة أو الحي من أن تقيم مأتماً جامعاً يجمع الناس جميعاً هذا الأمر كان محزناً كثيراً وأكرر دعوتي للجميع هي أنه في كل حي وبلدة أن يكون هناك مجلساً حسينياً واحد للرجال والنساء أو مجلساً للرجال وآخر للنساء بحسب كبر وصغر وضخامة وصغر عدد السكان والمرتادين لهذه المجالس ويجتمع فيه جميع الناس فليتحزبوا واسأل الله الهداية في حزبيتهم فليتحزبوا في حياتهم السياسية كيفما شاؤوا أن يتحزبوا مع وصيتي لهم أن لا يرتكبوا مع بعضهم بعضاً معصية لله سبحانه وتعالى ولكن على الإمام الحسين وهو أعظم وأجل من أن يجعلوه عضواً في حزبهم وأن يكون منظماً وأن تكون مثل أي شهيد رضوان الله على الشهداء جميعاً مثل أي شهيد من شهداء هذا الحزب أو ذاك أو ميت من موتى هذا الحزب أو ذاك تعقد له أسبوع ولا يسمح للجهة الأخرى أو للبلدة أو الحي أو حتى لعائلته أن يعقد له أسبوعاً بعنوان أن هذا أسبوعنا نحن وشهيدنا نحن. لا الحسين أكبر من هذا ولا تسيئوا لآله ولحركته ولتوجهه فالإمام الحسين هو نقطة التقاطع والملتقى الأكبر التي يجب أن يلتقي عليها الجميع ويلتئم عليها الجميع.

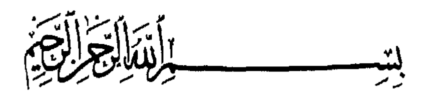
السلام عليك يا أبا عبدالله الذي مثلت دائماً وستمثل أبداً هذا الوهج الساطع الذي شمل البشرية كلها والذي شمل المسلمين جميعاً وأوصي بأن

يكون خطاب الإمام الحسين هو خطاب الوحدة وتلاحم المسلمين بعضهم مع بعض وتعاضد المسلمين على البر والتقوى وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والمنكر المعروف والمنكر الشخصي والفردي الذي يتصل بسلوك كل واحد منا أو المعروف والمنكر العام الذي يتصل بوضع الأمة وخصوصاً ما يراد بها من اخراجها عن دينها وتشويه شريعتها واذلالها على كل صعيد.

والحمد لله رب العالمين

اعرف الحق تعرف أهله

١٤١٩/١/٧ هـ



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته والسلام عليكم اخواني العلماء الأجلاء والأساتذة الكرام والإخوة والأخوات جميعاً ورحمة الله وبركاته.

نحن الآن في نهاية اليوم السابع من محرم وهو يوم جرت العادة في الحديث فيه عن العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام وهو كغيره من أصحاب الإمام الحسين وآل بيته لم يستشهد منهم أحد في هذا اليوم لم يستشهد أحد من الهاشميين أو من أصحاب الحسين الآخرين في هذه الأيام من المحرم وتخصيص هذا اليوم بالعباس ليس لأنه استشهد فيه فالشهداء كلهم اصطفاهم الله إليه من أصحاب الحسين ومن أهل البيت في اليوم العاشر من محرم وهو يوم المذبحة ويوم الملحمة ولكن جرت العادة بتخصيص اليوم السابع للحديث عن العباس سلام الله عليه ولا أعرف أساساً لهذا الأمر ربما المشتغلين بالمنبر الحسيني يعرفون أساساً لذلك.

العباس هو آخر الهاشميين أو من أواخر الهاشميين الذين استشهدوا وتعرضوا للقتال واستشهدوا وقبلهم كان أصحاب الحسين سلام الله عليه من غير الهاشميين تعرضوا للقتال واستشهدوا وهذا أمر جرى الحديث عنه ويعرفه جميع الناس نريد أن نطرح على أنفسنا سؤالاً أن هؤلاء سواء أكانوا من أنصار الحسين غير الهاشميين أو كانوا من الهاشميين ما الذي جاء بهم إلى كربلاء وأمثالهم ما الذي لم يجيء بهم إلى كربلاء الهاشميين الذين جاؤوا إلى كربلاء كانوا نخبة بسيطة وصغيرة بالنسبة إلى بني هاشم وتخلف هاشميون كثيرون فلم يلحقوا بالحسين عليه السلام وفي مقدمتهم كان عبدالله بن عباس العالم الفاضل الشهير الذي نصح الإمام الحسين عليه السلام بعدم التورط وبالانكفاء ولكن الحسين خرج ولم يتابع وغيره من غير الهاشميين أيضاً لماذا كانت الصفوة فقط على هذا العدد القليل؟ ما الذي جعل أكثر الناس من القادرين على اللحاق بالحسين يتخلفون وما الذي جعل هذه القلة القليلة تنخرط في هذا المشروع إلى النهاية.

هنا تأتي مسألة جوهرية في وضعية الإنسان في المجتمع وفي وضعية الإنسان في اختياراته وهي مسألة المنهج.

ما هو المنهج الذي يتبعه الإنسان فيختار هذا الموقف أو يختار ذلك الموقف أو يختار هذا الرأي أو ذلك الرأي.

المنهج الذي يتبعه الإنسان هو الطريق الذي يؤدي به إلى الضلالة أو يؤدي به إلى الهدى.

مثلاً في غير قضية الإمام الحسين عليه السلام وقبل ذلك في صفين، ما الذي جعل بعض الناس يصرون على التحكيم ويرتبون عليه جميع الآثار المدمرة التي انتهت بنشوء فرقة الخوارج وجعل بعض الناس يثبتون على الخط الذي سار عليه أمير المؤمنين علي.

أكثر من هذا وقبل التحكيم ما الذي جعل بعض الناس يلتحقون بالنهج الذي كان يقوده معاوية وبعض الناس يلتحقون بالنهج الذي كان يقوده الإمام

علي وبعض الناس لا يختارون هذا ولا ذاك هؤلاء الذين كان يقول قائلهم الجلوس على الجبل أسلم.

ما الذي يجعل الناس يتمايزون في اختياراتهم؟ إن الذي يجعل الناس يتمايزون في اختياراتهم إما هوى النفوس وأهل الأهواء لا كلام لنا معهم وصاحب الهوى إلهه هواه وهؤلاء حدثنا الله عنهم ممن جعلوا الههم هواهم وهم يستعملون كل شيء يقدسون الدنس ويدنسون المقدس أو يقدسون المقدس لا لأنه مقدس وإنما لأنه يحقق لهم أهواءهم وهؤلاء لا كلام لنا معهم الذين يمكن أن يقولوا وقالوا إن سيدنا معاوية قتل سيدنا حجر مثلاً كلاهما سيدنا وواحد معذور وواحد شهيد.

أهل الأهواء لا كلام لنا معهم ونحن نتكلم عن الذين يدعون لأنفسهم أنهم اختاروا والآن في زماننا أيضاً سواء في قضية مواجهتنا مع العدو الصهيوني أو كان في موقفنا من انحرافات وجرائم الحضارة الغربية في أبسط مظاهرها أو في أشنع مظاهرها أو كان في أبسط ما يمارسه الناس بالسوق في التاجر الذي يحتكر السلعة أو يزور تاريخ الدواء أو تاريخ علبة الغذاء أو يتحكم بالأسعار أو التاجر النظيف والمستورد النظيف الذي يراعي الأصول والموازين ما هو معيار كل واحد منهم؟.

توجد قصة أذكرها من دون ذكر الأسماء إلا اسم أمير المؤمنين سلام الله عليه وهي أن أحد الأشخاص أظن في أجواء التفاعلات المرة والحزينة التي ولدتها قضية صفين أخذ يحاسب أمير المؤمنين علي أنه أخطأ في كذا وفي كذا وما كان من أمير المؤمنين إلا أن أجابه: يا هذا إنك أخذتني بالرجال وهو كان يحاسبه بأن فلان عمل كذا وفلان عمل كذا ولو أنك اتبعت فلاناً لكنت على صواب.

يا هذا إنك تقيس الحق بالرجال أي إنك تجعل الحق تابعاً لاختيارات هذا الشخص أو ذاك الشخص أعرف الحق تعرف أهله.

نحن نواجه الذين كانوا مع علي عليه السلام واجهوا هذه المشكلة.

أين هو الاختيار الصحيح حين تلتبس الأمور وحينما تأتي الفتنة هل الاختيار الصحيح هو هنا أو هناك أو على الجبل كما قال قائل القوم في وقت ما.

مثلاً أذكر مثالاً أقدم وأشد إيلاماً وهو أنه يوجد ناس من كبار الصحابة وأجلاء الصحابة حينما آلت البيعة إلى علي عليه السلام امتنعوا عن بيعته وقال قائلهم إذا حدثني هذا السيف فقال فلان حق وفلان باطل فإني أختار لا أعرف وأعتزل وكان هذا أول اسم للمعتزلة هو لهذا وتركهم الإمام علي كشأنه في اتاحة حرية الاختيار لكل الناس حسب آرائهم.

ما هو المعيار؟ في الزمن القديم والزمن الحديث والمستقبل الناس غالباً يقعون في الضياع يأخذون شخصاً بعينه يحبونه أو يخافونه أو ينتفعون منه وغالباً وبكل أسف إما يخافونه أو ينتفعون منه فيجعلونه مقياساً للحق والاستقامة ويجعلونه معياراً للاتباع أو الامتناع يجعلون الحق تابعاً للرجال وأمير المؤمنين سلام الله عليه حينما قال لمحدثه إنك تقيس الحق بالرجال أعرف الحق تعرف أهله.

المنهج الإسلامي الصحيح، هو ليس هذا لا يوجد في الكائنات كلها منذ خلق آدم وإلى أن ينتهي عمر الدنيا لا يوجد في الكائنات كلها من بشر أو ملك أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله ومع ذلك في القرآن الكريم في مقام تعليم الله لنا كيف نبحث عن الحق لنتبعه يعلم الله نبيه في خطاب المشركين المعلوم أنهم مشركون الذين يعبدون الأوثان فيقول له قل لهم فلنبحث معاً عن الحقيقة وأنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ولكن لنبحث عن الحقيقة معاً لا تفترضوا أمراً مسبقاً وتتبعوه وحينما جاء نصارى نجران وحاججهم لم يقمعهم ولكن آل الأمر إلى المباهلة وإلى إيكال الأمر إلى الله سبحانه وتعالى لم يفرض نفسه هو على أنه حقيقة مطلقة ولذلك فإن المبدأ المرعي في باب الاعتقادات أن التقليد في أصول الدين هو عمل غير صحيح بوجه عام مبني على هذا الأمر.

هنا نأتي إلى الأسئلة الأولى ترى الذين اختاروا أن يتجنبوا الدخول مع الحسين في المواجهة ما كان منهجهم هل كان الذي يقودهم حقيقة أو نظام مصالح معين؟ لدى الفحص الدقيق نجد أن الناس على قسمين قسم بسطاء ليس عندهم ذلك الوعي الذي يحملهم على الالتزام وقسم آخر لم يكونوا بسطاء أبداً ولم يكونوا معطلين أبداً ولم يكونوا عاجزين أبداً وإنما كان نظام المصالح هو الذي يحجزهم وهو الذي جعلهم يجلسون على الجبل ويتركون الحسين وآله صحبه إلى مصيرهم والذين حاربوه أيضاً كان نظام المصالح هو الذي يقودهم.

هنا نواجه هذه الحقيقة ترى لو أن الحسين وجد الآن بعد هذا الوعي الكثير هل كانت أنظمة المصالح تسمح له بأن يتوقف عن نهضته ويختار المسالمة هذا السؤال يطرح على كل رجل وامرأة منا يقول يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً؛ هذا التمني لا بد أن يعكس حالة واقعية الذين خذلوا الحسين لم يكونوا جميعاً من أنصار النظام الأموي وإنما كان كثير منهم أو أكثرهم من خصوم هذا النظام والمتضررين من هذا النظام ولكنهم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل كما قال الإمام بالنسبة إلى الخوارج ومن هنا عظمة أنصار الإمام الحسين والهاشميين ممن اتبعوه.

تارة يختار الإنسان قيادة يتبعها وكل الناس معها ملايين البشر هذا يكفي الجو وحده لجذبه البطولة ـ بطولة الاختيار وعظمة الإيمان والعلاقة مع الله سبحانه وتعالى أن يكون الحق وحيداً معزولاً مطارداً محاصراً ويتبعه من يتبعه العظمة هنا أن يكون الحق في مواجهة الباطل والانحراف المسلح بالكثرة وبالسلطة وبالمال وبالدعاية وبالاعلام وبجميع وسائل الترويج والترغيب والترهيب ومع ذلك يأتي شخص بسيط أو كبير يقول هذا خطأ أن ألتزم الجانب الصواب.

إن عظمة أنصار الحسين والهاشميين عظمة مضاعفة لأنهم اختاروا الحق الأعزل هذه هي النقطة التي أريد أن أركز عليها أيضاً.

الآن نحن نؤخذ من التصفيق لفلان من الانتخابات البلدية إلى الانتخابات

النيابية من اختيار هذا الشخص إلى اختيار ذاك الشخص وهناك ما لا نقوله وفي النفس ما لا نقولها المعيار ماذا المعيار هو الأشخاص أو المعيار هو الحق ألا يعلم كل واحد منا أن اختياره لشيء لا ينقضي عند حدود الاختيار.

مسلم بن عوسجة أو هذه المرأة البسيطة التي كانت تلوي زوجها عن الجهاد مع الحسين ثم جاهدت معه اختيارهم لا ينتهي عند حدود الساعة وإنما يمتد إلى القبر فهذا عمل والاختيار عمل ونحن نعلم أن الإنسان إذا مات يبقى معه هذا العمل خصوصاً إذا كان يؤثر على حياة الناس في القضايا التي تؤثر على كرامة الناس وسلامتهم فحينما يختار الإنسان لا يختار لنفسه وإنما يختار للآخرين والذين اختاروا الحسين لم يختاروه لأنفسهم وإنما اختاروه للأمة وللعالم لا يوجد إنسان يختار موقعاً لنفسه فقط فالذي يختار شيئاً يريد أن يختاره معه كل الناس والعكس كذلك.

الآن المعيار الذي يجب أن يوضع تذكرون وستسمعون من فضلاء قراء المأتم أن الحسين عرض على الناس أن يتركوه وكان قائلهم يقول لو قتلت ثم أحرقت ثم ذري رمادي ثم بعثت ثم قتلت ثم أحرقت يفعل بي ذلك مائة مرة أو ألف مرة ما تركتك يا أبا عبدالله هذا ليس الحب وحده هذا رجل أو امرأة يعرف أن وجوده انحصر في هذه الصيغة وهذا السياق.

يأتيكم شعار ودعوة ومشروع في السياسة أو الدين من أهل السياسة أو من المعممين قبل أن تنجرفوا فيه افحصوه أول شيء افحصوا عن المصلحة لمن وما هي؟ فإذا أراد أحد أن يشتري منكم سلعة تفحصون إذا أراد أن يبيعكم شيئاً تفحصون أيضاً هل أنتم تحتاجون هذه السلعة أو لا ثانياً هل السلعة أمينة أو مسروقة ثالثاً هل جنسها جيد أو لا رابعاً هل سعرها جيد أو لا؟ هذا يعرض ليشتري أنفسكم ويريد شراء اختيار من اختياركم.

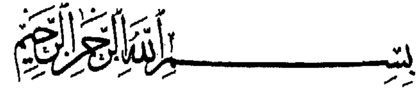
أنقل لكم قصة حينما ثار أحد الجليلين العزيزين رضوان الله عليهما زيد بن علي بن الحسين أو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين وكانت الثورة في ذلك الحين موضع تردد من قبل الإمام المعصوم رضوان الله عليه ذهب الإنسان الجليل ليجمع أنصاراً فرأى أحد كبار صحابة الإمام الصادق عليه السلام اعتذر

منه ألح عليه وقال له يا مولاي وهذا محل الشاهد لو أن عندي نفسين لأعطيتك واحدة واحتفظت بالأخرى ولكنها نفس واحدة وإني أريد أن أدخل بها الجنة ائتني بإذن من الإمام المعصوم هذا الموقف لهذا الإنسان الجليل وهو من أعظم المسلمين شأناً وقدراً رضوان الله عليهم ولكن المعيار بالاختيار لا تتبعوا من دون أن تعرفوا الحق في كل شيء من أعظم الأشياء إلى أبسطها في قضايا الدين وقضايا الدنيا وإلا فإن كل الإنسان يختار لنفسه ما يقيد به عنقه هو والمشكلة أنه يقيد به أيضاً أعناق الآخرين من هنا قول أمير المؤمنين سلام الله عليه اعرف الحق تعرف أهله.

والحمد لله رب العالمين

المأتم الحسيني. صرخة احتجاج دائمة

الاثنين ٤/٥/١٩٩٨ م
١٤١٩/١/٧ هـ



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان والتابعين لهم إلى يوم الدين جعلنا الله وإياكم منهم في التزامنا لنهج الإسلام وخلقه وآدابه، نتوجه بالتحية والسلام إلى أبي عبدالله الحسين سيد الشهداء وإلى من معه فنقول السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم منا سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء جميعاً والعلماء الأجلاء ورحمة الله وبركاته.

نستأنف في هذا العام كما في كل عام هذه الذكرى منذ سنة ٦٠ للهجرة وإلى الآن نستأنف في مطلع كل عام هجري هذه الذكرى على مستويات شتى ويعبر عنها بصيغ مختلفة تتلاءهم مع مستوى كل جماعة وثقافتها وظروفها في العالم الإسلامي العربي وغير العربي ولكنها بكل أسف تعاش وتستعاد في نطاق فريق من المسلمين وإن كانت يعترف بها على مستوى المسلمين جميعاً لأن خطأ ما في فهمها أو في ادارتها قد ارتكب في وقت ما فحولها من كونها حدثاً إسلامياً كبيراً وشاملاً كما بدأت إلى أن تكون حدثاً يخص فئة معينة ومحددة من المسلمين وهكذا غدت وهذا خطأ في الممارسة وفي التعبير يتحمل مسؤوليته

الجميع، يتحمل مسؤوليته المتمذهبون بمذهب الشيعة الإمامية كما يتحمل مسؤوليته سائر المسلمين، حينما عزلوا أنفسهم عن هذه الذكرى ـ الحدث أو حينما سمحوا للشيعة الإمامية أو يستأثروا بهذا الحدث هذا خطأ مشترك في المنهج وقع فيه الجميع وجهودنا من حين ما وعينا هذا الخطأ تنصب على الخروج منه وقد حصل ذلك إلى حد ما ولكنه لا يزال ناقصاً.

حينما ثار الإمام الحسين لم يكن قد حدث التمذهب في الإسلام لا على مستوى علم الكلام ولا على مستوى الحديث ولا على مستوى الفقه فقد كان الإسلام أمة واحدة متجانسة فيها خطوط سياسية وولاءات سياسية وأكبر هذه الولاءات والخطوط كان خط أهل البيت أنفسهم لم يكن هناك تمذهب على مستوى علم الكلام ولم يكن هناك معتزلة وأشاعرة وعدلية ولم يكن هناك تمذهب على مستوى الفقه فلم يكن هناك مذاهب بل كان هناك فقهاء ومدارس فقهية تتفاعل فيما بينها في سنة ٦٠ للهجرة وما بعدها لم يكن قد حدث شيء من ذلك، هذه النهضة الحسينية لم ينهض بها مذهب أو طائفة أو حزب ولم يكن الحزب زعيم مذهب أو طائفة أو حزب بل كان كما يزال حتى الآن إماماً كبيراً من أئمة المسلمين ومن الإساءة إليه أن يختصر دوره ويصغر قدره فيكون إماماً شيعياً ومن الاساءة إلى نهضته الإسلامية الإنسانية العالمية أن تختصر فتكون حركة مذهبية خاصة بفئة من المسلمين وهذه نقطة آمل أن تنال عناية من تجدر بهم العناية في مراكز الأبحاث والجامعات على مستوى المثقفين العامين وهذه مسألة تربوية علينا أن نستوعبها جميعاً.

نقطة أخرى نود أن نشير إليها في هذا السياق هي أن هذا المأتم الحسيني منذ الأيام الأولى له منذ بذرته الجنينية كما بدأ في الساعات الأولى بعد انتهاء المعركة وعلى أجساد الشهداء أنفسهم من عبارات الندب الباكية البسيطة وأبيات الشعر التي صعدها الانفعال الآني وبعد ذلك على طريق مسيرة السبايا من كربلاء وفي جميع محطاتها إلى أن وصلوا إلى الشام هذه المآتم التي كانت ترتجل على المياه وبين القبائل وفي البلدان وبعد ذلك حينما تطور هذا المأتم إلى مؤسسة شعبية بكل ما للمؤسسات الشعبية من اتساع وعمق ومرونة في تقبل جميع

التعابير التي جرى الناس عليها في التعبير عن أفراحهم وعن أحزانهم وأول ما تأسس هذا المأتم واعتنى به أئمة أهل البيت عناية كبيرة ابتداءً من الإمام زين العابدين الشاهد الكبير على كل مدى وفظاعة الجريمة التي ارتكبت في كربلاء إلى الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه أسس ليؤدي إحدى هذه الوظائف وليس كلها.

كان الاحتجاج السياسي على الحكم والنهج والطرح الثقافي والفهم الديني الذي أدى بالإمام الحسين إلى أن يثور هذه الثورة الاستشهادية التي لم يستهدف منها على الاطلاق أي مشروع سياسي إذ كان يريد أن يبطل مشروعاً سياسياً ولم يكن يريد أن يؤسس لمشروع سياسي.

أول ما بدأ بهذا المأتم كان مؤسسة سياسية احتجاجية على نمط الحكم الأموي السفياني وبعد ذلك المرواني ثم على نمط الحكم العباسي وكانت له أيضاً مقاصد أخرى طمست لحساب العنصر السياسي في هذا المأتم.

وفي عالمنا الإسلامي والعربي الواسع لم يعد لهذا المأتم دور احتجاجي لم يعد هناك أي مقتضى سياسي ليكون لهذا المأتم دور احتجاجي ومن ثم فإذا كانت هناك جذور مبررة في أنه في عهد الحكم الأموي السفياني أو المرواني والعباسي في عصره الأول أو الثاني وإلى عهد البويهيين وإذا كان هناك من مبرر أن يحسب قسم من المجتمع أنه جمهور السلطة وأن هذه السلطة تمثل استمرار وتمظهر لما كانت عليه الحال في الظرول التي انتجت كربلاء وما جرى فيها بعد ذلك أين هم هؤلاء الذين نحسبهم جمهور السلطة الذين يعادون النهج الذي مثله الإمام الحسين لم يعد هناك مضمون احتجاجي على تكويننا الداخلي مهما كان شكل الحكم الذي ننشئه أو ينشئنا في أية دولة عربية أو إسلامية إن كان من وظيفة احتجاجية لهذا المأتم وكما حصل في ذروة الهجمة الاستعمارية على العالم الإسلامي في شبه القارة الهندية أو في العالم العربي ـ في العراق خصوصاً أو في ايران، وهذه الوظيفة الاحتجاجية موجهة ضد الاستعمار الأجنبي وليست موجهة ضد الذات وضد فريق من المسلمين لا ينتمون مذهبياً إلى خط أهل

البيت وهذه نقطة مهمة جداً يجب أن تكون موضع عناية من الباحثين والدارسين.

ما هي وظيفة المأتم الحسيني؟ الشعر الرثائي الذي درج القراء على تلاوته قسم كبير منه هو شعر أملته روح الاحتجاج والتظلم مما لم يبق له مبرر في واقع في حياتنا العامة على المستوى الإسلامي العام أو على المستوى القومي العام على أو المستويات الوطنية في كل بلد تقام فيه هذه المآتم.

هاتان نقطتان آمل أن تكونا موضع وعي وتبصر عميقين من القيمين على شأننا الفكري والثقافي، لا نفهم لماذا لا يقام هذا المأتم في أوساط من يسمون سنة ولا نفهم لماذا لا يقام هذا المأتم من هيئات ثقافية مختلطة على مستوى الجامعات والمراكز الثقافية.

إن روح الاحتجاج فيه والإرث الوهمي التي تحمله ذكريات هذا المأتم أنه شأن شيعي خاص وأنه تعبير احتجاج معارضة ضد فئة تنتمي إلى خط سياسي، نسأل أين هو الخط السياسي؟ إن كان هناك من شيء وفي اعتقادي لم يكن، كان في بعض مراحل وفترات الحكم العثماني وقد ذهب هذا الحكم بخيره وشره ولم يعد هناك أي مبرر لمذهبة وتطييف الحسين وآل الحسين وأهل البيت ومآتمهم، لم يعد هناك مبرر موضوعي على الإطلاق أعتقد أن على غير الشيعة أن يفتحوا عقولهم وقلوبهم لإعادة فهم وتظهير العوامل التي لا تزال باقية حتى الآن عن تلك المرحلة وعلى الشيعة أنفسهم أن يكيفوا خطابهم العاطفي والفكري والفقهي والفني ليهيئوا لهذه الظروف أن تنضج على مستوى المسلمين جميعاً. ألا نحتفل بحطين وبموقعة بدر وبأمثال حطين وبدر من الذكريات الكبيرة التي تنتظم المسلمين جميعاً والعرب جميعاً. ألا نحتفل في العقود الأخيرة بحرب رمضان ـ تشرين وقبلها بذكرى هجرة رسول الله ولماذا لا تكون هذه واحدة من أمثال تلك؟.

هذا ينقلني إلى بعد ومعنى من معاني هذه الذكرى ترى لماذا خرج وكانت الثورة في لغة ذلك الزمان تسمى خروجاً وقد استعمل الإمام الحسين مصطلح الخروج «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً» ولعل الأسلوب الدعائي الذي استخدمته

أدوات السلطة في ذلك الحين باعتباره خارجياً حينما ضللوا أفهام الناس ووعيهم ونشروا شعار الخروج وأن هذا خارجي ليربطوه بتيار وفرقة الخوارج الذي كان لا يزال حديث العهد وكانت صفين لا تزال قريبة والتحكيم المشؤوم الذي أنتج ظاهرة الخوارج حديثة العهد.

لماذا خرج الإمام الحسين عليه السلام؟ هل كان للإمام الحسين مشروع سياسي يسعى إليه؟ يزعم البعض ذلك ولكنهم في اعتقادنا مخطئون فهم يرون أن هذا الرجل العظيم كان أشبه بزعيم حزب وزعيم أسرة سياسية وهو ينازع الآخرين منصبهم ويريده لنفسه، نأمل أن يتفهم أهل الفكر والعلم هذا القول، لم تكن المشكلة بتولي يزيد بن معاوية للسلطة، فموضوع سلطة يزيد بن معاوية حسم ولم يكن مثاراً للجدل على الاطلاق على الأقل على مستوى الحسين بن علي ومن ينتمي إلى خطه لم يكن هناك مشروع منازعة ربما حدث هذا فيما بعد من عبدالله بن الزبير ومن تلاه أما بالنسبة إلى الإمام الحسين لا نرى أنه كان هناك مشروع منازعة على سلطة سياسية ومنذ حياة أبيه يزيد بن معاوية حسم الأمر له بالبدعة التي وضعت في ذلك الحين والمسماة بولاية العهد.

إن المشكلة التي واجهها الحسين بما يمثل من مسؤولية الإمامة المعصومة أو على الأقل على رأي آخر بما يمثل من مسؤولية الأمانة الإسلامية التي يعيها أعظم الوعي ووعاها جيله أيضاً فهي ليست مسؤولية من يحكم من يجبي المال أو يعين الولاة أو يجند الجيوش أو ما إلى ذلك وإن كان في هذا كثير من الأمر حيث كانت تمارس مظالم شنيعة على الناس على العرب وغير العرب ولكن المسألة الأكثر خطورة هي أمر آخر وهي ما ثار من أجله الإمام الحسين هذه الثورة الاستشهادية التي لم يطلب منها ومن ورائها أبداً إلا تسجيل الاحتجاج وكسر وهم من الأوهام الخطرة الذي انكسر ولا يزال مكسوراً إلى الآن.

كان في عقل المسلمين ووعيهم وإيمانهم أن منصب أمير المؤمنين ليس فقط منصباً سلطوياً وسياسياً وتنظيمياً بل كان وعيهم وإيمانهم إلى حين خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وإلى حين الأشهر العاصفة الستة من خلافة الإمام الحسن بن علي أن أمير المؤمنين يمثل المرجعية السياسية التنظيمية ويمثل

دائماً المرجعية التنظيمية وكان كما نقول في عباراتنا الدارجة أن الكتاب يقرأ من عنوانه فالكتاب الذي يبدأ بيزيد بن معاوية ينتهي بأمثال الوليد بن يزيد وأمثاله وكان هناك خطر واقع وليس خطراً قائماً أن سلطة تفسير الكتاب والسنة والوحي ـ التشريع ـ أن تكون في عهدة يزيد بن معاوية.

النقطة المهمة والمقلقة والخطرة التي حركت الإمام الحسين حينما أجبر بقوة السلاح على أن يبايع، وفي النصيحة الشهيرة لمروان والي المدينة فليبايع الآن وإلا فاضرب عنقه، هذه هي التي واجهها الإمام الحسين وهي اعطاء سلطة تشريعية مرجعية لتفسير الكتاب والسنة ليزيد بن معاوية ولذلك حينما طلب أن تحل المشكلة فقط كان لا يريد أن يبايع ـ ولا أن يعطي الشرعية فهو طلب أن يعود الأمر شورى فرفض طلب أن يعتزل المجتمع ويذهب ويرجع إلى المدينة فرفض وطلب أن يذهب إلى اليمن فرفض طلبه وكان الخيار إما أن يبايع أو أن يقتل وهذا أمر لا يقبل لأي مساومة ولو كان الأمر أمر سلطة سياسية لكان أمكن التفاهم بسهولة وهذه نقطة كبرى وأرجو أن تفهم بعمق أن المرجعية الشرعية المعتمدة إلهياً في تفسير الكتاب والسنة لمن؟..

احتج الإمام الحسين على هذا وقتل لأجل هذا وأقول للمسلمين جميعاً، الآن هذا الإسلام الذي أكرمنا الله به جميعاً والذي جمعنا عليه وينتظمنا بعقيدته وشريعته على تنوعاتنا في داخله هذا الإسلام يدين، في نقاوة عقيدته واستقامة شريعته وسلامة مرجعية الفهم والتفسير للكتاب والسنة، لجهود كبيرة سيدنا جميعاً فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخدام هذا الخط موجودون إلى الآن جعلنا الله منهم ولكن من أعظم معالمهم وأعلامهم وممن قدموا أقسى التجارب والتضحيات في هذا السبيل هو الحسين بن علي ومن كان معه في كربلاء.

هناك ظواهر مدهشة وحينما قلت ولعلي أول من قال إن ثورة الإمام الحسين ثورة استشهادية ولم يكن من ورائها أي مكسب سياسي حتى معارضة النظام الأموي السفياني الذي كان في الشام حينها كان الأمر عندي بجلاء كبير كما هو جلي عندي الآن ترى لو أعطيت هذه الثورة هذا التفسير وهو التفسير

الصحيح في اعتقادي، والأبعاد الأخرى كلها صحيحة ولكنها ثانوية حينما نقيسها بهذا الأمر تكون ثانوية، منذ ذلك الحين أصبح هناك فصل كامل على كل المستويات بين مرجعية التشريع وتفسير الكتاب والسنة واستنباط الشريعة منهما وبين الحكم السياسي التنظيمي الذي يدير بكفاية أو بلا كفاية بعدالة أو بظلم بحق أو بباطل شؤون الحياة الأخرى سلمت للأمة إسلامها يولى خليفة يخلع أو يموت يزاحم ويثار عليه ويتكالبون ويتهاوشون على السلطة أصبح هناك في المجتمع الإسلامي منذ ذلك الحين سلطتان.

الأولى التي تمثل الفقهاء والمفسرون ورجال الحديث والسنة وهي السلطة الأمينة على شريعة الله والتي تتفاعل يومياً تفاعلاً حياً نظيفاً مع بسطاء الناس ـ السلطة المخولة أن توجه النقد إلى الحكام.

والثانية هي التي تتولى الشأن السياسي التنظيمي والتي قد تكون صالحة أو طالحة.

إن عمق المسألة هو هذا، هذه المساحة أو الفهم ألا يلتقي عليه المسلمون جميعاً؟ ألا يصلح أن يكون موضع تبصر من المسلمين جميعاً؟ ألا يستحق الإمام الحسين وهذا مشروعه الذي انتصر فيه فهو لم يهزم في هذا المشروع أما إذا قلنا إن الإمام الحسين رئيس حزب من أحزاب العالم الثالث وفشل في الوصول إلى السلطة فهذا أمر لا يستحق أسبوعاً واحداً من البكاء فكثيرون من أمثاله مروا على هذه الدنيا وزالوا ولا أدري إذا كان لهم ذكر إلى الآن.

لقد مضى على هذا الحدث ما يزيد على ١٣ قرناً ولا نزال نجتمع عليه بدوافع شتى ونلتقي على نقطة تقاطع أن هذا الرجل ومن معه قاموا بعمل له علاقة بحياتنا وبمصيرنا وهذا يستحق أن يكون موضع تبصر وهو سر خلود هذه الحادثة وتجدد ذكرها وإحيائها عاماً بعد عام لأمر يعلمه الله ولا أعتقد بالصدف أبداً فالمقادير كلها مرسومة المجاري لأمر يعلمه الله إن التقويم الهجري جعل الشهر الأول فيه محرم على رغم أن هجرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم تتم في محرم إنما تمت في ربيع الأول وهي من الأشهر التي كانت متداولة عند العرب في ذلك الحين وأقرها التقليد الإسلامي ولكن تسالم

المسلمون على أن يكون الشهر الأول في تقويمهم القمري هو محرم وأن يحتفل المسلمون جميعاً في كل سنة في الثلاثين أو الأربعين السنة الأخيرة بما يسمى مناسبة عيد رأس السنة الهجرية وهو اقتباس عن الغربيين ولا أساس له في فكرنا وفقهنا وأخلاقياتنا ولا نعرف إذا كان تقليداً مسيحياً أو دخيلاً على المسيحية.

يحتفل المسلمون برأس السنة الهجرية وأول السنة الهجرية هو أول أيام محرم الذي جرى التقليد أيضاً على اعتباره بداية هذه الذكرى علماً أن الحدث الكربلائي بدأ في اليوم الثاني أو الثالث من محرم وتصاعد إلى أن وصل إلى اليوم العاشر من محرم وأريد أن أرى في هذه الظاهرة معنى الهجرة. هناك زيارة مشهورة للإمام الحسين عليه السلام وهي مروية بروايات معتبرة تسمى زيارة «وارث» يعرفها زوار الإمام الحسين في هذه الأيام أو في سائر أيام السنة وفي مستهلها يقول الزائر متوجهاً إلى الإمام الحسين «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله السلام عليك يا وارث نوح نبي الله السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله والسلام عليك يا وارث موسى كليم الله والسلام عليك يا وارث عيسى روح الله والسلام عليك يا وارث محمد حبيب الله والسلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ولي الله السلام عليك يا وارث الحسن السلام عليك يا وارث الزهراء» تذكر بعض معالم أخرى تتعلق ببعض النقاط الدامية في الذكرى الكربلائية.

هذه الزيارة مروية عن الإمام الصادق عليه السلام هي أن نهضة الإمام الحسين لاحظها أهل البيت كما ذكرت لكم، ولو كانت تتصل بشأن التنظيم، من يجبي الخراج وينفقه ومن ينصب والياً هنا أو يعزل والياً هناك أي معنى من معاني الوراثة في هذا. إن الوراثة تنصب على المهمة الجوهرية لحركة النبوات في الجنس البشري منذ آدم وحتى خاتم النبيين هذه النهضة تعالج المشكلة ذاتها فتارة تعالج مشكلة المعتقد ومضمون الإنسان وروحانيته وأخلاقيته ومنهجيته والسر الذي تقوم عليه كينونة الإنسان في العالم، وتارة تعالج على مستوى التأسيس في النبوات وتارة على مستوى التحصين والترشيد والتصويب والحراسة من التحريف على مستوى الأوصياء وحراس الإيمان جيلاً بعد جيل والإمام الحسين وحركته ومن ثم نهضته تأتي في منظور الإمام الصادق وهو منظور حق،

في هذا السياق ـ سياق أنه يحرس إيمان المؤمنين ويصوبه فلا ينحرف يمكن للسياسة أن تصبح تجارة والإدارة تصبح تجارة أما أن تصبح العقيدة والشريعة تجارة وتتعلق بالأهواء والنزعات فهذا الأمر لا يجوز أن يكون اذن منظورنا للإمام الحسين على هذا الأساس يتضح أنه ينتظم في هذه الحركة المباركة التي بدأت بآدم وختمت بالنبي محمد صلى الله عليه وآله.

هنا نلاحظ نقطة في معنى الوراثة وكينونة الإنسان فمبدأ الهجرة والانتقال سواء كان في مكان أو الزمان أو داخل النفس وسواء كانت بمبدأ إني مهاجر إلى ربي ـ قول الله سبحانه وتعالى في شأن أحد العظماء من الأنبياء ـ لم ينتقل في الزمان والمكان بل انتقل في نفسه فصعد روحه ونفسه من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى فحقيقة الهجرة ترتبط بازدهار البشر وكرامة البشر وانتصارهم على كل الصعوبات. وحينما هاجر آدم من اللاالتزام إلى الالتزام ومن إطلاق السراح إلى مستوى التكليف والمسؤولية وبدأت هجرة البشر بقيادة زعمائهم وعظمائهم وهم الأنبياء نجد هجرة نوح بعد أدم ومن بعده من الأنبياء في الفترة إلى موسى وهجرته وعيسى وهجرته وإبراهيم وهجرته وتعاقبت الهجرات في الزمان والمكان ودائماً هجرات في الروح والعقل والضمير والكينونة والرؤية.

إن معنى وراثة الإمام الحسين لا نلاحظ أنها هجرة في الزمان والمكان من المدينة وإلى مكة والعراق فهي هجرة تمظهرت فيها هذه الحقيقة ـ حقيقة مسؤولية الوصاية والولاية وحمل الأمانة والتبصر في النصوص التي قيلت في كربلاء وقبل كربلاء منذ انفجرت الأزمة التي كانت موجودة دائماً منذ تحول الحكم الإسلامي إلى كسروية وقيصرية بعد الصدر الأول وتحديداً بعد صفين هذه المشكلة كانت تمر بانفجارات بسيطة ثم تسوى إلى أن بلغت أزمتها الكبرى مع الحسين ويزيد فانفجرت انفجارها الكبير وحلت المشكلة نهائياً.

يأتي حاكم فاسد قد يكون له حكمه والمعتقد والشريعة ومرجعية التفسير وسلطة التفسير للكتاب والسنة لها أهلها الآخرون هذه الهجرة هي التي تجسد هجرة الإمام الحسين ووراثته منذ آدم وإلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإلى الآن فكلنا نندمج في هذا التيار وهذه الروحية التي لن تتوقف.

ترى هل من الحكمة أن تبقى هذه الحقيقة محصورة في أنها شأن شيعي يمارس على مستوى الكلمات والأفعال والمشاعر وبروح حب ليس لها مثيل تؤدي إلى قصيدة من الشعر أو جرح النفس تأسياً؟ هل يصح أن يبقى هذا شأناً خاصاً بالشيعة ـ في العصور الأخيرة ربما بروح المجاملة أو الفضول أو مقتضيات السياسة يأتي بعض النخب من غير الشيعة فيشاركون في هذه المناسبات لمجرد الحضور أو بكلمة من هنا أو من هناك هل يصح أن يبقى هذا؟ .

في رأيي لا يصح ذلك وإن إحدى مسؤوليات اعادة تكويننا الثقافي هو مسؤولية تعميم هذه الذكريات والمعاني ويقال الآن إن الاحتفال بالهجرة النبوية هو للسنة لماذا؟ لماذا يختص هذا الشأن بفريق ولا يحتفل به المسلمون جميعاً من قلوبهم وأعماق عقولهم بذكرى هجرة النبي سواء كانت في أول محرم أو ربيع الأول فولادة الأمة الإسلامية وربما ولادة الإنسانية الجديدة ففي حديث صحيح للرسول عبر به عن بعثته: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» فبعثة الرسول هي بداية عمر البشرية الجديدة وهي ولادة الإنسان الجديد فلماذا لا يحتفل بها المسلمون جميعاً وكذلك هذه الولادة التي سجلتها كربلاء وإمام المسلمين وليس إمام الشيعة وحدهم الحسين بن علي.

إن إحدى العبر التي تتصل بحياتنا المعاصرة وأتكلم هنا عن روح التحدي وجو التحدي الذي يواجهنا من العدو الصهيوني أو في مواقع أخرى من العالم عرباً ومسلمين وأكبر التحديات والأخطار هو ما يواجهنا نتيجة للحركة الصهيونية سواء كان في فلسطين أو فيما حول فلسطين في سوريا ولبنان وغيرهما.

إن روح المواجهة تتصارع مع روح التسوية روح الصحة والاستقامة تتصارع مع روح المساومة وها نحن نجد أمامنا نهجين وطريقين طريق يبدأ من ذاتنا ويستمد قوته من أسمى المعاني الروحية فينا في صمود رسول الله صلى الله عليه وآله حينما قالوا له نعطيك ونعطيك وقال لهم «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي» وروح المسلمين الأولين منذ بدر وأُحد وإلى الوقائع الكبرى التي واجهوا فيها عدو الله وعدوهم وإلى زماننا هذا مروراً بالإمام

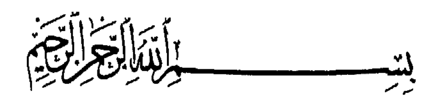
الحسين وآله وجميع الوقائع التي عبرت بها هذه الأمة عن خط سيرها وعن مقاومتها وجهادها في مقابل ذلك نجد روح المساومة ونسأل ما هو المرتكز الروحي والأخلاقي والنفسي حينما نأخذ قرار المواجهة والمقاومة من مستوى الرئيس حافظ الأسد إلى مستوى أبسط مقاوم الآن في هذه اللحظة موجود في زاوية من زوايا جبل عامل والبقاع الغربي أو في زاوية من زوايا القدس وبيت لحم ومواقعنا في داخل فلسطين وخارج فلسطين وعالمنا العربي في كوسوفو وكشمير والبوسنة والشيشان في كل موقع أين المرجعية هل هي في روح المساومة والتسوية التي خاضها من تعاملوا مع النظام الأموي في ذلك الحين سواء على مستوى أن عبيد الله بن زياد يزيد رواتبهم مائة درهم أم على مستوى الجوائز الكبيرة كولاية الري وغيرها هل هؤلاء هم المرجع؟ أم أن المرجع هو في هؤلاء الشبان والرجال والنساء وحتى الأطفال اليافعين الذين كانوا في كربلاء؟ وحينما نلاحظ هذه الحقيقة نعرف أين نحن ونعرف أين مرجعيتنا ونعرف أن المعين الروحي الذي نتكىء عليه ونستند إليه هو هذا وحينما نقول إننا نستحضر الإمام الحسين أو أمثال الذين نهجوا على طريقه في روح المواجهة التي نعيشها الآن والتي يستحيل أن تحل بالتسويات وها نحن نرى سخرية التسويات والروح الواقعية فالذل لم يعد مقبولاً ويضاف إليه ذلاً جديداً حتى يكون مقبولاً ومظاهره في لندن لأجل تسوية أن المائة تختصر فتصير واحداً.

إن مرجعية الإمام الحسين وآله ومرجعية كربلاء تكمن في هذه الروحية. فرؤيتي لهذه الذكرى وأنا أمارسها وأحييها لم أعها يوماً منذ وعيت أنها شأن من شؤون الشيعة الإمامية والشيعة عموماً وإنما وعيتها ومارستها وعبرت عنها باعتبارها شأناً من شؤون المسلمين في بعد من أبعادها التي تتصل بالإيمان وإنها شأن من شؤون الإنسانية في أبعادها التي تتصل في أسمى وأنقى ما في الإنسان من أخلاقيات تشمل الناس جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خلود الذكرى الحسينية

٥/٥/١٩٩٨ م
٨/١/١٤١٩ هـ



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان ونتوجه بالزيارة في هذه الساعة إلى أبي عبدالله الحسين وآله وصحبه فنقول السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم منا سلام الله ما بقينا وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته والسلام عليكم أيها الاخوة العلماء الأجلاء والإخوة والأخوات الأعزاء ورحمة الله وبركاته.

في هذه الزيارة كما في الزيارات الأخرى يتبين أن أئمة أهل البيت سلام الله عليهم منذ أول أمر لحظوا خلود الذكرى الحسينية والواقعة الحسينية عليكم مني سلام ما دامت السماوات والأرض تلحظ فيها الديمومة والاستمرار.

في السنوات الأخيرة بدأت تطرح قضايا حول هذه الثورة والنهضة وديمومتها إلى اليوم والسؤال هو ما معنى إعادة إحياء ذكرى كربلاء بعد مضي هذه القرون المتمادية؟ هذا السؤال طرح وبكل أسف أن طرحه لم ينشأ من معطيات صحيحة ولم يطرح من قبل غير المسلمين أولاً إنما طرح دائماً من قبل مسلمين وفي المدة الأخيرة طرح من أوساط شيعية تدعو وتزعم أنها تحدث

وتعصرن هذه الذكرى وهذه الواقعة العالمية الخالدة وهذا الأمر لا يتصل بالثقافة ولا بالحقيقة ولا بالعلم وإنما يتصل بالعبث بالمقدسات ومن سمات عصرنا العبث بالمقدسات التماساً للشهرة وللوجاهة ولإثارة التساؤلات وعادة حينما يتكلم الإنسان في الأمور العادية ربما لا يلتفت إليه أحد أما الذي يتكلم في الأمور الفاقعة يثير تساؤل الناس وأحد الداوعي وراء هذه البدع هو هذا الداعي الشخصي والشيطاني في الوقت نفسه.

هذا السؤال يطرح دائماً ونجيب عليه دائماً والإجابات مختلفة والآن نقول لماذا؟ نحن الآن في السنة التاسعة عشرة بعد الأربعمائة وألف للهجرة وقد مضى أكثر من ١٣٦٠ سنة على واقعة كربلاء هذا المأتم وغيره من المآتم لماذا يقام ولماذا ندعوا إلى هذه المآتم ونقيمها ونحضرها رجالاً ونساء وكما يعلم البعض أنا أحب الأطفال أن يأتوا وأطلب أن يأتي الآباء والأمهات بأطفالهم لأني أريد أن ينشأ هؤلاء الأطفال وهم يلتقطون أعماق هذه الذكرى.

لماذا؟ يتوهم البعض أن إقامة هذه الذكرى هي بدافع روح الاحتجاج كما كان أحد أهدافها منذ أسست حينما كانت تلقى بعض أبيات من الشعر في السنة الأولى والذكرى الأولى في كربلاء والكوفة أو في الطريق إلى حلب أو في حلب أو في الشام أو في الطريق إلى المدينة أو في المدينة.

وبالتأكيد كان أحد أهداف إقامة هذه الذكرى هو الاحتجاج على النظام الأموي الذي ارتكب هذه الجريمة وهذا أمر لا ريب فيه وبعد ذلك حينما زال حكم يزيد وجاء حكم من بعده من المروانيين استمرت السياسة المعادية التي حملت النهج نفسه وكانت تقام المآتم أيضاً للاحتجاج وكمظاهرة سياسية ضد النظام السياسي الذي عذب الناس واضطهدهم وآذاهم وعبر عن سياسته القمعية والإجرامية بأشخاص أهل البيت سلام الله عليهم باعتبارهم هم كانوا عنوان الدفاع عن مصالح البشر وليس عن مصالح المسلمين وحدهم وإنما عن مصالح كل البشر مسلمين وغير مسلمين.

ترى هل نحن الآن في عصرنا ليس في لبنان فقط بل في كل مكان من

العالم الإسلامي بل في كل مكان من العالم هذه الذكرى تقام الآن بين المسلمين وخصوصاً عند ملتزمي أهل البيت فقهاً وأصولاً في أوروبا وأميركا وأمكنة أخرى أيضاً لها طابع الاحتجاج ومجلسنا هذا هل فيه احتجاج على أحد؟ كلا، في هذا العصر هذه المجالس لا تقام احتجاجاً وليس لها طابع الاحتجاج وليس لها طابع الإدانة السياسية ومن هنا فإن فهم البعض بأن هذه المجالس فيها روح مذهبية تعرض بالمذاهب الأخرى وفيها روح طائفية تعرض بالطائفة الأخرى وفيها شيعية في مقابل سنية هذا خطأ ممن يفهم هذا الفهم وخطأ ممن يعطي الذريعة لهذا الفهم خطأ من هذا الفهم لأن هذه المجالس تقام الآن لأهداف أخرى لغير الاحتجاج السياسي الذين قام الاحتجاج ضدهم والذين ارتكبوا الجريمة انتهت أعمارهم وعهودهم كانت ألف شهر وقد انتهت الألف شهر.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ ﴾[1] وفي الأثر الثابت إن هذه الألف شهر هي ملك بني أمية وقد زالت في الزمان وانقضوا هم في التاريخ إن حصل ظلم بعدهم فلكل ظلم احتجاجه الخاص أما هذه المجالس ـ واقعة كربلاء وقصة الحسين والكبار والصغار من مستوى الحسين الإمام المعصوم العظيم إلى مستوى طفله الرضيع ومن مستوى العباس إلى مستوى آخر هاشمي من غير ولد فاطمة ومن مستوى مسلم بن عوسجة إلى مستوى أي صبي أو امرأة من أصحاب الحسين الاحتجاج بذكرهم انتهى ولم يعد أي مغزى لهذا الاحتجاج.

إن هذه الذكرى تقام لاستعادة المعنى العميق الذي نهض الحسين من أجله وهو حماية الإيمان من جهة وهو التأكيد على القيم فحياتنا من دون قيم لا قيمة لها مالنا وقوتنا وعديدنا من دون قيم وضمانات أخلاقية ومن دون ضمانات إيمانية لا قيمة لها على الإطلاق وحينما نتعلم في هذه المجالس من الحسين وآله وصحبه سيرتهم، هذه السيرة فيها الإيمان النقي الصافي بالله وفيها الاتباع النقي الصافي لرسول الله وللإيمان وفيها الوفاء ومعرفة الفضل لأهله واباء الضيم والظلم وفيها كرامة الإنسان الذي هو أثمن من المال مهما بلغ المال وهو أثمن

---

(١) سورة القدر، الآيات: ١ ـ ٣.

من الجاه مهما بلغ الجاه وفيما أمثولة إن الحسين في بعض المعاني بأي شيء قتل؟.

حسب فهمي قتل الإمام الحسين بمائة درهم زيدت في أعطيات الجنود حينما حشر ابن زياد الناس زادهم مائة مائة والذي كان راتبه مائة درهم صار مائتين والذي كان مائتين صار ثلاثمائة.

قتل الإمام الحسين بمائة درهم وبمنصب إداري قتل بمنصب عمر بن سعد بن أبي وقاص الذي وعد بولاية الري أي أن يصير محافظاً أو إدارياً كبيراً لإحدى الأقاليم في طهران الحالية مائة درهم للجنود ومنصب إداري للقيادة ولو أن عمر بن سعد لم يتول هذه المهمة لخلق صعوبة تنظيمية وهو سهل هذه المهمة.

هذا ما نريد أن نتعلمه وحينما يقال لنا صالحوا إسرائيل لأن صلحها يحسن الوضع الاقتصادي هكذا يعقد مؤتمر في الدار البيضاء أو في عمان أو الدوحة كبار العرب يذهبون من عاصمة إلى أخرى كبير الفلسطينيين يذهب أيضاً من عاصمة إلى أخرى لأجل أن يبحث عن صدقة ليتصدقوا عليه من ماله هل ينسحبون من ١ في المائة من الأرض الفلسطينية للفلسطينيين أو لا ينسحبون؟ هذا الذي تعلم من الحسين ومن كربلاء أنه لا يمكن أن تكون هناك مسالمة على الثوابت.

في المناصب حينما أنظمة بكاملها تساوم وتدافع وتمالىء من أجل أن تبقى على حساب الأمة ومصالح الأمة وكرامة الأمة. يوجد مثل شعبي وغالباً ما تختزن الأمثال الشعبية حكم كبيرة والمثل الشعبي له صيغتان الأولى: من ليس عنده كبير ما عنده تدبير، والأخرى هي صيغة من لا أول له لا آخر له الذي لا يقيم أموره على الثوابت حتى الأمور البسيطة والثانوية لا تكون له قائمة بشأنها نحن حينما نقيم ذكرى الإمام الحسين سلام الله عليه نتعلم منها هذا التعليم.

الأمر الآخر وهنا أقول بإخلاص وأمل من الجميع أن يعوا هذا القول إن الفكرة التي شاعت خطأ بين المسلمين جميعاً والتي ربما تنتشر حول أنه لا

قداسة للأشخاص وأن المهم هو الاعتقاد وأن علينا أن نعامل الأشخاص كبشر إلى آخره انطلاقاً من مشكلة زيارة القبور وانتهاء بزيارة النبي صلى الله وآله سلم هذه النقطة نحب أن ننبه إلى خطورتها.

الإمام الحسين إمام معصوم ليس إنساناً عادياً على الإطلاق وحياته ودلالات حياته لا تنتهي بالبعد الزمني الذي عاشه على هذه الأرض والحسين تمتد حياته في الزمان كما تمتد العصمة في الزمان وأفعال الحسين وأقواله ليست أفعالاً وأقوالاً لسائر الناس وكسائر الناس وإنما هي أفعال لها أبعاد وأعماق وحينما يقول الإمام الحسين: «أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي» هذا المشروع لا يزال قائماً إلى الآن ولا تزال في حياتنا ثغرات كبيرة جداً تحتاج إلى إصلاح وتحتاج إلى تحصين وتحتاج إلى قدوة والقوى كما قال الله سبحانه وتعالى هي بالرسول وبأهل بيته والكبار ممن اتبعهم بإحسان.

الآن نحن نحيي ذكرى المولد النبوي الشريف والهجرة وبدر وذكريات قومية ووطنية كبيرة وغداً في السادس من أيار ذكرى شهداء السادس من أيار كما سموا يمكن أن يقال لماذا تقام هذه الذكريات فالقضية مرت وانتهت؟ يمكن ذلك أن نطبقه على جميع الذكريات التي تتصل بقضايا الإيمان وكذلك قضايا الإنسانية والمجتمع؟.

لماذا تقام هذه الذكرى؟ الجواب هو هذا.

إن هذه المؤسسة الخالدة التي وضع أسسها بمعنى من المعاني المتصلة بالغيب، وأنا ممن يؤمنون بقارورة أم سلمة وذلك بمطلق العقلانية والوضوح والموضوعية أؤمن بقارورة أم سلمة بمعنى من المعاني التي تتصل بعالم الغيب واستشراف الأفق البعيد هذا المأتم أسس من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله.

من الثابت عندنا أن رسول الله بكى وأن علياً بكى وأن فاطمة الزهراء بكت وأما في معنى الزمان التاريخي فهذا المأتم أسس منذ سنة ٦٠ للهجرة منذ كان الشاعر يأتي فينشد الأبيات الطويلة أو القصيرة وكانت تشكل المأتم وتطور إلى

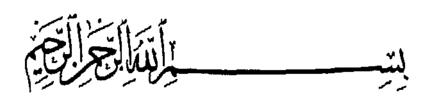
أن غدا إحدى أعظم المؤسسات الثقافية في تاريخ أمة من الأمم على الإطلاق هذا المأتم هو بالفعل أعرق مؤسسة ثقافية على الإطلاق وهو سيبقى وهنا أريد أن أشير إلى أن من الزيارات المعمولة للحسين سلام الله عليه الزيارة المشهورة باسم زيارة الناحية المقدسة وقد جاءت في روايتين في حدود علمي وربما أكثر وهي زيارة إمام الوقت صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه لجده والحسين وآله أن يزورهم هو فهذا أمر طبيعي ولكن أن نفهم نحن زيارته لهم وهو صاحب الزمان وهو إمام الوقت وهو يزورهم الآن هذا يعني إن هذا المأتم بكل مضامينه كمؤسسة الزيارة أيضاً ويمكن أن يقال وقد قال البعض ويمكن أن يقول الآخرون من قبيل لماذا المأتم؟ أن نقول لماذا الزيارة؟ ونعود في هذه الحال إلى المنطلق الذي قاد المتوكل العباسي إلى أن يهدم قبر الحسين وأن يجري عليه الماء وأن يحرثه بالثيران لأجل أن يعفي أثره.

هذا السؤال لا يجوز طرحه وفي الوقت نفسه أقول للمسلمين الشيعة ولخطباء المنبر الحسيني ولكل المعنيين بهذا المأتم أنتم مخطئون خطأ يسيء إلى مقام أهل البيت العظيم وإلى مقام الحسين بشكل خاص حينما تحيون هذه الذكرى بأساليب وخطابات وصيغ توحي أو توهم أنها ذكرى خاصة بكم دون غيركم وأن الحسين هو إمام لكم دون غيركم وأن هذه المآتم تقام احتجاجاً على مسلمين آخرين أو يراد منها مسلمون آخرون الامتحان الكبير والمسؤولية الكبيرة هي في تحويل هذا المأتم إلى ذكرى إسلامية عامة كما قام الحسين من أجل المسلمين جميعاً فإن ذكراه يجب أن تحيا من أجل المسلمين جميعاً.

السلام عليك يا مولاي يا عبدالله يا إمام المسلمين جميعاً والسلام على المسلمين جميعاً والسلام عليكم خصوصاً ورحمة الله وبركاته.

الحسين، من أهل الكساء، وأهل المباهلة

٦/٥/١٩٩٨ م
٩/١/١٤١٩ هـ



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

نتوجه بالزيارة إلى الحسين وآله وصحبه السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليكم منا جميعاً سلام الله ما بقينا وبقيت السماوات والأرض ورحمة الله وبركاته.

السلام عليكم أيها الإخوة العلماء الأجلاء والإخوة والأخوات جميعاً ورحمة الله وبركاته.

طلبت في هذا اليوم من الأخ الأستاذ العماري صدر سورة الإنسان التي سمعناها معاً:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾[١] وقبل الدخول في مقصدي من هذا الطلب ونحن الآن نعود جميعاً بقلوبنا وفكرنا إلى مثل هذه الساعة من محرم من سنة ٦٠ للهجرة وقد سقطت وتبخرت جميع الآمال

(١) سورة الإنسان، الآية: ١.

والأوهام التي كانت في عقول وذاكرة بعض الهاشميين وبعض أصحاب الحسين أو كل أصحاب الحسين وأدرك الجميع الحقيقة الساطعة التي عرفها الحسين من أول الأمر وهو أنهم يستقبلون الشهادة في الساعات المقبلة فهم في ساعاتهم الأخيرة في هذه الدنيا واعين مدركين ونساؤهم وأطفالهم واعون مدركون أنهم يستمتعون بصحبتهم لساعات أخيرة في هذه الليلة.

قبل الدخول في مطلبي أريد أن أشير إلى بقية مما ذكرتها يوم أمس وهو أن استعادة هذه الذكرى في كل عصر من العصور تلبية لحاجة في ذلك العصر وفي ذلك المجتمع وأن أي أوهام يقع فيها المسلمون سليموا النية وأكثر المسلمين هم طاهرون وسليموا النية أو يختلقها بعض سيئي النية الذين يدركون الحقيقة ولكنهم يعيشون على التحريض الطائفي والمذهبي وعلى العصبية ليس في إحياء هذه الذكرى احتجاج على مسلمين معاصرين وليس فيها اتهام لفريق من المسلمين أنهم قتلوا الحسين أو ارتكبوا جريمة كربلاء والمسلمون جميعاً حتى في ذلك الحين كانوا ضد هذه الجريمة وقلت مراراً وتكراراً أن الجريمة ارتكبت قبل أن تتكون الفرق والمذاهب وقبل أن يوجد التشيع والتسنن بالمعنى المذهبي ارتكبها نظام سياسي لم يكن نظاماً لفريق من المسلمين دون فريق بل كان نظاماً مفروضاً على جميع المسلمين بقوة السيف وبقوة التزوير الديني الذي يرتكبه البعض في هذه الأيام حينما يستخدمون الدين في المسألة السياسية أو في القضية السياسية التحزبية أو الطائفية أو المذهبية فخطاب عاشوراء هو خطاب إسلامي عام وقلت وأكرر يخطىء الشيعة وقراء المنبر الحسيني إذا صاغوا خطابهم على أساس مذهبي وحولوا هذا الإمام إمام المسلمين العظيم إلى مذهب أو إمام فرقة أو إمام طائفة آمل في كل سنة وآمل في هذه السنة أن تنطلق الدعوة من لبنان من مجالس لبنان من الروح الحسينية في لبنان إلى جميع أقطار العالم الإسلامي لإعادة هذه الذكرى إلى طبيعتها الأولى حينما كان ينخرط فيها المسلمون جميعاً ومن هنا فإني أربأ ببعض الأقلام والمنابر أن تقول أن تكتب ما يبعث على الالتباس وسوء الفهم ولا أعطي حقاً لأي مخلوق أن يدعي أنه أغير على وحدة المسلمين مني ومن النهج الذي سرت عليه ودفعت ثمنه أضعافاً مضاعفة فقط وضعت في هذا الخط كل حياتي لم آخذ عليه أي جائزة والذين

يكسبون منه ويتجرون به ويتعيشون عليه ليس لهم أن يقولوا فيه أي كلمة فليسكتوا وليتقوا الله.

ثانياً: إننا في لبنان في ما نواجهه من كيد الإسرائيليين احتلالهم وعدوانهم ومقاومتنا لهم هذه الروح المقدسة التي تغلي وتتوهج كانت في مثل هذه الليلة في قلوب هذه النقطة كذلك عند الطاهرين في فلسطين والمجاهدين في داخل فلسطين ليس أولئك الذين يذهبون إلى لندن أو واشنطن بحثاً وراء صيغ الذل ولكن الذين يسقطون في أرضهم ويقاومون العدوان الصهيوني وكذلك في كل موقع.

إن ذكرى الحسين تحيا في كل مكان وفي كل مرحلة لتستجيب لحاجات تلك المرحلة ولتعطي القوة الروحية والمعنوية للرجال وللنساء وللشبان وللشابات أن يصلوا حياتهم بحياة الحسين وآله وصحبه.

أيها الأعزاء في اعتباري أننا منذ اليوم الأول وإلى الآن نحن لم نلتق بعد بالحسين ونحن لا نزال منذ اليوم الأول وإلى الآن في الطريق إلى الحسين آمل بقلوبنا المخلصة أن نلتقي به غداً فنحن لا نزال نحوم حوله على الطريق لم ندخل إلى رحابه ولا نزال نبحث عن مواطن وأماكن حوله وقريباً منه ولكننا لم نلتق به نحن نتهيأ في هذه الليلة للقاء به غداً.

في هذه الأمسية نريد أن نلتقي معه في داخل الأسرة غداً حينما نتلو مجالسنا وقرآننا ونتأهب لسماع الواقعة يكون قد انقضى أكثر الأمر ونلتقي به وحيداً وحينما ترتفع الشمس ونقترب من وقت الظهيرة نكون على لقاء مع الحسين أولاً مع صفوة العالم التي كانت معه وبعد ذلك نلتقي به وحده. وفي داخل الأسرة المقدسة وفي داخل أهل الكساء وفي داخل أهل المباهلة وفي داخل سورة الإنسان ـ الدهر التي سمعناها معاً والتي نعود من خلالها جميعاً إلى سبب نزولها أو نزول الآيات الأولى منها نصفها الأول لنرى أن هذا الحسين وأخاه حسناً وأمهما الزهراء وأباهما علي وجدهما محمد صلى الله عليه وعليهم من هم هؤلاء لنرى حجم الحسين في السماوات عند الله تعالى قبل أن نحاول التعرف على حجمه في الأرض ولنرى مدى القبح والجريمة أو مدى الجهل بمن

يريد أن يحول الحسين إلى صنم من أصنام ذاته أو إلى إنسان يبحث عن موقع وعن منصب.

أيها الإخوة الأعزاء والعزيزات.

نعود إلى أواسط الهجرة النبوية حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة في يوم ما أنقل لكم هذه الواقعة المتواترة عند المسلمين جميعاً وهي من وقائع السيرة المتواترة عند المسلمين جميعاً والتي هي في أساس نزول القسم الأول من سورة الإنسان ـ الدهر.

فقد مرض في يوم ما الحسن والحسين الطفلان فعادهما رسول الله مع جمع من أصحابه جاء إلى بيت علي والزهراء يعود سبطيه الطفلين المريضين وقال لعلي: عرض عليهما أن ينذر لله عبادة إذا منَ الله بالشفاء على الحسن والحسين فنذر علي ونذرت الزهراء وفي صيغ موثوقة في هذه الرواية أن الحسنين سلام الله عليهما نذرا أيضاً وهما طفلان مريضان لا أريد أن أتوقف عند نذر الحسن والحسين فقد نذرا أن يصوما ثلاثة أيام إذا شفا الله الحسن والحسين وشفاهما الله فذهب علي سلام الله عليه واقترض ثلاثة أصوع من الشعير من أحد التجار اليهود فلان الخيبري وطحنت الزهراء سلام الله عليها صاعاً وخبزته واجتمعت الأسرة المقدسة لتفطر على هذا الخبز لا أعرف إن كان عنده أدام له أم لا وجاءهم مسكين يقول أنا مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله فتصدقوا عليه بطعامهم وأفطروا على الماء وطووا ليلتهم.

وفي اليوم الثاني طحنت الزهراء الصاع الثاني وجلسوا مساء للإفطار فجاء يتيم يستعطيهم فتصدقوا عليه بإفطارهم وطحنت الزهراء الصاع الثالث في اليوم الثالث فجاءهم الأسير وتصدقوا عليه بإفطارهم والأسير كان مشركاً غير مسلم لأنه لم يكن هناك سجون وحبوس في أول عهد الإسلام في المدينة فكان الأسرى رهناء عند آسريهم من المسلمين وكان بعض هؤلاء لا يملك القوت ولما أصبحوا في اليوم الرابع جاء علي إلى رسول الله ومعه الحسنان وهم يرتجفون كالفراخ فأبدى رسول الله ألمه وتساءل عن حال الزهراء فذهبوا إليها فوجدوها في محرابها تصلي وقد التصق بطنها بظهرها ضعفاً وجوعاً فنزل

جبرائيل على رسول الله بهذه السورة وقال له لتهنأ يا محمد بهذه العطية أو بما معناه.

هذا سبب نزول القسم الأول من سورة الإنسان كل الحدث حدث قدرة الله ليبين منزلة هذه الأسرة عنده ولينوه في كتابه العزيز بهذا الخط الإيماني الصاعد الذي يرتقي ليصل إلى قوله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾[1] حتى ثواب الله لا يريدونه بل يريدون وجه الله وحده.

الحسين الذي نلتقيه غداً هو هذا الحسين من هذه الأسرة التي جاعت وهي تملك الدنيا كلها إن علي بن أبي طالب بكل ثقل القداسة وعظمة القداسة التي عنده يستقرض أصوعاً من شعير أو من قمح من يهودي خيبري ليقيت أهله الصائمين وأطفاله المرضى أن رسول الله صفوة العالم منذ خلق وإلى أن يفنى يكون صهره وبنته وسبطاه بهذه الحالة وهو يملك الدنيا كلها وما وراءها أن تكون القديسة الشهيدة الطاهرة الزهراء وهي من هي تصبر على ما صبرت عليه أن يكون هذان الإمامان العظيمان يصبران على ما صبر عليه عبادة وتقوى وخضوعاً وتسليماً.

إن عظمة أهل الكساء وأهل المباهلة وهؤلاء هم أهل المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[2] هؤلاء هم أخرهم في السلسة والحياة كان الإمام الحسين فالنبي الأعظم اصطفاه الله إليه والزهراء القديسة ذهبت شهيدة كظيمة علي ارتفع بالشهادة بسيف ضال تحت شعار آية قرآنية ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[3] في محراب الصلاة الحسن بعد الأشهر العاصفة التي حاول أن ينقذ بها الأمة قاء كبده في الوعاء قطعة قطعة وبقي الحسين وحيداً فريداً في مواجهة الشر الذي يهدد إيمان البشر وإنسانيتهم.

الذي نلتقي به غداً هو الإنسان ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨

(١) سورة الإنسان، الآية: ٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[1] هذا هو الحسين آخر السلسلة هذا الإنسان الذي بقي من الأسرة المقدسة وهو الذي حمل هم الإنسانية وهم الإسلام والمسلمين ولم يكن يريد شيئاً وهذا الذي يقول الله على لسانه ولسان أخيه وأبيه وأمه وجده ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝﴾[2] هذا الذي لا يريد حتى من الله ثواباً ولا جنة ولا نعيماً وإنما يريد فقط وجه الله.

هذا الإنسان يقال عنه أنه يريد سلطاناً وينشيء حزباً وفشل لا هذا الإنسان لا تنتهي حياته المعنوية بانتهاء حياته المادية أبداً.

اليوم ٦ أيار في وقت ما تركيا الفتاة وهي الجمعية الصهيونية التي استولت على تركيا أعدمت بعض اللبنانيين من المسلمين والمسيحيين لأنهم عارضوا تتريك العرب وخلد يوم ٦ أيار تقام الاحتفالات في سوريا ولبنان ولأمثالهم في شتى أنحاء العالم ويخطب الخطباء وتعطل المدارس والدول والمجتمعات والحسين ذكراه ترتبط لا بإرادة التاريخ والبشر وإنما بكل من يتلو كتاب الله وسورة الدهر هؤلاء: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝﴾[3] هؤلاء الأبرار معيارهم ومقياسهم هذه الأسرة المقدسة.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء نحن نتأهب للدخول على الحسين في اليوم العالمي الكبير حيث نلتقي به مع الثلة الصفوة وبعد ذلك معه وحيداً فليكن حسيننا واحداً وليوحد الله سبحانه وتعالى بالنبي وآله قلوبنا جميعاً على الخير والبر والتقوى نستغفر الله ونتوب إليه ونسأل الله أن يعيد رأس السنة الهجرية وذكرى عاشوراء وقد تحررت أراضينا من الاحتلال الإسرائيلي الغاشم.

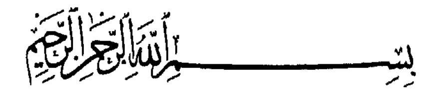
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) سورة الإنسان، الآيات: ٨ ـ ١٠.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ٩.
(٣) سورة الإنسان، الآية: ٥.

خطاب عاشوراء، يرسم آفاق المستقبل(١)

٧/٥/١٩٩٨ م
١٠/١/١٤١٩ هـ



والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين والسلام على سيدهم وخاتمهم محمد وآله والسلام عليك ياأبا عبد الله الحسين، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعاً سلام الله أبداً ما بقينا وبقي الليل والنهار.

السلام على أرواح شهداء عاشوراء هذا العصر وهذه المرحلة، المستمرة منذ خمسين عاماً في فلسطين وبلاد العرب، السلام على أرواح شهداء كربلاء هذه الأمة في قانا وأخوات قانا من قرانا ودساكرنا في الجنوب والبقاع الغربي وعلى مجاهدي المقاومة، الاستشهاديين والمقاتلين، كما الأهل الصامدين في كل بقعة من أرضنا الطاهرة المباركة. أنتم ورثة كربلاء وأنتم روح عاشوراء وأنتم في لبنان وسوريا وفلسطين أصحاب الحسين. .

السلام عليكم جميعاً أيها الإخوة والأخوات المحتفلون في هذا اليوم وفي هذا الصرح العلمي الجليل وعبركم إلى كل المحتفلين في كل مكان في لبنان وخارج لبنان ورحمة الله وبركاته وبعد. .

---

(١) ألقيت في الكلية العاملية ـ بيروت.

إننا كما في كل عام نستقبل عاشوراء بروح التضحية وبروح الهجرة.. روح التضحية التي تمثلت في تضحية إبراهيم بولده إسماعيل واستجابته لأمر الله، وفي قبول إسماعيل لهذه التضحية ولسنا من ذكرى وعيد الأضحى ببعيد..

وروح التضحية هذه تمثلت أيضاً في يوم الهجرة التي احتفلنا بها قبل أيام في مبيت الإمام علي عليه السلام على فراش الرسول مقدماً نفسه ضحية لمشروع الهجرة العظيم. ونجدها كذلك في تقديم الحسين نفسه ضحية شهيدة لمشروع استنقاذ الإسلام والاجتماع الإسلامي مما كان كان سيؤول إليه أمرهما لو أن هذه الثورة لم تحصل.

ونستعيد من هذه الثورة مفهوم الهجرة العام، المفهوم الذي ارتبط بهجرة آدم عليه السلام من عالم اللاالتزام واللاتكليف إلى عالم المعاناة وعالم التكليف، وارتبط بهجرة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ولم ينته بهجرة الرسول الأكرم (ص) كما لم ينته بهجرة الحسين(ع) بل هو مستمر إلى يومنا هذا، وسيستمر دائماً ما دامت الإنسانية. ذلك أن حقيقة الهجرة وروح الهجرة هي نزوع الإنسان فرداً وجماعة نحو الأفضل ونحو الأكمل، نحو النور ونحو الحرية ونحو العدل والحق.

إذن، في هذه الذكرى المجيدة نستعيد روح الهجرة ونستعيد روح التضحية، بكل ما ينطويان عليه ويرمزان إليه. لأن روح التضحية وروح الهجرة هي التي صانت الإسلام من السقوط ومن الطمس ومن الانحراف، منذ آدم عليه السلام وإلى يومنا هذا.

وتأتي ثورة الحسين تأتي في هذا السياق لتمثل إحدى المعالم الكبرى لروح التضحية والفداء، وإحدى المحطات الكبرى لهجرة الإنسان نحو العدل ونحو التوازن، نحو إنسانية الحكم وإنسانية علاقات الإنسان بالإنسان.

هكذا ندخل عاشوراء، ونهاجر إلى أرض كربلاء.. ذلك أن ثورة الإمام الحسين (ع) ليس لها باب مذهبي أو طائفي أو فئوي ندخل إليها منه. لا يمكن أن ندخل إليها إلا من بابها الإسلامي الرحب ومن بابها الإنساني الواسع. ومن

يريد أن يدخل إلى هذا الإنجاز الإسلامي والإنساني الطاهر والنقي من الباب المذهبي أو الطائفي فإنه يضيع في متاهات لا تؤدي به إلى الحسين ونهضته وثورته (ع)، قد تؤدي به إلى رؤية مذهبية لعاشوراء تقزّمها وتحجمها ومن ثم لا يكون الحسين موجوداً فيها، بل يجد فيها الصنم الخاص لمن دخلها من هذا الباب.

ومن هنا فإن الخطاب العاشورائي ليس خطاباً يحمل أثقال الماضي، بل هو خطاب يحمل هموم الحاضر ويحمل آمال المستقبل، إن خطاب عاشوراء لا يستثير كوامن التاريخ، بل يرسم آفاق المستقبل.

أقول هذا الكلام وسأظل أقوله وقد قلته في السنين الماضية، لأقتلع الوهم الذي ربما يكون راسخاً في قلوب بعض الشيعة وربما يكون راسخاً في قلوب بعض المسلمين من غير الشيعة، بأن هذا شأن شيعي خاص، ولا أعني هنا أسلوب الممارسة، ولكل فئة من الناس أسلوب يتفق مع فهمها ومع إيقاعها النفسي والروحي، بل أقول هذا الكلام لأعيد تأكيد ما قلته في السنين الماضية من أنه ليس للشيعة في لبنان أو في العالم العربي مشروع خاص بهم، وليس عندهم إرادة تشكيل ثقافة خاصة بهم تنفصل عن ثقافتهم الإسلامية العامة وعن المناخ الخاص لثقافتهم الوطنية والقومية.

إن الشيعة في لبنان والعالم العربي هم جزء من المشروع الوطني العام لبلدانهم ولأمتهم، مشروع الدولة والمجتمع الواحد، ليس لديهم أي وهم في مشروع خاص، كما أنهم لا يتحملون أي مسؤولية في أي مشروع خاص، هذا هو المعنى الأول والأساس لثورة الحسين الإسلامية والإنسانية، فالحسين (ع) لم يتحرك من أجل مشروع دولة له أو لحزبه، ولم يكن له حزب وإنما تحرك من أجل مشروع دولة لا تقوم على فئوية أو مذهبية أو طائفية أو طبقية، ولا على غلبة واستقواء.

إن هذا المشروع الوطني الإسلامي الإنساني ، هو حلم البشر الدائم في مجتمعاتهم، فالبشر يبحثون دائماً عن اعتراف الآخر بهم، عن المساواة والعدالة والكرامة، وهذه تعني الاعتراف المتبادل والعيش الواحد وذلك في مقابل

دعوات التمايز والانفصال والغلبة والاستحواذ، وبهذا المعنى فإن خطاب عاشوراء هو خطاب الوحدة خارج الحزبية وفوق الحزبية، وحدة لبنان بجميع فئات شعبه مسلمين ومسيحيين وفي جميع مناطقه.

إن خطاب عاشوراء والحسين (ع) هو خطاب المشروع الوطني الإنساني الواحد، خطاب العيش المشترك وخطاب الحوار الإسلامي المسيحي.. لا بلقلقة اللسان والشعارات الجوفاء، بل بالعيش الواحد الذي يقوم على ثوابت الكيان اللبناني وثوابت الدولة والمجتمع في لبنان، العيش الواحد الذي يعترف للآخرين بكرامتهم وحريتهم وبكياناتهم الداخلية، لا يهرج عليهم ولا يهيمن عليهم بشعارات تستلب حقهم في خصوصياتهم، بل ينطلق معهم من مواقع الخصوصية إلى المساحات المشتركة فإلى الدولة الجامعة العادلة والمتوازنة.

إن الحوار ضرورة للمسلمين والمسيحيين على كل أرض يتجاورون فيها متحملين مسؤولية المحافظة على القيم الإنسانية التي تهددها الحضارة المادية والصهيونية العنصرية وتعرِّض الإنسان المسلم والمسيحي لأخطار سوء الفهم وسوء التفاهم الذي لن تكون عاقبته إلا شراً على الجميع.

إن هذا الحوار هو الإطار الحقيقي لمواجهة التدخلات الامبريالية التي تعيد المسألة الشرقية بصورة حماية الأقليات الدينية في العالم العربي.

إننا نعيد القول بأنه لا توجد أقليات في بلادنا بل هناك: أكثريتين، أكثرية إسلامية، عربية وغير عربية وأكثرية عربية مسلمة ومسيحية، وعلينا اجتراح الصيغ التنظيمية والفكرية المناسبة لهذا الاطار الفريد من نوعه في العالم.

ومن هنا فإننا نرى أن الحوار الإسلامي المسيحي العميق الشامل والصادق هو المدخل الصحيح لمواجهة مشكلاتنا باعتبارنا مؤمنين، ومشكلات العيش والازدهار المادي والتكامل الأخلاقي والإنساني في عالم مليء بالمخاطر والتحديات، إننا نواجه السؤال نفسه والتحدي نفسه الذي واجه الإمام الحسين (ع)، نواجه هذا السؤال وهذا التحدي النابعين من مسؤوليتنا ومن الأمانة التي نحملها جميعاً تجاه وطننا وأمتنا العربية والإسلامية، ونحمل أيضاً

المسؤولية والأمانة تجاه إنسانية الإنسان وكرامة الإنسان في جميع الأديان وفي جميع الأوطان.

إن خطاب عاشوراء هو أيضاً خطاب الممانعة.. خطاب رفض التسليم بالظلم أو الاقرار بالاغتصاب. أنه خطاب التمسك بالمبادىء والثوابت الأساسية للأمة، تحت راية العدل والحق.

إن عاشوراء العرب اليوم تستمر منذ أكثر من خمسين عاماً، وهي تمظهرت في نكبة فلسطين الدامية في أيار ١٩٤٨ كما في نكسة العرب الكبرى في حزيران ١٩٦٧.

إن كربلاء العرب اليوم هي أرض فلسطين المغتصبة وأرض الجولان السليبة وأرض جبل عامل المحتلة المقهورة.

منذ مائة عام ونحن نقاوم المشروع الصهيوني الهادف إلى تثبيت شرعية احتلاله لفلسطين. وهذا المشروع أصبح اليوم دول كبرى مسلحة بأنياب نووية وهو يستهدف تطبيع نفسه وعلاقاته مع العرب والمسلمين بصيغته الاستحواذية الاستيطانية، وبصلفه وغروره، وبالدعم الاستعماري له، وبالتواطؤ أو الصمت الدولي المخجل والمعيب..

إننا نواجه هذه الحركة الصهيونية وهذا المشروع الاستعماري بروح عاشوراء.. روح الوحدة والتضامن، روح التضحية والفداء، روح الهجرة نحو العدل والحق في كل زمان ومكان.

إننا نكرر في هذا العام ما سبق وقلناه في الأعوام الماضية. إن من ثوابت المشروع الذي نقترحه دائماً التوافق العربي الإسلامي على أمور ومسلمات ثلاث:

أولاً: وعي أنه لا توجد سلطة في العالم تملك أية مشروعية تخولها تهويد فلسطين وخاصة القدس أو أي بقعة من الأرض العربية لتحولها إلى اسرائيلية وصهيونية بنزع هويتها العربية عنها، لا توجد سلطة في العالم دينية أو سياسية مخولة بذلك على جميع المباني الفقهية المعروفة في الشريعة الإسلامية، نحن

ندرك أن هناك أمراً واقعاً نما وينمو ولكن الأمر الواقع لا يغير الحق فيجعله باطلاً ولا يجعل الباطل حقاً ولا يجعل من حقيقة الشيطان أمراً يجوز التعامل معه والخضوع له.

ثانياً: إن قضية القدس هي أكبر وأهم الثوابت في مشروع المواجهة الهادف للاحتفاظ بهويتها العربية السياسية والحضارية، من دون أن يعني ذلك حرمان أحد من التواصل مع مقدساته فيها، وبهذا الصدد فإننا نعيد التذكير بمؤتمر القدس الذي عقد في بيروت قبل سنتين، ونعمل لإعادة عقد هذا المؤتمر في هذا الصيف لتأكيد الثوابت الإيمانية التي يلتقي عليها المسلمون والمسيحيون ولبلورة نظرية الدفاع عن القدس واستعادة القدس.

ثالثاً: تطوير العلاقات العربية ـ العربية والعربية الإسلامية بإنشاء سوق عربية مشتركة تعبِّر عن التكامل الاقتصادي ومن ثم السياسي بين الدول العربية، للحيلولة دون سيطرة المشروع الصهيوني على اقتصادات الدول العربية، وفي هذا الصدد، وكما ننظر بارتياح كبير إلى بوادر مشجعة وواعدة في عودة التضامن العربي على أُسس واعية، فإننا نعبر عن ارتياح كبير وعميق في عودة التفاهم العربي ـ الإيراني والتقارب العربي ـ الإيراني الواعي في سبيل قضايا العرب والمسلمين وفي سبيل تعميق وتقوية موقف الممانعة وموقف الحصانة ضد المشروع الصهيوني والمشروع الاستعماري في المنطقة.

إن عودة التضامن العربي، وعودة التفاهم العربي الإيراني، والسير باتجاه تحقيق المزيد من التفاهم والتعاون في العلاقات بين الدول الإسلامية، ما كان ممكناً أبداً لولا الصمود اللبناني ـ السوري ولولا روح التعاون والتفاهم والاخوة بين لبنان وسوريا. إن هذه الحقيقة تاريخية ينبغي أن توعى وتُسجل.

لقد حقق هذا الصمود المشترك وهذه الممانعة العربية نتائج مهمة لا يُستهان بها، إن على مستوى التضامن العربي الفاعل الذي أوقف مغامرة الحرب ضد العراق، أم على مستوى التضامن الإسلامي على قاعدة مقررات قمة طهران.. كما أنتج مؤخراً موقفاً عربياً واضحاً وحاسماً في دعم لبنان وسوريا بمواجهة الابتزاز الإسرائيلي والمناورات الهادفة إلى الالتفاف على المنجزات

الراسخة التي حققها الصمود، وحققتها الوحدة الوطنية، وحققتها المقاومة.

إن الموقف العربي الحاضن والمتضامن، والموقف الإسلامي والدولي المتفهم والمتعاطف، هما خير دليل على صوابية موقفنا اللبناني الرسمي والشعبي الداعي إلى تنفيذ القرار ٤٢٥ دون قيد أو شرط.

ونقولها مجدداً اليوم، وبالفم الملآن، ونحن أدرى بمأزق أوسلو وأدرى بمأزق كل عملية ما يسمى بالسلام وبالتسوية، نقولها من لبنان وسوريا وفلسطين ومن مصر والسعودية وايران ودول المغرب والمشرق والخليج. فلينسحبوا طبقاً للقرار ٤٢٥ ولن يقف أحد في طريقهم لحظة واحدة.

هذا هو عمق المسألة لأننا لا يمكن أن نقبل الطرح الإسرائيلي كما يقدم الآن، وكما تحاول إسرائيل أن تسوقه. لقد بدأت المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي للبنان وستستمر هذه المقاومة إلى أن يتحقق الجلاء الكامل غير المشروط كما هو نص قرار الأمم المتحدة، وبحيث نأمن نحن أن لا يكون بلدنا وأن لا تكون سماؤنا وأرضنا وبحرنا مركزاً للوثوب على سوريا.

إن عناصر الغدر والخبث وعناصر الفخ في الطرح الإسرائيلي جلية واضحة لا تحتاج إلى ذكاء كبير لاكتشافها، ومن هنا فإننا لا نستطيع أن نقبل أبداً أي تواطؤ في الداخل أو أي لامبالاة في الداخل مع الطرح الاسرائيلي ومع المضمون الإسرائيلي.

إننا في الوقت الذي نحصِّن فيه أنفسنا عن روح المغامرة، فإننا نمتنع إطلاقاً عن أية مساومة مع المشروع الإسرائيلي بأي تجلٍّ من تجلياته ومهما وُضعت له من مقبلات.

أيها اللبنانيون.. أيتها اللبنانيات

نواجه في الأسابيع المقبلة إحدى أهم وأعظم اختبارات وطنيتنا واختبارات عقلنا وكفاءتنا والتزامنا الوطني والإنساني وهو الانتخابات البلدية المزمع إجراؤها، ليس عندي أي تمنٍ خاص سوى خطابي للبنانيين جميعاً في أن يعتمدوا كفاءة من يختارونهم ونظافتهم وحسن تمثيلهم وصدق تمثيلهم، لا بد

من حسن التمثيل ولا بد معه من صدق التمثيل، لا بد من الابتعاد عن العصبية الحزبية والطائفية والمذهبية. ولا بد من اخراج البلديات ومؤسسات التمثيل المحلي والشعبي من حقل التجاذبات السياسية والحزبية المدعومة بسلطة المال وسلطة السلاح وسلطة الهيمنة السياسية وهي سلطات لا تزال تمارس دورها هنا وهناك. تارة بصورة منظورة وتارة بصورة غير منظورة، هذا الأمر الأول.

والأمر الثاني هو المراعاة الكاملة للتمثيل المتوازن للمواطنين اللبنانيين المسيحيين والمسلمين، ولذلك ففي كل حي ومنطقة وبلد وقرية يكون فيها لبنانيون مختلطون مسيحيون ومسلمون فلا بد أن يتمثل الجميع تمثيلاً متكافئاً متساوياً للجميع، ويا حبذا لو أن الفئة الأقل يكون لها ممثلون أكثر في هذه المجالس البلدية للتعبير عن الثقة والاعتماد.

أيها الأعزاء جميعاً، إن هذه الانتخابات تعكس واقعنا وتستشرف مستقبلنا والعالم يراقبنا وستكون برهاناً للعالم على مدى نضجنا، وعلى مدى خروجنا من الفتنة التي عصفت بنا في العشرين سنة الماضية.

ورغم مضي أكثر من ثماني سنوات على اتفاق الطائف والدستور الجديد، فإننا لا نزال نخطو خطوات متعثرة على طريق إعادة تكوين المجتمع وإعادة إعمار البلاد، وتحقيق مشروع الدولة الجامعة المتوازنة والعادلة.

إننا في آخر أيام عهد رئاسي وفي مرحلة استشراف ملامح صورة العهد الجديد، نواجه مهمتين صعبتين وكبيرتين في بنائنا الوطني:

إحداهما تتعلق باستكمال بناء الدولة ومؤسساتها وإعادة الاعتبار إلى القانون عند المواطن وعند المتنفذين وإعادة احترام القانون والأمانة عليه عند الموظفين والذين يتولون تنفيذه.

والمهمة الأخرى هي تحصين الذات، تحصين الدولة أمام المشروع الصهيوني بكل تجلياته وتقلباته التي تستبطن دائماً روح العدوان.

أيها الإخوة الكرام

تمثل الثورة الحسينية إحدى أعظم التعابير الإنسانية على مستوى الاحتجاج ضد الظلم وضد الامتيازات وضد التمييز، إنها ثورة إنسانية بكل معنى الكلمة لم تكن من أجل بيت الإمام علي، أو من أجل الهاشميين، ولا من أجل العرب، أو من أجل الموالي، أو من أجل المسلمين وحدهم، بل كانت من أجل الإنسان الذي يسحقه النظام السياسي في تمييزه وفي نظرته المتفاوتة، كما أنها كانت في الوقت نفسه تعبيراً عن الاحتجاج على تزوير الإرادة واستلاب الحرية، كانت تتحرى الصدق في التعبير والصدق في السلوك، هي لم تكن ثورة من أجل السياسة فقط أو من أجل الاقتصاد فقط، بل كانت قبل ذلك ثورة من أجل سلامة الاعتقاد وطاهرة الإيمان وحفظ الشريعة، وهذا أمر يعني المسلمين وفي بعض مراميه المسيحيين، حينما يحوّل النظام السياسي الاعتقاد الديني إلى سلعة وإلى مجال لتزوير فإن الأمر يتعدى الإسلام نفسه ليصبح شأناً إنسانياً عاماً.

إن الثورة في بعدها الاعتقادي وفي بعدها الاجتماعي وفي بعدها السياسي كانت تحمل السمات الإنسانية العامة، ومن هنا ندرك المأزق الذي وضعت فيه ذكرى هذه الثورة حينما تحولت إلى صيغة من صيغ التعبير داخل فئة معينة أو داخل مذهب معين، ومن هنا ثنائي وتقديري للتقليد الذي جرت عليه الجمعية الخيرية العاملية بإتاحة الفرصة للتعبير عن عمومية وشمولية هذه الثورة حينما تشرك في ذكرى هذه المناسبة مسلمين من جميع التيارات ومسيحيين أيضاً، ومن هنا حاجتنا إلى استعادة هذه المناسبة في لبنان الآن لندرك معنى العمومية في حياتنا ولئلا نجعل العام خاصاً ونجعل الخاص عاماً.

إن مشكلتنا في لبنان وفي كل مكان أننا نخصص العام فنجعله ملكاً لقبيلة أو لشريحة من المجتمع أو لمذهب أو دين، ونعمم الخاص بكل ما يحمله من خصوصيات فنجعل منه شيئاً عاماً وهذا يسبب شتى الأمراض والارتباكات والتفسخات في المجتمع.

إن هذه الرؤية تنقلنا إلى مجال آخر وهو أننا بحاجة إلى تصحيح مفاهيمنا وإلى اعادة تشكيل رؤيتنا لمجتمعنا ولمحيطنا وللعالم، إن المعطيات المعاصرة

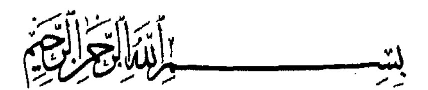
في الاجتماع والسياسية والمعرفة هي منطلقات لأزمات ومخاطر تُلِم بالاجتماع الوطني وبالاجتماع الإنساني.

إن أفكار هذه الثورة وقيمها ينبغي أن تكون هادياً ونبراساً لنا لإعادة تشكيل مفاهيمنا وتصحيح مسارها وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيعة ليسوا أقلية[1]

١٧/٠٤/١٩٩٩م
١/٠١/١٤٢٠هـ



والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين السلام عليكم أيها الإخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته.

نستقبل سنة هجرية، نستعيد فيها مبيت علي(ع) على فراش الرسول(ص) الذي كان مَعلماً كبيراً من معالم الاستشهاد، وكانت الهجرة التي شاءها الله انطلاقاً للإسلام من أسره وحصاره من مكة، وانطلاقاً للمسلمين من أسرهم إلى دنيا الله الواسعة التي تلقت نور الله في الإسلام.

بعد ستين عاماً من الهجرة، ومن مبيت علي (ع) على فراش الرسول مقدماً نفسه ضحية في سبيل الإسلام، تتجدد هذه الهجرة بخروج الإمام الحسين (ع) من مكة إلى كربلاء في سبيل الغاية والهدف نفسه، وإذا كان الأب بات على فراش رسول الله، فإن الابن هجر الفراش والدعة والأمان ليتمكن من تحقيق مسيرة رسول الله (ص) والإمام علي (ع) والمسلمين الأولين في حفظ هذا الدين من تزوير المزورين واستغلال المستغلين.

إن الإسلام يتعرض لثلاثة أخطار:

---

(١) ألقيت في قاعة الاحتفالات الكبرى في المجمع العلمي الثقافي ـ مستديرة شاتيلا.

أولهم خطر التزوير في أن يفسر الدين بما ليس فيه، ويخضعوه لقواعد وأساليب تحرفه.

. والخطر الثاني هو التضليل، وهو استخدام الدين في سبيل الغايات الباطلة.

والثالث: الاستغلال.. في أن يتحكم البعض باسم الدين في رقاب الناس.

إن هذه الأخطار دائمة، ويمكن أن يتحول الإسلام عند بعض الناس والجهات والحكومات والقوى والناطقين باسمه إلى موضوع للتزوير ووسيلة للاستغلال والتضليل.

نحن نواجه خطر التزوير والتضليل والاستغلال، ونحن دائماً بحاجة إلى أن نفهم كيف طبق الإسلام وعمل به من قِبَل الناس برعاية المرجعية الصحيحة وهم الأئمة المعصومون الذين قال الله فيهم ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1] وفي سورة المباهلة: ﴿ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾[2].

وقال فيهم ما لا يحصى عدداً من الأحاديث والنصوص على لسان رسول الله (ص) باعتبارهم سفينة النجاة والمثابة إذا رجع إليها الناس اهتدوا، وإذا تخلفوا عنهم هلكوا.

إن إقامتنا لهذه المجالس هي استضاءة في طريقنا وتأكيداً لمنهجهم.

طريقنا في يومنا هذا وفي بلادنا وسائر بلاد العرب والمسلمين يحمل جملة من القضايا التي يجب أن نراها رؤية واضحة، وأول قضية في العالم العربي والإسلامي، وفي كل بلد بمفرده هي قضية وحدة المسلمين، ووحدة المسلمين في كل بلد، هذه القضية هي التي شكلت الأساس لنهضة الإمام

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

الحسين (ع) ودائماً كانت وحدة المسلمين هي المطلب الأساس، وكم ضحّى أهل البيت جميعهم في سبيل القضية الكبرى، وهي قضية وحدة المسلمين، الوحدة التي تصون وتعصم وتعطي القوة لكل اجتماع إنساني، وهي الوحدة التي قال الله فيها: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾(1) هذه الوحدة هي القضية الحسينية الأولى التي يجب أن يكون هذا المجلس عنواناً لها.

ومن هنا لا يجوز أن يكون هناك خلاف حول هذه المجالس لأن الإمام الحسين ليس إمام الشيعة أو أي مذهب أو فرقة.

وحينما نهض الإمام الحسين لم تكن قد تأسست المذاهب، وكان الناس كلهم مسلمون، وكانوا شيعة أهل البيت (ع)، وكان الشذاذ هم الذين خرجوا على ولاء خط أهل البيت، وكانت حكومة يزيد هي الخارجة عن حكم المسلمين.

إن الغرب بشتى مظاهره يراهن على تفكيك وحدة المسلمين تحت ستار السنية والشيعية، أحذِّر من الوقوع في فخ الشيعية والسنية التي قد تكون ناتجة عن غش أو ضبابية أو فخ من فخوخ المستعمرين، وتارة يحاولون التفريق تحت ستار الأقلية والأكثرية.

الشيعة ليسوا أقلية في العالم الإسلامي أو العربي وإذا كانت قضايا المذهبية تجعل من كل فئة أقلية، فلماذا يكون الشيعة أقلية هنا ولا يكون غيرهم أقلية؟

في المجتمعات الإسلامية يوجد مسلمون، وتوجد أخطاء وسوء سلوك، وسياسة في بعض الأنظمة كما توجد في الماضي، وهذا لا يبرر بوجه من الوجوه تقديم الشيعة إلى العالم على أنهم في هذا المكان أو ذاك على أنهم أقلية.

وفي داخل الإسلام لا نفهم أن هناك أقلية أو أكثرية، ولا نسلم بهذا المنطق بوجه من الوجوه وأنا أحارب كل دعوة تريد أن يعامل الشيعة على أنهم أقلية وتستجير بالمؤسسات الدولية، وتريد لهم أن يعاملوا على أنهم أقلية

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

ليعاملوا كأقليات، هذا الأمر يتنافى مع صميم اعتقادنا، قد يتعرض الشيعة هنا أو هناك للظلم، ولكن علينا أن نعي أن بعض المسلمين يعاني الظلم هنا أو هناك.

ما يجب أن يتركز عليه العمل والتوجيه هو أن نعالج عيوب مجتمعاتنا وأنظمتنا وما ينقصنا في مجال الحريات والتعددية وفي مجال احترام الآخرين، وهذه ظاهرة عامة نشترك فيها جميعاً، ليس فيها أقليات أو أكثريات.

آمل أن تكون هذه النقطة موضع عناية من قبل علماء الدين والمفكرين والعاملين في الحقل السياسي والاجتماعي.

لن أوافق على أي تصرف في أي مجتمع إسلامي بروح الأقلية والأكثرية، لأن علة المسلمين في العالم العربي وغيره لم تكن قضية أكثرية وأقلية، وأكبر مثل وأعظم مثل على نقض هذه النظرية غير الصحيحة هو الإمام الحسين، الإمام الحسين كان ممثلاً الأكثرية الساحقة بكل المعايير والاتجاهات الفقهية والسياسية، ولكن بكل أسف الأمة الإسلامية وقعت في قبضة فئة منظمة وضعت يدها على أساليب القوة واستغلت التفرقة، الإمام الحسين وقع ضحية لحكم الأقلية، وهذه النقطة يجب أن توعى، فالوحدة هي التي تنقذ وتحصن وتصون.

إن الإمام الحسين لم يقتل رغماً عنه وكان مظلوماً قوياً وقادراً على التغيير.

أما في لبنان فنحن نواجه جملة من القضايا:

الأولى وهي قضية الإسرائيليين التي تشكل وحدة اللبنانيين قوتها الغالبة وهي التي أوجدت الحقيقة وعلينا أن نتحد حول مشروع التحرير بالمقاومة والصمود الجهادي والتعبئة وإرادة الانتصار على قاعدة الوحدة.

أشكر الله تعالى على توافق إرادة الدولة والشعب والحكومة والجيش وإرادة الجميع، وأرى من المناسبة أن أنوه بزيارة الرئيس لحود إلى قانا التي كانت تعبيراً عن هذه الروح المباركة التي رأى فيها اللبنانيون جميعاً تجسيداً لهذه الإرادة، فهو ذهب من القصر الجمهوري إلى أضرحة الشهداء، وتحدث عن الثبات والمواجهة والتوحد الصارم والناجز مع سوريا والرئيس الأسد، وعن

الاستمرار على خط المواجهة للعدو الصهيوني.

أرنون كانت حرة بمقدار ما كان لبنان حراً من الاحتلال، واحتلها الصهاينة احتلالاً مباشراً وحررتها إرادة شباب لبنان، وستتحرر أرنون وكل أراضينا، ولكن ما أراده الصهاينة من تحصين أنفسهم بأرنون فسيرون بأنه لن تحميهم ولن تنخفض عمليات المقاومة.

إن هذا العدوان الجديد لن يعود عليهم إلا بالفراغ والخواء، من هنا نقول إن الحكومة اللبنانية مع كل ما تملك من قوة شعبية يجب أن تتصرف بهذه القوة ليس في لجنة اتفاق نيسان، بل على مستوى الأمم المتحدة، ولتكن أرنون كربلاءنا ولتتحول هذه البلاد إلى رمز للجهاد.

أما على المستوى الداخلي فإننا نريد من مسيرة الإصلاح السياسي والإداري والاقتصادي والتنموي أن تسير بحكمة وتبصر بحيث لا تكون هناك عجلة تسبب الأخطاء ولا يكون هناك بطء يخلق الشبهات والتأويل.

ونحن نستشرف أخلاقيات الإمام الحسين الذي كان رائد إصلاح حيث قال في وصيته (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي).

حينما نحيي هذه الذكرى لا نحييها من أجل البكاء، لا نخجل من أن نقول إننا نريد أن نبكي وأن البكاء من مقاصدنا، نحن مؤمنون وإنسانيون ونتألم لكل ما يستدعي الألم، وإذا كانت قلوبنا تتحرز حزناً للظلم في كل مكان فإن هذا الظلم يحرق قلوبنا، ونلاحظ ما تتعرض له الإنسانية من انتهاك فيما يتعرض له المسلمون في كوسوفو ونحزن لهم لأنهم بشر.

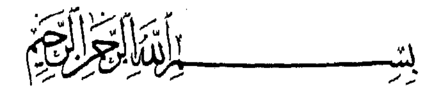
إن الظلم والوحشية التي تجري في كوسوفو من قوم يدَّعون أنهم ينتمون إلى الحضارة الغربية وأنهم متمدنون، يبيدون ويدمرون شعباً بكامله.

إننا نصل قلوبنا بالمثل الأعلى الذي يمثله الإمام الحسين في مواجهة الطغيان والظلم الذي مثله يزيد والذي تمثله الحكومات الجائرة التي تظلم في فلسطين وكوسوفو.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

البكاء على أهل البيت (ع)

١٨/٤/١٩٩٩م
٢/١/١٤٢٠هـ



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين.

والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته.

هناك مواضيع ثلاث: البكاء، كرم أئمة أهل البيت والشهادة، الشهادة التي تجلت في أعلى درجاتها في سيرة أهل البيت (ع) وفي مجاهدي الإسلام من عمار بن ياسر إلى جميع الشهداء في عصرنا، لقد كُتبت أبحاث كثيرة من قبل كتّاب يعتذرون فيها عن البكاء، ويقولون إن المآتم الحسينية يجب أن تنزَّه عن البكاء، ويجب أن نجعله مأتما عصرياً، وأن نركز فيه على جوانب الفكر، وألا نثير فيه جوانب العاطفة، وأن البكاء عادة مضى زمانها وهي من عادات التخلف، وعلينا أن نطور المأتم الحسيني ونجعله أشبه بالحفلات الخطابية.

إن كل ما قيل خطأ كبير في التاريخ والعقيدة والشريعة وفي طبيعة البشر.

لماذا يحارَب عنصر العاطفة والبكاء في المآتم الحسينية؟ ما هي الحكمة هل نستحي منها في البكاء على الإمام الحسين (ع)؟ هل يعتبر ذلك نقصاً في الإنسان المسلم إذا كان قلبه يتأثر بالفجائع الإنسانية بمعاني النبل والشرف والتضحية فتدمع عينه؟

الآن كل المخرجين الكبار في فن السينما بشكل أو بآخر يبحثون عن المؤثرات العاطفية التي تجعل في فيلم من الأفلام قوة تأثير عاطفية لأجل أن يجعلوا الفكرة التي يريدون تسويقها فكرة حيّة في قصة من القصص الحقيقية أو الخيالية، لماذا؟

هناك واقعتين في السيرة النبوية والسنة النبوية الثابتة بشكل قطعي والتي مارسها رسول الله ودعا الناس إلى ممارستها، إحداهما قضية فُجيعته بابنه إبراهيم حينما جلس على جثته وهو يبكي، ولما تعجب بعض المسلمين من بكاء رسول الله على ولده إبراهيم؟ قال كلمته الشهيرة: «يحزن القلب وتدمع العين ولا نقول ما يغضب الرب»[1]، قد يقال هذه قضية شخصية (أباً فقد ابنه) ولكن، الحسين وآله أليسوا أباءً لنا؟

ونذكر قصة حمزة بن عبد المطلب (عم رسول الله(ص) ـ شهيد أُحُد) حينما عاد المسلمون من أحُد بعد أن دفنوا قتلاهم ودفنوا حمزة في المدينة المنورة، وعقد نساء الأنصار في كل بيت من بيوتهم مجلس بكاء ونَوح على قتلاهم، سمع رسول الله نوح النساء في المدينة وتساءل، قالوا له إن نساء الأنصار والمهاجرين يبكون قتلاهم في أُحُد، ومرَّ (ص) على بيت حمزة فوجده ساكناً، فقال(ص) بوجع وحزن على مسمع المسلمين: «ولكن حمزة لا بواكي له»[2].

المآتم على شهداء أُحُد كانت عائلية، ولم يعقد مأتماً عائلياً لحمزة، فانعقدت مجالس المدينة كلها، ولم تَنُح أنصارية أو مهاجرة على قتيلها أو ابنها أو أخيها إلا بعد أن تبدأ بالنوح على حمزة، وتحول المأتم من كونه مأتماً خاصاً، وجُعِل منه مأتماً عاماً للمجتمع الإسلامي.

لماذا حوّل رسول الله حمزة إلى رمز عام؟ هل أراد أن يغذي حالة

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٤٣، وسلم في الفضائل حديث ٦٢، وابن ماجه في الجنائز باب ٥٣، وأحمد في المسند ٣/ ٢٣٧، ٢٥٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ٥٣، وأحمد في المسند ٢/ ٤٠.

شخصية في نفسه؟ حاشاه ذلك، إن الرسول أراد أن يُأصِّل أن معنى الشهادة أكبر من معنى الموت، وإذا كان الموت مصيبة خاصة لكل بيت فإن الشهادة مصيبة عامة في الأمة والمجتمع، وإذا كان الأهل يبكون ميِّتهم لأنهم فقدوا حبيباً، فإن على الأمة والمجتمع أن تبكي الشهيد لأنها فقدت رمزاً، ولأنها فقدت طاقة، وكسبت بشهادته طاقة أيضاً.

لا نخجل أبداً أن نبكي هذا البكاء العزيز النبيل، بكاء الشرف والإباء والحضارة الإنسانية التي يخفق قلبها وضميرها لكل معاني التضحية والفداء، وغدت كلمات رسول الله سُنة جرى عليها أهل المدينة لأعصار طويلة حتى بعد وفاة رسول الله، فإذا مات ميت تبدأ النائحة ببكاء حمزة وبعد ذلك تبكي ميتها.

هذا الخلق الكريم خلق يقوِّم المأتم الحسيني، وسنجرد المآتم من إحدى خصائصه وقوته التربوية إذا جردناه من هذا المضمون العاطفي الشريف.

أوصي سائر المسلمين والمسلمات أن يُعنوا بهذه النقطة، وألا يقعوا بفخ الخديعة، فخ ما يسمى النظرة العصرية إلى المأتم الحسيني، لأن يكون اجتماعاً كريماً ويستفيد الناس من مغزى المأتم لدراسة أمورهم وقضاياهم ومشاكلهم، وأن يكون هذا المأتم مدرسة تربوية، وأما إذا أزلنا عناصر هذه العاطفة والعلاقة الروحية مع الحسين وخط أهل البيت، فماذا يبقى؟ أن تقرأ مقال في جريدة ونقول: (أقمنا عزاء الحسين).

إن من الأخلاق الحميدة والمحمودة التماس فضائل أهل البيت وكبار الصحابة، ومن جملة الأخلاق الكبيرة التي عرف بها العرب والمسلمون عموماً وجميع الناس هو الكرم في مقابل البخل والشح.

هؤلاء العظماء (النبي وآله) كانوا كرماء بالمال، كانوا يبذلون ما عندهم للناس، والبخل صفة قبيحة وخلق ذميم كانوا منزهين عنه.

إن القصص التي تنسب إلى الإمام علي والإمامين الحسن والحسين (ع) إلى عطائهم، وأن الإمام الحسن استعمل الذهب في إعداد الطعام وغير ذلك، هذه القصص نحن نميل إلى تكذيبها وإلى اعتبارها قصصاً موضوعة ومختلقة

بداعي الحب، ولكن (من الحب ما قتل)، أن الحب الغبي الذي ينسب إلى إنسان محبوب فضيلة؟ هي صورة فضيلة، وواقعها ليس الفضيلة، كان النبي كريماً، وكان أئمة أهل البيت كرماء، الكرم النبوي والعَلوي والفاطمي والهاشمي هو الكرم الذي صوَّره القرآن والذي قال الله عنه في وصف المؤمنين الصالحين: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

إن الكرم الوارد في سورة الدهر الذي يمثل صورته أهل الكساء (أهل البيت) تمثَّل في آية ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾[2] إلى قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾[3].

إن الكرم الذي ظهر بعد استشهاد الإمام علي في ألوف بيوت الكوفة التي جاعت، واكتشف الناس أن الإمام علي وأعوانه كانوا يَصِلون الناس الفقراء والعجائز والأيتام والمعاقين، وفي جوف الليل دون أن يعرفهم أحد. واكتشف الناس كرم الإمام زين العابدين الذي كان يحمل المال والطعام والثياب على كتفيه في جوف الليل دون أن يعرف أحد حتى توفي، فعلم الناس أنه الإمام زين العابدين(ع).

إن كرم الأئمة لم يكن مثل كرم هارون الرشيد ومعاوية اللذان كانا يعطيان المال الكثير لشخص مدحهم، في حين أن كرم أهل البيت كان كرم الحكمة والإيثار.

إن كرم أهل البيت لم يكن خُلقاً يتصل بالعامل الشخصي وإنما كان خُلقاً يتصل بالوظيفة العامة، وكان الإمام علي والزهراء يستخدمون أموالهم بحكمة ويعطون الفقراء طعامهم ويجوعون، إن الكرم الذي مارسه أهل البيت هو إنفاق المال العام والخاص بحكمة ودراية تصيب فقراء وبسطاء الناس، لو جمعت كل

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ١.
(٣) سورة الإنسان، الآيتان: ٨ ـ ٩.

قصص الكرم عند أئمة أهل البيت قد توازي جائزتين من جوائز معاوية، فهل معاوية أكرم، طبعاً لا، إن الكرم أن تنفق مالك بحكمة في مواضعه.

أما بالنسبة لموضوع قانا التي استشهد فيها نساء ورجال وأطفال، تحمل ذكراها كما ذكرى شهدائنا، ظلامة عالمية بلا ريب.

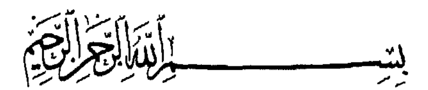
إن هذه الحضارة البربرية التي تذبح الآن أطفال كوسوفو، هي نفس الحضارة التي شردت وقتلت شعب فلسطين ولبنان وقتلت شهداء قانا، هذه الحضارة تدّعي أنها عنوان التقدم، هي عنوان الهمجية، فلنجعل قانا عنواناً لهذه الحضارة، ولا ننسى أن نقول لشهداء قانا ولسائر شهدائنا الأبرار: السلام عليكم يا ثأر الله، كما نقول السلام عليك يا أبا عبد الله يا ثأر الله، فهؤلاء الذين يقتلون بهذا النوع من الظلم الهمجي هم ثأر الله، والطالبون بثأر الله هم الأبطال الأبرار المجاهدون في كل زمان ومكان.

لقد كان الحسين مطالباً بثأر الله ممن ظلم وبغى واعتدى على الأمة حتى غدى ثأراً كبيراً لله، فإن هؤلاء الشهداء هم ثار الله أيضاً، نعاهدهم بعد عهدنا لرسول الله أن نبقى على هذا الطريق إلى أن يتحرر الجنوب والبقاع الغربي من رجس الاحتلال ومن دنس الصهيونية.

حفظكم الله ورزقنا فهم معنى الثورة الحسينية ومعنى سيرة أهل البيت(ع) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مجالس عاشوراء، ليس بدعة

١٩/٤/١٩٩٩م
٣/١/١٤٢٠هـ



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ونسأل الله أن يجعلنا جميعاً منهم.

أيها الإخوة العلماء الأجلاء والإخوة والأخوات الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نجدد في هذا اليوم الثالث من شهر محرم صلتنا بذكرى الإمام الحسين فنعيد تذكرها وعيشها بأفكارنا وقلوبنا وعواطفنا، وليس بأفكارنا فقط، كما حدثتكم عن ذلك يوم أمس.

في هذا اليوم أحدثكم عن سؤال هو لماذا تكرار هذه الذكرى سنة بعد سنة، ولماذا إدمان الناس على إقامتها وإحيائها، وهل هذا من الإسلام بشيء، وهل لهذا أصل في كتاب الله سبحانه وتعالى، كما تساءلنا عن الدموع وعن شرعية البكاء، ونطرح السؤال، لماذا تتكرر هذه المجالس على مدى القرون، وفي كل يوم تعقد هذه المجالس في البيوت والحسينيات والمساجد، ويجري فيها ذكر أهل البيت (ع)، هل هذا بدعة أو شرع؟ هل هذا العمل من البدع؟ أو هو من الأمور المشروعة؟ هذا السؤال يطرحه البعض حديثاً وقديماً، تارة بنقد

أساسي لأصل هذه المؤسسة، مؤسسة مأتم الحسين، وتارة في نقده يزعم أصحابه وأهله أنه بهدف تهذيب المأتم الحسيني.

في الجواب على هذا السؤال أعيد الجميع إلى كتاب الله، إلى القرآن الكريم الذي هو أساس الإسلام وأساس عقيدة الإسلام وشريعته، وأساس أخلاق الإسلام، هذه الدوائر الكبرى الثلاث في الدين الإسلامي أساسها القرآن، ترى هل لهذه المؤسسة أصل في كتاب الله؟ وهل لهذه المؤسسة (مؤسسة المأتم) اصل في سنة رسول الله(ص).

أما في كتاب الله نعود جميعاً إلى كل ما ورد في الكتاب العزيز من آيات كريمة حدثنا الله فيها عن الماضين وعن الخيرين وعن السيئين وعن الأخيار والأشرار، وحدثنا فيها عن أيامهم التي سماها أيام الله، حدثنا عما جرى في الأسرة الأولى أسرة آدم، وحدثنا عن أسرة نوح وما جرى بعد ذلك عن أسر أنبياء وغير أنبياء، وما جرى بين الأنبياء وأقوامهم. جانب كبير من الوحي القرآني يدور حول تاريخ الإنسانية بمسيرتها الإيمانية (العقائدية والتشريعية) وفي كثير من المواقع في هذا السرد التاريخي، يقول الله تعالى لرسوله الأكرم ولغيره من الرسل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[١] ويأمرنا في هذه المواقع أن نستعيد هذا التاريخ ونتذكره. هذا الأساس نحن نعتبره أساس تشريعياً لهذه الذكرى ولغيرها مما ماثلها.

في السنة الشريفة، حدثتكم بالأمس عن سيرة رسول الله في شأن حمزة بن عبد المطلب، وتحدث الله عزَّ وجل وأهل البيت عن أحاديث كثيرة رويت عن رسول الله وأهل البيت تدور كلها حول استعادة هذه الذكرى أو غيرها من الذكريات لأجل إحيائها والتعلم منها، ومما يذكر في هذا الشأن، الحديث المشهور «أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا» خصوصيات هذه المجالس هي ذات أصل في القرآن الكريم، لا ريب في شرعيتها ولا في رجحانها والحاجة إليها.

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

إن صلتنا بالإسلام تتم عن طريق العلم والتربية، نحن نتعلم الإسلام ونعرف أحكامه وعقائده وأخلاقه وشرائعه، وهذا أمر يستوي فيه المؤمن والكافر، فيمكن أن يكون بعض المستشرقين من اليهود والنصارى عالماً بالإسلام كعلمائنا، ولكننا أيضاً نتربى على الإسلام فتكون حياتنا وأسرتنا ومجتمعنا وسلوكنا مع الناس ومع الطبيعة مطبوعة بالإسلام. هذه التربية تحصل بصورة مباشرة عن طريق الأسرة والمدرسة والكتاب، وتحصل بطريقة أخرى عن طريق المأتم أو المولد، ولقد تعارف بين الناس أن يحيوا في أوقات أفراحهم وسرورهم ما يسمونه المولد، وهي عادة طيبة مباركة ميمونة وهي عادة مشروعة قبل كل شيء. إن مولد الحبيب رسول الله وسائر الأولياء والموالي (علي والزهراء وأبنائهما) مؤسسة المولد أو المأتم هي الطريقة التي تنشأ العلاقة الخاصة الوجدانية والشخصية بين الإنسان المسلم وبين هؤلاء المقدسين الذين كانوا تجسيداً حياً للإسلام في سلوكهم.

من هنا فإن العلاقة التي تربطنا بهم هي ليست فقط علاقة فردية وشخصية وذاتية هي علاقة موضوعية، نحبهم ونواليهم ونتبعهم لأنهم مصدر ومنهج شرعنا ولأنهم المعالم التطبيقية الأولى لهذه العقيدة ولهذه الشريعة.

نحن نعتبر أن هذا المأتم أسسه رسول الله، وهذا المأتم وضع قبل أن يقتل الحسين، ووضعت أسس لهذا المأتم قبل أن تحدث كربلاء التي كانت مذكورة في مسيرة الإسلام وفي مسيرة التاريخ وفي صراعات البشر، من هنا الآية المباركة التي تكررت أكثر من مرة ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[(١)] ووردت هذه الحقيقة في نص أو نصّين آخرين. هناك علاقة شخصية سرية بين كل إنسان مسلم ـ رجل أو امرأة ـ وبين النبي وأهل بيته، ولكن ما هي طبيعة العلاقة الشخصية؟ هل هي علاقة خالية من المضمون؟

في اعتقادي أن هذه العلاقة وضعها الله لتكون أساساً في هذه المودة، المودة السرية قد تكون لها قيمة، ولكن المودة المعلنة التي لها قيمة أكبر والتي

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

لا شك أن الله أرادها من هذه الآية، هي المودة المعلنة باعتبارها نهجاً وطريقاً، وهي التي تعبر عن نفسها بالسلوك، ترى، هل السلوك هو نذر وإلقاء مال في قفص مقام السيدة زينب(ع) أو الإمام الرضا أو الإمام علي(ع)، وبالمناسبة نحن نبطل كل نذر في الأقفاص، وأرشد إخواني وأخواتي أن نذورهم لا تكون للأضرحة، وكل نذر لكل ضريح أو قفص نعتبره نذراً غير راجح، فليصرف هذا النذر على فقراء المسلمين في محالّهم، أو في إقامة شعائر وتكريم لمن نذر له.

في النذر، يصرف النذر على فقراء المسلمين، ومن نذر للقفص فليوزع المال على فقرائه أو فلينفق عن طريق الزيارة، وأنفقوه في إقامة المولد أو المأتم، هل التكريم هو في النذر أو الزيارة؟ كل مظاهر التكريم هي تعبير عن هذه المودة، وفي بعض ما ورد عن رسول الله(ص) متواتراً يقول ما معناه: أنه مخلِّف في المسلمين كتاب الله وعترته، ثم يقول: وانظروا كيف تخلفوني فيهما.. كيف نتعامل مع العترة، هل بالحب السري والصلاة على محمد وآله، أو أن نعلن هذا الولاء لأجل أن نحوِّل حياتهم إلى مدرسة ومؤسسة تربوية، هذا المأتم شرعيته ثابتة في كتاب الله، وهو على غرار الذكريات العظيمة التي قصَّها الله من سير الأنبياء والصالحين في أسرهم وأقوامهم، وفيما عاملهم به أقوامهم، وفي كونهم منهجاً تربوياً.

وحينما نتذكر الرسول والزهراء، نتذكر أئمة أهل البيت(ع) ومئات الألوف من أنصارهم وأتباعهم، وحينما نتوجه لزيارتهم إنما نمارس فعلاً تربوياً، لأننا بحاجة إلى إحياء القلوب بالسيرة، والتمثل بهذه السيرة.

من هنا فإن أئمة أهل البيت(ع) حضّوا على إقامة هذا المأتم الذي هو مؤسسة من مؤسسات المجتمع الإسلامي التي ليس لها مثيل، ويا حبذا لو عاد الأمر كما بدأ، ولو عاد هذا المأتم الحسيني مؤسسة من مؤسسات الأمة الإسلامية، ويا حبذا لو تغلبنا على كثير من وجوه النقص والقصور فينا واستخرجنا الجوهر الحي في حركة الإمام الحسين ونهضته، وفي خط أهل البيت (ع) وتحولت هذه المؤسسة شيئاً فشيئاً لتكون مؤسسة من مؤسسات الاجتماع الإسلامي، ولتكون مثابة يلتقي عليها وفيها المسلمون جميعاً

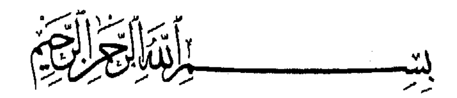
ويتطارحون فيها قضاياهم الحية الحاضرة التي تواجههم في صراعهم مع تخلفهم، وكانت ثورة الإمام الحسين أحد مظاهر الصراع من عوالم التخلف، وفي صراعهم مع عدوهم كما هو الشأن الذي نواجهه الآن مع الحركة الصهيونية أو حركة الاستعمار الحديث والمعاصر حيث يتمثل في شتّى أسواق المال والاقتصاد التي تريد أن تسولي على ثروات الأمة الإسلامية، على معادنها وموادها الطبيعية تحت قناع العولمة، أو تريد أن تطردها من هنا وهناك كما حدث في البوسنة والهرسك، وكما يحصل الآن في كوسوفو، وكما لا يزال يحصل في فلسطين وفي القدس التي هي محجة المسلمين والمسيحيين التي تتهود يوماً بعد يوم وتفقد عروبتها وتفقد إسلاميتها ومسيحيتها لأن المسلمين والمسيحيين لا يتوجهون إليها كما ينبغي أن يتوجهوا إليها، فلا يتوجهون إليها بالإرادة الصارمة التي لا تقبل المساومة، ولا تقبل بأنصاف الحلول، هذا الخُلق الذي وضع أساسه الإمام الحسين(ع) حينما قال: (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد).

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، نحن الآن في مجلسنا هذا نتبع أمر الله الذي امرنا بأن نتذكر وأن نحيي هذه الذكريات كما علمنا في كتابه العزيز، ويعبر بذلك تعبيراً حضارياً مكرماً عن مودتنا بالقربى واتباعنا له بإحسان.

والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثورة الحسين، ثورة على الأكثرية الصامتة

٢٠/٤/١٩٩٩م
٤/١/١٤٢٠هـ



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان، وعلى التابعين لهم بإحسان، والسلام عليكم أيها الإخوة العلماء الأجلّاء والإخوة والأخوات والأساتذة الكرام الأعزاء ورحمة الله وبركاته.

نستغفر الله ربنا ونتوب إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ونستعينه سبحانه وتعالى على طاعته، وعلى معرفة الحق والصراط المستقيم لأجل اتباعه والالتزام به على النهج الذي سنه رسول الله(ص)، وشرحه وبيَّنه أهل بيته الكرام في قولهم وفعلهم، ومن أعظم ما فعلوا هو سيرة حياتهم كما عاشوها مع الله تعالى ومع الناس، ومن أعظم هذه السير، سيرة الإمام الحسين التي توجتها مواقفه ثم شهادته في كربلاء، والتي نحاول أن نتعرف على وجوهها المختلفة وعلى علاقتها بحياتنا.

قلت في اليوم الأول من هذه المجالس، أن الحسين (ع) كان ينتمي إلى الأكثرية المسلمة، كان من زعماء الأكثرية، ومن قادة الأكثرية، وكان الحكم السفياني هو حكم الأقلية، وقد كانت هذه الأكثرية، أكثرية المسلمين ساكتة أو

مقموعة، إما ساكتة باختيارها أو مقموعة رغماً عنها، يمثل هذه الحقيقة ما سمعتموه من خطباء المنبر الحسيني العبارة الشهيرة الموحية (قلوب الناس معك وسيوفهم عليك) قلوب الناس هي إرادة الناس وهي ميول الناس، وهي شعور الناس بالحاجة إلى التصحيح، ولكن الناس ليسوا في حالة التأهب ليقوموا بواجبهم، من هنا كانت حركة الإمام الحسين الاستشهادية ليست فقط احتجاجاً على النظام السفياني الحاكم، كانت احتجاجاً على الأكثرية الساكتة والأكثرية الصامتة، لم تكن احتجاجاً على الحكومة السفيانية، يزيد وأعوانه وشرطته، بل كانت على الأكثرية التي في سرها لا توافق، ولكنها في علانيتها لا تعمل.

هذه هي مشكلة دائمة موجودة في المجتمعات، المجتمعات التي تعاني من الظلم ولكنها لا تغيره لأن كل واحد منها وكل جماعة منها لا تضحي في سبيل التغيير، تريد أن يحصل التغيير لمصلحتها من دون أن تتكبد أية خسائر، ومن دون أن تتحمل أية مسؤوليات، تكون النتيجة أن الأخيار يقتلون وأن الأشرار يحكمون، وأن تسود روح الضلالة.

هذا جوهر الموقف من ناحية ما يسمى الاجتماع السياسي.

الفتنة:

حينما يتفكك المجتمع ويفقد فاعليته ويفقد قدرته على التحرك، وحينما قيادات المجتمع تسقط وتشل تحدث هذه الظاهرة، الحسين(ع) قام بثورة، نحن نسميها ثورة الحسين، أو نسميها نهضة الحسين، ولكن بعض الشعارات التي سادت وانتشرت في ذلك الحين سمت حركة الحسين فتنة، سمتها خروج، جعلوا الحسين خارجياً، الخروج باصطلاح الفكر الإسلامي هو الفتنة، هو الخروج على الأمة، فرق بين الثورة وبين الفتنة، الفتنة تفرق الناس، الفتنة تأتي إلى الكلمة الواحدة فتفرقها، تدفع الناس إلى مقاطعة بعضهم بعضاً، وإلى محاربة بعضهم بعضاً وإلى معاداة بعضهم بعضاً، ابرز مثل عشناه واكتوينا بناره الفتنة في لبنان التي تحارب فيها اللبنانيون فيما بينهم، انقسم شعب لبنان إلى طوائف وغلى مذاهب وكل طائفة وكل مذهب أسس لنفسه حزبه الخاص،

وسلاحه الخاص، وأنشأ مؤسساته الخاصة، وبدأت الحرب الأهلية التي نعرفها جميعاً، مرة يستعمل فيها شعار الدين، ومرة يستعمل فيها شعار المذهب، أو يستعمل شعار الوطنية أو القومية، أو يستعمل شعار العدالة الإجتماعية ونصرة العمال والفلاحين وما إلى ذلك، وحصلت الفتنة التي دمرت لبنان وشردت شعب لبنان، سماها البعض حرب الآخرين على أرضنا، كأن اللبنانيين كانوا مجموعات من القديسين والملائكة، وجاء الناس من الخارج وحاربت بعضها بعضاً وهم جالسون في بيوتهم، لا، هي لم تكن حرب الآخرين على أرضنا، هي كانت حربنا نحن مع أنفسنا لأن المجتمع اللبناني المؤمن الطيب سلم نفسه إلى الخديعة، وسلم نفسه إلى الشعارات من دون أن يفحص عن شيء فوقع في الفتنة، وبدا الكل يظلم الكل، في لبنان كل الناس كانوا ظالمين، وكانوا مظلومين، والكل كانوا ضحية للفتنة المرعبة التي عصفت به.

الحفاظ على الوحدة:

هذه هي الفتنة، الفتنة تدمر كل شيء وتحرك في الإنسان أحط غرائزه وأحط أخلاقه، البعض في ذلك الزمان حاول أن يسمي ثورة الإمام الحسين فتنة، وقالوا عنه إنه من الخوارج، لأن المجتمع الإسلامي كان مجروحاً من حركات الخوارج، فأرادوا أن يشوهوا حركة الإمام الحسين فسمّوه خارجياً، وسموا حركته فتنة، الفرق هو أن الإمام الحسين حارب ليحافظ على الوحدة، الفتنة تحطم وحدة الأمة، أما الثورة تنطلق من وحدة الأمة، الأمة تكون مظلومة، مصادرة، محكومة بغير إرادتها، محكومة بغير روحها، مسلط عليها طغمة تستغلها وتفرق كلمتها، تأتي الثورة العادلة فتوحدها.

الإمام الحسين(ع) حينما كتب (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي) لم تكن الأمة فاسدة، الأمة الإسلامية كانت صالحة، ولا تزال الأمة الإسلامية حتى الآن صالحة، ولكن الأمة كان فيها فساد من رأسها، الفساد كان موجوداً من القمة، من الحكم، وكان هذا الحكم يريد أن يستغل الناس بالشعارات، يعني الحكم تحول إلى ميليشيا، الحكم الذي يجب أن يكون حضناً

للجميع تحول إلى عصابة، أمير المؤمنين(ع) في كتابه الشهير إلى مالك الأشتر، المعروف بعهد الأشتر، توجد فيه عبارة ـ وأنا أوصي جميع الإخوة والأخوات الأعزاء أن يعودوا إلى هذا العهد وأن يثقفوا أنفسهم به، وأن يجعلوه من مصادر معرفتهم وثقافتهم الإسلامية في الفكر السياسي الإسلامي، الإمام علي، هذا الإنسان الرباني العظيم يقول لمالك ما معناه (كنّ للناس أباً رحيماً ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً) الحكم السفياني تحول إلى سبع ضار، في الكرامة ينتهك الكرامات، في المال ينهب الأموال العامة، في علاقات الناس بعضهم مع بعض، يفرق بين الناس ويمايز بينهم، بدأت الفتنة من قِبل الدولة، بدأ الفساد من قِبَل الحكومة. مثلاً أنا أقول لكم أيها الإخوة والأخوات، كيف كانت هيكلية النظام؟ في الإسلام الله يقول: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1].

دولة البيت:

إن الأمة تتشاور فيما بينها وتدير أمورها. في البيت السفياني كان يوجد بيت بالقمة، قمة الهرم يوجد آل أبي سفيان، هذه هي القمة، بعد ذلك برتبة يوجد بنو أمية، هذه العشيرة الصغيرة، بعد ذلك يوجد مستوىً ثالث هم بنو عبد الدار، بعد ذلك توجد قريش، وبعد ذلك يوجد مُضَر وعرب الحجاز، بعد ذلك يوجد سائر العرب، وبعد ذلك سائر الناس، تحطم كل شيء في وحدة الأمة، لم تعد هناك أمة، أصبح هناك تنظيم قبلي عشائري يستأثر بكل شيء، توجد كلمة مشهورة لأحد ولاة العهد السفياني، كان يسمى العراق، هذا العراق العظيم يقول: (العراق بستان لقريش) ـ هذا العراق بطوله وعرضه وثرواته بستان لقريش ـ قالها في مقام الردّ على بعض المحتجين الذين كانوا يطالبون بالعدالة، جاؤوا يحتجون، فقال لهم لا قيمة لاحتجاجكم، العراق بستان لقريش وحديقة لنا، إذا بقي منها شيء تأخذونه، الدولة ملك للبيت، هذا الفساد لم يكن في الأمة، الأمة كانت صالحة، الفساد كان في الحكم وكانت ثورة الإمام الحسين على الحكم، ولكن في الوقت نفسه كانت ثورة الإمام الحسين إدانة للسكوت.

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

أيها الإخوة والأخوات أنتم تسمعون، وربما بعضكم يتساءل في سر نفسه ولا يجرؤ على طرح السؤال، أنه تتردد دائماً عبارة (هل من ناصر ينصرني، هل من ذاب يذب عنا) مرة تنسب إلى زينب(ع) وإلى غيرها، ومرة تنسب بصيغ متعددة إلى الإمام الحسين وإلى بعض أهل البيت مع الحسين، السؤال أنه إذا كانت الحركة استشهادية فما معنى هذا النداء؟ إذا كان هذا الواقع موجوداً فما معنى هذا النداء؟

أيها الأعزاء، هذا نداء الإدانة، هذا النداء الاحتجاجي ليس على ظلم الأمة بل على سكوت الأمة. حركة الإمام الحسين كانت ثورة في وجه فساد النظام وسكوت الأمة، تقابلها الفتنة التي تفرق الكلمة. هدف ثورة الإمام الحسين كان إلغاء الهرمية التي ذكرتها لكم، أنه في قمة الحكم والمجتمع يوجد بيت بني سفيان ثم بني أمية أدنى منهم بدرجة، ثم بنو عبد الدار أدنى منهم بدرجة، ثم قريش ثم عرب الحجاز، ثم العرب ثم سائر الناس ثم الموالي (المسلمين غير العرب)، الحكم لم يكن عنصرياً عرقياً فحسب، بل كان حكماً قبلياً عائلياً.

وحدة الأمة:

ثورة الإمام الحسين كانت تريد المحافظة على وحدة الأمة وتصحيح النظام في مقابل الفتنة التي تأتي إلى الأمة الواحدة فتفرق كلمتها. يوجد شعار إسلامي كبير وهو أن من شق عصا المسلمين، (العصا هي قضيب واحد يمكن أن يتوكأ عليها الإنسان) فإذا كانت العصا كما هي يمكن أن يتكأ عليها الإنسان وتحمل ثقله، وإذا شقت تكون ضعيفة، الأمة إذا انشقت لا يعود فيها خير ولا قوة فتضعف، الفتنة هي شق العصا، عصا المسلمين في زمان الإمام الحسين كانت واحدة وقلوب الناس معه، كل الناس يقولون: «نعم»، ولكنهم كانوا يحملون نفس الشعار الإسرائيلي: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾[1]، يريدون

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

مكاسب من دون تضحيات، يريدون حقوق من دون تحمل واجبات، ومنطق الحق من دون الواجب يؤدي دائماً إلى الدمار، وبكل أسف.

ثورة الإمام الحسين حققت أهداف عظمى لا تزال حية إلى الآن، ولكن على مستوى الحق والواجب بقي التخلف موجوداً في هذه الأمة، مطالبة بالحقوق من دون القيام بالواجبات، الآن أحد جوانب مدرسة كربلاء الإمام الحسين، هو أن نتعلم أن الثورة تحافظ على الوحدة لا يوجد إنسان يثور على الأمة، الثورة تكون على فساد يكون موجوداً في الحكم أو في بعض زوايا المجتمع. أما الفتنة فهي التي تفتت وحدة الأمة، الإمام الحسين ثار على فساد الحكم وعلى سكوت الأمة التي أدى سكوتها إلى أن الناس كانوا يبكون في بيوتهم ولكنهم لا يتحركون في الخارج، وكانت النتيجة أن هذه الحركة العظيمة سجلت هذا الموقف الذي تعلم منه المسلمون على مدى التاريخ، وأصبح هناك وعي عند الأمة ولم يعد الحكم مقدساً. قبل الإمام الحسين كان الحكم مقدساً وكان الحكم غير المعصوم أيضاً مقدساً، كان يعتبر منحة من الله، وبعد ثورة الحسين لم يعد الحكم مقدساً وأصبح مثل سائر الأشياء في المجتمع موضوعاً للنقد والمساءلة والاحتجاج. ما نحتاجه الآن في حياتنا الحاضرة هو وعي هذه الحقيقة وأن نعي منطق الحق والواجب.

الحق والواجب:

أيها الأعزاء، كلنا يريد تحرير فلسطين وأنا لا أشك في أن معظم المسلمين والعرب يريدون تحريرها، لكن لا يريد أن يبذل في سبيل تحرير فلسطين شيئاً كلنا يريد تحرير القدس ويشتهي أن يصلي في القدس ولكنه لا يريد أن يتحمل في سبيل ذلك شيئاً. كلنا في مجتمعاتنا ومنها مجتمع لبنان يريد الإصلاح السياسي ولكنه يتورط في الفساد السياسي، ويريد الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ولكنه يتورط في الفساد الاقتصادي والاجتماعي ويريد الإصلاح الإداري ولكنه يتورط في الإصلاح الإداري، فيكون قلبه مع الحسين وسيفه على الحسين. هذه العبارة التي قالها الشاعر التميمي (الفرزدق) هي عبارة مجازية

طبعاً (سيوفهم بالمعنى المادي لم تكن على الحسين) ولكن كان هناك خذلان وموافقة على الموقف وعدم مساهمة في المسؤولية. هذا المنطق الذي تقوم عليه صيغة التخلف الحضاري(أعطني حقي ولكن أنا لا أقوم بواجبي)، أريد خدمات عامة ولكني لا أدفع الضرائب، أنا أريد كهرباء ولكن لا أدفع ثمن الكهرباء، أنا أريد ماء ولكن لا أدفع ثمنه، أنا أريد سوق حرة ولكن لا أتحمل مسؤوليات السوق الحرة.

هنا يقال: إن الناس البسطاء يدفعون ثمن الكهرباء، والشركات العظمى والكبرى والكهرباء تنهب الكهرباء ولا تدفع ضرائب، أقول نعم، هذا فساد النظام، هذا أيضاً أنا أسلم بهذا، أسلم بأنه حينما يقال مثلاً جبايات الكهرباء فيها نقص بنسبة تقرب من الأربعين بالمائة، أنا أقول لهم قبل أن تفحصوا عن هذه الأحياء البائسة انظروا إلى أن المعامل الكبرى كيف تستهلك الكهرباء؟ هل تدفع الضرائب كاملة؟ هل تزوِّر دفتر الضرائب أم لا؟ إن الأرباح التي تبلغ المليارات كم يدفع عليها؟ هذه عقلية المطالبة بالحقوق ورفض تحمل الواجبات.

فساد النظام:

أيها الأعزاء نحن نقول، ونقول صادقين، مثل كل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء، هذه أنا لا أريد أن أفهمها بالمعنى العزائي أنه (أينما كان يوجد لطمية) لا، المغزى الحقيقي لهذه الحركة التاريخية العظمى، الحركة الحضارية موجود دائماً، كلما اختل نظام الحق والواجب كلما تولد من جانب ظلم وتولد من جانب آخر ظالمين، المسألة هي ليست مسألة قدرية أو غيبية، هي مسألة واقعية، المهم في اجتماعنا السياسي وفي اجتماعنا الوطني وفي حركتنا الاجتماعية أن نعي هذه الحقيقة، هؤلاء الألوف، عشرات الألوف الذين قاتلوا الحسين، هم كلهم أعداء لأهل البيت بالمعنى العاطفي؟ كانوا همجاً جرَّتهم هذه الروح الفاجرة التي كان فيها النظام، وإلا لماذا بكوا؟ لماذا ندموا؟ بكوا وندموا بعد ارتكاب الجريمة، بعد ارتكاب الجريمة لا ينفع البكاء، وبعد ارتكاب

الجريمة لا ينفع الندم، هؤلاء نتيجة فساد النظام وليسوا نتيجة فساد الأمة، النظام هو الذي جندهم وهو الذي أغواهم وهو الذي جعلهم في مقابل الأمة الإسلامية، في مقابل المجتمع الإسلامي نتيجة للعقلية التي تجعل أمة تفسد، وتجعل عصابة تتحرك، تحركت عصابة وجمعت نفسها، من نوع الكلام الذي سمعتموه وتسمعونه، وهو كلام عزيز ولكن البشر حينما تختل موازينهم تتحول إلى أحط من الحيوانات، وبالفعل الذي يوازن بين ولاية سخيفة حقيرة وبين الإخلال بأساس الاجتماع الإسلامي برمته، ويلتزم بقتل الإمام الحسين في مقابل ولاية، حينما تكون النخب هكذا، وهذا الرجل من هو؟ هذا الرجل ابن أحد كبار الصحابة، سعد بن أبي وقاص هو أحد كبار الصحابة الكبار الذين قادوا حركة الفتوح الكبرى، نتيجته هذا، هذا لا يمثل الجيل الثاني أو الجيل الثالث، أو الجيل الرابع، هذا يمثل الجيل الأول، إذا كان يوجد نخب، يوجد شخصيات من هذا المستوى، فماذا يكون شأن الناس الهمج الرعاع، كان شأنهم من جنسه، أن ابن زياد أعطاهم زيادات في رواتبهم مائة درهم، كيف جمعت الشرذمة التي حاربت الحسين في كربلاء؟ جماعة بلا إيمان وبلا تقوى، زاد في أعطياتهم ورواتبهم مائة درهم فتجمعوا، قادهم شخص من جنسهم بأنه زاد في عطيته أنه قال له (ستصبح والياً على منطقة الري) لو كانت روح المساءلة في الأمة، لو كانت روح الواجب موجودة في الأمة لما وجد هؤلاء.

الآن أيها الأعزاء في مجتمعنا الأمر أيضاً كذلك، لو أنه في سنة خمسة وسبعين مثلاً في لبنان، لو أنه في الجزائر بعد أن وقعت الفتنة، أو في أي مكان تحكمه الفتنة كانت توجد روح الواجب إلى جانب روح الحق، لبقيت الأمة سليمة ومتماسكة، وفي كل وطن وفي كل اجتماع، الحقيقة هي هذه، وهذا هو أحد الدروس الكبيرة التي تختزنها هذه الثورة العظيمة التي نسأل الله أن يجعلنا من طلابها الدائمين الأوفياء، رعاكم الله جميعاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثورة الحسين، ثورة على الذل[1]

٢١/٠٤/١٩٩٩ م
٥/١/١٤٢٠ هـ



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان وعلى التابعين له إلى يوم الدين جعلنا الله وإياكم جميعاً منهم .

أيها الاخوة والأخوات الأعزاء:

السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته.

أتوجه أولاً بالشكر إلى الله سبحانه وتعالى على نعمة التوفيق لهذا اللقاء، وقد كان قبل عام في مثل هذه الأيام وقبله كان قبل عام أيضاً في مثل هذه الأيام.

هذا اللقاء الذي ينتظرنا جميعاً في ذكرى من اعظم الذكريات، في ذكرى حدث هو من اعظم أحداث التاريخ الإسلامي، ولعله من أعظم أحداث التاريخ الإنساني.

هو وإن تقلبت به الأحوال حتى قلصته وجعلته حدثاً محاصراً، تحاصره

(١) ألقيت في الحسينية المحسنية بالشام (رجال).

اعتبارات طائفية ومذهبية ولا تخلوا الجماعات التي تدعي الصلة به أكثر من غيرها وهم جماعات الشيعة الأمامية .

من المسؤول عن هذا التقليص وهذا التضييق.

نلتقي في هذه الذكرى حول هذا الحدث الذي يمثل إحدى الذرى العالية لتصعد وتألق الروح الإنسانية.

في بلد هو دمشق وسوريا، يمثل في هذه المرحلة إحدى تجليات الروح العربية الإسلامية في مواجهة تحدٍ، لعله أكبر تحديات عصرنا للعرب والمسلمين، يتمثل بالحركة الصهيونية وفي مؤسستها الباغية المعتدية إسرائيل، ويتمثل في الانتهاك اليومي لحقوق العرب والمسلمين ولمقدسات العرب والمسلمين، مساجدهم وكنائسهم رجالهم ونسائهم مصالحهم وكراماتهم، ويمتد في لبنان وفي الجولان وفي أبعاد أخرى من العالم العربي.

انحصر عنها في الشكل، ولكنه لا يزال يتغلغل فيها بالمضمون في مرحلة تبدو الأمة فيها وكأنها مشلولة لا تبحث عن أسباب القوة وأسباب الممانعة وأسباب المقاومة بل تبحث عن وسائل التسوية والمسالمة، المسالمة التي تكون في بعض الأحيان شرف وكرامة ولكنها تكون في بعض الأحيان ذلاً ومهانةً واستسلاماً.

في هذه المرحلة ونحن جميعاً نتابع صباحاً ومساءً المبعوثين الذين يأتون إلينا من هنا وهناك من الولايات المتحدة ومن أوروبا ومن روسيا ومن بعض أسيا، نبحث معهم السلام، نبحث معهم أو يبحثون معنا بالأحرى التسوية التي هي اسم على غير مسمى لأن التسوية تكون بين ندّين يعطي كل واحد منهم شيئاً ويحتفظ بشيء.

أما التسوية بين غالب ومغلوب يأخذ الغالب كل شيء ويعطي المغلوب كل شيء، وفوق كل ذلك يعطي شريعة الجريمة، ويشرعن النهب الذي وقع ضحية له.

في هذا الزمن وفي هذه المرحلة نستعيد الآن ذكرى نهضة الإمام الحسين

(ع) في هذا البلد الذي يمثل بوجه من الوجوه بقيادته المتمثلة بالرئيس حافظ الأسد حفظه الله وبمن حوله، وفي مقدمتهم الجيش العربي السوري وبمن حولهم الشعب العربي السوري، يمثل العقبة التي لا تزال صلبة صامدة في وجه ما يسمى تسوية، ولو لم يكن من نتيجتها شيء إلا أنها جعلت هذه التسوية صعبة لكان في ذلك كسب للعرب والمسلمين.

أن تجعل خصمك يتعب ويعاني قبل أن يصل إلى مطلوبه ومرغوبه، هذا أيضاً وجهاً من وجوه الانتصار.

أن لا تستسلم أن يأكل الذئب الفريسة رغماً عنها. هذا أيضاً وجه من وجوه الانتصار في مقابل أن تقدم الفريسة نفسها للذئب.

في هذا البلد الذي مثل بقيادته التي تجاوزت سوريا عنصر الممانعة الكبير.

أستعيد معنى من المعاني التي انبعثت منها ودارت حولها ثورة الإمام الحسين (ع) لا أبايع التي عبر عنها برفض البيعة مع كل الفوارق في حركة الإنسان في التاريخ، الجوهر يبقى واحداً.

كيف يعبر عنه؟ كيف يتبلور؟ كيف يتعامل معه الناس بحسب ظروفهم وثقافاتهم هذه كلها ظواهر عرضية. الجوهر واحد، وهي طبيعة الموقف من النهب والاستلاب.

في هذا المعنى آمل أن نعي هذه الحقيقة.

يأتي المبعوثون فيذهبون إلى هنا وهناك، يجدون هنا في دمشق الإرادة الصلبة التي تقول لا والتي تطالب بالثمن وتطالب بالبدائل ومعها تلابسها وتساندها روح المقاومة في لبنان في كل لبنان وفي كل شعب لبنان في مسلميه وفي مسيحيه.

هذه المقاومة التي تتجسد بالمجاهدين وبالصامدين وبالمؤيدين والملتزمين بشروط المقاومة وبمنطق المقاومة.

هذه الحقيقة التي تعيد إلى أذهاننا كيف واجهت هذه الأمة الاستعمار. تعيد الذكريات الدامية والمجيدة معاً في ميسلون وأخوات ميسلون من أقصى العالم العربي إلى أدناه، من طنجة إلى عدن، بل من أقصى العالم الإسلامي إلى أدناه، من جاكرتا إلى عدن، تعيد إلى الروح هذا الألق الذي طالما افتقدته هذه الأمة وهو يتجلى الآن، ومن ثم فإن استعادة ذكرى الإمام الحسين في هذه الأيام في دمشق، معنى خاص.

تحية إلى شعب دمشق، وإلى شعب سوريا، وإلى جيشها، وإلى قائد العرب فيها الرئيس حافظ الأسد.

أيها الإخوة والأخوات:

نقول هذا لأن من حق الواقع علينا أن نعبر عنه، ولأن الله سبحانه وتعالى أرادنا أن نقدر لكل أنسان قدراً، وأن يسمع الأبرار عرفاناً للناس ببرهم، وأن يسمع الأخيار عرفان الناس لخيرهم.

ومن هذا الباب ندخل إلى بعض خلفيات وأسس نهضة الإمام الحسين (ع) وحركته.

وأكرر وأعيد الآن ما لعلي حدثتكم عنه في السنة الماضية وهو أننا نفهم هذه الثورة هذه النهضة التي انتهت باستشهاد الإمام الحسين (ع)، على أنها ليست مشروعاً سياسياً على ما يفهمه الناس من مشاريع السياسة، وليست حركة باتجاه الحكم والسلطة كما تعارف الناس على ذلك في الثورات والحركات الانقلابية، لم تكن هذا ولا من ذاك إطلاقاً.

ولم تكن استجابة لانفعال ولم تكن ثورة واحتجاجاً لكرامة شخصية.

لم تكن شيئاً من ذلك أبداً، لم يكن عند الإمام الحسين مشروع سياسي ناجز في مواجهة حكومة يزيد بن معاوية، وأقدر أنه لم يكن يتوهم أو يفهم أن الأمور يمكن أن تنتهي إلى شيء من ذلك إلى قريب من ذلك.

بل كان يعلم بوضوح كامل أنه يسير نحو الشهادة، وقد هيأ لمشروعه كل

أسباب الإثارة وكل عوامل الحرارة، وكانت حركته عملاً استشهاديا مخططاً له بوعي وبأعين مفتوحة.

وبعض من كان معه من خواص رجاله ونساءه كان يعي هذه الحقيقة، والذين لم يعوها في أول الطريق وعوها في بعض الطريق، وبالتأكيد وعاها الجميع في أخر الطريق.

نحن نتعامل مع حالة نادرة جداً من حوادث التاريخ الإسلامي، وليس التاريخ الإسلامي. عمليات الاستشهاد حدثت في تاريخ الإسلام مرات قليلة جداً، كانت محدودة جداً، لعل أعلاها شأناً وأكثرها واقعية هي عملية مبيت أمير المؤمنين علي (ع) على فراش رسول الله في ذكرى الهجرة التي تلابس ذكرى عاشوراء.

أما عملية استشهاد بالحجم الضخم ذي الأبعاد والأعماق التي قادها ونفذها وأنجزها الإمام الحسين فلم يحدث في تاريخ الإسلامي لها مثيل قبله أو بعده إلى الآن وفي حدود معرفتي وهي معرفة غير قليلة والحمد لله أنها لم تحدث في تاريخ المسيرة الإنسانية على الإطلاق.

ومن هنا فرادة هذه القضية ليست في حجم القتلى، وقد يقال إن التاريخ شهد ويشهد الآن في كوسوفو قتلى أكثر وفجائع أكثر وأعظم، ولكن هو لا يجهل حركة استشهاد إرادية مبرمجة ومصممة ومدبرة.

ومن هنا في تقديري عظمة الإنجاز الذي عكسته روايات أحاديث أئمة أهل البيت (ع) بعد حصول هذه النهضة وهناك بعد آخر يتصل بغيب الله الذي عبر عنه رسول الله قبل أن تحدث هذه النهضة لعلكم تسمعون بعضه أو بعض نصوصه من قراء المآتم هذا له حديث آخر هو حق وهو صدق وهو جزء من هذا الإيمان المبارك الذي يحمله المسلمون وله حديث آخر.

هذه النهضة قلت أحدثكم أيها الإخوة والأخوات في هذه الأمسية عن بعض ما وراءه وعن بعض العوامل والأسباب والأهداف التي حملت الإمام الحسين على أن يتخذ هذا القرار وأن ينفذه بوعي وإرادة وتصميم وبلحاظ ما

قبله من الغيب أن يضع نفسه أن يتخذ قرار وضع نفسه في سياق حركة الغيب التي شاءها الله هكذا ونعم المشيئة مشيئة ربنا.

ودنيا ليس فيها دم الحسين كانت ستكون باهتة باردة، قيَمها أقل، ونبلها أقل ومثلها العليا أقل، سلام الله عليه.

في رواية عن الإمام الصادق (ع) يقول فيها:

«إن الله قد فوض للمؤمن أمورها كلها ولم يفوّض إليه أن يذل نفسه».

هكذا إن الله قد فوّض إلى الإنسان المسلم في نطاق الشرع الإسلامي كل أموره.

يتحرك بحرية وبإرادة طليقة في علاقاته مع نفسه ومع الناس ومع الطبيعة، لم يجعل عليه وصاية ولم يجعل عليه ولاية ،جعله سيد نفسه وملك نفسه فوض إليه أموره كلها وهو يتحمل مسؤولية ما يختار ويؤدي ما عليه ويأخذ ما له، هناك حقل واحد لم يفوض إليه أمره فيه وهو حقل الذل، لم يفوض إليه أن يذل نفسه، هذا النص نعتبره نحن أحد النصوص الأساسية الكبرى في التشريع هو يتعامل معه باعتباره نصا من نصوص التدبير أو نصوص الإرشاد ونحن نراه نصاً تشريعياً يدخل في مناهج الاستنباط الفقهي الإنساني، له مظاهر مظهره الفردي نحن كأفراد كل واحد منا هو إنسان له مظهره الأسري والعائلي أسرة صغيرة هي إنسان له مظهره الأوسع الذي يشمل عشيرة وقبيلة قرية ومدينة يشمل مجتمع بكامله ويشمل أمة.

هذا النص ينتظم هذه التجليات للمؤمن للإنسان في علاقاتنا الذاتية مع أنفسنا وبعضنا مع بعض، فوض الله إلينا أمورنا كلها، في علاقة الجماعات مع بعضها وفي علاقة المجتمعات مع بعضها، الأمر هكذا ولكنه لم يفوض إلى هذا الإنسان فردا أو أسرة أو جماعة أو مجتمعاً أن يذل نفسه.

وهذا الذل له مظهران مظهر مألوف يتصل بالحاجة يتصل بمعادلات القوة والضعف بين الأفراد وهناك الذل الذي ينتظم الجماعات بتنظيم القيادات، الذل السياسي والارتهان السياسي والارتهان الوجودي.

كل إنسان لم يفوض إليه أن يكون ذليلا يجعل نفسه رهين أية صيغة من صيغ الذل، وكل جماعة لم يفوض إليها الله لم يأذن لها أن تجعل نفسها رهينة صيغة من صيغ الذل وكل مجتمع كذلك، ومن المفيد أن نتذكر هنا بعض التوجيهات التشريعية التي وردت في كتاب الله سبحانه وتعالى والتي تتصل بهذا المعنى الذي عبر عنه الإمام الصادق (ع).

الله وصف الرسالة التي أرسلها إلى الناس بأن وظيفتها أن تضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، الإصر هو الثقل هو العبء، والأغلال تعرفون معناها، الإصر الأثقال التشريعية والأغلال التشريعية ليس فقط فيما أحل وحرم من العلاقات من تكوين الجماعة مسيرة الجماعة.

يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وهذا المعنى طالما ورد في السنة الشريفة عن رسول الله (ص) ورد في كثير من النصوص الحارة المؤلمة والموجعة عن أمير المؤمنين علي (ع) حينما كان يتحدث عن الظروف والملابسات التي تخلق وتكون سلطات تجعل مال الله دولاً وعباد الله خولاً والصالحين حرباً والفاسقين حزباً.

بالتأكيد عشرات المرات تكررت هذه المفاهيم وهي مفاهيم سياسية تتصل بالفقه السياسي وبالاجتماع السياسي.

وهي مفاهيم إنسانية تتصل بالتكوين الداخلي لأخلاقيات الإنسان ولطريقة عيش الإنسان، تكررت على الأقل عشرات المرات في السنة النبوية الشريفة، وتحذير من أن تأول الأمور إلى هذا، وهو مبني على تحذير تكرر مرتين أو لعله ثلاث مرات في كتاب الله، من أن يتبع المسلمون في اجتماعهم العام سنن من كان قبلهم فيقعون في هذا، وعلى لسان علي (ع) لا يبعد أن يكون هذا المفهوم تكرر في نهج البلاغة فيما روي عنه عشر مرات على الأقل.

هذا مفهوم راسخ في التشريع الإسلامي وفي التشريع السياسي وفي التشريع الاجتماعي.

هذا المفهوم عبر عنه الإمام الصادق (ع): بهذا التعبير الذي آثرت أن أدير

بحثي معكم في هذه الليلة حوله.

إن الله قد فوض إلى المؤمن أو إلى المسلم لأموره كلها ولم يفوض إليه أن يذل نفسه، هذه إحدى الخلفيات التي كانت في صميم حركة الإمام الحسين (ع) احتجاجاً عليها، واتقاء لما سيصير إليه أمر المسلمين.

في هذا الصدد أحدثكم وبالتأكيد وبالجمع الكريم يوجد من يعرف هذا، في ما يسمى فقه الأحكام السلطانية، وهو ما نسميه الآن بمصطلحنا الحديث بالفقه السياسي.

يوجد باب ، هذا الباب يعنون هكذا (أيمان البيعة):

أيمان: جمع يمين والبيعة: البيعة أن يبايع إنسان أو جماعة شخص على ولاية من الولايات على رئاسة من الرئاسات ، حدث في تاريخ الإسلام أن بعض المحدثين والفقهاء الذين لابسو السلطة ولابستهم السلطة، بعد أن فقد الحكم الإسلامي معناه، إن اخترعوا ما سمي (أيمان البيعة) كان الناس كما هم الآن، يتزوجون وكانت تعدد الزوجات أمراً لعله أكثر شيوعاً، وفي ذلك الحين أيضاً كان من جملة مفاسد وانحطاطات وخلل مسيرة الإسلام أن شاع الرقيق، فكان الناس يملكون الرقيق الأمة أو العبد الواحد أو الاثنين أو العشرة أو المائة أو الآف.

وكان الناس كما هما الآن يملكون بيوتهم أو أراضيهم أو ثيابهم، فكان الجهاز السياسي يجمع الناس، عند ولاية كل سلطان وكل خليفة ويطلب منهم أن يبايعوه ولكنهم وهو يعلمون أنها بيعة إكراه وأنهم يمكن أن يخرجوا عليها، فكانوا يقيدونهم بإيمان البيعة، هكذا أبايع على السمع والطاعة، وإذا أخللت ببيعتي فامرأتي طالق أو نسائي طوالق ورقيقي أحرار وممتلكاتي موقوفات أو موهوبات أو ما أشبه ذلك، و أسير حافياً إلى مكة مثلاً عشرين سنة أو ما أشبه ذلك ومن هذا القبيل.

هذه أيمان البيعة، يقيدون الناس بهذه الأيمان ليضمنوا ولاءهم ووفاءهم، يخرجون الناس من دائرة الحرية، إلى دائرة الأصر والأغلال.

هذه الروح التي كانت قد بدأت بعد اختلال مسيرة الحكم في الإسلام بعد صفين، كانت ستغدو الثقافة الشائعة والعقيدة الشائعة، وقد بذلت لترسيخها كل الجهود وأنشأت لها مؤسسات في الحديث وفي الفقه وفي علم الكلام، لم يعرف فكر المسلمين فكرة الجبر إلا في هذا العهد الذي عايشه الإمام الحسين (ع) ونمت فكرة الجبر، أن الناس مجبرون على ما يفعلون وأن كل شيء يقوم به الحاكم الذي هو أمير المؤمنين طبعاً، هو بقضاء من الله وقدره.

هذه الفكرة شاعت وأصبحت عقيدة شعبية، روجها المحدثون المنحرفون مرتزقة الحديث والسنة ومرتزقة الفقه والعقائد ومرتزقة الشعر هنا وهناك بحيث أصبح إذلال النفس ثقافة، استلاب الإنسان المسلم مصادرة كل وأثمن ما يملك وأشرف ما يملك أصبح جزءاً من الإيمان الديني، بعض التعابير التي تذكر في مفردات النهضة الحسينية قد تفهم على أنها تعابير انفعالية وتمثل حالة ذاتية من قبيل «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل» ومن قبيل «إلا أن الدعي ابن الدعي ركز بين اثنتين» هذه ليست تعابير ذاتية فقط هذه تعابير موضوعية، هي تعكس الروح الشائعة في الناس أو التي يراد لها أن تشيع ولم يكن هناك أية وسيلة للمواجهة منذ صفين، شلت إرادة الأمة إرادة القوى الحية شللاً كاملاً وأعيد تركيب ثقافة المجتمع في سياق لم يكن من الممكن مواجهته لأنه لا يواجه إلا بالسلطة، والسلطة هي التي تنفذ هذا السياق، جماهير وضاع الحديث، وجماهير شراح الحديث ، وجماهير شراح الحديث، وجماهير حفاري قبور السنة، السنة كان يحفر قبرها فتدفن وتنشأ نصوص لسنة جديدة.

هذه إحدى الخلفيات إحدى القضايا الهامة التي واجهت الأمة والتي لم يكن بداً من أن تواجه بنحو يزلزلها ويقتلها، قرار الاستشهاد الذي اتخذه الإمام الحسين (ع) ومشى إليه بوعي وإرادة وتصميم كان يبنى على هذا، على مواجهة الثقافة التي يراد لها أن تكون مجرد إرادة لا تملك لنفسها شيء على الإطلاق، أن لا يذل الإنسان نفسه أن لا يذل المسلم نفسه.

كان هو الهدف كان هو أحد الأهداف ، طبعاً هناك أهداف أخرى تتصل بالوضع التنظيمي للمجتمع، حينما طرح، أعاد الإمام الحسين (ع) الحيوية

والاعتبار لمبدأ الشورى هذه مسألة أخرى، ما يتصل بالجانب الأخلاقي وبالجانب الإنساني بعلاقة الناس مع حكامهم مع أوليائهم ومع بعضهم البعض، كانت هذه روح ثورته زلزلت هذا المبدأ ثم قضت عليه نهائيا، لم يكن إخضاع الناس مشكلة اصبح إخضاع الناس مشكلة، والمسألة أيها الإخوة والأخوات لم تكن تتصل إطلاقاً وآمل من كل القيمين على كتابة التاريخ أن يعوا هذه الحقيقة وقد بينتها أنا في كتبي عن الإمام الحسين (ع) وعن تاريخ هذه المرحلة من الناحية الفكرية ومن الناحية الفقهية مراراً، المسألة ليست مسألة تشيع وتسنين، ولم تكن إطلاقاً وثقوا ليست مسألة نص أو سورة وليست مسألة سقيفة أو ما يقابل السقيفة، وليست مسألة علي وأبي بكر وعمر وعثمان كلا لا صلة لها بالناحية المذهبية إطلاقاً وإحدى مصائبنا نحن في بنائنا الثقافي والفكري هو أن هذه الواقعة الكبرى، إن هذا الأنموذج الكبير تقلص وأصبح عمل يمارس على نطاق مذهبي أو على نطاق طائفي، وكأن الآخرين من المسلمين لا شأن لهم به، ولا علاقة لهم به إلا ربما ما يحدث من باب المجاملة أو من باب القناعة المحكومة بعوامل كثيرة وباعتبارات كثيرة.

هذه الظاهرة، هذه النهضة لا تتصل إطلاقاً بما يتوهم الناس صلتها به حتى أن بعض كبار المحللين للتاريخ الإسلامي من قبيل العقاد وطه حسين بشكل خاص وغيرهما، يشيرون من قريب أو من بعيد بوضوح أو بغموض إلى صلة هذه النهضة بما كان قبلها أو بما حدث بعدها، الحقيقة أنا لا أرى لها صلة بشيء من ذلك، ومن هنا قدرتها التوحيدية، هذه النهضة يجب أن يكون لها القدرة على التوحيد لم يثر الإمام الحسين في السياق الذي كان بعد وفاة رسول الله وحدثت فيه الأحداث السياسية في السقيفة وما تولد من هذه الأحداث من سير مؤسسة الخلافة في سياق خاص أنتهي بالمحنة وبالفتنة وبالفجيعة في مقتل الخليفة عثمان بن عفان لا صلة له، صلتها تتصل بكينونة الأمة في العمق الإسلامي على ماذا قام؟ والأمة على أي أساس تكون؟ هل أنشأ الإسلام امبراطورية تستعيد في روحها وفي تشكيلاتها وفي مضامينها الامبراطورية التي سبقته وعاصرته؟

هل يستعيد الإسلام في تكوينه السياسي معنى الكسروية ومعنى القيصرية؟ أو أنه ينشأ نظامه وروحه وتعبيره التنظيمي الخاص في الإنسانية وسياقه الحضاري الخاص ؟

هل يستعيد الإسلام في شرق العالم الإسلامي أو في غربه في دمشق وما في الري وما والاها يستعيد تعابير الحضارة والعيش والفكر التي ساده في المجتمع الإيراني ومن وراءه وما وراءه.

وفي المجتمع البيزنطي ومن وراءه وما وراءه؟ أو أنه ينشأ صبغة الله. القضية هنا في عمقها الحضاري تتصل بها، صبغة الله أو الصبغات الأخرى لا علاقة لها لا بأمية ولا بهاشم ولا بالسقيفة وما نتج عنها ولا بالسياق الذي مر فيه الخلفاء الأولون أبداً.

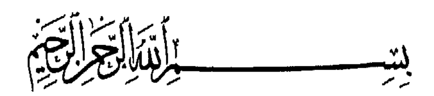
من هنا تكرر أسفي ودعوتي وعملي على تحويل هذه المؤسسة مؤسسة المآتم الحسيني إلى أن تكون إحدى مؤسسات الأمة الثقافية والتي لا يملك لها العالم مثيلاً في كل حضاراته بدل أن تبقى مؤسسة صغيرة من زوايا الأمة، مهما كبرت. وشرف كبير أن أخدمها وأنتمي إليها ولكنها تبقى دون وهج وسطوع وتألق، الإمام الحسين الذي تحرك من أجل أن لا يذل المؤمن نفسه.

الحمد لله رب العالمين

حفظكم الله ورعاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ثورة الحسين،
ثورة على الاسترقاق السياسي[١]

٢١/٤/١٩٩٩م
٥/١/١٤٢٠هـ



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين، جعلنا الله تعالى وإياكم جميعاً أيها الإخوة والأخوات منهم، والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

الحرية والكرامة:

في رواية عن الإمام الصادق(ع) يقول فيها: (إن الله قد فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه) هذه الرواية التي تلخص مبدأً كبيراً، ولعله أكبر المبادىء في الشريعة الإسلامية وفي الفكر الإسلامي، ويفترض أن الحضارة الإسلامية وأن الاجتماع السياسي الإسلامي، ومن ثم الدولة الإسلامية حيثما كانت قامت على هذا الأساس، مبدأ الحرية ومبدأ الكرامة، إن الله فوض إلى المؤمن أموره كلها في نطاق الشريعة الإسلامية، في نطاق نظام الواجبات

(١) ألقيت في قاعة الاحتفالات الكبرى، في المجمع العلمي الثقافي ـ مستديرة شاتيلا.

ونظام المحرمات، في نطاق التشريع، المؤمن حر، حر في شأن نفسه، وحر في شأن علاقاته، وحرٌّ في شأن عمله، كل شيء فوضه الله إلى الإنسان المؤمن، وهذا هو بعض مضامين الكتاب العزيز في جملة من الآيات منها الآية التي يقول الله فيها أنه أرسل رسوله الأكرم ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1] (الإصر هو الثقل، والأغلال هي القيود التي تحد من حرية الإنسان وحركته) الأثقال التي كانت على عاتق الإنسان قبل الإسلام في الحضارة وفي التشريع وضعه الله عنه في الإسلام، والآصار، هذه الأثقال وضعها الله عنه في الإسلام، والأغلال التشريعية. ومن هنا صحَّ عن رسول الله قوله: (بعثت بالحنيفية السمحاء)، الشريعة التي تميل عن الباطل إلى الحق وعن الضلال إلى الهدى، الحنف هو الميل والسماح، هدف التشريع هو رفع شأن الإنسان، ومن جملة مظاهر وموارد رفع شأن الإنسان هو الحرية، الله فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولكن هناك شيئاً واحداً لم يفوضه الله إلى الإنسان المسلم وهو أن يجعل نفسه ذليلاً بأي وجه من الوجوه وبأي صورة من الصور، لا يحل للإنسان المسلم أن يدخل في أي ترتيب أو في أي التزام من الالتزامات التي تجعله مغلول الإرادة والتي تجعله ذليلاً.

أيمان البيعة:

مما يذكر أن هناك في تاريخ الإسلام السياسي وفي بعض مجالات الفقه السياسي ما يسمى (أيمان البيعة) ما هي أيمان البيعة؟ يوجد شيء يذكره الفقهاء ويذكره كتاب الأحكام السلطانية، وهو الاسم الذي كان شائعاً لما نسميه الآن (الفقه السياسي) ما هي أقسام البيعة؟ كانوا يجمعون الناس ويطلبون منهم أن يبايعوا فلاناً خليفة وأميراً للمؤمنين، ويستعملون في ذلك أدوات السلطة، أدوات السلطة معروفة، من أقدم عهود الدول والحكومات أدوات السلطة هي الترغيب والترهيب، إما ببذل الامتيازات من أموال ومناصب وامتيازات، أو ترهيب مثل السجن القتل والنفي والاغتصاب، يطلبون من الناس أن يبايعوا،

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

ولكنهم يعلمون أن الناس لا يبايعون، وإذا بايعوا فإنهم لا يفون ببيعتهم لأنهم مكرهون، مهانون ومذلون، فكانوا يأخذون عليهم ما يسمى (أيمان البيعة) أيمان البيعة غالباً ما يكون في المجالات التالية، يحلف الإنسان، يبايع ويقول: (أنا أبايع فلاناً وألتزم له بالسمع والطاعة، وعليَّ في ذلك طلاق زوجتي) أو إذا كانت له أكثر من زوجة، يقول طلاق زوجاتي أو عتق مماليك، (وكل ما أملكه موقوف أو موهوب)، وهناك ما يضاف إلى ذلك، (أن أمشي على قدمي إلى الحج مثلاً عشرين سنة)، يأخذ في عنقه هذه المواثيق التي يسمونها أيمان البيعة، وكل يمين، كلِ تعهد يمكن أن يجعل الإنسان ملزم بتنفيذ الطاعة.

هذه أيمان البيعة، من جملة اختراعات فقهاء السلاطين، ومن جملة اختراعات رجال الدين الذين تحولوا إلى أداة من أدوات السلطة والقمع، وتركز حالة شريرة، حالة خطرة من السياسي ورجل الدين، من السلطان والفقيه الذي يستغل الصيغ الفقهية لتثبيت حالة الطاعة المطلقة، الطاعة العمياء، وهكذا وجدوا في الفقه السياسي والممارسة السياسية وفي التطبيق أيمان البيعة، كان يجمع الناس ويحشرون في أيام الجمعة في المساجد والساحات العامة، ويقول من يتلو عليهم (أيمان) ـ حسب التعبير الشعبي الشائع بيننا (مبكلة) ـ كما يجتمع الآن بعض محامين وخبراء قانون (يبكِّلون شيء) كان يجتمع مجموعة من خبراء التركيبات الفقهية ويضعون أيمان محكمة ويقول: من يتلوها على الناس، والناس يتابعونه على ذلك.

أشرح لكم الخلفية والمناخ والجو الذي قال فيه الإمام الصادق(ع) هذه المقولة ووضع هذا المبدأ التشريعي العظيم والكبير (إن الله قد فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه) بالتأكيد هذا التقليد بدأ منذ العهد المرواني، ولعله بدا منذ العهد السفياني، في وقت مبكر جداً، غاية الأمر، لعله بدأ بصورة محدودة وبعد ذلك أصبح ظاهرة عامة يحكم بموجبها الاجتماع الإسلامي برمته، أمة برمتها من عدن إلى الصين كانت تحكم بهذا الأسلوب، مبدأ (بعثت بالحنيفية السمحاء) ومبدأ (لأضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) آلَ وتحول إلى أن يصير هو غلاً بنفسه، إلى أن

يوضع الإنسان المسلم، الرجال والنساء في صيغ تشريعية تجعلهم أشبه بالعبيد الأقنان، لفلان أو لفلان لأنهم أخذوا عليهم أيمان البيعة.

في واقعة الحرة العظيمة التي يجري شبيه لها الآن في كوسوفو، أخذت البيعة على أهل المدينة على أنهم عبيد وخَوَلٌ ليزيد بن معاوية، عبيد يعني رقيق، هذه الظاهرة من أين نشأت؟ هذه نشأت من أن السلطة أفلتت وتخلصت من كل الرقابات، من رقابة الله خصوصاً، وحينما لا تكون الولاية خاضعة للمعايير التشريعية لا تكون هناك رعاية لله سبحانه وتعالى، ولكن أفلتت السلطة حتى من رقابة الناس، وتوجد كلمات وليس كلمة واحدة لهذا الإنسان العظيم الإمام علي ابن أبي طالب(ع) ـ لا أقول وكأنه يرى المستقبل، كان بالفعل يرى المستقبل ـ كان يحذر من اتخاذ الصالحين حرباً، والفاسقين حزباً، ومال الله دولاً، وعباد الله خولاً، كان يحذر من انقلاب المعايير وانقلاب المقاييس، كان الأمر قد وصل في بعض مراحل ومستويات التاريخ الإسلامي ومسيرة الأمة المسلمة إلى هذا المستوى.

الآن أيها الإخوة والأخوات العالم الإسلامي يمتد من جاكرتا إلى عدن، تشمل هذه المنطقة في امتدادها قارتين وزيادة، في ذلك الحين الذي نتحدث عنه كان العالم الإسلامي أوسع، كان يمتد من الصين، قسم من الصين كان جزء من الامبراطورية الإسلامية، قسم من أوروبا كان جزء من الامبراطورية الإسلامية، هؤلاء كلهم في العهد الأموي، وبعد ذلك في العهد العباسي بدؤوا يحكمون بهذا الأسلوب، هذه طريقة حكمهم.

مواجهة أهل البيت(ع):

هذا هو الجو والمناخ الذي قال فيه الإمام الصادق هذا المبدأ التشريعي (إن الله قد فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولكنه لم يفوض إليه أن يذل نفسه) نزعة الطغيان ونزعة الانحراف واجهها أهل البيت بأسلوبين:

أسلوب العمل المباشر، وهذا تم لأول مرة في حياة أمير المؤمنين سواء

في تعاونه المنفتح والمتكامل مع الخلفاء الثلاثة السابقين، مع أبي بكر وعمر وعثمان، وبذل كل ما يمكن أن يبذل في سبيل تقويم المسار وتصحيح المسيرة، وحقق إنجازات كبيرة بالتعاون معهم، وبعد ذلك حينما آلت إليه الأمور، ولكن في حوالي أربع سنوات كانت مليئة بالمشاكل والمشاغل، وكانت الفتنة في الأمة قد بدأت تتحرك حركتها الدموية، ولكن مع ذلك عمل بكل ما يستطيع، في فترة قصيرة الإمام الحسن عمل بهذا الاتجاه وبلغت الأزمة ذروتها الكبرى مع الإمام الحسين. التي واجهها عملياً بحركته الاستشهادية.

أيها الإخوة الأعزاء، لا تصدقوا أبداً أن الإمام الحسين كان رئيس ميليشيا، وأنه كان عنده مشروع سياسي، وخسره، وأنه كان طالب أن يصبح خليفة أو حاكم أو أن يصبح أمير المؤمنين، هو كان إمام معصوم وكان يدير شأن أمة ولا يدير شأن سلطة، حركة الإمام الحسين كانت حركة استشهادية بكل معنى الكلمة، كان يرى طريقه ومصيره ومآل أمره وكان يعرف أن انتصاره يكون بهذا، كانت المواجهة بهذا الأسلوب الذي بدأ بعلي وانتهى بالحسين، ثم بعد ذلك بدأ الأسلوب الآخر الذي هو الأسلوب التربوي، الأسلوب الثقافي، التشريعي الذي من مظاهره كلمة الإمام الصادق(ع) (إن الله قد فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه) هذا المبدأ الذي كان تجسيده الكبير الإمام الحسين والأمة التي سارت خلف ومع الإمام الحسين ليس في حياته فقط، ولا في فترة استشهاده فقط وإنما إلى الآن، وليس في نطاق الشيعة الإمامية، أو سائر الشيعة ـ إمامية أو زيدية ـ الذين يلتزمون بالإمام الحسين على أساس أنه إمام معصوم، ولكن في المسلمين جميعاً، لأن أمثولة الإمام الحسين في مواجهة الإذلال، الإذلال السياسي ـ بالمناسبة نقول إنه يوجد ذل على أشكال ـ لكن نميز بين إذلال اجتماعي أو اقتصادي، إذلال معنوي كأن يشتم شخص أو يتكلمون عليه ـ وهناك الإذلال السياسي الذي يحول الإنسان الحر إلى مجرد تابع، أي مصادرة الإرادة، هذه الظاهرة التربوية العظيمة موجودة في الأمة، الأمة الإسلامية سواء كانت شيعة أو غير شيعة، هي تتمثل فيها منهجية الإمام الحسين، وتذكرون المبدأ الذي أقوله مراراً أن الإمام الحسين ليس خاصاً بكم أيها الشيعة، ليس إمام مذهبكم أو طائفتكم، أنتم جزء من جمهور الإمام

الحسين، جمهور الإمام الحسين في دائرة الإسلام - كل الإسلام، وجمهور الإمام الحسين على مستوى العالم هو كل أباة الضيم وكل الكرام، وكل مقدسي الله ومقدسي الإيمان ومقدسي كرامة وحقوق الإنسان.

الاسترقاق السياسي:

هذه الأمثولة: (إن الله قد فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه) هي إحدى حاجاتنا التربوية السياسية الآن، في لبنان أو في غير لبنان، لأن مشكلة الاسترقاق السياسي، كان الرق موجوداً وكان يوجد أسواق له، وكان يوجد تجار يسمونهم (النخاسين) النخاس هو الذي يتاجر بالبشر، تجار العبيد يسمونهم نخاسين، بأن يستورد أو يجلب رقيق ويبيعه في السوق، هذه إحدى مصائب الأمة الإسلامية التي ترتبت ونجمت من الانحراف في الخط التشريعي، وإلا ما كان يجوز أن يكون في الإسلام رقيق بالشكل الذي كان، هذه مسألة أخرى، هناك استرقاق بهذا المعنى، استرقاق بمعنى أن إنساناً يبيعوه ويشتروه بأن يصبح عبداً أو أمة لفلان، وهناك استرقاق سياسي يكون بشعارات الحرية، وهذه مشكلتنا ومشكلة غيرنا فيما نواجه من قضايا التركيب السياسي في الإجتماع السياسي، قضايا الانتخابات، قضايا تركيب الأصوات وتزوير الأصوات، واستخدام المال، واستخدام الإغراءات والتخويفات، ما هو الفرق بين أيمان البيعة في القديم، وبعض أساليب الانتخابات في الزمان الحديث، وما هو الفرق بين أن يحلِّفوا إنسان في أن يطلق زوجته وأن يوقف أملاكه ويعتق عبيده ويحج ماشياً، وبين أن يكبلوه بظروف معينة تبدأ من ابنه في المدرسة، ومن وظيفته ومن مصدر رزقه ولا تنتهي عند حد إذا انتخب فلان أو لم ينتخبه، أو إذا خضع لهذا التيار السياسي أو ذاك.

قانون انتخابات جديد:

ولذلك نحن نقول الآن، يجري في ساحاتنا العامة، البحث عن قانون انتخابات جديد وسننظر في المشاريع المطروحة لقانون الانتخابات الجديد.

ولكننا نلاحظ أن التركيبات الحزبية لكل منها رؤية ونظر في كيف يكون هذا القانون وهل يلائم مصلحتها أم لا؟ لا أنه يلائم مصلحة لبنان أو لا، يلائم مصلحة هذا الحزب أو ذاك في المسلمين والمسيحيين، الجهات الطائفية والمذهبية أيضاً تفكر في الأمور على هذا النحو، لا يفكر أين تكون مصلحة الشعب اللبناني ككل.

ولذلك نفكر بأنه يجب أن تنشأ هيئة وطنية تجمع الكل ولا تنتمي إلى أحد، وتنظر وتدقق حقيقةً في أن هذا القانون وهذا النظام يجب أن يوضع لمصلحة من؟ هل لمصلحة فئة مذهبية من المسلمين فقط أم لمصلحة فئة مذهبية من المسيحيين فقط؟ هل يوضع لمصلحة هذا التحالف السياسي بين مجموعة أحزاب وحركات هنا أو هناك أو لمصلحة التحالف السياسي الآخر؟ هذا أسلوب من أساليب أيمان البيعة، في كل مرحلة حضارية وتنظيمية. إن القيمين عليها يخترعون الأغلال التي يكبلون بها حرية الناس وكرامتهم. ومن هنا الناس دائماً بحاجة إلى الحسين وإلى من يقول لهم: لا تذلوا أنفسكم، لا يحل لكم ولا يشرع لكم أن تذلوا أنفسكم، وإنما كونوا أحراراً فيما يتعلق بصياغة مصيركم ووجودكم وبضمان مصالحكم وفي نفس الوقت قوموا بواجباتكم، هذا المبدأ يطبق في البلدة الصغيرة والحي وعلى مستوى دولة وأمة، كما هو الحال في المجتمعات الصغيرة والكبيرة، الآن بكل أسف هو الحال في العالم كله، فهو خاضع لأيمان بيعة، وتحالفات دول، وإلا لماذا لا يطبق القرار ٤٢٥؟ لماذا لا ينال شعب كوسوفو استقلاله الذاتي؟ لماذا لا يتحرر العراق من طغيانه؟

كل الناس خاضعة بكل أسف لصيغ مختلفة لأيمان البيعة، كل فئة أغلالها من جنسها، ومن جنس عقلها ونظامها والقيمين عليها والمتحكمين بها ومن جنس المخادعين لها، مرة باسم السياسة وأخرى باسم الدين والأخلاق والطائفة والمذهب، إلى غير ذلك.

مسار الأمة:

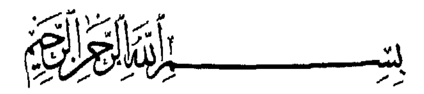
(إن الله قد فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه)

وإحدى الوسائل التي استخدمها الإمام الحسين في مستوى الثقافة وفي مستوى التوجيه لأجل تثبيت هذا المبدأ في ضمير الأمة الإسلامية وفي روحها، أنه أخذ قراراً هو أعلى قرار يمكن أن يتخذه إنسان، هذا النوع من القرارات يتخذه الكبار، أخذ قراراً أن يستشهد ولم يجعل قراره بالاستشهاد قراراً منفرداً، جرَّ عن وعي وعن إدراك ـ وكما تروني وأراكم ـ إلى هذا القرار مجموعة من الرجال والنساء من أهله ومن أصحابه لأجل أن يجعل القرار عميقاً وواسعاً في الأمة الإسلامية، أخذ نساءه ونساء أصحابه، وحينما حللت في كتابي (أنصار الحسين) التركيبة القبائلية والجغرافية لانتماءات أصحاب الحسين رجال ونساء، تبين أنهم يتغلغلون في كل الاجتماع العربي، فجعل بهذا الأسلوب قرار الاستشهاد دخل في كل بيت من بيوت الأمة العربية، وحوَّل القضية من كونها قراراً منفرداً إلى قرار جماعي كبير، لم تكن المناحات فقط من زينب وفي بيوت الحسين، كانت في كل مكان، حتى قطع الرؤوس، حتى رفع الرؤوس على الرماح، حتى توزيع الرؤوس بين القبائل كان يخدم هدف مرسوم من قبل الإمام الحسين(ع)، هذا الإمام العظيم والعزيز الذي نستعيد ذكراه الآن، ونريد أن نعي أيها الإخوة والأخوات الأعزاء أن لا نجعله صغيراً وأن لا نجعله حزباً، وأن لا نجعله فقط موضوع بكاء وهو يستحق بكاء القلوب والأعين، بل أن نجعله كما هو كبيراً بحجم الأمة الإسلامية وكبيراً بحجم ما أراده الله سبحانه وتعالى من تاريخ هذا الإسلام أن يكون هو مسار الأمة ومسار العالم إلى نهاية الزمان.

والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم وعليكنَّ جميعاً ورحمة الله وبركاته.

مدرسة عاشوراء، مدرسة دائمة[1]

٢١/٤/١٩٩٩م
٥/١/١٤٢٠هـ



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان وعلى التابعين له إلى يوم الدين ، والسلام عليكن أيتها الأخوات الكريمات والعزيزات ورحمة الله وبركاته.

واسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيدكن توفيقاً على النهج الذي يؤدي إلى مثل هذا المجلس، الذي يؤدي إلى إحياء هذه الشعيرة من شعائر الدين، وهي إقامة مآتم أهل البيت في عاشوراء وفي غير عاشوراء، لأن مآتم أهل البيت مؤسسة أرادها رسول الله وأرادها الأئمة الطاهرون لتكون مدرسة مفتوحة وسيارة لا ترتبط بزمان معين، وإذا كانت ذروة الأزمنة، الزمن الحاضر والزمن المتوهج، هو زمن عاشوراء، خصوصية المآتم بدأت منذ أيامه الأولى منذ السنوات الأولى للإسلام، وأستعيد في ذهني الآن المآتم التي كانت تقام على ذكرى شهداء الإسلام الأولين ومما يتصل بأهل البيت منها، فالمآتم الذي أقيم لحمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه بعد معركة أحد، حينما وقعت الهزيمة على المسلمين في أحد واستشهد منهم من استشهد وعلى رأسهم حمزة رضوان

---

(١) ألقيت في الحسينية المحسنية بالشام (نساء).

الله عليه وعاد المسلمون إلى المدينة، وكما هي عادة الناس منذ القدم أن الناس يبكون موتاهم وقتلاهم، عقدت مجالس النوح على قتلى أحد وسمع رسول الله نوح النائحات وهو يتردد في دروب المدينة، وسأل فقيل له: إن نساء المهاجرين والأنصار يبكين قتلاهن، قال سلام الله عليه: ولكن حمزة لا بواكيه له؟ وكأن البكاء على حمزة كان معدوماً أو كان قليلاً، لأن البيت النبوي في ذلك الحين كان محدوداً، كان يوجد النبي وفي بيته الزهراء (ع) البيت الهاشمي كان قليلاً فعندئذٍ أخذت كل امرأة من الأنصار ومن المهاجرين وكل رجل قبل أن يبكوا قتلاهم يبكوا على حمزة، وجرت سنة في أهل المدينة دهوراً طويلة، حتى بعد عصر النبوة ثبت تقليد أن أي مآتم يقام في المدينة يبدأ النوح فيه على حمزة وهو مؤسسة المآتم، ترى هنا أتساءل هل أراد النبي (ص) أن يغذي نوازعه الشخصية وعواطفه الشخصية، أن يدعم زعامته ورئاسته ليبكي الناس قريباً له وهو عمه، أم أنه أراد من ذلك شيء آخر.

لم ترد هذه الكلمة من أحد، ونلاحظ أنه قبل أُحد وبعد أُحد قتل ومات هاشميون، ولكن عن حمزة قال رسول الله (ص) هذه الكلمة، من هنا نلاحظ أن المأتم الذي يعقد على عنوان الشهادة وعلى معنى الشهادة هو غير المأتم الذي يعقد على مصيبة الموت والتي تشابه فيها البشر جميعاً قديماً وحديثاً.

يدور لغط بين الناس حول المأتم الحسيني وحول شرعيته ومشروعيته وهدفه، وينتقد هذا المأتم، ويقال إلى متى تبكون وإلى متى تنبشون التاريخ وإلى متى تحركون الضغائن، هذا كلام كتب ويكتب وقيل ويقال ويشترك في كتابته وقوله كثيرون قبل يومين قرأت في إحدى الصحف اللبنانية كلاماً من هذا القبيل، ونقول لهؤلاء ترى هل تنتقد الدولة من الدول في العالم حين تحيي ذكرى استقلالها أو ذكرى انتصارها أو ذكرى أبطالها في طول العالم وعرضه لا تنتقد، أو تنتقد دولة من الدول أو شعب من الشعوب في المراسيم التي توضع بالتعبير عن التواصل القلبي والعاطفي والفكري، مع حقيقة من الحقائق الكبرى في الحياة البشرية وهي حقيقة الشهادة، ترى حين حدثنا لله في كتابه العزيز عن الذكرى، قص علينا سيرة البشر منذ آدم وابنيه، والى تفاصيل ما حدث في عهد

النبي الخاتم (ص)، هل كان يقص علينا ليسلينا، هل جعل من القرآن الكريم كتاب تاريخ أو أن الرسول الأكرم حينما طلب بهذا الأسلوب أن تقام المآتم علي حمزة هل أراد أن يغذي عاطفته الشخصية، بالقطع واليقين نقول كلا، أحداث التاريخ عبر التاريخ هي نتاج عمل البشر نتاج أخطاء البشر ونتاج انتصارات البشر، وأعظم ذروة يصل إليها البشر في تطوره الروحي وفي تعامله مع الحياة ومع الأشياء هي ذروة الشهادة.

في الحديث النبوي «فوق كل برٍّ برّ».

معنى الشهادة هو مقوم للفكر البشري وللروح البشرية ولمسيرة البشر.

ولذلك أراد النبي وأئمة أهل البيت أن تربى الأمة الإسلامية على فكرة البذل وعلى فكرة الشهادة، ومن هنا يمكن أن نقيم ذكرى لشهداء بدر، ويمكن أن نقيم ذكرى لشهداء أحد ويمكن أن نقيم ذكرى لشهداء أية واقعة من وقائع الإسلام الكبيرة، وكذلك نقيم ذكرى لشهداء كربلاء، محاولة نقد المآتم الحسيني والتساؤل لماذا تعيدون هذه الذكرى، هي نتيجة خطأ وسوء فهم لوظيفة هذه الذكرى، نحن لا نقيمها لمجرد أنها تمجيد شخصي ولا نقيمها لمجرد الاعتبار العاطفي، نقيمها سنة بعد سنة وجيلاً بعد جيل، لأنها مؤسسة تربوية نحن نريد أن نتصل بالماضي. الأمة التي تفقد تاريخها تفقد قوام حاضرها ورؤية مستقبلها، كربلاء تمثل في تاريخ الإسلام بل في تاريخ الإنسانية إحدى القيم العالية والكبيرة لهذا السبب نحن نستعيد هذه الذكرى، وأريد أن أركز الآن على بعض الجوانب التي تتصل بحاضرنا واستعيد بذهني لقائي معكن في السنة الماضية، وإذ نشكر الله تعالى على حسن توفيقه في العودة إلى هذه الذكرى والى هذا اللقاء، أريد أن اطرح السؤال التالي أحاول أن ابحث عن الجواب عليه، ولتبحث كل واحدة منكن عن الجواب عليه.

في كربلاء كانت المرأة موجودة في شتى العلاقات علاقة البنوة وعلاقة الإخوة وعلاقة الزوجية والعلاقات التي تصل المرأة بمحيطها الخاص بالأب والأم والأخ والزوج، المرأة التي هي بنت المرأة التي هي أم والمرأة التي لها عشيرة والمرأة التي ليس لها عشيرة، لم يحدثنا التاريخ أبداً، وأنا اخبر عن

اختصاص من جملة حقول اختصاص الإمام الحسين (ع)، لم يحدثنا التاريخ أبداً أن واحدة منهن ضعفت في نفسها أو في علاقاتها، إلا حالة واحدة أظن لعلكن تسمعونها ممن يتلون في المجالس الحسينية، النصرانية التي كانت حديثة عهداً بعرس، وكانت تقول لزوجها ما لنا ولهم اتركهم، وبعد ذلك شاركتهم في الجهاد. لم يحدث أن امرأة من هذه النسوة أظهرت ضعفاً في نفسها أو في علاقاتها مع وضوح المصير وضوح أن المآل هو القتل أو السبي.

أنا أتساءل الآن لو فرضنا في مجتمع مضطرب تخرج مظاهرة عادية ليست في جبهة حربية تخرج مظاهرة عادية ويخشى أن تقمعها الشرطة ويخشى أن يوقف بعض الأشخاص، سنجد كثير من الأباء والأمهات والأخوات والزوجات يعبرن عن خشيتهن ويسعين إلى تجنيب أحبتهن مسؤولية المواجهة في ذلك الموقف، لم يحدثن التاريخ عن امرأة واحدة صبية أو كبيرة في السن إنها اتخذت موقفاً من هذا القبيل، البعض قد يقول لم يروى أن من الأمور النادرة أن واقعة كربلاء رؤية بأدق تفاصيلها لم يبقى تفصيل من التفاصيل إلا وروي وطبعاً طمست تفاصيل كثيرة، ولكن رؤية تفاصيل كثيرة كلام يدل هذا في رأي على مستوى تربوي تمتعت به هذه النسوة في حمل مسؤوليتهن وفي تضحيتهن ، هذا المستوى التربوي هو ما نحتاجه الآن، ترى لو أن مجموعة نساء كربلاء وقعن في الجزع وعبرن عن الخوف وتشبثن بحياتهن أو حياة أحبتهن، بكل تأكيد أقول لكم كانت ستفشل كربلاء، الحسين كان سيتحول إلى مجرد عامل إطفاء يطفيء الحرائق العاطفية والعائلية، وكانت كربلاء ستفقد كل وهجها، الصبر الذي تحلت به زينب والتضحية التي تحلت بها زينب كانت ظاهرة شائعة في كل النساء وكن كثيرات لم يكن قليلات، نساء كربلاء لم يكن قليلات ليس الهاشميات فقط بل النساء من سائر أنصار الحسين اللاتي ينتمين إلى كثير من القبائل.

هذا الخلق نحن نحتاجه الآن هذا الثبات وهذا الوعد نحتاجه في كل التفاصيل، وأقول للنساء في لبنان نحتاجكن لتثبيت روح المقاومة لا لأن المرأة تحمل بندقية وتذهب ، ولكن لا تكن المرأة حجر قلق في الجدار وفي السد

الذي يقف أمام إسرائيل، نحتاجكن في مواجهة تيار الفساد الأخلاقي الذي يخترقنا في سواد الليل وبياض النهار عن طريق تتطور الإعلام الحديث، لا نريد أن تكون المرأة في البيت أماً وأختاً وزوجتاً حجراً قلقا في البناء الأخلاقي بحيث تسمع هذا التيار أن يدمر وأن يقوض المناعة الأخلاقية عند الأسرة المسلمة، ومن ثم في المجتمع المسلم.

هذه الأمثولة هي إحدى الأمثولات التي نتشرف أن تكون موضع تركيز ومن هنا إحدى وجوه النقص في المأتم الحسيني مشكلة من يقرأ أو من يقرأن النص في تقديري إنهم يركزون كما ألاحظ على الجانب القصصي أو العاطفي، ولا يركزون على الجانب التربوي وأنا أعلم أنه في دمشق أن في مجتمعكن وعياً آمل أن تنشأ حركة أو ينشأ توجه يفرض أن نتناول المأتم الحسيني الذرى الحسينية. ليس فقط من ناحية العاطفة نحن لا نحيي ذكرى الحسين وكأننا نقرأ مقالاً لا هذه الأحداث التي مرت في هذه الأيام في الأربعة أو الخمسة أيام التي انتهت بعاشوراء أحداث كانت مشحونة إلى أعلى درجة بأعلى طاقة عاطفية ونحن نحتاج إليها. ورواية الحدث جزء أساسي من تكوين الصورة ولكن المغزى التربوي الذي أراده أهل البيت هو الذي يركز عليه.

في كلام الإمام الصادق (ع) حينما يقول:

«أحيوا أمرنا رحم الله امرؤ أحيا أمرنا» يقول له فلان تجتمعون وتتحدثون قال له: نعم، قال: «رحمكم الله أحيوا أمرنا رحم الله امرء أحيا أمرنا».

هو ليس لمجرد إبقاء الاعتبار السياسي والمعنوي للأئمة (ع) في أذهان المسلمين بل لأجل جعل هذه الذكرى وسائر الذكريات جعلها مدرسة متحركة تصل الناس بقيم أهل البيت وبأخلاق أهل البيت ونهج الإسلام الذي قام به أهل البيت هذه نقطة.

من هنا ونحن نتكلم الآن في المحسنية اليوسفية ترى هل ذكرى عاشوراء هي ذكرى موسمية يعني يوجد مراسيم معينة وثياب معينة ومواعيد معينة وتلاوات معينة تنشأ في هذه الأيام العشرة، فإذا انتهت نقول إلى السنة المقبلة

في لبنان لا أدري إذا كان يوجد هذا التعبير في لبنان في جبل عامل بالجنوب بشكل خاص يوجد تعبير يقولون عن اليوم العاشر يوم (الفلّه)، والفلّه يعني أن الناس تنهي واجبها وتذهب إلى بيوتها أي تنهي التزامها بالعامية اللبنانية أن فلان أو فلانة فلت إلى بيتها يعني أنها تركت أنها أنهت شغلها أو أنهت التزامها أنهت زيارتها شغلها أو أنهت دراستها وفلت وراحت إلى بيتها.

يوم العاشر يسمى يوم الفله يعني الناس يعيشون حياة استثنائية في هذه العشرة أيام فإذا انتهت العشرة أيام كل إنسان يذهب إلى حياته العادية، هل هي شأن موسمي؟ أو أنها ذكرى حية؟ نصطحب أخلاق ومثل وحياة وتضحيات أهل البيت (ع) بحيث لا تكون مراسيم عاشوراء هي طقس يؤدى رسمياً وينتهي بانهائه. من هنا أنا أقول في الكتاب المدرسي أو في القصة التي تقصها الأم لأطفالها الصغار أو في اللعبة أو في الأنشودة، لماذا لا تجعل حياة هؤلاء الأطفال جزء من الفضاء الثقافي العام الذي يلقنه هؤلاء الأطفال هذه الناشئة بحيث ينشيء على هذه المثل لا يكون الحسين ضيفاً عليه وآله يكون هو ضيفاً على الحسين في موسم من السنة ودائماً يكون هناك حضور دائم في الماضي كان الأمر هكذا لما كانت الثقافة العامة ثقافة بسيطة كان الناس يعيشون هذا الجو هذه السيرة يعيشونها عيشاً شبه يومي. إن ضرورات الحياة وظروف الحياة جعلت أنه في السنة نتواصل مع هذه الذكرى مرة واحدة أعتقد أن أحد واجبات التربية والتعليم أن تجعل من ذكريات الإسلام ذكريات حسية ودائمة هذه النقطة ثانية.

نقطة ثالثة أظنكن جميعاً شيعيات لا أدري إن كان بينكن بعض السيدات والأنسات من غير طائفة شيعية ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أن الحسين رجل شيعي شيخ شيعي وأن السيدة زينب بناتها وأخواتها ورفيقاتها من هذا القبيل.

هذه إحدى الأخطار التي وقع فيها المسلمون ووقع فيها بشكل خاص الشيعة. تحويل الحسين إلى إمام مذهب وإمام طائفة وفي بعض الحالات الأليمة والمؤذية إلى زعيم حزب رئيس حزب وتحويل زينب وأخوات زينب ونساء زينب إلى شيء من هذا القبيل هذا الأمر نلح نحن في كتابتنا وفي توجهاتنا على

أن يوضع له حد على أن هذه إساءة إلى الحسين ومقامه ومقام آله وإلى كربلاء ومقامها ومقام أمثالها لأنها ليست شأناً مذهبياً والإمام الحسين لم يكن أبداً إمام مذهب أو أمام طائفة فضلاً عن أنه يكون رئيس حزب عنده مشروع سياسي وحاول وفشل فيه.

الإمام الحسين هو أحد أئمة المسلمين سواء على اعتقاد الامامية بالمعصومين الاثني عشر أو على اعتقاد سائر المسلمين حتى على اعتقاد في نظام خلافة الإمام الحسين امام أمة، وجريمة كربلاء هي جريمة ليست في حق الشيعة، هي جريمة في حق الأئمة والذين وقفوا ضده لم يكونوا من فئة خاصة والذين حزنوا عليه وتعاطفوا معه لم يكونوا من مذهب معين أصلاً في ذلك التاريخ في سنة ستين للهجرة لم يكن هناك شيعة أصلاً لم يكن هناك مذاهب على الإطلاق.

كان يوجد فقهاء ومحدثون، وتوجد تيارات فقهيه توجد تيارات في الحديث، أما مذاهب ، شيعي وحنفي وحنبلي وأين بعد مائة سنة ولد هؤلاء أبو حنيفة وأحمد بن حنبل والشافعي ومالك وسفيان الثوري والطبري، الإمام جعفر مثل الإمام الحسين إمام من أئمة المسلمين إحدى مهمات المأتم في رأي وهذه مسؤولياتنا جميعاً أن نعلم أنفسنا نعلم من حولنا أن الحسين وكل من يتصل به من قريب أو من بعيد هم ليسوا ملكنا الخاص ليسوا ملكنا المذهبي وليسوا ملكنا الطائفي هم ثروة الأمة ومن هنا يجب تعميم هذه الذكرى ومن هنا أنا ادعو إلى أن تعمم هذه المجالس فيدعى إليها من جميع المسلمين ويشارك فيها رجال ونساء مستمعين ومحدثين راثين وشعراء ،من جميع المسلمين على مستوى من المستويات .

الآن حين نتحدث عن حقوق الإنسان هو أمر تجاوز حتى الإطار الديني. الإمام الحسين حينما يركز على مبادىء الحرية والعدالة وكرامة الإنسان وتحرير الإنسان البسيط من سطوة الطغيان وتحرير الإيمان من الدجل ومن جعل الدين تجارة ومن جعل الدين وسيلة تخدير هو لا يتحدث عن مذهب ولا عن طائفة ، إحدى الوسائل الأساسية اعتقد والتي نحتاجها في عصرنا أكثر مما مضى هو

الحسين. كلما ازداد الإنسان ضعفاً يحتاج إلى تغذية جيدة ويحتاج إلى مكونات وقائية تدعم صحته وتدعم نموه.

كلما المجتمع استهدف بالخطر المادي والسياسي والأخلاقي كلما احتاج إلى القيم. مجتمعنا العربي والإسلامي يواجه الآن أكثر مما مضى هذه الأخطار نواجهها في فلسطين وفي المشروع الصهيوني ونواجهها في الحملة التي تستهدف الإسلام والأمة في كل المواقع نواجهها في محاربة غسل الأدمغة عن طريق الإعلام الموجه الذي يأتي ولا نستطيع السيطرة عليه، بمن نلوذ نقول اقرأ مقالات نقول اقرأ كتب الأهم من المقالة والأهم من الكتاب أن نقدم الأمثلة الحية الطفل الذكر أو الأنثى الشاب الذكر أو الأنثى بدل أن نعطيه مقال نعطيه مثال، من عبد الله الرضيع إلى الحسين وزينب مروراً بكل النماذج البشرية التي كانت موجودة في أُحد أو موجودة في بدر أو موجودة في خيبر أو موجودة في صفين أو موجودة في حرب الجمل ولكن كما قلت الذروة المتوهجة الماسة المصقولة التي فاقت كل شيء هي التي توهجت في كربلاء.

أنا أشكر الله تعالى على أنه وفق لتجديد هذا اللقاء معكن وآمل من الله أن يجعل هذا اللقاء دائماً وأن يبارك في هذا المجلس وفي رواده وفي القيمين عليه وأسألكم الدعاء.

والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإمام الحسين أعاد إلى الأمة مشروعها(١)

٦ /١/ ١٤٢٠هـ



والحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الكرام الذين اتبعوه بإحسان، وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين نسأل الله أن يجعلنا جميعاً من هؤلاء التابعين بإحسان.

والسلام عليكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء ورحمة الله وبركاته.

ونسلم سلاماً خاصاً في هذه الجلسة على سيدتنا زينب(ع) ابنة علي(ع)، التي نجلس الآن إلى جوار مثواها، ولعل الله أن قد أكرمنا فنشرف بأن روحها الشريفة تلم بنا ونحن في أيامها وأيام آلها، الأيام التي تجلت فيها بطولتها فكانت صورة أخرى عن المرأة التي كرمها الله فجعلها جزءً من مسيرة هذا التاريخ وصنعه، وأعطاها بالإسلام ما لم يكن لها في أي نظام اخترعه عقل الإنسان السلام عليك يا سيدتي يا زينب يا ابنة علي وفاطمة، يا ابنة رسول الله (ص) المجاهدة المضحية الصابرة والعالمة الفاضلة وقدوة النساء ورحمة الله وبركاته.

في الحديث عن شهادة الإمام الحسين (ع) وعن نهضة الإمام الحسين

(١) ألقيت في مقام السيدة زينب (ع) بدمشق.

شعب شتى يستطيع المرء أن يلم بأية شعبة منها ويكون فيها متسع كبير للحديث.

في هذه الجلسة بعض النقاط التي أراها تتصل بفهم هذه الظاهرة التاريخية المتجددة من جهة وتتصل بحياتنا المعاصرة من جهة أخرى.

ولا خير في الذكريات إذا اقتصرت على مجرد استعادة في الذاكرة ولم تتصل بحياة الناس التي تكابد وتعاني مما تواجه من مشكلات يمكن أن تكون هذه الذكريات مضيئة ومنيرة لدروبنا الحالكة كما هو شأننا في كثير من قضايانا.

ومن هنا فإن ذكرى الإمام الحسين ذكرى الثورة قد يتناولها الفقيه من جهة نظر الفقيه، نرى دلالتها الفقهية في الفقه السياسي في سيرة الأمة نحو تطبيق الشريعة من جهة، ونحو تطوير حياتها من جهة أخرى، وقد يتناولها المؤرخ الحالي وبهذا الاعتبار، الاعتبار الفقهي تتحول هذه النهضة إلى مادة أساسية في الفكر السياسي الإسلامي وفي الفقه السياسي الإسلامي.

ولكن قد يتناولها المؤرخ الذي يحكي فتتحول إلى مجرد أحدوثة قد تكون مادة للسمع وقد تكون نواة لقصة، وهذا ما حدث كثيراً في التاريخ.

قد يتناولها فيلسوف التاريخ المحلل ليرى من خلالها تركيبة المجتمع الإسلامي في الحجاز وفي العراق في ذلك الحين، وتركيب الأمة الإسلامية في جميع أقطارها وكيفية تفاعلها مع هذه النهضة.

قد يتناولها عالم الاجتماع والحضارات ليقرأ فيها كيف أنتجها المجتمع الإسلامي وكيف أنتج هذه الحركة من جهة، وكيف تأثر بها من جهة أخرى.

في ظل ذلك يمكن إلقاء سؤال:

هل كانت هذه النهضة تنتمي إلى أمتها وعصرها؟ أو إنها جاءت سابقة لزمانها وعصرها؟ هل كانت مبكرة؟ أو جاءت في وقتها؟ هل حققت أهدافها؟ أو كانت عملاً فاشلاً؟ مثل ملايين الأعمال الفاشلة التي يقوم بها الناس في حياتهم.

هذه وغيرها من الأسئلة كثيرة تطبق بالحديث من هذه الثورة ويواجهها الباحث الذي يريد أن يفهمها ، ترى هل هي أول حادث في التاريخ نهض به من رجل مقدس واستشهد فيه مائة ونيف من الرجال وبعض النساء وبعض الأطفال؟

ألم تحدث في التاريخ في الماضي والحاضر أحداث أكبر وأكثر ذهب ضحيتها أعداد أكثر وأكبر؟

لماذا هذه الخصوصية لهذه الثورة؟ هذه الثورة إلى من تنتمي؟ هل تنتمي إلى زمانها؟ نسأل إلى من تنتمي من الناس؟ هل تنتمي إلى بيت من البيوت؟ إلى أسرة من الأسر؟ هل هي مشروع من مشاريع علي (ع) كما فهمها البعض؟ هل هي مشروع من مشاريع الهاشميين في مقابل بني أمية؟ هل هي مشروع من مشاريع التيار السياسي الذي صارع السقيفة وصارعته؟ أو أنها تنتمي إلى الأمة الإسلامية هل كان الحسين(ع) قائد مجموعة يحمل طموحاً سياسياً معيناً ومحدوداً؟ هل كان زعيم بيت؟ هل كان رئيس حزب؟ هل كان إمام مذهب ماذا كان؟ أو أنه إمام المسلمين؟

هذه الأسئلة تتصل بهذا الحديث الكبير وتتصل بحاضرنا أيضاً، وفي أي الزوايا تناولنا هذا الحديث سنجد أنه يثير حوله أسئلة كثيرة تبدأ من الأسئلة البسيطة وتنتهي بطبع قضية حضارة الإسلام ومشروع الإسلام برمته، هذه بعض الجوانب التي آمل أن تنال عناية المفكرين والباحثين والعلماء، وألا يأخذوا هذه النهضة أخذاً مقارباً بسيطاً وكأنها حدث يمر فهذه نقطة.

هل هذه الثورة تتصل بحادثة تاريخية أو بمشروع مؤقت ؟

الإحياء الذي مورست به ولا نزال نمارس به، منه ما نشاهده الآن في الشوارع والساحات هنا، ومنه ما نشاهده في مجامع مبجلة كمجمعنا هذا، ومنه ما سمعناه من قصيدة السيد جعفر الحلي.

يبدو وكأن الثورة تفهم على أنها عمل خاص وشخصي من إنسان ونتعصب له، قصيدة السيد جعفر الحلي وهي تعكس جانباً كبيراً جداً من شعر الرثاء، تعكس الجانب الخاص والشخصي، بكل أسف تحمل الحسين وتحمل

مشروعه أخطاء كثيرة، وتحملوا قصور الناس، وتحملوا الأفكار المحدودة التي قلصت الحسين من عملاق هو بالتأكيد في حجم الإسلام، وفي نظري هو بالتأكيد أوسع من حجم الإسلام إلى أن يكون في أحسن الحالات زعيم حزب وإمام طائفة، وأن تتحول حركته من مشروع إسلامي عام إلى مأساة عائلية خاصة وإلى سمة مذهبية أشد خصوصية، وأن تتحول ملحمته من مشروع حضاري إلى مجرد حكاية تعكس انفعالات وإن كانت شريفة ومشروعة، وتقتصر على بعض ما أريد منها، دموع بريئة وطاهرة ومقدسة وتنتهي عند ذلك.

هذه المسائل لامسناها نحن منذ ثلاثين أو أربعين عاماً تقريباً وبكل أسف نجد أن الفهم والممارسة على ضوئها، الفهم تقلص إلى درجة كبيرة، الإمكانات العظيمة لأن تكون هذه النهضة طاقة محركة في الأمة فتحولها إلى عادة شعبية من بعض الجهات وتحولها وهذا هو الأسوأ والأخطر إلى مشكلة داخل الإسلام في بعض الحالات ، الآن تقام ذكرى الحسين (ع) في الشام في عاصمة الأمويين في جزر معزولة تماماً عن محيطها، سواء أقيمت في المحسنية أو الزينبية، يقيمها بعض الشيعة كل على شاكلته، وهي لا تتفاعل مع محيطها على الإطلاق، هذه الثورة التي هزت في الأعماق كل المجتمع الإسلامي والسياسي والمدني في حينه، والتي أطلقت سلسلة من الثورات لم تنته بسقوط الدولة الأموية وإنما بقيت تتفاعل حتى عهد العباسيين تنتهي الآن بهذه النهايات التي نراها، هي لا تساهم في بث الطاقة الروحية في الأمة، ولا تساهم في بث الروح الحضارية في الأمة وإنما تساهم فقط في تجميع مجموعات من الشيعة لبعض الوقت من بعض السنة وينتهي كل شيء.

بعضهم يمارسها بروح العادة وبعضهم يمارسها بروح التبرك، وبعضهم يمارسها بروح العرفان بالجميل والوفاء لعاطفة المودة في القربى، وينتهي بعد ذلك كل شيء.

هذه الأسئلة آمل أن تكون موضوع عناية ليس من باحثي ومشايخ علماء الشيعة فقط، الشيعة يتحملون مسؤولية كبرى في أنهم حاصروها وقزموها وأفرغوها من محتواها وحولوها إلى مأساة، ولكن المسلمين الآخرين يتحملون

جانباً كبيراً من هذه المسؤولية أنا أعرف أن تكون هناك قرابة بين كل المسلمين وغير المسلمين، ولكن أنا لا أعرف وجه القرابة بين يزيد وبين المسلمين، أو بين ابن سعد وبين المسلمين، أو بين عبيد الله بن زياد وبين المسلمين، هذا السؤال يلقى على كل باحث يعنى ببحث تاريخ الإسلام على قاعدة الحضارة والاجتماع، لماذا تبقى هذه النهضة محاصرة؟ هل في الاعتراف بها إدانة لتاريخ سابق؟ كنت أقول وأكرر الآن، البعض يفهم أن هذه النهضة وما انتهت عليه هي نتيجة من نتائج الصراع بين هاشم وأمية، كما قال العقاد وطه حسين وآخرين، وأنهما وبعد ذلك نتيجة من نتائج السقيفة، وهذا فكر منظوم ومكتوب، وأنها نتيجة من نتائج موقف معاوية في مقابل خلافة علي، وهذا فكر ومكتوب ومبحوث، وكلمة خطأ في نظري، لا يمكن أن توضع نهضة الحسين أو ثورة الحسين في هذا السياق إطلاقاً، هي ليست نتيجة لصراع عشائري أو عائلي، وليست نتيجة لالتباس سياسي حدث بعد وفاة الرسول، وليست نتيجة لعصيان مارسه والي من الولاة ولم يمتثل لأمر العزل كالذي حدث من معاوية، هي نتيجة لتفاعل في جسم الأمة، نتيجة لتفاعل في مشروع الإسلام لبناء الأمة ولتوليد الحضارة اصطدم بعقبة نظام سياسي، ولو لم يكن يزيد على رأسه أيضاً لكانت النتيجة هكذا، وكان رسول الله (ص) يستشرف هذا ويقلق منه ويحذر منه ويرى وقوعه.

هناك جانب من جوانب الغيب لا أريد أن أدخل فيه الآن، ولكن ندخل في عالم الشهادة نتناول ما يتصل بعالم الشهادة، صح عنه (ص) أنه حذر وعبر عن قلقه في أن تتحول الخلافة بعده إلى ملك عظيم وحذر من أن تتحول السلطة في الإسلام إلى قيصرية وكسروية، ولم يكن هناك صراع جمل أو صفين أو نهروان أو ما إلى ذلك، النبي بعين الغيب كان يرى تفاعلات هذا المشروع، أقول هناك قدر خفي ليس هذا موضع بحثنا، ولكن جانب الشهادة، جانب العالم المنظور كان هذا، وكان بمقدار ما هناك في توقع وتبصر واستشراف وقلق، في نفس الوقت كان هناك إيجاد ضمانات وضوابط ليبقى الخط الأصيل داخل الإسلام نقياً بالرغم من التحولات الخطيرة في السلطة.

مصطلح ملك عظيم، هذا مصطلح إسلامي وهو من إبداعات البيان النبوي، لا نعهد في العربية الجاهلية عربية ما قبل الإسلام، تعبير هذا أن الملك يتحول إلى وحش يعض (عضوف) هذه الصفة منحوتة من النهش بدل أن يربي الملك شعبه، يتحول الشعب إلى فريسة، موضوع للعض وهي الصيغة الحضارية الأخرى الإيرانية الكسروية أو البيزنطية في العالم الروماني ، في القيصرية، ثورة الحسين كانت هي المعادلة الموضوعية للانحراف سواء أكان هذا الانحراف تمثل في وسيلة تولي السلطة وخروجها عن مبدأ الشورى، أو كان في طريقة ممارسة السلطة، الخلل حصل في وسيلة تولي السلطة بعد أن عطل مفهوم النص، وهذه مسألة كلامية لا ندخل فيها، بعد أن عطل مفهوم النص الذي نعتقد لأسباب موضوعية صارمة لا تتصل بعلم الكلام ولا بحديث غدير ولا بغيره، أن الشخصية العربية في ذلك الحين تفتقر إلى مفهوم النص، عطل مفهوم النص، وأهل النص قبلوا هذا التعطيل، ومشوا، كلمة أمير المؤمنين علي(ع) «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة».

بعد أن عطل مفهوم النص كان المفروض أن يأتي المفهوم البديل الذي كان دوره التاريخي لم يحن بعد، ولكن من الممكن أن يستخدم استخدام مناسب، وهو مفهوم الشورى، عطل مفهوم النص وعطل أيضاً مفهوم الشورى وكانت آلية السلطة قد تحولت رأساً إلى السيف، ألغي دور الإنسان المسلم نهائياً، لم يعد له وجود، أذكر مثالين من الأمثلة المفتاحية:

أن يقوم قائم في مرتزقة الشعراء والخطباء الذين لابسهم الفساد السياسي، يخاطب الناس هنا في دمشق ويقول:

(أمير المؤمنين هذا، فإن مات فهذا، ويشير إلى يزيد، ومن أذى فهذا، ويشهر سيفه) ويقبل الناس أو يقول القائل:

(فإن تأتوا برملة أو بهند نبايعها أميرة مؤمنينا، إذا مات، مات كسرى ، قام كسرى نعد ثلاثة متتابعينا. . .) إلى أخر ما قال، أظن عبد الله بن قيس.

هذا المنطق عطل ومفهوم النص عطل، المشروع الإسلامي التغييري

الحضاري ليس للعرب وإنما للجنس البشري عطل.

الإمام الحسين واجه انعطاف بهذا الحجم، وليس بحجم أنه هو الإمام الثالث وينبغي أن يكون هو حاكم، منذ علي (ع) وبالتأكيد منذ الإمام الحسين (ع)، أئمة أهل البيت المعصومون أنهوا علاقاتهم بمشروع الحكم السياسي أنهاءً «كاملا» لم يعد هناك مشروع حكم لم يعد هناك مشروع سلطة، أصبح المشروع الوحيد هو المشروع الأم الذي تخدمه السلطة وهو إنقاذ الأمة وإنقاذ المشروع الحضاري ، الحسين واجه هذه الأمة، والأمة ومن دون وعي كانت تواجه هذه المهمة، كانوا يدركون أن شيئاً عظيماً قد سقط وانتهى ، أن المشروع المدني مات، أن روح الإسلام ماتت وبقي الهيكل واجه هذا الوضع، ماذا يعني والإمام الحسين كما نعلم ينتمي إلى المفهوم النقي، ولكنه لم يستعمل أبداً مفهوم النص، رجع إلى المشروع الكبير مشروع (يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته).

أنتقل من كونه إمام ثالث إلى استعادة المشروع الأم جوهر المسألة، هو هذا، تشعبات في هذه الأسئلة التي ذكرتها لكم وعشرات الأسئلة الأمهات، الأسئلة المفاتيح الأخرى، هذه القضية بدأت هكذا ولم تنتهي، الإمام الحسين أعاد إلى الأمة مشروعها ووضع هذا المشروع في يد الأمة منذ ساعة معينة عند ظهيرة اليوم العاشر من المحرم، من سنة ستين حدث تغير عميق لا يزال حياً إلى الآن في الأمة الإسلامية حينما وضع فصل نهائي وقاطع بين أهلية الحاكم للتشريع والشريعة، لم يعد أمير المؤمنين، لم يعد حامل هذا اللقب مصدراً تشريعياً أصبح إما مجرماً من نوع يزيد بن معاوية أو شخص صالح من نوع عمر ابن عبد العزيز.

أول إنجاز وأعظم إنجاز مباشر كان هذا، أن الشريعة عزلت وحصنته من سلطة الملك العبوث ، لم تعد قابلة للاستخدام، من مظاهر ذلك، لأجل أن أجعل الرؤية أكثر وضوحاً ويعلم المهتمون بتاريخ الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية أنه في عهد معاوية دخلت فكرة الجبر إفرادي إلى الفكر السياسي وغدا جبر الدين الإسلامي المبني على حرية الإنسان وعلى مسؤولية الإنسان وعلى

أخلاقية الإرادة، وكنت البارحة أتحدث عن مفهوم محوري لنص عن الإمام الصادق وهو يلخص رؤية إسلامية عامة وهي (أن الله قد فوض إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوض إليه أن يذل نفسه).

هذا كله تحول إلى أن الإنسان آلة وأن الحاكم مهما ارتكب من جرائم فهو بقضاء الله وقدره، ولا شرعية لأي نقد له، ومن هنا تولدت هذه الفكرة إلى أن تبلغ أن واحد منهم أظنه عبد الملك بن مروان أن يقول على منبر الجمعة (من قال لي «اتقي الله» أخذت رأسه أو ضربة عنقه بالسيف) ويقبلها الناس، المشروع الإسلامي تعرض لانتهاك بهذا الحجم، في هذه الحالة وفي مواجهة هذا المشروع والعادل في الموضوع للمشروع السلطوي الذي عطل فيه مفهوم النص والذي عطل فيه مفهوم الشورى وعطل فيه إرادة الإنسان المسلم، كان هو هذه النهضة التي صممته من الأساس لتكون استشهادية، أنا لا أشك لحظة واحدة وأثبت هذا في كتبي الذي حللت فيها القضية الحسينية ثورة الحسين وغير ثورة الحسين من كتبي، لا نشك لحظة واحدة قبل وفاة معاوية وقبل ولاية يزيد وقبل طلب البيعة كلها جاءت أمور اعتبرها الحركة اليومية للعمل السياسي، كان هذا القرار مأخوذ، قرار الاستشهاد لم يرتبط بلحظة التي قيل للحسين بايع وقال: (لا أبايع)

كلا، لاحظ أيها الإخوة والأخوات وهذه مسألة أطرحها على من يتولها طبعاً، لا يتسع عمر الإنسان للإجابة على كل هذه الأسئلة، حجم الرقيق في الاجتماع الإسلامي، المختصون يعرفون، وصل إلى أنه بعض الخلفاء يكون عندهم عشرة آلاف جارية فإذا فرضنا أن المؤرخ مغالٍ نطرح ٩٠ ٪ ليكون عنده ألف أنثى للاستمتاع الجنسي، فإذا طرحنا اكثر يكونون خمسمائة جارية، فإذا طرحنا أكثر يكونوا مائة جارية.

أحد أركان الاقتصاد الإسلامي كانت تجارة الرقيق، حركات فتوح برمتها، أن تفتح إسبانيا يفتح شمال إفريقيا ما نسميه الآن المغرب في البلاد المغاربة يحتاج أن يكون الشعب يفهم أنه يريد أن يتحول إلى رقيق ويشحن وتعقد له السواق ويباع ويشرى ويهدى ويتوالد ويوضع وتعقد الكتب الفقهية والأبحاث

الفقهية عن كل المسلمين لتبحث أحوال الرقيق، من أين هذا، جاء هذا من الانحراف، التشريع الإسلامي الأساسي وضع لتذويب الرقيق الذي كان موجوداً فأصبح هذا التشريع حينما اندمج مع الممارسة السياسية لملك الدولة في ملك العدو، الدولة التركوية أو القيصرية إلى أن يكون أحد أعظم الدول إنتاجاً للرقيق في العالم.

هذا أحد الانحرافات العميقة في مسيرة التشريع الإسلامي الذي واجهها الإمام الحسين ورآها، هذا الانحراف الذي كاد أن يغتال كل شيء هذا الانحراف الذي آل إلى أن يتخذ الحسين هذا القرار، وأن ينفذ هذا القرار من هذه الزاوية ومن هذا المنظور.

أحلل لكم أيها الأعزاء مفهوماً يرد في كلام بعض نقلة مسيرة الحسين على المنبر وتقرأ منه في الكتب والمصادر الموثقة، ولعله ورد في بعض نصوص الزيارات المروية عن أئمة أهل البيت (ع) ، زيارة الإمام الحسين، يعبر عنه بالغريب يقال إن الحسين غريب، ويسلم عليه أو يكتب باعتباره غريباً، هنا نسأل ما معنى هذه الغربة؟ الإمام الحسين هو إمام المسلمين وأنا لا أستطيع القول إن الرئيس حافظ الأسد في أقصى قرية من قرى سوريا مثلاً غريب، أو بالأحرى في أقصى قرية من قرى العرب أنه غريب، فكيف أقول عنه أنه في سوريا غريب، كيف يكون بأي معيار، هل هو في قوم غير قومه، هو عربي بين عرب، وهو مسلم بين مسلمين هل هو في بلد غير بلده، وهو في بلاد عربية يحكمها الإسلام ويسكنها العرب المسلمون والعرب غير المسلمين، حتى بالمعيار المباشر للمواطنة عاش فترة طويلة من حياته وفترة مهمة أيضاً إلى جوار كربلاء ولعله في بعض أسفاره لعله زار كربلاء أيضاً أيام ولاية علي (ع) في الكوفة.

ما هي الكوفة وما هي كربلاء كيف ذلك، البعض يفهم هذا الفهم الشخصي والمحدود والعائلي والذي هو صغير بقدر ما نحن صغار أنه ولي وهو هاشمي وهؤلاء من بني أمية.

هو في خط علي وهؤلاء في خط معاوية وهو حجازي وهذه عراقي، وغير هذا مما لا يمكن أن يعقل في ضمن مشروع حضاري إسلامي، يريد أن يحول

الآخر إلى جزء من الذات، يريد أن يجعل الأرض كلها مسلمة، ويريد أن يجعل الناس كلهم مسلمون، وفي ضمن ماذا في ضمن مبدأ تشريعي غالب وقاهر وله آثار تكليفية ووضعية في الشريعة، هو الاخوة الإسلامية، يقال عن الحسين غريب بهذا المفهوم، حقيقة أنا لا أفهم هذه الغربة من زاوية أخرى، الإمام الحسين (ع) كان بالمعيار الحضاري وبالمعيار الذي يستند إليه مشروع الأمة نعم كان غريباً، لأنه استحدث عالم جديد من الأفكار والقيم وشبكة العلاقات والمقاصد والغايات يختلف اختلافاً كاملاً عن عالمه الفكري والقيمي والمقاصدي والغاياتي الذي ينتمي إليه. هنا في هذه الحالة، نعم يغترب الأخ عن أخيه والأب عن ابنه، ويغترب الناس بعضهم عن بعض نعم كان غريباً وإلا بأي مقياس وهناك نصوص موثقه تسميه غريباً، أنا لا أفهم أي مقياس، كل المقاييس التي تحكى هي مقاييس خطأً، أن يقال حجازي وهو غريب في العراق أو كوفي وهو غريب في كربلاء، الغربة يجب أن تفهم من ظل ما ذكرته من ظل التحولات العميقة والشاملة والبنيوية التي مست المشروع برمته، وبهذا الاعتبار تكون ثورة الحسين حجمها يستحق أن تحيى بعد ثلاثمائة وستين وألف سنة، نحن الآن في سنة عشرين وأربعمائه وألف إذا أخرجنا منها ستين سنة يبقى عندنا ستين وثلاثمائه وألف وإلا يمكن أن نخلد كوارث كوسوفو وما ارتكب فيها بصرف النظر عن قداسة الأشخاص، توجد قداسة كبرى تنشأ من مفهوم العصمة للحسين وأطياف العصمة التي تحوم كما هي في زينب وأمثال زينب، بصرف النظر عن هذا، ما يرتكب الآن في كوسوفو وما ارتكب ضدنا في فلسطين هو أفخم من حيث العدد ومن حيث الكوارث ولكن عادة كل شيء يقاس بعظمة المشروع ، مشروع كوسوفو هو لا يأتي، تفضيل عشر واحد بالبليون عن مشروع الحسين (ع) ومن هنا الحجم، مفهوم الغربة يفهم في ظل الإطار الفكري القيمي الغاياتي المقاصدي الذي شرحت بعض معالمه في حديثي.

أخيراً في هذا الحديث أثير نقطة خطرت لي الآن وأنا أسمع تلاوة الأخ الذي شرفنا بسماع كتاب الله وآمل منكم أيها الأعزاء والعزيزات، أن تتبصروا في ذلك.

لاحظ أن الآيات بدأت بتوصيف الشهداء، وبيان أنه لا تحسبوهم أمواتاً بل هم أحياء.

ووصلت رأساً بطرح مشروع الأمة ومشروع صراع الخير والشر ومشروع المآل الذي ينتهي إليه هذا الصراع وأن العاقبة تكون فيه للصابرين.

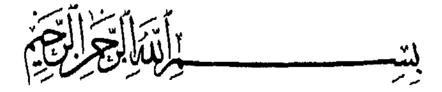
مفهوم الشهادة في أذهاننا وكما نفهمه الآن ونمارسه مع الحسين وهو مفهوم شخصي والشهادة لم تكن منذ كانت مشروعاً شخصياً أنا أقول الشهادة ليست هدفاً، الهدف هو المشروع والشهادة وسيلة، أن نحتفل بالحسين وكأنه صديقنا الذي مات وكأنه ابن جيران أو أبو صديقنا ونحزن له كما نحزن لأي كارثة شخصية، الكارثة في فهمنا والكارثة فينا، أما أن نعيد الحسين إلى الإطار الذي ولد فيه باعتباره أنه قوة استخدمها الله في إنقاذ مشروعه الذي تمثل في الإسلام فهذا هو الحسين.

بارك الله فيكم ورعاكم، وجعلنا جميعاً ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثورة الحسين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢٣/ ٤/ ١٩٩٩م
٧/ ١/ ١٤٢٠هـ



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين، جعلنا الله تعالى وإياكم جميعاً أيها الإخوة والأخوات منهم، والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

ونتوجه بالسلام في هذا اليوم الذي يمثل بداية النهاية لواقعة كربلاء، وبداية البداية لانتصارات كربلاء، نقول: السلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله بقلوب تتجه إلى كربلاء وإلى كل مربع من المرابع التي شهدت حياة الحسين طفلاً وليداً في المدينة، وشاباً ورجلاً بين المدينة وغيرها، وناهضاً في جميع مراحل نهضته إلى مثل عصر هذا اليوم، وقد شحذ الجميع أسلحتهم ليغتالوا الأمة الإسلامية كما تتألق وتتجلى في عيني الحسين وفي كلماته حيث إنه جسد ولا يزال هذه الأمة في نقاوتها التي كونها الله بالقرآن الكريم وبرسول الله محمد(ص) في جميع هذه المواقع وفي جميع هذه المرابع تتوجه بقلوبنا إلى الحسين وآله وصحبه، فنقول: السلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلت بفنائكم وأناخت برحلك عليكم سلام الله أبداً ما بقيت وبقي

الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، في رسالة الحسين الشهيرة إلى الأمة ورد في الفقرة التي تتكرر كثيراً وهي قوله: (أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليَّ هذا أصبر حتى يحكم الله بالحق وهو خير الحاكمين).

إذن هو يتحرك من أجل أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر.

نتلو قوله تعالى في وصف الأمة الإسلامية حيث يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً المسلمين في جميع الأزمان، منذ أول كلام تكلم به رسول الله، منذ دعا رسول الله خديجة وعلياً إلى الآن: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (يعني وجدتم وجعلتم) ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

في فهمي أن (كان) هنا بحسب اصطلاح العلوم العربية هي تامة (وجدتم خير أمة) أي خلقتم حضارياً، خير أمة.

هذه الخيرية مرتبطة بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، مهمتكم في هذه الدنيا وهذا التاريخ أن تأمروا بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله إيماناً عملياً، تترجمون إيمانكم النظري الاعتقادي إلى إيمان عملي سلوكي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا كنتم هكذا تكونون خير أمة فإذا لم تكونوا هكذا لا تكونوا خير أمة.

إذن الإمام الحسين حينما يقول: (خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر) فهو يحيي العامل الأساسي في حياة ووجود الأمة ويعيد للأمة دورها في الحركة وفي صنع التاريخ، ثم يقول: «فمن قبلني بقبول الحق" هنا ألفت أنظاركم الكريمة إلى أننا كثيراً ما نسمع في السيرة الحسينية تأكيد على الجانب النَسَبي، أنا ابن فاطمة، أنا ابن رسول الله، أنا ابن الزهراء، بعض هذا الذي تسمعونه صحيح، كان الإمام الحسين ومن معه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

يذكِّرون المضللين الذين واجهوه، ومن خلفهم يذكِّر النظام الذي قاتله بأنه ينتمي نسبياً إلى الرسول وعلي والزهراء، ولكن في جوهر الحقيقة هو لا يركز على هذه النقطة، العرب في ذلك الحين كانوا لا يزالون يتأثرون بالأنساب ويتأثرون بالعلاقات النَسبية، وأي شرف أعظم من أن يكون الإنسان الصالح ابناً لرسول الله، هذا شرف عظيم، ولكن مع ذلك الإمام الحسين في إعلانه السياسي، في وصيته السياسية لم يركز على هذا، لاحظوا قوله: "فمن قبلني بقبول الحق».

ويقول (ع) للأمة دائماً توجد مسألة أساسية هي مسألة الحق، مسألة العدالة، يقول لهم: «أنا لا أقدم نفسي إليكم باعتباري أحمل نسباً معيناً، بل اقدم نفسي إليكم وأتحرك بهذه النهضة من موقع أني داعية حق وداعية عدالة، من موقع القضية ومن موقع المشكلة التي تتخبط فيها الأمة وهي مشكلة تعطيل إرادة الأمة وتعطيل مبدأ الشورى، الذين يقبلون الحق فليقبلوني ومن ردَّ علي هذا أصبر حتى يحكم الله بالحق».

هذه الظاهرة هي ظاهرة الحق التي كانت سائدة في كربلاء، ظاهرة الحق، أصحاب الحسين رجالاً ونساء غير أهل البيت كانوا ينتمون إلى قبائل متنوعة، كانوا ينتمون إلى المجموعتين الكبيرتين مُضر واليمن، وكانوا في داخل مضر ينتمون إلى قبائل وعشائر كثيرة، وفي داخل اليمن ينتمون إلى قبائل وعشائر كثيرة، ولكنهم حينما انخرطوا في مشروع الحق في مشروع الإصلاح الذي نهض به الإمام الحسين انخرطوا فيه وقاتلوا معه واستشهدوا في سبيله خارج الانتماء العشائري وخارج الانتماء القبائلي، وإنما مثلوا أعلى درجة من درجات الانتماء إلى الأمة، عشيرتهم كانت هي الأمة، من هنا لم يتأثروا، عرضت عليهم عروض كثيرة لأن قبائلهم كان كثير منها ممثلاً في الجيش الآخر، وبذلت وساطات لإنقاذهم وعرضت لهم عروض ليتركوا الحسين وينجون بأنفسهم ومع ذلك كانوا رجالاً ونساء على وعي كامل بالحق الذي التزموه وقاتلوا عليه واستشهدوا عليه وسبيت النساء عليه. هذه النقطة نحن نحتاجها الآن وأذكر مثلاً في حياتنا الجارية الآن.

الآن ينتظر في لبنان أحد الأمور الهامة في مستقبل الاجتماع اللبناني

والنظام اللبناني وهو قانون الانتخابات الذي انتخب عليه مجلسان، مجلس عام ١٩٩٢ مع تركيبات وتحويرات، ومجلس ١٩٩٦ وهو المجلس الذي لا يزال موجوداً الآن، كان يقال إن هذا القانون غير مناسب ونريد تعديل قانون الانتخابات، نجد قانون الانتخابات يتصل بحياة كل إنسان لبناني وكل أسرة، هو يصوغ ماكينة الحكم والدولة نجد أن مشروع التعديل يخضع لاعتبارات دينية (مسلمين ومسيحيين) واعتبارات طائفية داخل المسلمين وداخل المسيحيين، واعتبارات حزبية إما داخل الطوائف في الأحزاب التي تنتمي إلى طوائف، أو الأحزاب المسماة غير طائفية، كما يلاحظ فيه الزعماء الذين يسيطرون على الحياة السياسية في كل منطقة، وهؤلاء أشخاص، وكل شخص يريد أن يصوغ هذا القانون بما يتناسب آماله ومخاوفه وطموحاته، وكل حزب وكل طائفة أيضاً كذلك.

هذا الواقع هو واقع لا يمثل الحق، لأن الحقيقة في المسألة هي المواطن العادي الذي يصنع الزعماء والطوائف والأحزاب، ماذا هم هؤلاء كلهم لولا المواطنين العاديين. المواطن الذي يئن الآن لتدبير أسباب معيشته، والله أنا أعرف أن الطوائف والأحزاب غنية، لا تشكي، والأحزاب غنية، لا تشكي، والزعماء كذلك لا يشكون. إن الذي يخاف ويتألم هو المواطن العادي، هذا هو الذي يمثل الحق، يجب أن يوضع هذا القانون بما يتناسب مع مصالح المواطن اللبناني، كونه مسلماً أو مسيحياً أو من مذهب كذا في المسلمين، أو من طائفة كذا في المسيحيين، هذا لا يقدم ولا يؤخر شيئاً كلهم يجوعون وكلهم يحتاجون إلى ملابس، وكلهم عندهم أولاد ويحتاجون إلى مدارس.

من هنا نحن اقترحنا، ونكرر هذا الاقتراح، اقترحنا أن تنشأ هيئة وطنية لا تقتصر على طائفة أو دين أو حزب أو زعامة، أن تنشأ هيئة وطنية من المتخصصين تنظر في هذا القانون لمصلحة المواطن ولمصلحة الاندماج اللبناني، أن اللبنانيين يندمج بعضهم ويحتاج بعضهم إلى بعض ولا نفرز لبنان إلى طوائف وإلى مناطق وإلى دين إسلامي وإلى دين مسيحي، حينئذ نكون قد راعينا جانب الحق ونكون قد اقتربنا من مفهوم العدالة الذي يجب أن يقوم عليها

التمثيل والنظام السياسي في لبنان. في القانون الماضي كان مرضي، كان الكثير راضين، ثم تبين أنه يوجد من لا يرضى، وبكل صراحة كانت فئات من اللبنانيين تقول إن هذا القانون لا يضمن التمثيل المناسب لنا، هذه المسألة لا نريد أن تنعكس بشكل أو بآخر، بأي وجه من الوجوه، هذه نقطة مما يتصل بحياتنا الآن عن الإمام الحسين، بقي أشياء كثيرة، باب الكلام عن كربلاء باب واسع.

لكن قبل أن أفارق هذا المنبر أريد أو أوجه معكم تحية إلى الإنسان الكبير الذي يذكر عادة في مثل هذا اليوم، السابع من المحرم وهو العباس بن علي بن أبي طالب(ع) هذا الشهيد المعظم، لا أدخل في حياته وإنما أدخل في مماته، عادة يذكر العباس في اليوم السابع، لماذا؟ لا أدري، أريد أن أبين الحقيقة التالية، هذا الرجل هو أخ غير شقيق للإمام الحسين(ع)، هو أخ له من أبيه ومن السيدة الجليلة أم البنين، هذه المرأة العظيمة الجليلة البطلة التي قدمت كلّ أو جلّ أولادها بطواعية، وبكتهم مع الحسين، هذه إحدى أمهات الإسلام، أم البنين هي إحدى أمهات الإسلام (رض) كلما تذكرتها تذكرت أمهات شهدائنا في المقاومة، وتذكرت أمهات الشهداء في كل جيل من الأجيال، بكل التألق وبكل الافتخار.

هذا الرجل لازم أخاه الإمام الحسين في الحق، لم تكن أخوّته وحدها هي العامل الأساسي في ملازمته، بل كان وعيه وهو العالم الجليل العظيم على أنه يشارك الحسين في مشروع الحق، مشروع الأمة، وكانت شهادته من الشهادات الصعبة ومن الشهادات العظيمة، أنا أقول يوجد موت سهل ويوجد موت صعب، ويوجد في الشهادة سهل، ويوجد في الشهادة صعب، والكبار الكبار عند الله سبحانه وتعالى هم الذين يتحملون أجر الشهادة الصعبة الأليمة ويثبتون من دون تردد ومن دون ريبة ومن دون أي قلق إلى النهاية.

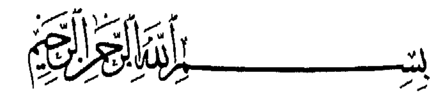
من الثابت في الأخبار الشريفة الواردة عن الرسول وأهل بيته الأطهار أنه كلما كانت فترة اختبار الإنسان ـ في سياق الموت ـ كلما كانت غريبة وأليمة تكون نهايته سليمة وكريمة، إذا صبر وإذا سلّم أمره لله، كلما كان الموت صعباً كانت النهاية حسنة لأن الله سبحانه وتعالى يمتحن بعض عباده المؤمنين، أي

يكرمهم في حياتهم بالابتلاءات والآلام أو في نهاية حياتهم، في موتهم، في الشهادة أيضاً كذلك، يمكن إنسان يستشهد بضربة سيف واحدة، بطلقة بندقية واحدة ويموت، وبذلك يكون شهيداً مكرَّماً، ولكن الأعظم هو الشهادة الصعبة، العباس سلام الله عليه كان ممن اختار لهم أعظم الكرامات لأنه من أعظم الرجال، كانت شهادته شهادة صعبة، لاحظوا الساعة الأخيرة من حياته، أن يقاتل لأن صبره نفذ وأنه لا يستطيع أن يستمر حياً، هكذا قال لأخيه: نفذ صبري، يعني أريد أن أموت، وهو أجل وأعظم من أن ينتحر فأراد أن يستشهد، ولما ندبه الإمام الحسين ليجعل هذه الساعة الأخيرة فرصة الماء، وخرج إلى ما خرج إليه، وآثر أن يبقى عطشاناً وقد كان يخوض في الماء إلى ساقيه، وبعد ذلك تقطع يده ثم تقطع يده الأخرى، ثم تفقأ عينه ويبقى محتضنا بكنز حياته الكريم، القربة التي تركزت فيها كل ذرة من ذرات وجوده، لا لأنه يريد أن ينتصر على الأجلاف الذين أحاطوا به وإنما يريد أن يدخل ذرة فرح على قلوب الأبرار الذين ينتظرونه رجالاً ونساء وأطفالاً، وبعد ذلك يفجع في ما هو أكبر من خلاصه في نظره، في القربة، وبعد ذلك يضرب على رأسه ويموت في نزع طويل طويل، الذي يمثل راية الحق ويمثل الشهادة الصعبة التي لم تتردد ولم تلن ولم تهن ومثل بذلك النموذج الخالص لحامل راية الحق على مدى تاريخ الإنسانية.

سلام الله عليه وعلى جميع آله وصحبه، والسلام عليكم أيها الإخوة الأعزاء ورحمة الله وبركاته.

كربلاء ورسالة الشباب[1]

٢٤ / ٠٤ / ١٩٩٩ م
٠٨ / ٠١ / ١٤٢٠ هـ



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان، وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين جعلنا الله منهم إن شاء الله.

والسلام عليكم أيها العلماء الاجلاء وأيها الإخوة والأخوات الأعزاء ورحمة الله وبركاته.

ونتوجه بهذه الساعة الأخيرة من الساعات الأخيرة من اليوم الثامن من المحرم، نتوجه بقلوبنا وضمائرنا إلى كربلاء، حيث في مثل هذه الساعة، وفي مثل هذا اليوم كانت معركة الحق والباطل قد افتتحت على مداها بين الإسلام النقي المستقيم وبين نهج التحريم والظلم والعدوان على المجتمع وعلى الأمة.

نتوجه بخيالنا وبقلوبنا، نجد مجموعة مؤمنة مجاهدة صابرة من الرجال والشباب والنساء والصبايا يحملون هماً واحداً وقضية واحدة، هو ليس هم حياتهم أو سلامتهم، وإنما هو هم الإصلاح الذي أعلن عنه الإمام الحسين في

(١) ألقيت في مجمع البشير (تول).

وصيته الشهيرة إلى أخيه محمد ابن الحنفية، هي وصية سياسية موجة إلى المسلمين حينما قال فيها:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً ، وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

هم هؤلاء الرجال والنساء والشبان الذين كانوا مع الحسين وكانوا يحملون هذه القضية ،لم يرد في التاريخ أبداً أنه رجلٌ أو امرأة أو أنه شاباً أو شابة فكروا بسلامتهم الشخصية، وفي مثل هذا اليوم تبينت نهايات، أنه لا يوجد خيارات سوى الاستسلام أو الموت وحينها رفض الاستسلام بكل بساطة، أنهم اختاروا الموت اختاروا الشهادة الصعبة الشهادة التي فيها الآلام كثيرة، يمكن أن يكون حال الموت سهل بحال مات الإنسان بسكته قلبية، ويمكن أن يكون هناك موت صعب كما لو مات بعد مرض طويل والآلام كثيرة، كذلك يمكن أن يستشهد الإنسان بشهادة سهلة ويستشهد الشهادة الصعبة، كلهم سلام الله عليهم ورضوانه استشهدوا شهادة صعبة من نوع شهادة العباس، عطش وقطع أطراف وفقأ عين وجراح ونزيف وموت، كلهم كانوا عطاشى في هذا اليوم الحصار حول الماء كان محكماً ولعلهم كانوا جياع.

جوانب الحديث عن الثورة الحسينية كثيرة، ما أريد أن أخاطب به هذا المجلس الكريم هو جانب واحد، الحقيقة إني خصصتكم بهذه الزيارة وأنا أعمالي كثيرة ومسؤولياتي كثيرة وهذا المجلس الوحيد الذي أزوره في لبنان خارج مجلسنا المركزي الذي وفق الله سبحانه وتعالى لإنشاء هذا العمل الإسلامي المبارك، العمل القائم على منهج أهل البيت والذي خصصنا له جهوداً كثيرة آمل من الله تعالى أن يكون مثمراً ولأن هذا العمل في جو النبطية هذه المدينة الحسينية التي دخلت في تاريخ مآتم الحسين (ع) ، هذا المجلس شكل خصوصية، هو أولاً من المجالس التي أسأل الله أن يجعلها محبوبة منكم جميعاً، الحديث عن قضايا كربلاء كثيرة.

أختار للحديث معكم نقطة واحدة هي كربلاء ورسالة الشباب في كربلاء، كان يوجد رجال ونساء كبار السن وكان يوجد في كربلاء شباب، عنوان هؤلاء

الشباب علي الأكبر (ع) وغير علي الأكبر، وعنوان هؤلاء الشباب سكينة (ع) وبنت سكينة (ع) شبان ذكور وإناث إلى جانب رجال كبار السن كانوا موجودين في كربلاء وحملوا بنفس المستوى من النساء والمسؤولية تحملوا حمل القضية، القضية التي حددها الإمام الحسين بقوله «أطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر» يعني قضية الأمة، يعني فسادها كل فسادها وينشأ من المنكر، المنكر قد يكون ترك صلاة أو شرب خمر، وقد يكون فرض ضريبة من غير حق ، وقد يكون صرف مال من غير حق، وقد يكون مصادرة حرية الناس وكرامة الناس، كل شيء حرمه الله فهو منكر، القضية كانت قضية الإسلام الذي يقوم على المعروف ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾[1] فطرة الله التي فطر الناس عليها الإسلام هو صبغة الله، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، والشابات وكل واحد منهم أو منهن أمامكم مستقبل، هم ليسوا كبار السن وليسوا شيوخاً طاعنين في السن مستقبلهم أمامهم أحلامهم شهواتهم ولذاتهم أمامهم، ومع ذلك التزموا مع الإمام الحسين بهذه القضية، قضية الأمة وقضية المجتمع، في بعض تفاصيل السيرة الحسينية ولعلكم سمعتموها من بعض خطباء المنبر الحسيني، أن الحسين لما كان في بعض الطريق أخذته سنة من النوم فلما استيقظ قال ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[2] وكان إلى جانبه ابنه علي الأكبر يسايره فقال له يا ابتي ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ مما استرجعنا الاسترجاع له سبب، قال له: أخذتني سنة نومة خفيفة فرأيت قائلاً يقول: «القوم يسيرون والمنايا تسير بهم».

هكذا نحن سائرون إلى الموت الذي يسوق هذا الرقم هو الأم.

ماذا كان جواب علي الأكبر: قال له يا أبتي أولسنا على الحق ،لم يقول له إذاً لماذا نذهب، توقف ندرس الموقف، نرجع للتريث، لماذا نذهب إلى الموت، قال له فقط: ألسنا على الحق، قال له: نعم إذاً فلنسر إلى المنايا.

أنا حين أتذكر الواقعة أتذكر شيئين، أتذكر ذبيح إبراهيم ذبيح الله، أتذكر

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

إسماعيل حينما قال له أبوه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾[1].

قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

أتذكر موقف ثاني أتذكر أن إسماعيل كان شاباً وأنا أريد أن أتكلم عن شباب عن جيل المستقبل، قال: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾، قال: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

هي عبارة أخرى عن قول علي الأكبر فنعم إذاً.

الذكرى الثانية: ذكرى شاب آخر، هو علي بن أبي طالب حينما ندبه رسول الله أن يبيت مكانه في الفراش ليلة الهجرة ليفديه بنفسه، في مواجهة مؤامرة فيها كل قريش تجرد منها أربعون رجلاً ليقتلوا محمد بسيوفهم ضربة رجلاً واحد وهو في الفراش، مصداق قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[2].

قال له: بت على فراشي فإن القوم عزموا على كذا وكذا، وقد أمرني الله بالهجرة، ماذا كان جواب علي؟ قال له: وتسلم أنت يا رسول الله، قال: نعم، قال: فنعم إذاً أيضاً.

علي بن أبي طالب شاب، أنا أتكلم الآن مع الشباب ، إذاً استقرأت الشابات سأجد مثال مريم بنت عمران التي وهبت نفسها لله وتحملت من قومها الأذى في سبيل الله، سأجد آسيا بنت مزاحم الشابة العظيمة التي اختارها الله على ملك فرعون وسنجد دائماً في جميع دروبنا الزهراء، وسنجد دائماً في جميع دروبنا صبايا كربلاء فتيات وأمهات شابات ممن آمل أن تكونوا سمعتم بعض الصور عنهم، هؤلاء الذين يمثلون جيل المستقبل، هؤلاء الذين حملوا عبء المسؤولية قضية الأمة، أكرر دائماً أن الإمام الحسين (ع) ومن معه في نهضته العظيمة لم يحاربوا الناس على الصلاة والصيام والحج وتلاوة القرآن،

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

كان هؤلاء الذين يواجهونهم يصلون ويصومون ويقرأون، القرآن ولكن كان جوهر الدين وحقيقة الدين صلاة بلا روح ، وصوم بلا روح ، وقرآن بلا روح ،وحج بلا روح ، ما معنى أن يصلي ويضمر ويقتل وينتهك الحرمات أو يصوم كذلك أو يحج كذلك ، هذه الصلاة لا تكون عند الله وصوم لا يكون عند الله ،كان المقصد الأساسي إلى جانب الحياة، إخلاص العبادة ﴿أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[1] إلى جانب تصحيح العبادة وإخلاص العبادة تصحيح المجتمع، التصحيح السياسي والتصحيح الاقتصادي تصحيح كرامة البشر إنسانية البشر.

علي الأكبر (ع) وجميع أمثاله من شبان كربلاء وسكينة وجميع مثيلاتها من صبايا وشابات.

هؤلاء كانوا لسان حالهم جميعاً هو ونفس المقام الذي تحدث به علي الأكبر (ع) ألسنا على الحق، فلما قال له: نعم، فقال له: فنعم إذاً قال له بعبارة أخرى كلام، اسمع كلام إسماعيل ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾[2].

قال بلسان علي بن أبي طالب (ع): وتسلم أنت يا رسول الله.

فنعرف هذه الرسالة أيها الإخوة والأبناء الأعزاء: هي رسالة التي أريد أن أوصلها من كربلاء إلى شباب الأمة في عصرنا. المسلمين والعرب واللبنانيين، أعزائي وعزيزاتي، في هذا المجلس الشبان هم عدة المستقبل الجيل الماضي قام بما عليه في حق الدين وفي حق الدنيا، الآن نستخدم مستقبلنا في وحدة الكلمة مستقبلنا في مقاومة إسرائيل، مستقبلنا في الوحدة الوطنية، مستقبلنا في وحدة المسلمين، مستقبلنا في تقديم وترسيخ القيم الأخلاقية، في التحلي بصبغة الله سبحانه وتعالى، في تكوين الأسرة الصالحة الطاهرة الذكية، الأسرة التي شاهدناها في كربلاء، الأم التي تصابر زوجها وأولادها على الجهاد،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١١.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٩.

والأب الذي يصابر زوجته وأولاده على الجهاد، والأولاد الذين يسابقون أبويهم على الجهاد، وأقول أنا أرى أم البنين رضوان الله عليها أم الشهداء الكبار أم العباس وإخوته أرى فيها كل أم تساهم بأبنائها أو بصبرها أو بثباتها أو برسوخها في مواجهة العدو وفي الشهادة وفي المقاومة، رسالة كربلاء إلى المستقبل، وكل كربلاء، رسالة إلى الماضي، الإمام الحسين (ع) لعله أول إنسان في التاريخ الإسلامي الذي قام بعملية استشهادية هو ومن معه من الرجال والنساء، لا لأنه أراد كما يقول بعض قصار النظر أو سيىء النية ، أنه عنده حزب ويريد أن يصل إلى الحكم، كان الحكم على حياد لم يسعى إلى حكم ولم يسعى إلى سلطة ولم يكن رئيس حزب ولا رئيس طائفة ولا رئيس مذهب، إمام المسلمين الإمام الحسين (ع) الحكم كان آخر ما يفكر فيه، الشيء الكبير الذي كان يفكر فيه هو «أطلب الإصلاح في أمة جدي» يريد أن يقوي ويعزز قوى الخير والإصلاح والتقوى والإنسانية في المجتمع بعد أن جاء النظام السفياني ودمر كل شيء وأفسد كل شيء، الآن نحن نحمل ونؤمن رسالة كربلاء أحد صفحات ومضامين رسالة كربلاء رسالة الشبان، رسالة الشباب الذين في عصرنا الذين يتعرضون لأخطار وتنعقد عليهم آمال كبيرة.

المشروع الصهيوني أول ما يحارب، يحارب الشباب، يريد أن يدخل هذه النفوس الطاهرة النقية المباركة، لأجل أن يقضي على الممانعة وعلى الصمود وعلى الوعي، كذلك القوى الأجنبية تريد أن تهدم روح الحب والإخلاص والوحدة والاتحاد، لأنهم يعلمون سلامة لبنان تكمل في وحدة لبنان أبناءه مسيحيين ومسلمين عن طريق النعرات المذهبية والفئوية والحزبية وعن طريق تأجيج الشهوات والمفاسد والرذائل، يريدون أن يفسدوا فيه الشبان، جيل الشبان الذكور والإناث، أعتقد وأنا ألاحظ أيها الأعزاء أن المجتمع يرضع ثقافات كما يرضع الطفل من ثدي أمه أو من الرضاعة، يرضع من التلفزيون ومن الراديو ومن الصحيفة ومن المجلة ما يسمى مجلات فنية ومجلات الأزياء.

يرضع أفكاره من هذه الصور.

تجد أنه يوجد مثل عليا عند الشبان والشابات نجوم سينما ممثلين

وممثلات، طبعاً وعارضات أزياء وأبطال كرة قدم وغير ذلك، بكل معنى يلابس ويلامس هذه الرموز من معانيها.

نحن غندنا أيضاً إرضاع، القرآن مصدر رضاعتنا وسنة الرسول وأهل بيته الكرام وسيرتهم، وهذه كربلاء أيضاً هؤلاء يشتغلون على ضوابط نقية وعظيمة.

أيها الأبناء الأعزاء، أيها الشبان والصبايا:

أنتم تحملون مسؤولية الدفاع عن قوتنا وعن عزتنا وعن إيماننا وعن شرفنا وعن سيادتنا وعن سلامتنا، هذه المسؤولية أنتم أهل لأن تحملوها وقدوتكم في ذلك هم شبان كربلاء هم هؤلاء الأبرار الذين تخلوا عن حياتهم في سبيل اعتقادهم، وفي سبيل كرامة الأمة وسيادة الأمة، وقلدهم الله سبحانه وتعالى حين نزورهم مع الحسين، ونقول: السلام عليكم يا أنصار الله وأحباءه.

أيها الأبناء الأعزاء:

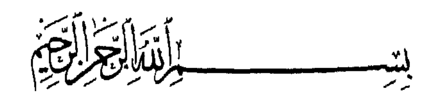
أنتم مستهدفون للخطر، بالنسبة لجيل آباءكم وأمهاتكم، استهدفوا ونالهم ما نالهم ولكنهم محصنين أكثر منكم، لأن الجيل السابق خرج من جو البراءة والصفاء والطهارة قبل هذه الموجة الخطرة من الإعلام المزيف والمسموم أنتم يا أعزائي تواجهون خطراً أكبر من الخطر الذي واجهه آباءكم، والمسؤوليات التي تحملونها على عاتقكم هي أكبر من المسؤوليات التي حملوها على عاتقهم، ولذلك فالمهمات التي تنتظركم في كل مجال هي أكبر من المهمات، سلاحكم الأكبر والأقوى هو الوعي ومتانة الأخلاق والشعور بالمسؤولية العامة.

قضايا الوحدة الوطنية قضايا وحدة كلمة المسلمين خارج المذهبية والطائفية، وقضايا الوحدة الوطنية في لبنان الذي يمثل قداسة حقيقية، وقضايا المقاومة والصمود، ومجابهة المشروع الصهيوني.

هذه هي المهمات التي تنتظركم، وهذه المهمات لا يمكن النهوض بها إلا بالرجوع إلى منابعكم، منابع الإيمان والتقوى والطهارة التي نشأ عليها علي الأكبر وسكينة سلام الله عليها وعلى آلها وعلى أصحابها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رسالة شباب كربلاء
إلى شباب عصرنا

٢٥/٤/١٩٩٩م
٩/١/١٤٢٠هـ



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الكرام الذين اتبعوه بإحسان، وعلى التابعين لهم بإحسان، والسلام عليكم أيها الإخوة العلماء الأجلّاء والإخوة والأخوات والأساتذة الكرام الأعزاء وإنا لله وإنا إليه راجعون.

في هذه العشية التي نستعيد فيها ذكرى عشية اليوم التاسع من شهر محرم من سنة ستين للهجرة، حيث اكتملت مسيرة الإمام الحسين ومن معه إلى الشهادة، وحيث واجهوا مصيرهم بوعي كامل وإرادة كاملة وعزيمة كاملة ليس فيها وهن وليس فيها ضعف وليس فيها ذلة، حيث سقطت جميع المساومات، وأن كل المساومات التي عرضت كانت مساومات على المبدأ، تنازلوا عن الإسلام واربحوا حياتكم، تنازلوا عن حقوق الأمة في الحرية والكرامة واربحوا حياتكم، تنازلوا عن مبادئكم واشتركوا معنا في إذلال الأمة ونهبها، جوهر المساومات كانت هكذا، ففي كل مرحلة وفي كل محطة كان الجواب هو الرفض، رفض المساومة، وسقطت جميع المساومات، وواجه هؤلاء الأحرار الأبرار وعلى رأسهم الإمام الحسين (ع) واجهوا مصيرهم الذي اختاروه

بأنفسهم، ولم يجبرهم أحد على أن يقتلوا، ولم يجبرهم أحد على أن ينتهوا إلى مصيرهم الذي انتهوا إليه بوعي كامل وإرادة كاملة وحرية كاملة وسعادة كاملة، اختاروا هذا المصير.

في الشعر الصوفي العرفاني يوجد بيتان من الشعر يرددان وينسبان إلى لسان الحال وليس إلى لسان المقال:

تركت الخلق طراً في هواكَ وأيتمت العيال كي أراكَ

إلى آخر هذه الأبيات، هذا الشعر يصور لسان حال الإمام الحسين ومن معه، الهدف هو الله، وهدف الله يتجلى في الأمة، يتجلى في حرية الأمة وفي كرامة الأمة.

الآن في هذه الساعات الأخيرة من اليوم التاسع في ذلك العام كانوا يتهيؤون للشهادة، تهيؤوا للشهادة بالصلاة، وتهيؤوا للشهادة بالتواصي بالحق وبالتواصي بالصبر، غداً تأتي ذكرى الشهادة، في هذه الذكرى يوجد رجال كبار السن ويوجد نساء كبيرات السن، ويوجد شبان ذكور وإناث، ويوجد شبان ومراهقون، كل من وعى كان على بينة من أمره.

طبعاً عنوانهم الكبير علي الأكبر، وعنوانهن الكبير سكينة بنت الحسين(ع)، والعنوان الأكبر والأجل هو الحسين، والعنوان الأكبر والأجل هو زينب، ولكن في عصر هذا اليوم التاسع ونحن نتهيأ للاحتفال بذكرى الشهادة الكبرى أود أن أفهم من كربلاء وأبلغ منها رسالة الشباب، رسالة كربلاء، رسالة شباب كربلاء إلى شباب عصرنا، ونذكر بأن المستقبل هو دائماً بأيدي هؤلاء، في علومهم وفي أفكارهم وفي قلوبهم وفي إرادتهم، وكما يكون شبان كل أمة تكون تلك الأمة لا كما يكون شيوخها، مهما كان شيوخ الأمة صالحين فإن صلاحها في المستقبل يتوقف على شبانها من الذكور والإناث الذين تابعوا ثورة الحسين فيما بعد في الفكر وفي الشعر وفي الجهاد وفي الاحتجاج، كانوا من الشبان، وهذه ظاهرة جداً كبيرة أن نجد أن كربلاء تحمل جملة رسائل، تحمل الرسالة الكبيرة إلى كل الأمة، ولكن تحمل رسالة إلى المرأة من خلال زينب

ومثيلات زينب من الهاشميات وغيرهم، تحمل رسالة إلى قيادة المجتمعات والأمة تتمثل في الحسين، تحمل رسالة إلى رؤساء الجماعات والأحزاب والقبائل والطوائف تتمثل في النخبة العالية الشريفة من أصحاب الحسين، وأغلبهم كانوا يشكلون مواقع قيادية في عشائرهم وأقوامهم وبلدانهم، وتحمل رسالة الوعي عند الشباب، وأيضاً وعي القضايا الكبرى والتقريرية بالراشدين الكبار، هم يحملون أفكار المجتمع وهموم المجتمع وآمال المجتمع، ولكن في الحقيقة الوعي الحقيقي هو وعي الشبان، وأنه هو وعي المستقبل، والآن نحن في حاضرنا إن كان في لبنان من جهة وحدتنا الوطنية أو استقرارنا السياسي، أو استقامة نظامنا السياسي، أو تصحيح أخطاء الدولة وإصلاح الخلل والفساد في مؤسسات المجتمع والدولة، الأمر يعتمد على وعي الشبان، وعي الرجال والنساء من أجيالنا الصاعدة الشابة.

في العالم العربي إن كان في مواجهة المشروع الصهيوني أو مواجهة التخلف أو مواجهة الهيمنة أو مواجهة تدمير الشخصية الثقافية والحضارية، الاعتماد على الشباب، على أجيال الأمة الشابة، وكذلك على مستوى الأمة الإسلامية، الشباب هم المستقبل.

ومن هنا، ونحن في هذه الساعات الأخيرة من هذه الذكرى أريد أن أركز على رسالة كربلاء ورسالة عاشوراء إلى الشباب، قلت عنوانهم علي الأكبر، وعنوانهم سكينة بنت الحسين، وهنا أريد أن أقف وقفة صغيرة تصحيحية بالنسبة إلى سكينة بنت الحسين، نسمع من إخواننا رواة السيرة الحسينية على المنبر صور عن سكينة، أنا لا أعتقد أنها صور دقيقة، هذا النحيب وهذا البكاء وهذا الضعف أمام قصة العطش، يصورون هذه الشابة العلوية العظيمة وكأنها شابة ضعيفة يتمحور اهتمامها بشربة ماء، وحولها من هم أصغر منها سناً، وحولها أمثالها، حينما ينقل وداعها للحسين أو وداع الحسين لها، أو وداعها لأخيها، أو وداعها لعمها العباس، أو استقبالها لنبأ مصرع العباس، تصور بصورة لا أعتقد أنها تتناسب مع جوهر الشخصية العظيمة القيادية التي هي سكينة بنت الحسين، سكينة عاشت، وعاشت عمراً طويلاً بعد كربلاء، وتفاعلت مع الاجتماع

الإسلامي في الحجاز وغير الحجاز، وكانت إحدى السيدات القليلات في المجتمع الإسلامي اللاتي كان لهنَّ دور وصحوة وقوة وتأثير، أنا أعتقد وأؤكد أن سكينة بنت الحسين من موقعها الأنثوي كانت مثل أخيها علي الأكبر، ولو كان لها أن تحارب لحاربت، ولو أجيز لها أن تقاتل لقاتلت، من هنا آمل أن تصحح هذه الصورة، وأن تقدم سكينة كما هي، لا كما تقضي به بعض أساليب محاولة التأثير العاطفي بذكر ما لا يلزم.

وهنا أقول إن واقعة كربلاء مشحونة بالمؤثرات العاطفية التي لا تقتضي زيادة، ولا تحتاج إلى زيادة، نتكلم عن علي الأكبر وعن أخته سكينة، ومن خلال علي الأكبر عن كل شبان كربلاء الذين عرفناهم والذين لم نعرفهم، وعن كل صبايا كربلاء اللاتي عرفناهن واللاتي لم نعرفهن.

في أحد تفاصيل المسيرة الحسينية يذكر التاريخ الموثق والمؤكد أن الحسين وهو لا يزال في الطريق قبل أن يصل إلى كربلاء، كان موكبه يسير فنام قليلاً، أخذته سنة من النوم، غفت عينه إغفاءة قصيرة، ثم انتبه وهو يقول ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[1] وكان يسامره في الطريق ابنه علي الأكبر، كان يمشي إلى جنبه أو خلفه، فقال له يا أبت: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، مم استرجعت؟ هذا الذكر المبارك بأي سبب ذكرته؟ قال له: أخذتني سنة من النوم فرأيت قائلاً يقول: (إن القوم يسيرون والمنايا تسير بهم) يسيرون إلى الموت، وهذه أيضاً برسم كل من يريد أن يجعل الحسين قزم سياسي ويقول إنه خرج لأجل أن يحصل ولاية وسلطة، (القوم يسيرون والمنايا تسير بهم) ماذا قال علي الأكبر؟ قال له يا أبت: (أولسنا على الحق؟ قال: إي والله، فأجاب علي الأكبر: فنعم إذن، ما دمنا على الحق فلنسر إلى الموت) أن يقول الحسين هذا أمر مفهوم، أما علي الأكبر الشاب الذي يمتلك كل المستقبل وكل الآمال وكل الأحلام فهذه هي رسالة كربلاء إلى جيل الشباب في العالم الإسلامي والعربي، حينما أتذكر هذا الموقف من علي الأكبر أتذكر سيرة علي الأكبر إلى أن استشهد، صورة علي الأكبر في كل خطوة، في

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

كل موقف، هذا التعبير (أولسنا على الحق؟ فنعم إذن).

هذه الرسالة موجهة إلى كل الجيل الذي ينتمي إلى جيل علي الأكبر أو ينتمي إليه علي الأكبر - جيل الشباب، والموقف المماثل بشكل أو بآخر لهذا الموقف من سكينة هو رسالة إلى كل الجيل الذي ينتمي إلى سكينة أو تنتمي إلى سكينة، سكينة القوية العظيمة، وليس سكينة الضعيفة التي تصور وكأن حياتها تتمحور حول شربة ماء، حينما أستعيد في ذهني وفي قلبي أتذكر أمثالها في تاريخ الإنسانية، مما أتذكره أتذكر مثال إبراهيم وإسماعيل، هذا الخط الذي سار عليه الحسين وآله، والذي سار عليه علي الأكبر وسكينة، هذا خط النبوة العريق وخط الإمامة العريق وخط الولاية العريق وخط الشهادة العريق.

قال إبراهيم لابنه إسماعيل: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾[1] والحسين يقول «القوم يسيرون والمنايا تسير بهم» فيقول له بدون تردد: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2] وقال له: «نعم» أو لسنا على حق قال: «بلى». كلمة إسماعيل: «فنعم إذن، افعل ما تؤمر اذبحني ستجدني إن شاء الله من الصابرين». هذا في عمق الزمان إسماعيل يناظر علي الأكبر وعلي الأكبر يناظر إسماعيل، هذا جيل الشباب إسماعيل كان يمثل وعد الله، الوعد الأكبر، الذي تمحورت عليه كل حركة التاريخ لتلد الأمة المباركة.

بعد ذلك، في الهجرة التي بدأها رسول الله يقول (ص): «يا علي بت في فراشي» في مواجهة مؤامرة يعرفها علي ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[3] في مؤامرة لقريش قام بها أربعون رجلاً واتفقوا على أن يضربوا محمداً في فراشه بسيوفهم الأربعين متعاقدين ليشتركوا في دمه بأجمعهم ويدبر الله هجرة النبي ولكن عملية الهجرة ما تكن لتكتمل إطلاقاً من دون تضحية من دون ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

﴿أَذْبَحُكَ﴾[1] فيقول النبي للإمام علي (ع): «بت على فراشي، والإمام علي يعلم أن هذا أمر للاستشهاد وأن هذا حكم بالشهادة، ماذا كان سؤال علي: وتسلم أنت يا رسول الله؟ حينما طلب النبي من علي (ع) ، أن يبيت على فراشه وأن يعرض نفسه للاستشهاد، الإمام علي لم يجادله في أنه يبيت أم لا؟ في أنه يمكن أن يلتمس أسلوباً وطريقاً آخر لمكايدة ومخادعة المتآمرين عن رسول الله كان سؤاله واحداً: «أو تسلم يا رسول الله؟» فقال له : «نعم» فقال له نفس جواب علي الأكبر بلفظه أو بمعناه.

أيضاً الإمام علي (ع) في ذلك الحين كان ينتمي إلى جيل الشبان، في هذه السلسلة التي لم تنقطع في التاريخ من إسماعيل ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[2] إلى علي «أو تسلم أنت يا رسول الله»، ونعم إذن، وعلي الأكبر «أو لسنا على الحق» ونعم إذن، هذه رسالة كربلاء إلى الشبان، إسماعيل وعلي بن أبي طالب وعلي الأكبر كانوا شباناً وجيلهم كله يحمل هذه الروح ويحمل هذه الرسالة.

هذه رسالة كربلاء إلى جيلنا إلى جيل شبابنا ورجالنا ونسائنا، من سكينة وإلى كل فتاة وإلى كل فتى، وأكرر أن سكينة لم تتمحور حياتها في كربلاء على شربة ماء، لم تكن عين دامعة، بل كانت قلباً قوياً وإرادة قوية.

ومن علي الأكبر إلى كل شاب وشابة بمقدار ما يكون هذا الجيل المبارك الواعد الطاهر نقياً، يكون المستقبل والمجتمع والأمة زاهراً وبهياً، وبمقدار ما يتصدع وتصيبه الأمراض وما تمكر فيه العلل التنظيمية والأخلاقية والمسلكية يكون مصير الأمة في خطر، لأن هؤلاء هم الذين يرثون الأرض وما عليها، هم الذين سيكوِّنون مجتمع المستقبل وحكومات وإدارات المستقبل، ومن هنا فإن المسؤولية التي تقع على عاتق قيادات المجتمع من علماء دين وحكام ومعلمين وكتاب وإعلاميين، كيف يعممون الرسالة النقية والصحيحة إلى جيل الشباب ليجعلوهم قادرين على القيام بمهماتهم المستقبلية.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

في هذه الساعات الأخيرة من تاسوعاء ، وهذه الليلة في الروايات الصحيحة الواردة عن أهل البيت والحاكية عن غير أهل البيت وعن من حكى وحكى الروح والأجواء التي كانت تعمر القلوب في كربلاء، ويندهش حينما يرى صفاء روحي ولم يكن هناك أي جزع ولا أي أسف ولا أية ندامة، كان هناك صفاء روحي عزيز وكانت هناك قوة إرادة وصلابة عزيزة وكان هناك بصيرة عزيزة، وكانوا من أهل البصائر وهذه صفة عليا من صفات الأبرار، وكانوا على بصيرة من أمرهم في تحمل القرار الذي أخذوه وهو قرار الاستشهاد.

في هذه الأمسية نحن لا نودعكم، فهم كانوا يستعدون أعلى استعداد للقاء الله سبحانه وتعالى، ولإنجاز قرارهم الذي اتخذوه، وهو الاستشهاد في سبيل تصحيح مسار الإسلام، وقد صحح، وفي سبيل إعادة الكرامة إلى الأمة وقد أعيدت، وقد حقق الحسين انتصاره الكبير قبل أن تجف دماؤه الذكية، ومن هنا أقول لكل من يرى الأمور بعين غير خبيرة، أو بنفس وروح غير كبيرة أن يرى الحسين صاحب مشروع سلطة وأن يقول إنه أراد أمراً ولم يبلغه، أقول لهم: «أن يفهموا الحسين وأن يجعلوا عيونهم خبيرة، فلا يتكلمون بالأمور عن جهالة، أو يجعلوا أنفسهم كبيرة، فلا يعكسوا أنفسهم على الكبار من قبيل الحسين(ع)».

في هذه الساعات تتكوّن في ضمير الإسلام والأمة المقولات الكبرى والمبادىء الكبرى التي حكمت مسيرة تاريخ الإسلام، في هذه الساعات التي تكتمل غداً ويتبلور نداء الزيارة الخالدة «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليكم يا وراث أمير المؤمنين علي ولي الله».

هذه السلسلة التي تبدأ بآدم ولا تنتهي إلا بإمام الزمان، وإلا بالنصر المؤزر الذي تكتمل فيه المسيرة الإنسانية كلها نحو النور، نحو الله يستمر الحسين فينا ويستمر نداء عاشوراء ويستمر نداء علي الأكبر وسكينة إلى كل جيل

شاب في كل عصور الإسلام المقبلة، كما كان كذلك في كل عصور الإسلام الماضية.

عظم الله أجورنا جميعاً أيها الإخوة والأخوات. أسأل الله أن يختم لنا بخير في كل أعمالنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٦/٤/١٩٩٩م
١٠/١/١٤٢٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أيها الإخوة والأخوات المؤمنون ، أيها المسلمون جميعاً:

عظم الله أجورنا بهذه الذكرى الأليمة والمجيدة، والتي لا أجد متسعاً للقول بعد تجديد عهدنا وعلاقتنا مع رسول الله ومع آل بيته الكرام، على ذكرى الحسين (ع) بأن نكون مسلمين صالحين نتواص بالحق ونتواص بالصبر، ونترجم إرادة الإمام الحسين بن علي وآله وصحبه الشهداء، نترجم كل ذلك بوحدة الكلمة بين المسلمين جميعاً وتعاوناً على البر والتقوى بين المسلمين جميعاً، وأن نعاهد الله تعالى أن تكون هذه الذكرى قوة توحيد للأمة، وقوة تعاون على الخير، وأن تأخذ بيدنا إلى المزيد بالوعي الإسلامي وباتباع نهج أبي عبد الله.

ونتوجه الآن جميعاً بعواطفنا وقلوبنا وأفكارنا نحو ساحة كربلاء مستعيدين ذلك المشهد الذي رسمناه الآن وصورناه الآن من ثقل النبوة وأهل بيت الرسالة، الذين هم وأصحابهم بين مضرجين على الأرض صرعى الشهادة، وبين آله من النسوة الذين يحمنا على هذه الجثث الطاهرة تحت الرمضاء تحت الشمس وعلى

رمضاء كربلاء، لا يريدون من أحداً جزاءً ولا شكوراً.

فقط يستعيدون في حياتهم وفي قلوبهم قول الله سبحانه وتعالى في سورة الدهر:

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[1] إنما يريدون وجه الله.

نتوجه إليه سلام الله عليه وإلى آله وصحبه من الشهداء وإلى زينب ونساءها.

نتوجه إليهم الآن بهذه الزيارة التي تترجم معاهدتنا معهم على السير في طريقهم، ونسأل الله أن يوفقنا في كل عام لأن نكرر هذه الذكرى، نتوجه الآن بقلوبنا وأفئدتنا إلى الإمام الحسين (ع).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) سورة الانسان، الآية: ٩.

خطاب الحسين، خطاب الأمة[1]

٢٦/٤/١٩٩٩م
١٠/١/١٤٢٠ هـ



والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الكرام المنتجبين الذين اتبعوه بإحسان وعلى التابعين له إلى يوم الدين.

السلام عليكم أيها الإخوة والأخوات الكرام ورحمة الله وبركاته، السلام على سيد الشهداء وأبي الشهداء أبا عبد الله الحسين وعلى أهله وأصحابه، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته.

إننا في كل عام نستقبل عاشوراء، عاشوراء التضحية، شهيدة على طريق تحصين الإسلام من التحريف، وتحصين الأمة من الانحراف وراء تيار الظلم ومصادرة الكرامة والحرية. إنها النهضة المباركة المتجددة دوماً بتجدد نزوع الإنسان نحو الأفضل والأسمى والأكمل باتجاه الحرية والعدالة وإحقاق الحق.

إن ثورة الحسين عليه السلام وفي هذا السياق تمثل إحدى اعظم أحداث

(١) ألقيت في الكلية العاملية ـ بيروت.

التاريخ الإنساني التي عبَّر الإنسان فيها عن روح التضحية والفداء من أجل المبادىء والقيم وحرية وكرامة الإنسان، وتتمظهر فيها الرؤية المتوازنة لإنسانية الحكم وإنسانية علاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

ومن هنا، فإن هذه النهضة العظيمة تتحول دائماً إلى مادة أساس في الفكر الإسلامي والإنساني عامة، فيراها الفقيه من خلال أبعادها الفقهية، في الفقه السياسي، كما يراها المؤرخ المحلل والفيلسوف ليجد أنها نتاج لحركة إنسانية عظمى ليست حكراً على فئة دون فئة ولا على جماعة دون أخرى، ولا تقتصر على عصرها فحسب بل تتجاوز الزمان والمكان ملخصة بذلك مشروع حضارة الإسلام بل مشروع الإسلام برمته.

لقد تحمَّل الحسين عليه السلام ومشروعه ـ مع الأسف ـ قصور الناس في بعض أفكارهم المحدودة التي قلصت الحسين من عملاق هو بالتأكيد في حجم الاسلام، وفي حجم الإنسانية جمعاء، إلى أن يكون في أحسن الحالات إمام طائفة أو زعيم حزب، وأن تتحول حركته من مشروع إسلامي إلى مأساة عائلية خاصة ذات سمة مذهبية، وأن تتحول ملحمته من كل ما هي حبلى به من مشاريع حضارية إلى مجرد حكاية تنعكس فيها انفعالات شريفة ومشروعة تقتصر على بعض ما أُريد منها وتنتهي عند دموع بريئة وطاهرة ومقدسة فحسب.

إن هذه قضية أساسية من قضايا النهضة الحسينية تتصل بفهم هذه الحركة المقدسة التي تستنفر كل الإمكانات العظيمة والطاقات الحيوية لتحريك الأمة في السياق الحضاري، ومن هنا فإن تحولها إلى عادة شعبية محصورة، أو إلى ما هو الأسوأ والأخطر أن تتحول إلى مشكلة داخل الإسلام في بعض الحالات نتيجة لبعض أخطاء صياغة الخطاب أو أسلوب الممارسة، وهذا يؤدّي إلى أن تُقام هذه المناسبة في جزر معزولة تماماً عن محيطها، هو ظاهرة بالغة الخطورة.

إن هذه الثورة التي هزّت من الأعماق كل الاجتماع الإسلامي السياسي والمدني في حينه، والتي أطلقت سلسلة من التفاعلات في الأمة والثورات وحركات الاحتجاج في الأمة لم تنته بسقوط الدولة الأموية فحسب، وإنما بقيت

تتفاعل حتى عهد العباسيين، نجدها تنتهي في هذه الحدود الضيقة، حيث تساهم في تكوين تجمعات الحب والولاء بعض الوقت ثم ينتهي بعد ذلك كل شيء.

لقد حاولنا طيلة عقود من السنين أن نحول هذه الذكرى بكل مفاهيمها إلى سياق حضاري عام في النجف وفي غير النجف، ولا أنسى أن أذكر هنا جهوداً خيرة اشتركنا فيها في لبنان مع الإمام السيد موسى الصدر من خلال الرؤية التي أريد لها أن تعيد إلى هذه الذكرى وإلى غيرها من ذكريات الإسلام مضمونها الحضاري الرحب والإنساني الأوسع والإسلامي الجامع.

لقد كان كبير من لبنان في الفكر والعلم والرؤية الإسلامية النقية وأحد أبرز علماء عصرنا هو الشيخ عبد الله العلايلي رضوان الله عليه من أفضل من عبر في كتبه عن روح الثورة الحسينية وتجلياتها ومداها في مسيرة الإسلام ومسيرة الإنسان.

إن خطاب النهضة الحسينية كما وصل إلينا من أوثق المصادر، كان خطاب الأمة وخطاب الوحدة، لم يكن خطاب الطائفة ولا خطاب الحزب ولا خطاب العشيرة والقبيلة، وإذا كانت التباسات التاريخ والممارسة قد غيرت هذا الخطاب أو شوهته، فإننا جميعاً نتحمل مسؤولية جلاء هذا الخطاب ليقوم بوظيفته في عصرنا باعتباره عامل توحيد في ضمير الأمة وتوجهاتها.

لقد أكد على هذا المعنى الإمام علي (ع) والأئمة المعصومون بعد الحسين حيث تواترت عنهم النصوص الموجهة إلى شيعتهم للاندماج في الأمة وتحقيق معنى الأمة في أنفسهم.

وهذا ما يدعونا دائماً إلى دعوة المسلمين الشيعة حيث كانوا في أوطانهم وأقوامهم إلى الاندماج في مجتمعاتهم الوطنية واحترام انتمائهم إليها والمحافظة على سلامتها وازدهارها، وتجنب الوقوع في أية أوهام حول المشاريع الخاصة والانتماءات الخاصة التي تتنافى مع انتماءاتهم الوطنية.

إن قيادة الإمام الحسين (ع) كانت تمثل الأمة في مقابل النظام الذي استغل

قـوة القمـع البـوليسـي والتخـديـر الـديـني لإسكـات قيـادات الأمـة، وكمـا كـانـت ثـورتـه (ع) إدانـة للنظـام فقـد كـانـت احتجـاجـاً علـى سكـوت الأمـة واستسلامها.

إن خطاب عاشوراء هو خطاب الممانعة والمقاومة، وهي تتجسد اليوم في تضحيات أهلنا وصمودهم في وجه العدوان الصهيوني الغاشم بمشروعه الرامي إلى الاستحواذ على جميع المكاسب والجوائز في المنطقة من دون إقامة أي اعتبار للقرارات الدولية بهذا الشأن.

إن هذه المقاومة هي مقاومة الشعب اللبناني ـ كل الشعب اللبناني ـ لا فئة واحدة منه، وكل المناطق اللبنانية ـ لا منطقة واحدة ـ هي مقاومة الدولة والمجتمع والجيش والأهالي والأحزاب، كل ذلك تحت سقف واحد وفي ظل المشروع الوطني العام الذي يشكل الحصن والحضن والمرجع والمآل.

هذه المقاومة تواجه نفس الخطر الذي واجهته ذكرى ثورة الحسين (ع)، خطر التقلص إلى أن تكون مقاومة طائفة أو بعضها، أو منطقة أو بعضها.

إننا إذ ندين كل جرائم إسرائيل اليومية في احتلالها لفلسطين ولبنان وسوريا، وفي عدوانها الدائم، بالقتل والتدمير والسجن والتشريد والاستيطان والتهويد وخاصة للقدس المقدسة الحبيبة التي يحرم إهمالها ونسيانها وخذلانها، ومن ذلك آخر جرائم إسرائيل بإغلاق بيت الشرق وغيره من المؤسسات.

ومن هنا فإن تضحيات أهلنا وصمودهم ووحدتهم في كل الجنوب والبقاع الغربي هي قمة المقاومة التي تفضح إسرائيل وتدحض العدوان، وإن تضامن الدول العربية، وهو ما نرى بشائره في الآونة الأخيرة، والتلاحم بين لبنان وسوريا الأسد في مواجهة المشروع الصهيوني، وفي التكامل والتعاون بين الدولتين والجيشين، ووعي الدولة اللبنانية لذاتها ولمسؤولياتها تؤدي بالضرورة إلى إفشال المشروع الصهيوني في تحقيق مقاصده. فالمطلوب إذن من الدولة تأكيد حضورها في شتى المجالات، تأكيد وعيها لذاتها وإمساكها بزمام المبادرة

وتضامنها ووحدة قياداتها ومؤسساتها، وشفافية أدائها، وصدقية علاقتها بشعبها ومجتمعها.

ومن وحي معاني الوحدة والعدالة والنهوض نعبّر عن ضرورة عمل كل ما يمكن لتعميق الوحدة الوطنية في الوعي وفي السلوك لا باعتبار هذه الوحدة مضموناً عاطفياً ونظرياً بل باعتبارها ضرورة مؤسساتية لتنمية الإنسان والمجتمع.

وفي هذا الشأن نكرر دعمنا للعهد وحكومته في توجهاته في المشروع الإصلاحي، وتحديث الدولة وإصلاح الإدارة، وترشيد الاقتصاد مع التحذير من الوقوع في فخ العولمة الاقتصادية وغير الاقتصادية التي تتيح جني أرباح كبرى للمشروعات وللمؤسسات المالية والاستثمارات الدولية العملاقة ورجال المال وللرأسمال المتوحش وتؤثر على عامة المجتمع بسلبيتين كبيرتين، البطالة، وانخفاض الدخل ومن ثم انخفاض مستوى المعيشة، وتشوّه الهوية الحضارية والإنسانية.

إن قضية التنمية الشاملة هي قضية مستقبل لبنان ونحن لا نفهمها على أنها مجرد إيجاد بنى ومشاريع، بل دمج التنمية الاقتصادية بالرؤية الإنسانية التي تدفعنا إلى طلب تكثيف عملية التنمية في الريف لتثبيت المواطنين في قراهم ودساكرهم، ولخلق الحوافز لدى المهاجرين للعودة إلى هذه المناطق.

إن إصلاح اجتماعنا السياسي يفتقر إلى قانون انتخابات يراعي ثوابت الكيان اللبناني وضرورة الاندماج بين مجموعات الشعب اللبناني بحيث يكمّل كل فريق الفريق الآخر، فلا يستقيم أمر المسلمين إلا بالمسيحيين ولا يستقيم أمر المسيحيين إلا بالمسلمين، وهذا يحفزنا إلى الدعوة لإنشاء هيئة وطنية تتمثل فيها هيئات الاجتماع اللبناني كافة لوضع مشروع قانون يضمن مصلحة المواطن اللبناني والاندماج الوطني ويحقق أعلى نسبة من التمثيل الواقعي.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء

لقد شكل الشبان في كربلاء نسبة كبيرة وكانوا عنوان جيلهم في وعي مأزق

الأمة، وطليعة هذا الجيل في مواجهته، لم ينهزموا أمامه ولم يقفوا منه موقف اللامبالاة.

إن أمتنا الآن تواجه تحديات داخلية وخارجية في تكوينها وفيما تواجهه من أخطار في قضايا الوحدة والنمو من الداخل، والمشروع الصهيوني ومشروع الهيمنة الجديدة من الخارج وهي مهمة حملها الجيل الماضي، فشل في حالات ونجح في حالات أخرى، والآن هذه المهمة ملقاة على عاتق الشبان ولا يمكن القيام بها إلا بالتسلح لها بالعلم والأخلاق والوعي، وهذا بدوره يلقي عبئاً على النظام التربوي والعلمي نأمل أن نعيه ونستجيب لمطالبه، ولعل أكثر الشبان في العالم العربي مسؤولية هم شباب لبنان، فعليهم أن يعوا شرف المهمة ومسؤولياتها.

والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتب مطبوعة للمؤلف

١ ـ **نظام الحكم والادارة في الاسلام**، الطبعة الاولى، منشورات حمد ـ بيروت ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م.

طبعة ثانية، دار مجد ١٩٩٢ م ـ ١٤١٢ هـ.

طبعة ثالثة، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٥ م ـ ١٤١٥ هـ.

٢ ـ **دراسات في نهج البلاغة**، الطبعة الاولى، النجف/ العراق ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م.

الطبعة الثانية، بيروت ـ دار الزهراء ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م.

الطبعة الثالثة ـ بيروت ـ الدار الاسلامية، ١٩٨٤ م.

٣ ـ **ثورة الحسين: ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية**. الطبعة الاولى ـ بيروت ـ دار الأندلس.

الطبعة الثانية ـ بغداد ـ مكتبة التربية.

الطبعة الثالثة ـ بيروت دار التراث الاسلامي ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.

الطبعة الرابعة ـ بيروت ـ دار التعارف ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.

الطبعة الخامسة ـ بيروت ـ دار التعارف ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

الطبعة السادسة ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ١٩٩٥ م ـ ١٤١٥ هـ.

الطبعة السابعة ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ١٩٩٧ م ـ ١٤١٧ هـ.

٤ ـ **محاضرات في التاريخ الاسلامي**، النجف ١٩٦٥ م.

٥ ـ **أنصار الحسين: الرجال والدلالات** ـ بيروت ـ دار الفكر. ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.

الطبعة الثالثة ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٦ م ـ ١٤١٦ هـ.

٦ ـ **ثورة الحسين في الوجدان الشعبي**، منشورات الجمعية الخيرية الثقافية.

الطبعة الثالثة، بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٦ م ـ ١٤١٦ هـ. ـ طبع تحت عنوان واقعة كربلاء.

٧ ـ **بين الجاهلية والاسلام**، دار الكتاب اللبناني ـ دار الكتاب المصري، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.

الطبعة الثالثة، بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٦ م ـ ١٤١٦ هـ.

٨ ـ **الاسلام وتنظيم الأسرة (بالاشتراك مع آخرين)**، الدار المتحدة للنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٣ م ـ ١٣٩٣ هـ.

٩ ـ **مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني**، بيروت ـ دار التعارف، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

الطبعة الثانية ـ بيروت ـ دار التعارف، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

الطبعة الرابعة ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٧ م ـ ١٤١٨ هـ.

١٠ ـ مسائل حرجة في فقه المرأة: الستر والنظر

١١ ـ أهلية المرأة لتولي السلطة.

١٢ ـ حقوق الزوجية وحق العمل للمرأة.

طبعة أولى ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٥ م ـ ١٤١٥ هـ.

طبعة ثانية ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٦ م ـ

١٤١٦ هـ.

١٣ ـ **العلمانية**، طبعة أولى ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩١ م ـ ١٤١١ هـ.

طبعة ثانية ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٦ م ـ ١٤١٦ هـ.

١٤ ـ **التطبيع بين ضرورات الأنظمة وخيارات الامة**، طبعة ثالثة ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٧ م ـ ١٤١٧ هـ.

١٥ ـ **كتاب الجهاد**، ابحاث فقهية تقريرات لبحث الخارج.

١٦ ـ **عاشوراء** ـ مجموعة محاضرات في ذكرى عاشوراء، طبعة ثالثة ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية، ١٩٩٥ م ـ ١٤١٥ هـ.

١٧ ـ **حركة التاريخ عند الامام علي** دراسة في نهج البلاغة، طبعة رابعة ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٧ م ـ ١٤١٨ هـ.

١٨ ـ **السلم وقضايا الحرب عند الامام علي**، دراسة في نهج البلاغة، ـ قيد الطبع.

١٩ ـ **عهد الاشتر**، ـ قيد اعادة الطبع.

٢٠ ـ **التجديد في الفكر الاسلامي**، بيروت ـ دار المنهل، ١٩٩٧ م ـ ١٤١٨ هـ.

٢١ ـ **الغدير**، دراسة تحليلية اجتماعية سياسية لمسألة الحكم الاسلامي بعد وفاة الرسول، منشورات الجمعية الخيرية الثقافية ـ بيروت ـ ١٣٨٦ هـ.

٢٢ ـ **الاحتكار في الشريعة الاسلامية**، بحث فقهي مقارن، ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م.

٢٣ ـ **دراسات ومواقف في الفكر والسياسة والمجتمع**، ٣ اجزاء، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٩٠ م ـ ١٤١٠ هـ.

٢٤ ـ **رسالة الحقوق للإمام زين العابدين**، منشورات الجميعة الخيرية الثقافية ـ بيروت.

٢٥ ـ **تفسير آيات الصوم**، الجمعية الخيرية الثقافية، ـ بيروت ـ ١٣٨٦ هـ.

٢٦ ـ **مع الامام الرضا في ذكرى وفاته**، الجمعية الخيرية الثقافية ـ بيروت ـ ١٣٨٦ هـ.

٢٧ ـ **في الاجتماع السياسي الاسلامي**، المجتمع السياسي الاسلامي)، محاولة تأصيل فقهي وتاريخي، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.

٢٨ ـ **لبنان الكيان والدور**، منشورات الغدير ـ بيروت ـ ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م.

٢٩ ـ **الامة والدولة والحركة الاسلامية**، منشورات الغدير، ـ بيروت ـ ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م.

٣٠ ـ **الاجتهاد والتقليد**، بحث فقهي استدلالي مقارن، طبعة أولى، ١٩٩٨ م ـ ١٤١٩ هـ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت.

بالاضافة إلى مجموعة من الدراسات والابحاث التي نشرت على حلقات في الصحف والدوريات العربية.

المؤسسة الدولية للدراسات والنشر

بيروت

فهرس الموضوعات

كتب مطبوعة للمؤلف

١ ـ **نظام الحكم والادارة في الاسلام**، طبعة ثالثة، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٥ م ـ ١٤١٥ هـ.

٢ ـ **دراسات في نهج البلاغة**، الطبعة الاولى، النجف/ العراق ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م.
الطبعة الثالثة ـ بيروت ـ الدار الاسلامية، ١٩٨٤ م.

٣ ـ **ثورة الحسين: ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية.**
الطبعة السابعة ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ١٩٩٧ م ـ ١٤١٧ هـ.

٤ ـ **محاضرات في التاريخ الاسلامي**، النجف ١٩٦٥ م.

٥ ـ **أنصار الحسين: الرجال والدلالات** ـ بيروت ـ دار الفكر. ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.
الطبعة الثالثة ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٦ م ـ ١٤١٦ هـ.

٦ ـ **ثورة الحسين في الوجدان الشعبي**، منشورات الجمعية الخيرية الثقافية.
الطبعة الثالثة، بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٦ م ـ ١٤١٦ هـ. ـ طبع تحت عنوان واقعة كربلاء.

٧ ـ **بين الجاهلية والاسلام**، دار الكتاب اللبناني ـ طبعة رابعة، بيروت سنة ٢٠٠٠ م، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر.

٨ ـ **الاسلام وتنظيم الأسرة** (بالاشتراك مع آخرين)، الدار المتحدة للنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٣ م ـ ١٣٩٣ هـ.

٩ ـ **مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني**، الطبعة الرابعة ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٧ م ـ ١٤١٨ هـ.

١٠ ـ **مسائل حرجة في فقه المرأة: الستر والنظر**

١١ ـ **أهلية المرأة لتولي السلطة.**

١٢ ـ **حقوق الزوجية وحق العمل للمرأة.**
طبعة ثانية ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٦ م ـ ١٤١٦ هـ.

١٣ ـ **العلمانية**، طبعة أولى ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩١ م ـ ١٤١١ هـ.
طبعة ثانية ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٦ م ـ ١٤١٦ هـ.

١٤ ـ **التطبيع بين ضرورات الأنظمة وخيارات الامة**، طبعة ثالثة ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٧ م ـ ١٤١٧ هـ.

١٥ ـ **كتاب الجهاد**، ابحاث فقهية تقريرات لبحث الخارج.

١٦ ـ **عاشوراء** ـ مجموعة محاضرات في ذكرى عاشوراء، طبعة ثالثة الجزء الاول ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية، ١٩٩٥ م ـ ١٤١٥ هـ.

١٧ ـ **حركة التاريخ عند الامام علي** دراسة في نهج البلاغة، طبعة رابعة ـ بيروت ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٧ م ـ ١٤١٨ هـ.

١٨ ـ **السلم وقضايا الحرب عند الامام علي**، دراسة في نهج البلاغة، ـ قيد الطبع.

١٩ ـ **عهد الاشتر**، ـ قيد اعادة الطبع.

٢٠ ـ **التجديد في الفكر الاسلامي**، بيروت ـ دار المنهل، ١٩٩٧ م ـ ١٤١٨ هـ.

٢١ ـ **الغدير**، دراسة تحليلية اجتماعية سياسية لمسألة الحكم الاسلامي بعد وفاة الرسول، منشورات الجمعية الخيرية الثقافية ـ بيروت ـ ١٣٨٦ هـ.

٢٢ ـ **الاحتكار في الشريعة الاسلامية**، بحث فقهي مقارن، ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م.

٢٣ ـ **دراسات ومواقف في الفكر والسياسية والمجتمع**، ٣ اجزاء، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٩٠ م ـ ١٤١٠ هـ.

٢٤ ـ **رسالة الحقوق للإمام زين العابدين**، منشورات الجميعة الخيرية الثقافية ـ بيروت.

٢٥ ـ **تفسير آيات الصوم**، الجمعية الخيرية الثقافية، ـ بيروت ـ ١٣٨٦ هـ.

٢٦ ـ **مع الامام الرضا في ذكرى وفاته**، الجمعية الخيرية الثقافية ـ بيروت ـ ١٣٨٦ هـ.

٢٧ ـ **في الاجتماع السياسي الاسلامي**، المجتمع السياسي الاسلامي)، محاولة تأصيل فقهي وتاريخي، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.

٢٨ ـ **لبنان الكيان والدور**، منشورات الغدير ـ بيروت ـ ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م.

٢٩ ـ **الامة والدولة والحركة الاسلامية**، منشورات الغدير، ـ بيروت ـ ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م.

٣٠ ـ **الاجتهاد والتقليد**، بحث فقهي استدلالي مقارن، طبعة أولى، ١٩٩٨ م ـ ١٤١٩ هـ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت.

٣١ ـ **عاشوراء** ـ مجموعة محاضرات ١٤١٣هـ ـ ١٤٢٠ هـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر بيروت، ٢٠٠٠م.

بالاضافة إلى مجموعة من الدراسات والابحاث التي نشرت على حلقات في الصحف والدوريات العربية.

المؤسسة الدولية للدراسات والنشر
بيروت


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)





